

تَكَالِيفُ الْمُؤْمِنِ

فِي

عَصْرِ الْغَيْبَةِ

الجزء الثالث

الشيخ محمد أشكناني

الطبعة الأولى

١٤٤٥ هـ - ٢٠٢٤ م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

السّلام عليكم جميعاً

أرجو من يقرأ هذا الكتاب أن يرسل رأيه عن الكتاب إلى

الإيميل

mohashk14@hotmail.com

أو الواتساب

00965-99644250

فأراؤكم تهمّنا وترشدنا إلى الأفضل

وستنشر الآراء مع أسماء أصحابها في الطبعة التّالية من الكتاب

وأكون لكم من الشّاكرين

الشيخ محمّد أشكناني

موقع ديوانية الشيخ محمد أشكناني

www.alashkanani.com

YouTube

Ashkanani Channel

Instagram

@alashkanani

البريد الإلكتروني للمؤلف

mohashk14@hotmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ الطَّاهِرِينَ
اللَّهُمَّ كُنْ لِوَلِيِّكَ الْحُجَّةِ ابْنِ الْحَسَنِ صَلَواتِكَ
عَلَيْهِ وَعَلَى آبَائِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ
وَلِيًّا وَحَافِظًا وَقَائِدًا وَنَاصِرًا وَدَلِيلًا وَعَيْنًا حَتَّى
تُسْكِنَهُ أَرْضَكَ طَوْعًا وَتُمَتِّعَهُ فِيهَا طَوِيلًا
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ الطَّاهِرِينَ

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

(٤٣)

هدف المؤمن في عصر الغيبة (١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين .

سيكون بحثنا عن "دور العمل الاجتماعي في إعداد أنصار الإمام المهدي عليه السلام"، وهذا حلقة من السلسلة التي كنا نتكلم فيها عن تكاليف المؤمن في عصر الغيبة الكبرى .

وقبل الدخول في الموضوع أطرح مثالا عرفياً، شخص يريد أن يكون طبيباً مختصاً في أي عضو من جسم الإنسان، أولاً يدرس الطب العام مدة سبع سنوات، وبعد ذلك يحتاج إلى دراسة سنوات طويلة حتى يصبح مستشاراً أو متخصصاً في جزء من أجزاء الجسم .

ومن يريد أن يكون من أنصار الإمام عليه السلام أمامه طريق طويل لا أنه يصبح من أنصار الإمام عليه السلام بالصدفة .

(١) أُلْفِيَتْ هذه المحاضرة في الديوانية الأسبوعية في دولة الكويت منطقة

بيان، الجمعة ٢٧ ربيع الأول ١٤٣٤ هـ ، ١٤/٢/٢٠١٣ م .

وكما أنّ الطَّيِّب يدرس ويبدل جهده سنوات طويلة حتّى يكون من المتخصّصين، أو المهندس المختصّ، أو المتخصّص في أيّ مجال من مجالات الحياة، كذلك من يريد أن يصبح من الأنصار لا بدّ من أن يكون عنده برنامج معيّن يسير عليه، والعملية ليست عشوائيةً، وليست حظّك يا نصيب، ولا يصبح من الأنصار بالصدفة .

وفي الأمور العمليّة حتّى في المجالات الدنيوية يكون العمل قائماً على أساس العلم دائماً، فإذا أراد أن يصلّي لا بدّ من أن يتعلّم مقدمات الصّلاة وشروطها وأجزائها، وهذا بالنسبة لجزء من أجزاء الدّين، وإذا أراد أن تكون صلّاته صحيحةً فيرجع إلى الرّسالة العمليّة، فيتعلّم المسائل والأحكام، وبعض الأشخاص قد يكتشفون بعد سنوات أنّ صلواتهم وقعت باطلةً، فيحتاج إلى الرّسالة العمليّة؛ لأجل معرفة صحّة العمل، والمؤمن لا يكتفي بصحّة العمل، وإتّما يريد أن يكون العمل مقبولاً عند الله تعالى مع صحّته، لذلك لا بدّ من أن يعرف شروط صحّة العمل وشروط قبول العمل، ولا ينظر فقط إلى أنّ صلّاته صحيحة، وهذا يحتاج إلى جهد، وصحّة العمل مرتبطة بعلم الفقه العمليّ، ويريد أيضاً أن يضمن أنّ صلّاته تكون مقبولةً من الله تعالى، وهذا يحتاج إلى جهد آخر، وقبول العمل مرتبط بعلم العقائد وعلم الأخلاق، فهذه المفردة الواحدة من أجزاء الدّين -وهي الصّلاة- يريد أن يقدّمها إلى الله تعالى بحيث يقبلها الله عزّ وجلّ بقبول حسن، فيحتاج إلى كمّيّة من المعلومات التي لا بدّ من أن

يعرفها؛ ليضمن قبول صلاته، لذلك يحتاج إلى مجموعة من العلوم لا الرسالة العمليّة فقط، فيحتاج إلى معرفة الجانب العقائديّ والجانب الأخلاقيّ والجانب العمليّ المرتبط بهذا العمل، فيقول: أصليّ قرينةً إلى الله تعالى .

فلا بدّ من أن يعرف الله تعالى، يريد أن يصلي بين يدي الله وهو لا يعرف الله تعالى، فيحتاج إلى دراسة العقائد، وقبول العمل مرتبط بالنفس، وعلم الأخلاق هو الذي يبحث في النفس، فيحتاج أيضًا إلى دراسة علم الأخلاق، ويحتاج أيضًا إلى دراسة الرسالة العمليّة؛ لأجل أن يعرف شروط صحّة العمل، وهذه العلوم الثلاثة تسير معه في جميع الأعمال التي يقوم بها حتّى في الأعمال الحياتيّة العاديّة، فالإنسان يأكل وينام ويمشي ويشترى، ومن يريد أن يكون من الأنصار يحتاج إلى هذه العلوم الثلاثة، فهو لا يحرص على صحّة الصلاة فقط، بل يريد أن يحصل على قبول العمل من الله تعالى، فيأتي بالصلاة الصّحيحة والمقبولة معًا، ويريد أن يضمن جميع أعماله بأن تكون مقبولةً من الله تعالى .

ومن يكون من الأنصار لا يكون مؤمنًا عاديًّا، بل لا بدّ من أن يكون مؤمنًا متميّرًا بين المؤمنين، ولا أقصد بالتمييز أنّه معروف بين الناس بأنّه متميّر، بل يكون متميّرًا عند الله تعالى وعند إمامه عليه السّلام، وهو بينه وبين نفسه يعلم أنّ ما يقوم به لا يقوم به المؤمن العاديّ، فالمؤمن العاديّ نظره إلى صحّة العبادات فقط، ولكنّ المتميّر

يكون نظره إلى قبول جميع أعماله من الله تعالى حتى الأعمال العادية التي يقوم بها لا فقط العبادات المخصوصة، فهو يتعامل مع جميع الأعمال بأتمها عبادات عامة، ويتقرب بكل عمل إلى الله تعالى، ويراقب الله تعالى في جميع أعماله، والأعمال العادية يمكن للمؤمن أن يتقرب بها إلى الله عز وجل، ففي بيتك يمكنك أن تتقرب إلى الله من خلال علاقتك بزوجتك وأولادك، وكذلك علاقتك بالأمر الديني كالسيارة والبيت والهاتف والنقل وغيرها، فتقرب إلى الله بجميع العلاقات حينما تربطها بالعقائد والأخلاق والرّسالة العملية، ويحتاج المؤمن إلى سنوات حتى يكون محتصاً بعلوم الدين، مثلاً في الصلاة تدرس العقائد المرتبطة بالصلاة، وتدرس الأخلاق والصفات القلبية المرتبطة بالصلاة، وتدرس باب الصلاة من الرّسالة العملية، ويعرف كيف يرتبط بالله تعالى وبالنبي صلى الله عليه وآله وبالإمام عليه السلام وبالمعاد بواسطة الصلاة، وكيف يؤدّيها ويتكامل بها، وهذا بالنسبة لهذه المفردة من الدين، ومن يريد أن يصبح من الأنصار تكون عنده جميع مفردات الدين منطلقاً من العلوم الثلاثة، لا فقط التركيز على الرّسالة العملية المتكفلة بصحة العمل الخارجي، بل يركّز على العمل الخارجي المرتبط بالرّسالة العملية، وعلى العمل الباطني القلبي المرتبط بعلم العقائد وعلم الأخلاق، والحركة القلبية مهمّة عند المؤمن، والعمل الخارجي يساهم في العمل القلبي، لا فقط يصلي صلاةً ظاهريةً، بل يضمن أنّ كلّ الصلاة تكون مقبولةً من الله تعالى .

عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : "إِنَّ مِنَ الصَّلَاةِ لِمَا يُقْبَلُ نَصْفُهَا
وثلثُها وربُّعُها وخمُسُها إلى العُشْرِ، وَإِنَّ مِنْهَا لِمَا يُلْفُ كَمَا يُلْفُ الثَّوْبُ
الْحَلْقُ فَيضربُ بها وجهَ صاحبِها، وَإِنَّمَا لَكَ مِنْ صَلَاتِكَ مَا أَقْبَلْتَ عَلَيْهِ
بِقَلْبِكَ" (١) .

لا يكون التّركيز فقط على الجانب الخارجيّ، فيقول : "الله أكبر"،
ويذهب ذهنه شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً، ثمّ يقول لله تعالى : "يا ربّي،
اقبل صلاتي" .

هذا الشّخص لم يقبل بقلبه على صلّاته، فصلّاته صحيحة،
ولكنّها لا تكون مقبولة، والإنسان لا بدّ من أن يلتفت إلى صحّة
العمل وقبوله، وهذا في حدود الصّلّاة، وكذلك في جميع الأعمال لا
بدّ من أن يلتفت إلى ارتباط العمل بالله تعالى وارتباطه بالنفس
والقلب وارتباطه بالعمل الخارجيّ، فتوجد ثلاثة جوانب لأيّ عمل
حتى الأعمال العاديّة، ويجب أن يأتي بالجوانب الثلاثة؛ لكي يضمن
قبول العمل من الله تعالى .

ومن يريد أن يكون من الأنصار حركته تكون مختلفةً عن المؤمن
العاديّ، وأقصد بالمؤمن العاديّ من يترك الواجب مرّة ويفعل الحرام
مرّة، ومرّة يتكامل ومرّة يتسافل، وهو المؤمن الظّاهريّ، والمؤمن الذي
لا يوجد عنده اطلاع على معالم الدّين ولا علم عنده سيّتخبّط في
حركته، وحركته لا تكون ممنهجةً، ولا يوجد عنده برنامج معيّن،

(١) بحار الأنوار ج ٨١ ص ٢٦٠ ح ٥٩ . الثّوب الحلق : الثّوب البالي .

والإنسان بدون برنامج لا يمكن أن يتكامل، وبواسطة البرنامج يتكامل ويصعد في درجات الإيمان، ويعلم أنه قد تكامل، مثلما نقول لشخص بأن يصعد السلم، فيصعد من الدرجة الأولى إلى الدرجة الثانية، وهو يعلم أنه قد انتقل من درجة أدنى إلى درجة أعلى، وهذا بالنسبة للحركة المادّية، والحركة القلبية الباطنية تكون بنفس الطريقة، ولكنها حركة معنوية غير مادّية، فإذا لم يعرف الدرجة الأولى والدرجة الثانية من الإيمان فلا يعرف أين يضع قدمه، ولا يعرف كيفية الصعود من الدرجة الأولى إلى الدرجة الثانية، لا بدّ من أن يكون عنده اطلاع على درجات الإيمان، ففي كلّ درجة إيمانية توجد أعمال خارجيّة معيّنة مرتبطة بالرسالة العمليّة، وأعمال قلبية مرتبطة بعلم العقائد وعلم الأخلاق، وهذا الاطلاع ضروريّ للمؤمن، وبدون العلم لا يمكن للإنسان أن يتحرّك، وكلّما ازداد علمًا واستفاد من علمه ازداد حركةً، وفي كلّ حركة يحتاج إلى علم، وبدون العلم يستحيل أن يتحرّك تحرّكًا صحيحًا .

وبدون العلم يستحيل أن يصبح الشّخص طبيبًا، فيوجد برنامج معيّن للطبيب، ولا بدّ من أن يسير في المراحل الدّراسيّة، ويحصل على نسبة معيّنة في المدرسة الثّانويّة؛ لكي يُقبَل في كليّة الطّب، وإذا لم يحصل على النسبة المعيّنة فلا يُقبَل في الكليّة، وبالإضافة إلى ذلك أثناء دراسته لا بدّ من أن يحصل على درجات معيّنة، فيدرس خلال سنة ولا بدّ من أن تكون درجته عاليةً؛ لكي يستمرّ في دراسته .

وكما يكون هذا الطَّبيب بهذه الكيفيَّة، كذلك في الأمور الدَّينيَّة نحتاج إلى هذا التَّدقيق، والمؤمن لا بدَّ من أن يحرص على ملقَّه حينما يُعْرَضُ في اللَّيل على إمام زمانه عليه السَّلام، فلا يقدِّم ملقَّه بشكل عشوائي، بل يقدِّمه لإمامه عليه السَّلام وهو متيقِّن ممَّا عمله خلال يومه، ولا يعتمد على الصَّدف، فإذا كان يعتقد بأنَّ إمامه عليه السَّلام يطَّلِع على أعماله فإنَّه يتأنَّى ويفكِّر كثيرًا قبل أن يُقدِّم على أيِّ عمل، والنَّاس بشكل عامِّ لا يفكِّرون ولو قليلاً قبل الإقدام على العمل، وبعد أن يعملوا قد يفكِّرون، والتَّفكير لا بدَّ من أن يكون قبل العمل لا بعد العمل، ويفكِّر هل هذا العمل ضمن البرنامج أو لا، فإذا كان ضمن البرنامج يُقدِّم عليه، وإذا كان خارج البرنامج يتوقَّف ويتركه، لذلك فالاطِّلاع على جوانب الدِّين مهمٌّ جدًّا للمؤمن؛ لكي يضع لنفسه برنامجًا يتناسب مع دينه، فكلَّ عمل يعرضه على برنامجهِ، ومن يكون في كليَّة الطَّبِّ لا يدرس التَّاريخ أو الجغرافيا؛ لأنَّهُما ليسا ضمن برنامجهِ، فلا بدَّ من أن يكون عندك برنامج معيَّن، ويكون البرنامج واضحًا عندك بحيث إنَّه كلِّما أردت أن تدخل في عمل معيَّن تحرص على صحَّة هذا العمل، وتحرص أيضًا على قبول كلِّ عمل لا العبادات المخصوصة فقط، وجميع الأعمال التي يقوم بها الإنسان تكون ضمن برنامج ومنهج، وإذا لم يوجد عنده برنامج سابقًا فالآن يبدأ بوضعه، والبرنامج يكون على أساس الدِّين، وجميع أعماله وحتى مشتهياته ورغباته تكون ضمن البرنامج بشرط أن يشتهي ما يسمح به

الله تعالى، ويرغب بما يريد الله عزّ وجلّ، وبهذه الطريقة يصبح من أنصار الإمام عليه السّلام .

عن الإمام الباقر عليه السّلام قال : قال عليّ بن الحسين عليهما السّلام : مرضت مرضاً شديداً، فقال لي أبي عليه السّلام : ما تشتهي ؟ فقلت : "أشتهي أن أكون ممّن لا أقترح على الله ربّي ما يدبره لي" . فقال لي : أحسنت، ضاهيت إبراهيم الخليل صلوات الله عليه حيث قال جبرئيل عليه السّلام : هل من حاجة ؟ فقال : لا أقترح على ربّي، بل حسبي الله ونعم الوكيل ^(١) .

ولا يوجد عنده شيء خاصّ، وإمّا يكون انعكاساً للدين، وكلّ عمل يقوم به يكون على أساس الدين، وهذا أمر صعب، والحصول على البرنامج المناسب يحتاج إلى سنوات من الدّراسة والتّفكير .

وفي الدّيوانيّة خلال ثماني سنوات حاولنا أن نطرح مواضيع مختلفة تبين نظرة الدّين للأشياء، وبعض المواضيع تكون في سلسلة من المحاضرات؛ حتّى نغطّي النّقاط المختلفة الموجودة ضمن الموضوع، ونحتاج إلى التّفصيل في الأمور الدّينيّة؛ حتّى يكون عندنا العلم الكافي للتحرّك والعمل .

ويأتي شخص لا يستمع إلى محاضرات العلماء ولا يذهب إلى المساجد ولا يحضر المجالس ولا يشاهد الفضائيات ولا يقرأ الكتب ومع ذلك يتمتّى بأن يصبح من أنصار الإمام عليه السّلام، والمؤمن لا

(١) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ٦٧ ح ٣٤ .

يصبح من أنصار الإمام عليه السّلام صدفةً وبدون مقدّمات، والإمام عليه السّلام نظره إلى النّاس، ويختار المتميّزين من بين المؤمنين، واختيار الإمام عليه السّلام ليس مقتصرًا على الاختيار من بين المعتمّين، فشخص قد يكون بقّالًا ويكون من أنصار الإمام عليه السّلام، نعم المعتمّم إذا استفاد من علمه يمكنه أن يصبح من الأنصار حاله حال بقيّة النّاس، نعم باعتبار أنّ عنده اطلاعًا أكثر على الدّين تكون قابليّة التّحرّك والعمل عنده أكثر، ولكن إذا لم يستفد من علمه فهذا العلم يصبح حجّةً ووبالًا عليه، فاختيار الإمام عليه السّلام لأنصاره ليس مرتبطًا بالعمامة وعدم العمامة .

هدف المؤمن في عصر الغيبة :

في عصر الغيبة الكبرى الهدف هو تربية الأفراد وإعداد الأنصار، وإمام زمانك عليه السّلام مطلع عليك، ودورك في هذا العصر أنّك تربّي نفسك حتّى تصبح من الأنصار، وكلّ مؤمن لا بدّ من أن يكون عنده هذا الهدف، ويعلم أنّ الإمام عليه السّلام يراه، وهذه عقيدة عندنا أنّ الإمام عليه السّلام مطلع على أعمالنا، وحينما تقوم بأيّ عمل فأنت تحت نظر الإمام عليه السّلام، وكأنّته توجد كاميرا تراقبك طوال الوقت، وهذه الكاميرا متحرّكة معك أينما تذهب، وإذا كان الإنسان تحت نظر أحد فإنّه يتأنّى ويفكر قبل أداء أيّ عمل بسبب وجود الرّقابة الدّائمة عليه، وكاميرا المراقبة معك ليل نهار، حتّى أثناء نومك فإنّ الكاميرا موجهة عليك، وإذا قيل لك بأنّ هناك أشخاصًا

يراقبونك في جميع تصرفاتك فإنك تكون حذرًا قبل أن تأتي بأيّ تصرف، ولكن حينما يقال بأنّ الله تعالى أو إمام زمانك عليه السّلام يراقبك فإنّ كثيرًا من النّاس لا يهتمّون؛ لأنّ هذه العقيدة غير راسخة عندهم، وإذا لم تكن العقيدة راسخةً فلا يتمّ التعامل معها كحقيقة ثابتة، وهذه العقيدة يجب أن نرسخها في أنفسنا حتّى نكون على يقين منها، ويكون عندنا قطع بأنّ الإمام عليه السّلام مطّلع على أعمالنا، بل مطّلع حتّى على أفكارنا، فتوجّه أقوالك وأفعالك وحتّى تفكيرك، والعمل ليس سهلاً، وكلّنا لا بدّ من أن نعمل، والإمام عليه السّلام مطّلع على أفكارنا ونياتنا، والتّفكير لا بدّ من أن يكون موجّهاً، لا أنّنا نوجّه العمل الخارجيّ فقط .

وتربية الأفراد وإعداد الأنصار ينتج من العمل الاجتماعيّ الإسلاميّ وغيره من الأعمال، كالعمل السّياسيّ والاهتمام بنشر الدّين، ومن يهتمّ بالدّين يهتمّ أن ينتشر الدّين، مثل أيّ أطروحة أخرى، فمن يعتقد بالرّساليّة يحاول أن ينشر فكره، وكلّ مؤمن إذا اعتقد بأنّ هذا الدّين عالميّ واعتقد بأحقّيّته المطلوب منه أن يساهم في نشره، ولكن نشر الدّين يحتاج إلى علم ومعرفة، ولا يمكن للمؤمن أن ينشر الدّين وهو لا يملك العلم والمعرفة، فلا بدّ من الإعداد المسبق بأن يكون عنده اطلاع على الدّين حتّى يقوم بنشره، والمطلوب من كل مؤمن أن ينشر الدّين، فكلّ من يعتقد بفكرة فإنّه يحاول أن ينشر فكرته حتّى لو كانت الفكرة عاديّةً، فحينما يجلس في أيّ مكان كاجتماع الأهل

في البيت أو اجتماع الأصدقاء في الدِّيوانية أو اجتماع الزملاء في العمل فإنه يحاول أن يقنعهم بفكرته؛ لأنه مقتنع بصحتها، فبقدر ما يعتقد الإنسان بفكرة ويقنع بها فإنه يريد أن ينشرها ويقنع الآخرين بها، ويرجو أن تنتشر فكرته في العالم ويقنع بها جميع الناس، فالرأسمالي يريد أن يقنع العالم بفكرته، والاشتراكي يرجو أن يقنع الناس بفلسفته، وكذلك من يعتقد بصحة البوذية وغيرها من الأديان يريد أن يقنع جميع الأفراد باعتقاده، والملحد الذي لا يعتقد بوجود إله خالق للكون يريد أن ينشر إلحاده في العالم، فيكتب الكتب ويلقي المحاضرات ويعقد اللقاءات والندوات لإقناع العالم بفكرته، ويحاول أن يفلسف إلحاده، فيطرح فلسفة للإلحاد، ويبيّن أدلته التي تدل على عدم وجود إله خالق، مثلاً الطبيعة خلقت نفسها أو أنّ القوانين تحرك الكون، ولا يحتاج الكون إلى إله يخلقه ويديره، ويأتي بأدلة عقلية أو أدلة علمية لإثبات مدّعاها، فبقدر اعتقاد الإنسان واقتناعه بفكرته يريد أن ينشرها، لذلك إذا كنت تعتقد بأنّ الإسلام دين عالمي وأنه خاتم الأديان وأنه يساهم في حلّ مشاكل البشرية وأنه يوجد إمام سيظهر وينشر العدل في العالم وأنت تريد أن تكون من المساهمين في نشر العدل - فمن الطبيعي أنّك تريد أن تنشر هذه الأفكار بين الناس، فتبدأ بالمؤمنين، والآن المجال مفتوح لنشر الأفكار في العالم، فلاهتمام بنشر الدين نتيجة طبيعية لمن يعتقد بأنّ الإسلام صالح لكلّ زمان ومكان .

والقرآن الكريم يأمر بالدعوة إلى الدين :

"ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ . . ." (١) .

"ادْعُ" فعل أمر، فيكون المعنى وجوب الدعوة، ولكن المهم هو كيفية نشر الدين وأسلوب الدعوة، وهو الحكمة والموعظة الحسنة، فإذا كنت تعتقد بأن الإسلام دين عالمي فابدأ بنشر هذه الفكرة، والبعض لا يهتم بأن الإسلام ينتشر أو لا ينتشر؛ لأن اعتقاده واقتناعه بالدين ضعيف، ولو كان عنده الاعتقاد والاقتناع القويّ فالنتيجة الطبيعيّة هي المساهمة في نشر الدين، والدين بالنسبة لمعظم الناس أمر هامشيّ، فلا يوجد عنده الاهتمام الكبير بالدين، ولو كان يوجد عنده الاهتمام الكبير به لكانت النتيجة الطبيعيّة هي أنّ جميع المؤمنين يتحرّكون ويدعون إلى الإسلام ويشاركون في العمل الإسلاميّ، وطبعاً كلّ شخص يساهم بحسب إمكانيّاته وتخصّصه، فأهل القرآن في تخصّصهم، وأهل الموعظة في تخصّصهم، والخطيب في تخصّصه، والعالم في تخصّصه، فكلّ شخص يأخذ مجالاً في نشر الدين، ولا يمكن أن يتفرّغ الشّخص لجميع المجالات، فشخص يتخصّص في تدريس العقائد، وآخر يتخصّص في تدريس الرّسالة العمليّة، وشخص ثالث في مجال ثالث، وشخص يتبرّع بماله، والجميع عندهم اهتمام بنشر الدين .

(١) التّحلّ : ١٢٥ .

وكلّ مؤمن يراجع نفسه ويسأل : هل عندي اهتمام بنشر الدّين ؟
وما مقدار اهتمامي بنشره ؟ وماذا قدّمت لأجل نشره ؟

طبعا مع عدم وجود الموانع، هو يريد أن يدعو إلى الدّين، ولكن
يوجد مانع يمنعه من ذلك، مثلاً يعمل من الصّباح إلى اللّيل ومعاشه
الشّهريّ قليل، فلا يوجد عنده وقت ولا مال للمساهمة بالدّعوة .

نسأله : ماذا يوجد في قلبك ونيّتك ؟

من ناحية خارجيّة لم يقدّم بأيّ مساهمة في نشر الدّين، ولكن عنده
الرّغبة والاهتمام في المساهمة، والظّروف تمنعه من العمل الخارجيّ، فلا
يعمل بسبب وجود الموانع لا بسبب عدم الرّغبة وعدم الاهتمام،
فالمقتضي موجود، ولكنّ المانع غير مفقود، فعنده قابليّة للتّحرّك لو
كانت عنده فرصة للحركة، ولكن بسبب الموانع لا يتحرّك.

إذن :

الهدف هو نشر الدّين في العالم لا فقط في نطاق ضيق .
ومن يريد أن ينشر الدّين لا بدّ من أن تكون فيه مواصفات معيّنة
في رتبة سابقة، وإذا لم تكن فيه هذه المواصفات فلا يكون مؤهّلاً
لنشر الدّين، فالهدف موجود، ولا بدّ من أن يحقّق المقدّمات في
نفسه، وكلّ عمل له مقدّمات، فإذا أراد أن يصلّي يحتاج إلى
المقدّمات كالوضوء، وإذا أراد أن يحجّ يحتاج إلى مقدّمات كالسّفر .
إنّ من يقتنع بالفكرة ويريد أن ينشر الدّين نقول له : توجد صفات
معيّنة لمن يريد نشر الدّين، فلا بدّ من أن يجسّدها في نفسه، وإذا لم

يحقّقها في نفسه يكون ممّن يفسد أكثر ممّا يصلح، فالهدف من نشر الدين ليس هو التّشرع مع الإفساد، ومن عمل بلا علم كان ما يفسد أكثر ممّا يصلح، فالعمل مترتب على العلم .

ومن يريد أن يتحرّك لنشر الدين أوّلاً لا بدّ من أن يكون مؤمناً متديّناً صالحاً، فالشّخص الفاسد ليس مؤهّلاً لنشر الدين، وثانيًا أن يكون مخلصاً يريد وجه الله تعالى من خلال أعماله، ولا يريد شيئاً من مصالحه الشّخصيّة، وإذا لم يوجد عنده الإخلاص فليتوقّف مؤقتاً ويراجع نفسه ويدكرها بالإخلاص لله تعالى، والإخلاص لله عزّ وجلّ شرط قبل الإقدام على العمل، فيحتاج إلى العلم والتّدين والصّلاح، ويحتاج أيضاً إلى الإخلاص، فجميع أعماله لا بدّ من أن تكون موجّهةً إلى الله تعالى، فيعمل قربةً إلى الله عزّ وجلّ، ويكون قربةً لله حقيقةً لا فقط لقلقة لسان، ولا يطلب المصالح الشّخصيّة من وراء أيّ عمل يقوم به، كالسمعة والصّيت والشّهرة والجاه والمال، فجميع هذه الأمور لا يطلبها، ولا يسعى في نشر الدين لتحقيق مصالح شخصيّة، ومن يبحث عن المصالح الشّخصيّة حينما يدخل في العمل الإسلاميّ يبرّر لنفسه وللآخرين، والشّيطان شاطر في هذه القضايا، فيوهم الإنسان بأنّه يعمل في سبيل الله، ولكنّه واقعاً يعمل في سبيل نفسه، والمؤمن بواسطة العلم يمكنه أن يعرف مداخل الشّيطان، ويعرف من أيّ الأبواب يدخل الشّيطان، لذلك لا بدّ من أن يكون عنده علم بكيفيّة دخول الشّيطان إلى نفس الإنسان، والشّيطان

مطلع عليه أكثر مما يعرف نفسه، والشيطان يعرف نقاط القوّة ونقاط الضعف عند هذا الشخص، فيدخل من خلال نقاط الضعف، وعلى الإنسان أن يحذر ويراجع نفسه ليرى أنّ ما يقوم به من عمل هل هو قرينةً لله أو أنّ الشيطان يوسوس له، وتكون عنده القدرة على التمييز بين الصّوت الملائكيّ والصّوت الشيطانيّ، وهذا يحتاج إلى العمل والممارسة؛ لأجل أن يصل إلى درجة إيمانيّة عالية بحيث يمكنه التمييز بين الصّوتين، والشيطان أحياناً يقلّد صوت الملائكة، ولكنّه في الواقع يدخل إليه من هذا الباب، ويعطيه أسباب وتبريرات دينيّة للتحرّك، وهو يظنّ أنّه يعمل قرينةً لله تعالى، ولكنّه واقعاً يكون قرينةً لنفسه، وعملية التبرير موجودة دائماً، وحينما تصعد القوّة الغضبيّة عنده يقول بأنّه غضب لله تعالى، مثل غضب أمير المؤمنين عليه السّلام في غزوة الخندق، فيبرّر فعله بالغلّاف الدّينيّ، لذلك لا بدّ من أن تعرف نفسك أولاً حتّى تصل إلى معرفة الله تعالى .

عن رسول الله صلّى الله عليه وآله : "من عرف نفسه فقد عرف ربه، . . ." (١) .

وإذا لم يعرف نفسه لا يمكنه الوصول إلى معرفة الله تعالى، فمعرفة الله تعالى متوقّفة على معرفة النّفس، ومعرفة النّفس تندرج تحت علم الأخلاق والفقّه الأخلاقيّ، حتّى يعرف ما هي القوى الموجودة في نفسه، وهذا يحتاج إلى دراسة حتّى يطّلع على نفسه، والإنسان هو

(١) بحار الأنوار ج ٢ ص ٣٢ ح ٢٢ .

ونفسه شيء واحد لا شيئين، وهما شيئين بالاعتبار لا بالحقيقة، فيكون الإنسان جاهلاً بنفسه، ومعرفة النفس لا تعني معرفة شيء آخر غيرك اسمه "النفس"، والمعنى هو اعرف ذاتك، وذاتك هي أنت، فيكون جاهلاً بنفسه لأنه لا يعرفها، والقوى النفسية الموجودة في الإنسان لا بدّ من أن يعرفها، وإذا لم يعرفها فإنه يمكن للشيطان أن يدخل بسهولة إلى مملكة النفس، وإذا لم تكن القوة العقلية هي المسيطرة على القوى الأخرى للنفس فلا يمكن للإنسان أن يسيطر على مملكة نفسه، وهذا يحتاج إلى تقوية القوة العقلية عنده، وعن طريق التفكير العقلي يصل إلى السيطرة على القوى الأخرى بحيث إنّ أيّ قوة تريد أن تقوم بعمل تعرض هذا العمل على القوة العقلية وعلى البرنامج العقلي الموجود عنده، والعقل يقرّر الموقف المناسب، وهذا يحتاج إلى ممارسة، فالإنسان في موضع يتطلّب منه الغضب، وفي موضع آخر لا يتطلّب منه الغضب، والقوة العقلية هي التي تقرّر في الموضوعين، وأغلب الناس يغضبون في موضع لا يتطلّب فيه الغضب، فالتاس يغضبون سريعاً، وهذا ملاحظ في حياة أغلب الناس، وهو أمر وجدائيّ، راقب نفسك وستجد أنّك تغضب في أكثر الأحيان، وحينما تراجع نفسك تقول : لماذا غضبت ولم يكن يستحق الأمر أن أغضب ؟

وهذا كثيراً ما يحدث في حياتك، وكذلك رغبات الإنسان لا بدّ من أن تكون تحت سيطرة العقل، ولا بدّ من أن تسيطر على

رغباتك، وليس بالضرورة أن يحصل الإنسان على جميع ما يرغب إليه، وإنما تعرض الرغبة على البرنامج العقلي الموجود عندك، فإذا كانت هذه الرغبة ضمن البرنامج فتسعى للحصول على ما ترغب إليه، وأغلب الناس يسرون خلف رغباتهم، والرغبات تدرج تحت القوة الشهويّة، فيرغب الإنسان إلى شيء ويحاول الحصول عليه بدون تفكير بالعواقب والتّائج، وإذا حصل على نتيجة سيّئة فبعد ذلك يفكّر ويقول : يا ليتني لم أفعل .

مثلاً شخص يزني، فإذا أصيب بالإيدز يقول : أنا ندمت .
ولو لم يصب بهذا المرض لا يندم ويستمرّ في فعله المشين .
ولنأخذ مثال التدخين على فرض أنّه عمل مباح، فالمدخن الذي يصاب بالمرض الخبيث يقول : ندمت على أنني كنت مدخّناً .
وإذا ناقشته قبل إصابته بالمرض يقول لك : حكم الشرع أنّه مباح .
وبعد أن يصاب بالمرض يشعر بالندم، والمفروض أن يفكّر الإنسان بنتائج العمل حتّى لو كان العمل مباحاً، وبعد ذلك يُقدّم أو لا يُقدّم على العمل، وهو سيصل إلى هذه النتيجة المعينة إذا أتى بالعمل، وأغلب الناس يقومون بعمل ويحصلون على نتيجة سيّئة، ومع ذلك يقومون بنفس العمل مرّة أخرى، وقطعاً سيصلون إلى نفس النتيجة .
مثلاً بعض طلبة المدارس، لا يدرس ويتمنّى الحصول على النّجاح، وأوّل سنة لا ينجح، ويعيد السنّة، وفي السنّة الثانية يكرّر ما فعله في السنّة الأولى، فلا يدرس ويتمنّى الحصول على النّجاح، مع أنّه يعرف

أنّ هذا الطّريق يُوَدِّي به إلى نفس النّتيجة، ليس "حظّك يا نصيب" أن تنجح، فمن يسلك طريقًا معيّنًا ولا يحصل على النّتيجة التي يريدّها لا يسلك نفس الطّريق الذي يُوَدِّي به إلى نفس النّتيجة، فمن يأخذ طريقًا ويقع في حفرة فإنّه لا يسلك نفس الطّريق مرّة أخرى؛ لأنّه سيقع في الحفرة قطعًا، وهذا الشّخص لا يعتبر إنسانًا عاقلًا، وإذا جرّب طريقًا ولم يحصل على النّتيجة المرجوّة فليأخذ طريقًا آخر يعلم بأنّه يُوَدِّي إلى النّتيجة المطلوبة؛ لكي لا يكون التّحرّك عشوائيًا، فحركة الإنسان لا بدّ من أن تكون ضمن برنامج ومنهج .

وكلامنا الآن مقدّمة لموضوع "دور العمل الاجتماعيّ في إعداد الأنصار"، وجميع المقدّمات تساهم في معرفة كيفيّة تأثير العمل الاجتماعيّ في إعداد أنصار الإمام عليه السّلام، ونحتاج دائمًا إلى مقدّمات قبل الدّخول في الموضوع الرّئيس .

ومن المقدّمات التي طرحناها أنّه في عصر الغيبة الكبرى نحتاج إلى تكوين الأنصار، فكلّ فرد لا بدّ من أن يسعى، والفرد الذي يريد أن يصبح من الأنصار يحتاج إلى مجموعة من المقدّمات، لا فقط يعمل على أساس الرّسالة العمليّة، فيحتاج إلى الرّسالة العمليّة وعلم العقائد وعلم الأخلاق، ويحتاج إلى هذه المقدّمات حتّى يمكنه أن يستفيد من التّحرّك الاجتماعيّ الدّينيّ، والتّحرّك عبارة عن عمل، والعمل مرتبط بالعلم وبالمقدّمات الأخرى، كالإخلاص وتقديم العمل قربةً لله تعالى، ولا تدخل الرّغبات والمشتهيات في العمل، ولا تدخل القوّة الغضبيّة

في العمل، ومعرفة النفس أمر مهم جداً؛ لأنّ من عرف نفسه عرف ربّه، وهذه مجموعة من المقدمات التي نحتاجها حتّى نصل إلى الموضوع الرّئيس، وهو "دور العمل الاجتماعيّ في إعداد أنصار الإمام عليه السّلام"، وفي محاضرات الديوانيّة نطرح عدّة مقدمات قبل الدّخول في أيّ موضوع، والمقدمات تنفع أيضاً في مواضيع أخرى، وتحتاج هذه المقدمات في أيّ عمل تقوم به، ولكننا نحاول الاستفادة منها ونبين أصل الموضوع وأنه مترتب على هذه المقدمات، ومن الممكن أن يترتب أيضاً موضوع آخر على هذه المقدمات .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطيّبين الطاهرين .

أسئلة وتعليقات الحاضرين :

الحاج عليّ الحرز :

بالنسبة للمنهج والبرنامج هل ستطرحه فيما بعد ؟

جواب الشّيخ محمّد أشكناني :

برنامج الإنسان المؤمن طرحناه خلال ثماني سنوات، ونستمرّ إلى آخر العمر إن شاء الله تعالى .

الشّيخ خير الله مبارك :

بالنسبة للعنوان كنت أتوقّع أن تتداول فيه أكثر، وفاجأتنا بأنّ الموضوع متسلسل، وهذا شيء جيّد من أنّ الأشياء تكون مدروسةً وموسّعةً، وهذا أفضل، وبالنسبة للعمل الدّينيّ بشكل عامّ وعقباته

ومشاكله نلاحظ في هذه الفترة مجال القرآن الكريم ومجال العمل الإسلامي خصوصًا، ولو وُجِدَتْ قبل عشر سنوات مثل حلقة القرآن الموجودة في هذه الديوانية لما رأينا هذه الطريقة في القراءة، ومعناه أنّ القرآن يسير بخطوات جيّدة، ولكن بالنسبة للعمل الإسلامي نرى مع التطور التكنولوجي وانشغال الشباب بالتواصل مع العالم عن طريق الأجهزة الحديثة نرى أنّ جيل الشباب الذين كانوا من الكوادر عندهم نمط معيّن في التعامل يختلف عمّا كان في السابق، وتفاعلهم في العمل الدينيّ مختلف، ولو أنّ هذه المسألة تؤخذ بعين الاعتبار وتدرس؛ لأنّه في كلّ عمل دينيّ اجتماعيّ في السّاحة نلاحظ أنّ الشاب يصل إلى مرحلة معيّنة من العمر وبمجرد ما يفتح المجال أمامه يتواصل مع العالم الخارجيّ في المرحلة الثانوية أو الجامعيةّ وعنده سيّارة كان موجودًا معنا سابقًا، وبعد ذلك ينفصل عنّا، فلو يكون في بالنا ما هي الطّرق التي نعمل فيها مع إخواننا الذين يكونون في هذا العمر من الكوادر؟ وكيف يمكن المحافظة عليهم؟ وكيف نتواصل معهم؟ وكيف يمكن تشجيعهم وتدريبهم؟ وما هي المشاكل التي يتعرضون لها؟

وخصوصًا بعض الإخوة الموجودين في الدورات المخيمات ولهم نشاط يعرفونهم أكثر، وهم يلامسون هذه المشاكل أكثر، فنتيح المجال في الكلام لهؤلاء الإخوة .

وكيف يمكن أن نفعل هذه الشّريحة في العمل الدينيّ في المراكز الدينيّة سواء في مخيم أم مسجد أم حسينية أم أيّ مجال آخر؟

الأستاذ عبد المجيد بو مجداد :

الدورات على مستوى المساجد والحسينيات أو الدورات الصيفيّة نرى الشّباب من عمر ١٢ إلى ١٦ سنة، وإذا صار عمره ١٧ أو ١٨ سنة لا يحضر الأماكن الدّينيّة، وهذه مشكلة، ونحتاج فيها إلى ترغيب الشّباب في الحضور .

الأستاذ محمّد عبّاس :

من خلال عملنا في الدورات القرآنيّة لاحظنا أنّ الشّباب حينما يصلون إلى مرحلة المراهقة ينفصلون عن المجموعة، وأعتقد أنّ هناك أمرين لا بدّ من الجميع أن يراعيهما، وتوجد شريحتان : شريحة الصّغار وشريحة الكبار، وحلقة الوصل بينهما مفقودة، ولا بدّ من العمل على الشّريحة المتوسّطة، والطّريقة الأولى هي أنّ الكبار يؤاخون الصّغار، وينشئون جيلاً ويتعبون عليهم، والطّريقة الثّانية هي أنّ الطّريقة التّقليديّة القديمة التي نسير عليها من محيّم ربيعيّ ودورة صيفيّة وبرنامج ثقافيّ ورحلة هذه الطّريقة التّقليديّة لا بدّ من أن تتغيّر إلى أمور جديدة تواكب العصر والهواتف النّقالة ووسائل التّواصل، والشّباب يريدون برنامجًا تمزجه بالدّين، ولا بدّ من أن نبتكر أشياء جديدة .

الأستاذ حسين تقيّ :

أعقب على كلام الأستاذ محمّد عبّاس، قال بأنّه تحصل فترة الانفصال في فترة المراهقة، وأزيد عليه بأنّه تحدث فترة الانفصال أيضًا عندما يكبر الشّابّ ويتخرّج ويتزوّج ويهتمّ بأولاده وأمور بيته ووظيفته،

وهذه هي حالة الانفصال الثانية، مع أنّ عنده خبرة كبيرة، فبعد السنين الطّوال يترك العمل، وبالتالي فالصّغار لا يوجد عندهم أحد يستفيدون من خبرته بعد انشغال الكبار بأموهم الحياتيّة، وهذه مشكلة ثانية، ونحن نبحت أيضًا عن الجواب .

الحاجّ أحمد البناي :

خلاصة الكلام أنّنا نصل إلى الأسئلة التّالية : الإنسان سواء كان شابًا أم مراهقًا أم أصغر أم أكبر هل يحتاج دائمًا إلى معلّم ؟ وهل هذا المعلّم يعمل بطريقة ذاتيّة سواء كان قبل أم بعد دخوله إلى البرنامج ؟

والمعلّم المخلص هل له دور في نفس الإنسان ؟ وهل وجود المعلّم مهمّ في حياتنا العمليّة أو على الإنسان أن يصل إلى المعلومة المتبتّغة بالضغط على زرّ الأجهزة الحديثة ؟

الحاجّ عليّ الحرز :

شخص كان يدرس في أمريكا يقول بأننا كنّا نذهب إلى المسجد المجاور، وفي البداية لم يوجد أحد يتجاوب معه، وجاء شخص آخر كان يجذب النّاس بطريقة عن طريق إدخال أسماء اللاّعبين، والنّاس كانوا يتبّهون، ويدخل الأفكار الدّينيّة في كلامه، وبدأ النّاس بالازدياد في المسجد .

الأستاذ محمّد عبّاس :

كان عندنا تجربة في دروس القرآن للصّغار والكبار، وأوّل ما بدأنّا

رأينا بأن المكان مكتظّ، وبعد أسبوع أو أسبوعين قلّ العدد إلى ٢ أو ٣ أو ٥ أو ٦ أشخاص، وبدأنا بممارسة فنّ ترغيب النَّاس، ولا بدّ من أن نتثقف بفنّ التّرجيب كشباب حتّى نرغب الصّغار، مثلاً في درس القرآن نعطي الصّغار كراسة تلوين، وفي نفس الوقت ندرّسهم القرآن، ومرة ثانية نفرش لهم سفرة ويلعبون بالطّين، وتوجد أساليب أخرى .

الشيخ خير الله مبارك :

أمس كان عندنا لقاء مع بعض المشايخ، ووجدت من خلال كلامهم أنّ مشاكلهم في العمل الاجتماعيّ هي نفس مشاكلنا في العمل، ومن الأشياء التي ذكروها في العمل من أجل هذه الشريحة دعونا إلى مجلس شبائيّ أطلقنا عليه "المجلس الشبائيّ"، ودعونا في نادي رياضيّ، وفيه جميع الأنشطة، وحضر مائتا شابّ أو أكثر، وكان عملاً جيّداً، ومن ضمن الأمور كانت هناك أسئلة منتقاة للحوار، وكان يسألها بعض الشّباب منهم، وكان عملاً ناجحاً، وهنا في بلدنا نبي مسجداً أو مركزاً دينيّاً، ولكننا نفتقد ملحقاته، فمن الممكن أن نقيم ملعباً أو نادياً صحياً بجانب المسجد والمركز، وهذه الملحقات كفيلة بأن تجمع الشّباب، ولكننا لا نخطّط لذلك، نخطّط فقط لمسجد أو مركز أو حسينيّة، ولا نفكر بأن نجعل في الطابق الثّاني من الحسينية صالة رياضيّة مثلاً، ومن خلال تجربتي مع الصّغار من ٧ إلى ١٤ سنة يأتون وتوجد رعاية واهتمام من آبائهم، وبعد أن يكبروا ويذهبوا إلى الجامعة نرى أنّ آباءهم يخفّفون من رعايتهم واهتمامهم

بهم، وأنا أرى بأن يوجد لهم خلال هذه الفترة برنامج منظم مدروس لهم، ويكتفون بها بحيث إنهم إذا بلغوا هذا العمر فأنت لا تحتاج أن تعطيههم شيئاً جديداً، فلو يعمل على برنامج من ٧ سنوات إلى مرحلة الثانوية من قبل المشايخ فهذا يكون عملاً جيداً، وهذه المشكلة قديمة وحديثة، فبمجرد ما يحصل على إجازة قيادة السيارة ويذهب إلى الجامعة ويتعرف على أشخاص جدد ويتواصل معهم فإنه يفصل عنّا، وهذا أمر طبيعيّ بسبب وجود التّيار الاجتماعيّ الأقوى من أن تخطّط له، ولكن لو كان عندنا خطة عمل للشباب من ٧ سنوات إلى ١٥ سنة وطالما أنّ الأب يهتم بأن يأتي به إلى المراكز - لكان يكتفي بما أعطيته، ولا يحتاج إلى شيء جديد، ومن الطبيعيّ أن يحتكّ بعد هذا العمر بالمجتمع ويكون داعياً لك، وهو يشقّ طريقه ويجلب لك شباباً آخرين، وهذه معاناة نراها .

الشيخ محمد أشكناني :

النماذج التي تطرحونها هي النماذج التي تترك الدورات والمراكز، لماذا لا ندرس حالات الشباب الكبار الذين يبقون مع الدورات ؟ ما الذي جعلهم يبقون حتى في دورات القرآن الكريم هناك شباب استمروا معكم ؟

الشباب الذين استمروا فيهم مواصفات لا توجد في الشباب الذين تركوا الدورات، وهذه الشريحة القليلة علينا أن نعرف أسباب استمرارهم في الدورات، لا أن نركّز على الشباب الذين ابتعدوا،

فتقولون لا توجد عندنا وسائل، ومن الوسائل أن ندعوهم إلى بوفيه حتى يأتونا، فيأتون للطعام لا لنشاطاتك، ولو نقلنا الاجتماع من النادي الرياضي إلى المسجد كم من المائتين سيأتون؟

كان حضور الشباب لذلك السبب لا للسبب الذي تريدون، وفي الدورات يحضر للدروس عشرون شاباً، وبعد الدروس تذهب إلى الملعب للعب الكرة فيأتي خمسون شاباً، لا بد من أن ندرس حالة العشرين شاباً الذين حضروا أثناء الدروس، وما هي الأسباب التي جعلتهم يستمرون في الدورات؟ وما هي الصفات التي تتوفر فيهم ولا تتوفر في الشباب الذين لم يستمروا؟

والشباب الذين استمروا والذين تركوا نرى أنه من ناحية خارجية يوجد عمل واحد لهم، وفي الدورات دورنا أن نقيم لهم أعمالاً خارجية ونعطيهم المعلومات، ونحاول أن نؤثر عليهم، ولكن بواطنهم ليست بيدك، وبواطن الشباب ليست بأيدي العلماء ولا بأيدي مسؤولي الدورات ومدربيها، ونوح عليه السلام عمل مع قومه ٩٥٠ سنة ولم يحصل على نتيجة معهم، ولا يمكن أن نقول بأن عمل نوح عليه السلام عمل ناقص مثل عملنا، ومع ذلك لم ينتج؛ لأن نفوس الناس ورغبتهم ليست بأيدينا، نعم تحاول أن ترغب الشباب، فتبين له أهداف العمل، وتوجد وسائل لتحقيق الأهداف، واستعمال الإنترنت عبارة عن وسيلة، والشاب الذي لا يوجد عنده رغبة للتعلم لا يدخل إلى الموقع حتى لو استفدنا من الوسائل الحديثة في الدورات، والآن في

الدورات يستعملون الوسائل الحديثة، ولكن مع ذلك فعدد الشباب المشاركين قليل .

إذن :

الشباب المستمرون في الدورات لا بدّ من أن ندرس الصفات المتوقّرة فيهم، وتوجد عندهم رغبة، فهم يرتاحون حينما يشاركون ويقومون بأعمال إسلامية، وحينما يساهمون في هداية الشباب الآخرين يشعرون براحة وسعادة، ولا تهمهم الأوقات والجهود والأموال التي يبذلونها، والشباب الذي يترك الدورات لحدّ الآن الاقتناع التامّ بالدين غير موجود عنده، والتحرّك يكون نتيجةً طبيعيّةً للاقتناع بالعمل، تزرع بذرةً فتنج ثمرةً، ولكن هؤلاء الشباب لحدّ الآن البذرة لم تدخل في نفوسهم، ولا يمكن أن تزرع البذرة في نفسه رغماً عنه، بل هو الذي لا بدّ من أن يزرع البذرة في نفسه، ودورك أن تبين له الطّريق .

مثلا الآن موضوعنا إعداد أنصار الإمام عليه السّلام، نطرح مجموعةً كبيرةً من المعلومات، وبعض الأشخاص يستفيدون، والبعض لن يكملوا الموضوع؛ لأنهم يرون أنّ الموضوع غير مهمّ، ويريدون من الشّيخ أن يعطينا خلاصةً في نصف ساعة وننتهي من الموضوع، ولا نحتاج إلى التّطويل والتّفصيل .

إنّ تعلّم الدين يحتاج إلى صبر، وحالة المجاهدة الإنسان بينها في نفسه، ولا يمكن أن تبني المجاهدة والاقتناع بالدين وتزرعه في نفس الإنسان، نعم تبين له الدين من ناحية خارجيّة، واقتناعه وعدم اقتناعه

بالفكرة هذا مسؤوليته وتكليفه، وهذا ليس بيدك، ولا تقل : نحن
قصرنا .

وفي الدورات المسؤولون لم يقصروا، فهم يحاولون توفير جميع الأشياء
للطّلبة المشاركين، وترى في الدورة الصّيفيّة عددًا كبيرًا من الشّباب،
وفي الدّورة الشّتويّة العدد قليل، طبعًا مع غضّ النّظر عن الموانع،
فبعض الطّلبة باعتبار أنّهم في المدارس يصعب عليهم الالتحاق بالدّورة
الشّتويّة، وفي بعض الدّورات يشتكي المسؤولون من قلة العدد حتّى في
الصّيف، وكثير من الشّباب لا يشعرون بأهميّة هذه الدّورات؛ لأنّهم لا
يهتمّون بالدّين، ولو كان عنده اهتمام بالدّين فالنتيجة الطّبيعيّة هي
أنّه يشارك في الدّورات، وإذا كان عنده اهتمام بالدّين فيعمل ضمن
الكادر، ودورنا هو أن نغرس في نفوس النّاس أهميّة الدّين في حياة
الفرد والمجتمع، وهنا أيضًا سنطرح معلومات، والأشخاص مختلفون في
الافتناع وعدم الافتناع بالأفكار، وفي شهر محرّم في العشرة أيام الأولى
كثير من المؤمنین يتواجدون في الحسينيّات، ولكن بعد اليوم العاشر
يقلّ العدد تدريجيًّا، والحضور متوقّف على المؤمنین، وبعض التّكاليف
تكاليف فرديّة، في الدّورات يستعملون الوسائل ويدعون الشّباب،
ولكن يوجد تكليف على الفرد، وهو تغيير الإنسان لنفسه، وتغييره
بيده لا بيد غيره، والدّورات عبارة عن عوامل مساعدة على التّغيير،
والأمر متوقّف على الشّابّ نفسه، وترك الشّابّ للدّورة لا يعني أنّ
الدّورات مقصّرة، وهو استمرّ معك لعدّة سنوات، ولكنّه لم يقتنع

بأهميّة الدورات، والافتناع ليس بيدك، وتكليف مسؤولي الدورات أن يستمروا بالعمل مهما كان عدد المشاركين، فالبركة تكون بالموجودين، وتحاول تصحيح بعض الأخطاء، كالخطأ في أسلوب دعوة الشّباب، ولكنّ الملاحظ أنّ التّغيير في الأساليب لا ينتج تلك التّيجة المطلوبة، ويظلّ العدد ثابتاً تقريباً، ويبقى معك الشّباب الذين كانوا معك سابقاً، والمعلومات تُعطى في الدورات، والملاحظ أنّ التّركيز في الدورات يكون على العمل الخارجيّ، تعلّمه الوضوء والصّلاة، ولكن لا يوجد تركيز كبير على الجانب الأخلاقيّ القلبيّ الباطنيّ، ويتمّ التّركيز على تجويد القرآن الكريم، ويتمّ تخريج مقرّئين للقرآن من حيث تجويد الألفاظ، ولكن تعليم القرآن لا يكون من حيث الألفاظ فقط، بل نريد تخريج أفراد صالحين يقرأون القرآن، ولا بدّ من أن يكون تركيزنا على تخريج الشّباب الصّالحين، ونريد توفّر مواصفات الإنسان الصّالح في أيّ مجال من مجالات الدّين، والشّابّ الذي يترك الدورات قد يكون عنده مانع من الحضور، ونريد أن ينتقل معه الدّين والصّلاح إلى الجامعة، وهذا هو المهمّ حتّى لو ترك الدّورة، وتوجد نشاطات في الجامعة - كالانتخابات - يمكنه المشاركة فيها، ولكن إذا كان يذهب إلى الجامعة ويحضر المحاضرة ويرجع إلى البيت وليس له دخل فيما يجري في الجامعة - فمعنى ذلك أنّه لحدّ الآن لم يقتنع بفكرة مشاركة المؤمن في الأحداث التي تجري حوله ومحاوله تغيير الواقع، ودورنا أن نحاول غرس هذه الأفكار في أنفسهم، ولكن عمليّة الغرس متوقّفة

على الشّخص نفسه، فهو الذي يزرع في نفسه، وأنت عامل مساعد، كالبستانيّ الذي يضع البذرة والسّماد ويسقي الماء ويهتمّ بالتّربة، فهو يعمل على الظّاهر، ولكن نموّ البذرة إلى شجرة ليس بيد البستانيّ، فالله تعالى هو الذي ينمّي هذه البذرة إلى شجرة وثمار بحسب صلاح الأرض للزّراعة، وأنت تضع البذرة في نفوس النّاس، وإذا كانت النّفس صالحةً فالبذرة تنمو وتثمر، وإذا لم تكن صالحةً فإنّها لا تنمو، والإنسان عليه أن يغيّر نفسه لأجل أن يصبح صالحًا، وبعد ذلك تنمو البذرة في نفسه وتكبر وتثمر، والعاملون في الدّورات نموّ البذرة إلى شجرة ليس بأيديهم، فهم يمهدون الأرضيّة للنموّ، ولكن نموّ البذرة متوقّف على الشّخص نفسه، نعم من خلال الوسائل يُفهمون الشّباب أهميّة الدّين وأهميّة العمل الإسلاميّ، ولكن الأمر في الأوّل والأخير متوقّف على الإنسان نفسه، والنتيجة تكون نتيجةً طبيعيّةً إذا كان مهتمًّا بالدّين، وإذا لم يكن عنده اهتمام بالدّين فلا يهتمّ بالدّورة ولا بالعمل الإسلاميّ ولا بأنّه يعيش الآن في عصر الغيبة وعنده إمام غائب، وهذه الفكرة تكون فكرة في ذهنه فقط لا اقتناع بالفكرة، وكلّ مؤمن يعتقد بوجود الإمام المهديّ عليه السّلام، ويوجد شيعة يرتكبون المحرّمات، اسمه شيعيّ، ولو سألته : هل أنت شيعيّ ؟

لقال : نعم أنا أوّمن بإمامة أمير المؤمنين عليه السّلام .

وهذه فكرة وتصوّر في ذهنه فقط، والفكرة لم تنتقل إلى قلبه بحيث تكون له نتائج طبيعيّة مترتّبة على الاعتقاد، فعنده فكرة وتصوّر ذهنيّ

لا اعتقاد قلبيّ، والأفكار المجرّدة في الدّهن لا تحرك الإنسان إذا لم تتحوّل إلى اعتقادات راسخة غير متزلزلة، والاعتقاد المتزلزل يزول بأقلّ شبهة، ولكن إذا كانت الشّجرة ثابتة في الأرض منذ مائة سنة فإنه لا يمكن إزالتها بسهولة، فالأفكار والصّور الذهنيّة لا بدّ من أن تتحوّل إلى عقائد راسخة في قلب الإنسان؛ لكي تنتج الثّمار القلبيّة والثّمار الخارجيّة .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيبين الطّاهرين .

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

(٤٤)

دور العمل الاجتماعيّ

في إعداد الأنصار^(١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين .

الإنسان حينما يتحرّك لا بدّ من أن تكون عنده الخلفيّة النظريّة والفكريّة لهذا التّحرّك، والإنسان المؤمن إذا أراد أن يتحرّك ويعمل فلا بدّ من أن يتحرّك ويعمل على أساس العلم، وكلّ شيء له حكم شرعيّ، ولا يُقصدُ من "الحكم الشرعيّ" الرّسالة العمليّة فقط، فحينما نقول "أحكام شرعيّة" ينصرف الذّهن دائماً إلى أحكام الرّسالة العمليّة، وإمّا المقصود هو الحكم الأعمّ من أحكام الرّسالة العمليّة، فجزء من الأحكام الشرعيّة موجود في الرّسالة العمليّة، وجزء آخر موجود في علم العقائد، وجزء ثالث موجود في علم الأخلاق، لذلك

(١) أُلقيت هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في دولة الكويت منطقتة

بيان، الجمعة ٢ جمادى الأولى ١٤٣٤ هـ، ١٥/٣/٢٠١٣ م .

فإنّ المؤمن -وخاصّةً في عصر الغيبة الكبرى- إذا أراد أن يتحرّك فلا بدّ من أن يحدّد هدفه، فأوّلًا هو يريد أن يكون من أنصار الإمام عليه السّلام، والمؤمن لأجل أن يصل إلى هذا الهدف تارةً يقف ويسكت ويعتزل، وتارةً أخرى يتحرّك ويعمل، والظّروف المحيطة به تحدّد له تكاليفه من العزلة أو العمل، ولكنّه يريد أن يكون من الأنصار سواء كان في ظروف العزلة أم في ظروف الحركة، لذلك لا بدّ من أن يعرف الأحكام الشّرعيّة الفقهيّة العمليّة والفقهيّة الأخلاقيّة والفقهيّة العقائديّة .

وإذا لم يحدّد الإنسان الهدف فإنّ تحرّكه يكون تحرّكًا عشوائيًا؛ لأنّه يسير بلا هدف معيّن، ومن الممكن أنّه يريد أن يخدم الدّين من خلال العمل الاجتماعيّ، وترى أنّه يشارك في مجموعة من الأعمال كدورات ونشاط في المخيم ونشاطات أخرى أسبوعيّة وموسميّة، وإذا لم يكن هدفه واضحًا عنده فإنّ هذه الأعمال المتفرّقة لا يجمعها شيء واحد .

وفي الدّعاء الذي علّمه أمير المؤمنين عليه السّلام كميل بن زياد :
" . . . أسألك بحقّك وقدسك وأعظم صفاتك وأسمايك أن تجعل أوقاتي من اللّيل والنّهار بذكرك معمورةً، وبخدمتك موصولةً، وأعمالي عندك مقبولةً؛ حتّى تكون أعمالي وأورادي كلّها وردًا واحدًا . . . " .

وهذا معناه أنّه لا بدّ من وجود اتّجاه واحد لجميع الأعمال التي يقوم بها المؤمن، والأعمال المتفرّقة لا بدّ من أن تصبّ في محل واحد،

وإذا لم يكن الهدف معيّنًا بشكل دقيق فالأعمال لا يجمعها جامع واحد، ولا يجمعها خيط واحد كالمسباح، نعم هو يقوم بأعمال كثيرة، ولكنّ النتيجة من وراء جميع الأعمال لا تكون النتيجة المرجوة، والمؤمن في عصر الغيبة الكبرى يريد أن يكون من أنصار الإمام عليه السلام فلا بدّ من أن يصبّ كلّ عمل في هذا الهدف والاتّجاه، ولا بدّ من أن يكون الهدف واضحًا أمام المؤمن، ولا بدّ من أن يعرف كيف يجعل الأعمال في ذلك الاتّجاه، ولا بدّ من أن يحدّد الوسائل التي من خلالها يصل إلى تحقيق الهدف، وإذا لم تكن الناحية النظريّة واضحةً للمؤمن فإنّه يقوم بالأعمال بشكل عشوائيّ، فلا بدّ من تحديد الهدف بالضبط وتحديد الوسائل التي تؤدّي إلى تحقيق الهدف بدقّة .

مثلاً حينما يقوم بتدريس الأولاد الصغار من الممكن أنّ الولد الصّغير يستفيد، وهو كأستاذ لا يستفيد من عمله؛ لأنّه يدرّس مع عدم وضوح الهدف عنده، وهو يرى فقط أنّه يدرّس مجموعةً من الأطفال، ويقول بأنّ الأولاد استفادوا منه، ولكنّه بعد نهاية الدرس لا بدّ من أن يسأل نفسه : ما هي حالتي الآن ؟

وهذا هو المهّم، وهو أنّ المؤمن حينما يعمل لا بدّ من أن يعرف ماذا استفاد هو، نعم هو ينتج إنتاجًا خارجيًا من ناحية العمل الاجتماعيّ، ولكنّه من الممكن أنّه من خلال عمله لا يتكامل؛ لأنّ الهدف ليس واضحًا أمامه، والحكم الفقهيّ العمليّ واضح عنده، وهو استحباب تعليم الدّين وهداية الآخرين، وهذا الحكم متحقّق خارجًا،

ولكن من حيث الفقه الأخلاقي والصفات القلبية كيف يمكن أن يستفيد من هذا العمل الخارجي في اكتساب الهدى فوق هداه، ويعرف كيف يقترب من الله سبحانه من خلال هذا العمل، وغالبًا ما يكون نظر العاملين بشكل عام إلى الحكم الفقهي العملي فقط، ولا يربطون الفقه العملي بالفقه العقائدي والفقه الأخلاقي، وعلى رأس العقائد التوحيد، وهذه السلسلة إذا لم تكن واضحة عند العامل في العمل الاجتماعي من الدورات الشبابية وغيرها فإنه يحصل على مقدار من النتيجة، ولكنه لن يحصل على النتيجة الكلية، ومن الممكن أنه يعمل سنوات وسنوات، ولكنه لا يصل إلى مرتبة الأنصار، وتجدر أن بعض الأشخاص يشاركون في الأعمال الاجتماعية عشرين أو ثلاثين أو أربعين سنة، ولكنك حينما تراهم لا تجدهم بحسب المتوقع، فبعد هذه السنوات الطويلة من العمل تتوقع أنه إنسان ملائكي، وقد تجد عنده بعض التصرفات التي لا تليق بشخصية الإنسان المؤمن، فهو خلال العمل كان نظره إلى استفادة الآخرين، ولكنه لم يكن ينظر إلى الفائدة التي يكتسبها هو نفسه؛ لأنه كان غافلاً عن نفسه، والرقابة الدائمة على النفس مطلوبة .

يقول : أنا أعمل الآن، ويوجد استحباب في هداية الآخرين .
والاستحباب حكم من أحكام الفقه العملي، فيكون نظره فقط إلى الرسالة العملية، ولكن حينما تهدي الآخرين هل أنت مؤمن مهتدي وتزداد هدى فوق الهدى وتقترب من الله أكثر أو لا ؟

هذا لا بدّ من أن يكون تحت النّظر بالإضافة إلى استحباب العمل الخارجي، والمؤمن كلّما صعد في درجات الهداية فإنّه يمكن أن يفيد الآخرين أكثر، ومن لم يكن مهتدياً فهو يفيد الآخرين من حيث الهداية، ولكنّه لا يستفيد الهداية، وإذا لم تكن عنده هذه النّظرة فقد يفسد في العمل بدل أن يصلح؛ لأنّ من عمل بلا علم كان ما يفسد أكثر ممّا يصلح .

مثلاً أستاذ يدرّس علم الأخلاق في دورة لأولاد صغار، وهو متعوّد على التدخين على فرض أنّ التدخين مباح، ويدخّن أمام الصّغار وهو يقول لهم بأنّكم لا بدّ من أن تجاهدوا أنفسكم، فهؤلاء الصّغار يرونه وهو يدخّن فما هو ردّة فعلهم ؟

قبل قليل تكلم الأستاذ عن مجاهدة النّفس، ولكنه غير قادر على مجاهدة نفسه، وأحد الأولاد قد يقول له : أنت علّمتنا مجاهدة النّفس، ولكنك لا تجاهد نفسك .

والتّدخين على فرض إباحته مثال من الأمثلة، وقس على ذلك جميع الأعمال المباحة .

إذن :

دور المؤمن أن يلتفت إلى نفسه إذا أراد أن يقوم بأيّ عمل اجتماعي، وأراد أن يكون من أنصار الإمام عليه السّلام، ونفترض أنّ هذا المؤمن أوّل ما يبدأ بالتّحرك يكون عنده أدنى مراتب الهداية، وليس من المعقول أنّ شخصاً فاسقاً فاسداً يريد أن يهدي الآخرين،

ومن يريد أن يهدي الآخرين فعلى الأقلّ يكون عنده أقلّ مراتب الهدى، وعنده التزام بالدين، ويكون مطبّقًا للدين على نفسه، وهو يريد أن يعطي الدين للآخرين، فالمفروض أن يكون مؤمنًا متديّنًا صالحًا مخلصًا يريد أن يؤدّي العمل قربةً إلى الله تعالى، ولا يأتي بالعمل رياءً، ولا يبحث عن الشهرة والسّمة، وهذا قبل الدّخول في العمل الاجتماعيّ، مثل الجنديّ يتدرّب عدّة سنوات حتّى يمكنه أن ينزل إلى ساحة المعركة .

ومن يدخل العمل الاجتماعيّ يريد أن يكون من خدمة الإمام المهديّ عليه السّلام، فلا بدّ من أن يكون عنده التّدريب الكافي قبل أن ينزل إلى ساحة العمل، وهذا بشكل عامّ غير موجود، فالآن أيّ شخص يرغب بالعمل ينزل إلى السّاحة بدون إعداد وتدريب، ومن يعمل في الدّورات لا توجد عنده هذه النّظرة الكليّة، ومن يريد أن يعمل في دورة لا بدّ من أن تكون عنده النّاحية النّظريّة للعمل، ولا بدّ من أن يتعلّم ممّن سبقه في العمل الاجتماعيّ، والسّابقون لا بدّ من أن يتصدّوا لتعليم هؤلاء قبل الدّخول في العمل، وهذا غير موجود الآن، فالسّابقون الذين دخلوا العمل الاجتماعيّ قبل سنوات طويلة لم يكتبوا الخبرات الموجودة عندهم، وبمجرّد ما ينتقل إلى رحمة الله تعالى فكلّ خبرته تنتهي عند القبر؛ لأنّه لم ينقل خبرته إلى الآخرين، فمن الضّروريّ ممّن يعمل في ساحة العمل أن يكتب خبرته على أوراق ويطبّع ما كتبه وينشره بحيث يمكن للعاملين اللاحقين الاستفادة منها،

ومن يريد أن يؤسس دورةً جديدةً يريد شيئاً يبدأ به، سيجد مناهج التدريس فقط، ولكن لا يوجد من يعطيه الخبرة بالعمل الاجتماعي من النواحي الدينيّة والفكريّة والعلميّة والعملية، والعمل الاجتماعي بهذه الكيفيّة التفصيليّة لا توجد الآن عند العاملين، وهذا يعتبر نقصاً في كتابات العمل الاجتماعي، فمن يدخل إلى العمل الاجتماعي ولا تكون الأهداف ووسائل تحقيق الأهداف واضحةً عنده قد يعمل سنوات سنوات وتذهب جهوده هباءً منثوراً، ويصل إلى آخر المطاف ويرى أنّ جهوده لم تثمر .

وقد يدخل في خلافات مع جماعات أخرى عاملة في السّاحة، وترى أشخاصاً مخضرمين يدخلون في هذه الخلافات، وهذه الخلافات تحدث؛ لأنّ من عمل في السّاحة سنوات طويلة لم يقم بتربية نفسه حتّى يكون إنساناً إلهياً مجسّداً لأحكام الدّين العقائديّة والأخلاقيّة والعملية، وهذا كلّه يحتاج إلى جهود جبّارة حتّى يصل إلى هذه المرتبة العالية .

ويمكن أن نستقريّ الآيات الكريمة والرّوايات الشّريفة التي لها علاقة بالعمل الاجتماعي، ونستفيد منها في هذا المجال، والعلاقة قد لا تكون واضحةً، فقد تتحدّث الآية الكريمة أو الرّواية الشّريفة عن أمر فرديّ، ولكن هذا الأمر الفرديّ يكون مطلوباً في العمل الاجتماعي أو السّياسي أو غيرها من مجالات العمل .

ولنقرأ بعض الآيات الكريمة :

"وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَعْتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ" (١) .

تعمل عملاً فردياً فالله تعالى يراك، أو تعمل عملاً جماعياً أو اجتماعياً فالله عز وجل يراك أيضاً، ولا بد من أن لا تغفل عن وجود الله تعالى في كل عمل، بل نحتاج إلى عدم الغفلة أكثر؛ لأنه في العمل الفردي يؤثر الإنسان على نفسه فقط، وأمّا في العمل الاجتماعي فهو يؤثر على المجتمع، ويشهد عليه سمعه وبصره وجلده، وحتى الجلد يشهد على الإنسان يوم القيامة، ومن يريد أن يعمل إذا لم يلتفت إلى الله تعالى يظنّ أنّ الله لا يراه، ومعنى ذلك أنّه سيؤدّي به إلى الخسران مهما كانت طول المدّة التي عمل بها، ويكون من الخاسرين؛ لأنه كان يتحرّك بدون التّظر إلى الله عز وجل، أي بدون وجود علاقة مع عقيدة التّوحيد .

ومن الآيات الكريمة :

" . . . اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ" (٢) .

اعمل ما تريد سواء كان عملاً فردياً أم عملاً اجتماعياً فالله تعالى بصير، فأنت تحت نظر الله سبحانه، وإذا كان الشخص تحت نظر الله تعالى فمن الضّروري أن يلتفت إلى جميع أعماله، وفي العمل

(١) فضّلت : ٢٢-٢٣ .

(٢) السّورة السّابقة : ٤٠ .

الاجتماعي تكون الآثار أكبر من آثار العمل الفردي؛ لأن له تأثيراً على المجتمع .

ومن الآيات الكريمة :

"وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ" (١) .

توجد دعوة إلى الله تعالى، ومن يدعو إلى الله لا بدّ من أن يعمل الصّالحات، لا أنه يدعو إلى الله وهو غير ملتزم بالدين، فمن يريد أن يدعو إلى الله لا بدّ من أن يكون إنساناً صالحاً ملتزماً بالدين، وأما إذا لا يرى لحدّ الآن في نفسه الصّلاح فالمفروض أن لا يتصدّى للقضايا الاجتماعية؛ لأنّه غير مؤهّل للتصدّي، والشخص غير المؤهّل يفسد في عمله، ويؤثر تأثيراً سلبياً على المحيطين به وعلى المجتمع .

ومن الآيات الكريمة :

"فَلِذَلِكَ فَادُعُ وَاَسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ" (٢) .

ادعُ وَاَسْتَقِمْ، فالاستقامة مطلوبة أي التّدين مطلوب، ولا تتّبع أهواءهم، وهذا في العمل الاجتماعي الجماعي ممكن الوقوع، ففي العمل الجماعي يوجد قائد، وهذا القائد قد يتحرّك على أساس أهوائه

(١) فضّلت : ٣٣ .

(٢) الشورى : ١٥ .

لا على أساس التقوى والتدين، وينتبه المشترك بالعمل إلى أن لا يتبع أهواء القياديين في الجماعة، ولا يتبع أهواء نفسه .

وتوجد آيات قرآنية كثيرة يمكن الاستفادة منها في التحرك الاجتماعي، وقبل أن يتحرك اجتماعيًا لا بد من أن يكون مطبقًا لأحكام الدين على نفسه من الأحكام العقائدية والأحكام الأخلاقية والأحكام العملية، فالأحكام العقائدية وعلاقته بالله والنبوة والإمامة والمعاد وسائر العقائد تؤخذ من علم العقائد، وأحكام الصفات القلبية تؤخذ من علم الأخلاق، وأحكام العمل تؤخذ من الرسالة العملية، وإذا كانت الأحكام المختلفة وعلاقتها ببعضها البعض غير واضحة عند المؤمن فلا ينبغي أن يدخل في العمل الاجتماعي؛ لأنه سيتحرك بلا علم، وهذا معناه أن أغلب العاملين في الساحة عليهم التوقف عن العمل؛ لأن ليس لديهم العلم الكافي، والمؤمن لا بد من أن يكون عنده مقدار من العلم إذا أراد أن يكون داعيًا إلى الدين، وتكون المواضيع العلمية والفكرية بيده، ويتحرك على أساسها، لا فقط يقوم بأعمال متفرقة، وإنما هناك خيط يربط بين الأعمال، وإذا لم يكن هذا الخيط واضحًا عنده فأعماله تكون متفرقة عشوائية لا تصب في اتجاه واحد، والشيطان شاطر مع الإنسان، وإذا لم يكن الإنسان متدينًا تدينًا فعليًا فإنه سينجر خلف وسوسة الشيطان، وخلف النفس الأمارة بالسوء، ويتبع خطوات الشيطان، وإذا لم يسيطر الإنسان على نفسه فإنه حينما يدخل إلى العمل فمن الممكن أن يساهم في هداية

الآخرين، ولكنه يكون من الخاسرين كما في الآية الكريمة، والمؤمن لا بد من أن يلتفت إلى الأمور الفكرية العلمية حتى يمكنه أن يتحرك تحركًا اجتماعيًا، وإذا لم يلتفت فبدل أن يكون من الأنصار ويساهم في تهينة الأرضية للظهور يصبح عمله عكسيًا ولا يهتئ الأرضية، ومن الممكن أن يؤثر تأثيرًا سلبيًا على المحيطين به، فبدل أن يساهم في تدين الناس يساهم في خسراهم وضلالهم، وهذا مهم جدًا بأن يلتفت الإنسان إلى الناحية النظرية الفكرية للعمل قبل الإقدام على أي عمل، وقبل أن يطلب المتصدي من الآخرين الالتزام بالدين لا بد من أن يلتزم هو بالدين، والمتصدي للأعمال الاجتماعية كأنه يقول : أيها الناس، طبّقوا الدين على أنفسكم .

وإذا لم يكن ملتزمًا بالدين فيكون خلاف غرضه، والإنسان أمام الناس يتصنع كثيرًا من الأشياء، ولكن في خلواته ماذا يفعل، وحينما يكون في الغرفة لوحده ماذا يفعل، وإذا لم يكن في خلواته إنسانًا ملتزمًا بالدين فهو غير مؤهل للتصدي في المجتمع، وهذا مقياس يكون بأيدينا، فإذا لم يستطع لحد الآن السيطرة على نفسه فالمفروض أن لا يتصدي، فهو هدفه هداية الآخرين، ولكنه لحد الآن لم يحقق في نفسه أدنى مراتب الهداية من الالتزام بالواجبات وترك المحرمات، وهذا هو الحد الأدنى، ولم نصعد إلى المستحبات والمكروهات والمباحات، فالحد الأدنى للمتصدي هو الإتيان بالواجبات وترك المحرمات، ونصعد أكثر إلى المستحبات والمكروهات، ونصعد أكثر وأكثر إلى المباحات، ومن

المهم أن يعرف المؤمن كيف يتعامل مع المباحات، لا فقط لأنه يجوز فهو يقوم بالعمل به، فيوجد مقياس ديني في كيفية التعامل مع المباحات، ويظهر إيمان المرء من خلال كيفية تعامله مع المباحات، فجميع المؤمنين يصلون، وجميعهم لا يشربون الخمر، وتصعد أكثر وترى أن بعض المؤمنين يلتزمون بالمستحبات، وبعضهم يتركوا المكروهات، والمقياس ليس هو الواجب والحرام والمستحب والمكروه، فهذا فيه ثواب أو عقاب، ومن يعمل بالواجب أو المستحب ويترك المكروه يكون نظره إلى الثواب، ومن يترك الحرام يكون نظره إلى العقاب، ولكن المقياس الحقيقي يكون في كيفية التعامل مع المباحات، فيعمل ببعض المباحات قرابة إلى الله تعالى، ويترك بعض المباحات قرابة إلى الله تعالى، والمباح ليس فيه ثواب أو عقاب، فهو محايد بالنسبة للطرفين من الثواب والعقاب، ولكن تفعله أو تتركه ونظرك يكون إلى الله تعالى، وهو يساهم في تكامل المؤمن؛ لأن المباح أمر اختياري من حيث الفعل والتترك، وفي الأعمال الاختيارية يحصل المؤمن على التكامل أكثر من الأعمال التي فيها ثواب وعقاب، فأنت حر في الاختيار، فبعض المباحات ينبغي للمؤمن أن يفعلها قرابة إلى الله تعالى، وبعض المباحات لا ينبغي أن يأتي بها قرابة إلى الله تعالى، فالمباحات تساهم في تكامل المؤمن، وإذا تعامل على أساس أنها محايدة فقط فإنها توقف المؤمن في مكانه على سلم التكامل، وبعض المباحات قد تؤدي إلى فتح باب التسافل على سلم الكمال، وعدم

التعامل الصحيح مع المباحات يهيئ النفس لترك المستحب وفعل المكروه، وإذا انغمس أكثر في ترك جميع المستحبات وفعل جميع المكروهات تتهيأ النفس لترك الواجب وارتكاب المحرم .

والمباحات التي ينبغي الإتيان بها تصبح طريقاً إلى فعل المستحب وترك المكروه، والمباحات التي لا ينبغي الإتيان بها تهيئ النفس لترك المستحب وفعل المكروه، فعلى المؤمن أن يضبط نفسه في المباحات، وإذا ضبط نفسه في المباحات فبطريق أولى يكون قد ضبط نفسه في المستحبات والمكروهات والواجبات والمحرمات، ولكن إذا لم يضبط نفسه لحد الآن في الواجبات والمحرمات فهو غير مهياً للصعود إلى درجة فعل المستحبات وترك المكروهات .

سؤال :

من الممكن أن بعض الأشخاص يتكون الواجبات ويعملون بالمحرمات، ومع ذلك يلتزم ببعض المستحبات كأن يلبس خائماً ويضع لحيةً ويجعل بيده المسباح وتراه حتى في المجالس يسبح بالمسبحة مع سماعه للمحاضر ؟

الجواب :

نعم عنده أعمال متفرقة عشوائية بدون اتجاه واحد، فبعض أعماله للشيطان، وبعضها لله تعالى، ولم يأخذ بالدعاء : "حتى تكون أعماله وأورادي كلها ورداً واحداً"، فيترك واجباً ويفعل حراماً ويأتي بمستحب ويترك مكروهاً، وأحياناً يجادل في أمر مباح، وإذا كان الإنسان

مرتباً بالله تعالى فمعناه أنّ جميع أعماله تصبّ في اتجاه واحد، وهو

اتّجاه التوحيد، والأساس هو التوحيد .

نسال : لماذا تقوم بفعل الواجبات ؟

يقول : لله تعالى .

نسال : لماذا تترك المحرّمات ؟

يقول : لله تعالى .

نسال : لماذا تفعل هذا المستحبّ ؟

يقول : لله تعالى .

نسال : لماذا تترك هذا المكروه ؟

يقول : لله تعالى .

نسال : لماذا تفعل هذا المباح وتترك ذاك المباح ؟

المفروض أن يكون جوابه هو : لله تعالى .

حتىّ المباحات لها اتّجاه واحد، وهو نفس اتّجاه الواجبات والمحرّمات

والمستحبّات والمكروهات، فيوجد رابط يربط بين الأعمال المتفرّقة،

ويكون النّظر دائماً إلى الله تعالى، فجميع الأعمال - بما فيها

المباحات - لها اتّجاه واحد .

مثلاً امرأة سافرة أو حجابها غير شرعيّ تصلّي .

نسالها : لماذا تصلّين ؟

تقول : لله تعالى .

نسالها : لماذا أنت سافرة أو حجابك غير شرعيّ ؟ وسفورك أو عدم

حجابك لمن ؟

تتوقّف عن الإجابة؛ لأنّها لا تستطيع أن تقول بأنّ سفورها أو حجابها غير الشرعيّ لله تعالى، وهي حينما تصلّي تلبس الحجاب الكامل أثناء الصلّاة، وإذا كانت في غرفتها لوحدها ولا يوجد رجل أجنبيّ فلماذا تلبس الحجاب الكامل؟!

والصلّاة تبطل إذا لم تلبس المرأة الحجاب الكامل حتّى مع عدم وجود الرّجل الأجنبيّ، ولكنّها حينما تخرج إلى الشّارع وتكون سافرةً أو تلبس الحجاب غير الشرعيّ فهل هذا العمل مباح أو محرّم ؟
قطعاً هذا العمل محرّم .

نسألها : لماذا تأتين بالحرام ؟

تقول : لأنيّ غير مقتنعة بالحجاب .

نسألها : إذا امرأة لم تقتنع بالصلّاة هل يجوز لها أن تتركها ؟

تقول : تجب عليها الصلّاة حتّى لو لم تكن مقتنعةً .

نقول : إنّ الأحكام الشرعيّة لا تدور مدار الاقتناع وعدم الاقتناع، فيأتي شخص ويقول بأنّه غير مقتنع بالصلّاة، فبناءً على قولها يجوز أن يترك الصلّاة .

ويُنقَلُ أنّ أحد المسلمين قال : نصلّي ونحن جالسون؛ لأنّه في زماننا توجد أنواع مختلفة من الرّياضات، وفي الأزمنة السّابقة كانوا يحتاجون إلى الصلّاة مع الحركات؛ لأنّهم لم يكون يمارسون الألعاب الرّياضيّة، والصلّاة عبارة عن رياضة، والآن النوادي الرّياضيّة متوفّرة .

هو يظنّ بأنّ الصّلاة عبارة عن حركات رياضيّة، ولكنّ الصّلاة ليست من أجل الرّياضة، فمن الفوائد التي يستفيدها الإنسان من الصّلاة هي أنّها معراج المؤمن أي أنّ الصّلاة تصعد به إلى الدّرجات العليا من الإيمان، فالصّلاة أوّل مقياس للمؤمن، لذلك فالصّلاة عمود الدّين، وعلاقة الإنسان بالصّلاة تكشف عن علاقته بالأعمال الأخرى من الدّين، فإذا قُبِلَت الصّلاة قُبِلَ ما سواها من الأعمال، وإذا رُدَّت رُدَّ ما سواها .

عن رسول الله صلّى الله عليه وآله : "إنّ عمود الدّين الصّلاة، وهي أوّل ما يُنظرُ فيه من عمل ابن آدم، فإن صحّت نُظِرَ في عمله، وإن لم تصح لم يُنظرُ في بقية عمله" (١) .

عن أبي عبد الله الصّادق عليه السّلام : "أوّل ما يُجاسَبُ عليه العبد الصّلاة، فإذا قُبِلَتْ قُبِلَ سائر عمله، وإذا رُدَّت عليه رُدَّ عليه سائر عمله" (٢) .

لذلك فأوّل سؤال هو :

كيف هي علاقتك بالصّلاة ؟

ويبدأ الحساب بالسؤال عن صلاته، فإذا كانت الصّلاة بحسب الرواية عمود الدّين فهي فعلاً كذلك، فلا بدّ من أن تعرف كيفيّة علاقتك بالصّلاة، فهي عمود كعمود الخيمة، وإذا لم يهتمّ الإنسان

(١) بحار الأنوار ج ٧٩ ص ٢٢٧ ح ٥٤ .

(٢) المصدر السابق ج ٧٩ ص ٢٣٦ ح ٦٤ .

بصلاته فمعنى ذلك أنّ تدينه ينهدم، لذلك إذا رُدَّتْ رُذِّ ما سواها،
فالأعمال الأخرى مترتبة على علاقتك بالصلاة، وإذا أردت أن تعرف
نفسك ودرجتك الإيمانية فانظر إلى علاقتك بالصلاة .

هل توجد عندك مبادرة إلى إقامة الصلاة في أوّل الوقت إذا لم
يوجد عندك عذر للتأخير ؟

هل تهتمّ بالاستيقاظ لصلاة الصّبح أو لا ؟

هل تؤخّر صلاة الصّبح وتقضيها مع صلاة الظّهر ؟

ويظنّ بأنّ المشكلة انتهت بالقضاء، نعم من ناحية الفقه العمليّ
القضاء يسقط ما في الدّمّة، ولكن من ناحية الفقه العقائديّ والفقه
الأخلاقيّ المشكلة لا تنتهي، فمن حيث العلاقة بالله تعالى ومن
حيث الصّفات القلبية تبقى المشكلة، فالنفس تصبح مهياً لترك
الواجب وارتكاب المحرّم .

إنّ هذه المجموعة من الأمور الفكرية والقضايا العلمية تحتاجها قبل
الدّخول في أيّ عمل اجتماعيّ، فالعامل اجتماعياً يحتاج إلى هذه
المسائل العلمية الفكرية النظرية .

وهذا مقدار من الموضوع، وتكلّمنا عنه في محاضرات سابقة، وما
زال للكلام تتمّة ولم ننته منه، وعلى المؤمنين أن يشعروا بأهميّة مثل
هذه المواضيع، وهذه المواضيع مهمّة جدّاً؛ لأنّها تعطي البناء النظريّ
الفكريّ العلميّ لمن يريد أن يتحرّك تحرّكاً اجتماعياً في المجتمع، وفي
الدّورات الشّبابية والمخيّمات والنشاطات وإدارة المؤسسات الدّينية

كالمساجد والحسينيات، وكذلك في التحرك السياسي، والتحرك الاجتماعي عامّ وشامل للتحرك السياسي، فإذا لم تكن هذه الخلفيات الفكرية بيد العامل فإنّ ما يفسد أكثر ممّا يصلح، ولا يساهم في هداية نفسه، ولا يُعِدُّ نفسه ليصبح من الأنصار، وقد يساهم في هداية الآخرين، ولكن هو لا يستفيد، وقد يساهم في إفساد الآخرين بدون أن يلتفت؛ لأنّه غير مؤهّل لتربية الآخرين، فالإنسان أحياناً من تصرفاته يتعلّم الآخرون .

عن الإمام الصادق عليه السلام : "كونوا دعاةً للناس بالخير بغير ألسنتكم ليروا منكم الاجتهاد والصدق والورع" (١) .

وعنه عليه السلام : "كونوا لنا دعاةً صامتين" . قالوا : وكيف ذلك يا ابن رسول الله ؟ قال : "تعملون بما أمرناكم به من طاعة الله، وتنتهون عمّا نهيناكم عنه ومعاصيه، فإذا رأى الناس ما أنتم عليه علموا فضل ما عندنا، فسارعوا إليه" (٢) .

ومن خلال العمل يؤثر المؤمن في الآخرين، مثلاً موظّف في عمله إذا كان متديّناً صالحاً فإنّه يؤثر على الموظّفين الآخرين من غير أن يتكلّم، وكذلك طالب المدرسة المتديّن الصّالح يصبح قدوةً لباقي الطّلبة، ويساهم في هداية بعض المحيطين به بدون أن يشعر أنّ له هذا الدور العظيم، وقد يظهر التأثير في بعضهم بعد ثلاثين أو أربعين سنة،

(١) الكافي للشيخ الكلينيّ ج ٢ ص ١٠٥ ح ١٠ .

(٢) شرح الأخبار للقاضي النّعمان المغربيّ ج ٣ ص ٥٠٦ ح ١٤٥٢ .

فبعد ثلاثين سنة يلتقي بأحد زملائه الطلبة ويقول له : أنت أثرت بي حينما كنا في المدرسة، وكنت قدوةً لي وأنت لم تكن ملتفتاً، وكان لك دور في تديني .

وقد يجد أحد زملائه في العمل وقد تأثر به وصار مؤمناً متديناً صالحاً بسببه، فكان له أثر في هدايته حيث كان يراه ملتزماً ومخلصاً بعمله .

الخلاصة :

مجموعة من المسائل النظرية العلمية الفكرية يحتاجها الإنسان قبل أن يدخل في العمل الاجتماعي أو السياسي؛ حتى يمكنه أن يستفيد من العمل بالتأثير على نفسه وعلى المحيطين به تأثيراً إيجابياً، والتأثير على نفسه هو المهم أولاً .

والميدان الأول للعمل هو أنفسكم، وإذا استطاع أن ينتصر في ميدانه الأول فيمكنه الانتصار في الميادين الأخرى، فالجهاد الأكبر هو جهاد النفس، والعمل الاجتماعي هو الجهاد الأصغر، فاعمل أولاً على نفسك قبل أن تبدأ العمل على نفوس الآخرين، فاضبط الأمور في نفسك، ولا بدّ من أن تعرف كيف تضبط نفسك، تعرف ذلك من خلال طلب العلم، والاستماع إلى دروس العقائد، ودروس العقائد ليست عبارةً عن جمع المعلومات فقط .

وأحد الشباب قال عنده مجموعة، ويريدون أن يدرسوا كتاب "العدل الإلهي" للشيخ مرتضى المطهري رضوان الله عليه .

قلت له : عندي شرط واحد فقط، وهو أن تتعلّم لأجل أن تعمل .
قال : لا نستطيع تنفيذ هذا الشرط، نحن نتعلّم لأجل المعلومات .
قلت له : أعطيك كتاب "العدل الإلهي" ضمن منهج .
سألته : ماذا درستم في العقائد ؟
قال : لم ندرس أيّ كتاب في العقائد .

هم يريدون مباشرةً دراسة كتاب "العدل الإلهي"، والكتاب يحتاج إلى مقدمات في العقائد، وأنا مستعدّ لأن أدرّسكم الكتاب، ولكن ضمن منهج أضعه لكم، وتسيرون على هذا المنهج، وإذا أخذتم بهذا المنهج فإنّكم تستفيدون من الكتاب، وإذا لم تسيروا على أساس منهج علميّ فإنّكم لا تستفيدون من الكتب التي تدرسونها .

مثل الطالب في الجامعة الذي يريد أن يبدأ بموادّ سنة ثالثة، وهذا غير ممكن؛ لأنّ مواد سنة ثالثة تعتمد على المقدمات من موادّ السنتين الأولى والثانية، ويصبح مؤهلاً لدراسة موادّ السنة الثالثة .

مثلاً في تخصص هندسة الكهرباء لا بدّ من أن يدرس الرياضيات ويعرف التفاضل والتكامل حتّى يصبح مؤهلاً لدراسة موادّ التخصص، وإذا بدأ بموادّ التخصص بدون المقدمات فإنّه لا يستفيد شيئاً إذا حضر المحاضرات، وكأنّه يسمع الغازاً وطلاسم .

ومن يريد أن يصبح إنساناً متديّناً فلا بدّ من أن يسير على منهج علميّ، وبدون المنهج أعماله تكون متفرّقة لا تصبّ في اتجاه واحد، ولا يعرف إلى أين توصله أعماله؛ لأنّه لا يعرف الهدف الذي يصبو

إليه بدقّة، والعاملون في الدّورات الشّبابيّة لا بدّ من أن يعرفوا أنّهم لماذا يعملون، وما هو الهدف من وراء نشاطات الدّورة، والعمل يكون لله تعالى، ولا يقول بلسانه فقط بأنّه يعمل لله، بل يكون هذا واقعه، فيعمل لله أي أنّه يريد أن يتقرّب إلى الله بالعمل، فلا بدّ من أن يعرف كيف يتقرّب بهذا العمل إلى الله تعالى، ويعرف الشّروط والمقدّمات التي على أساسها يدخل إلى العمل تقرّبًا إلى الله تعالى، وإذا لم تكن القضايا النظريّة الفكرية العلميّة واضحةً للعامل فإنّه يدخل إلى العمل ولا يستفيد منه الاستفادة الكاملة .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطيّبين الطّاهرين .

أسئلة وتعليقات الحاضرين :
المهندس فوزي الصّراف :

حقيقةً المحاضرة شيّقة من حيث المضامين والنّقاط الرّئيسة، وأودّ أن أذكر بعض الاستدراكات العمليّة من التّجربة، ومن يمرّ بتجارب يجب أن ينقلها لأجل أن يستفيد منها الجميع، وإذا وُجد أيّ خلل فنساعد بعضنا البعض .

والقرآن الكريم يقول :

"وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ" (١) .

(١) العصر : ١-٣ .

في التّحرّك في العمل الاجتماعي لا بدّ من أن تكون المنهجية والمضامين والمصاديق واضحةً، وتوجد روايات كثيرة تتكلّم عن الكتمان والصّمت، وفي بلدنا المجتمع متميّز، مثلاً عندنا كثرة الحسينيّات، ويقال فيه ثمانمائة حسينيّة، ولم نر تأثير الحسينيّات في المجتمع، ولا أحد يفكّر لماذا لا يوجد تأثير؟

ويوجد في بلدنا كثرة ديوانيّات، والجميع يتزاورون، وماذا بعد ذلك؟ ويوجد في بلدنا عمل اجتماعيّ مستورد من أمريكا وأوروبا، ويسمّى "مهارات الحياة"، وهذا بعد الغزو الصّدّامي، سواء من اجتماعيين أم أكاديميين أم مهندسين أم دكاترة، وأسّسوا معاهد ومراكز ومدارس، ويدفعون مبالغ كبيرة، ويطبقون الدّورات في الفنادق، ومن العناوين NLB (البرمجة اللّغويّة العصبيّة)، والشخصيّة الكاريزميّة، وكيف تكسب الأصدقاء؟

وهذه الدّورات تظهر على بعض القنوات الفضائيّة، والبعض ينقلون من برامج أجنبيّة، وبعض المتديّنين حاولوا أن يستعينوا بالقرآن والروايات والسيرة، وأنا لست ضدّ هذا، ولكن لا بدّ من أن نُؤصّل؛ لأنّ المضمون الموجود عندنا أكثر من الموجود عند الغربيّين، فهم تراثهم قليل وضعيف، ونحن تراثنا كثير وقويّ، وفي سيرة أهل البيت عليهم السّلام يوجد تراث عن العمل الاجتماعيّ من أبداع ما يكون، وفيه تأصيل قرآنيّ، وهو مُبَوَّبٌ تبويّباً جيّداً، وأوّل من بوّب هو الشّيخ الكلينيّ رضوان الله عليه، ذكر ذلك في "باب العشرة" في الجزء الثّاني

من أصول الكافي، وجاء الشيخ الحرّ العامليّ في وسائل الشّيعَة وطوّر الباب وكبّره، وفيه إبداع ومنهجية واضحة في العمل الاجتماعيّ، مع مراجعة سيرة أهل البيت عليهم السّلام، وكذلك نهج البلاغة، والأئمّة عليهم السّلام مرّوا بتجارب، ومارسوها وذكروا الإيجابيات والسّلبات، وإذا لم يحصل التّأصيل في العمل الاجتماعيّ بحسب الآيات والروايات فإنّه يندثر بسرعة، ويكون عبارة عن شعارات فقط، وإذا لم يحصل التّأصيل فينتج مثل الخوارج، كانوا أشخاصاً مخلصين، ولكنّهم لم يصبوا الحقّ، والنّاس يريدون الحقّ، ولكنّهم يخطئونه .

قال أمير المؤمنين عليه السّلام في نهج البلاغة : " ليس من طلب الحقّ فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه " .

وَعَقِدَ مؤتمر في بلدنا عن شريحة الشّباب الّتي تمثّل ٦٠% من عدد السّكان، وفي دراسة ميدانيّة كانت منظومة القيم الّتي تؤثر فيهم هي :

- الأسرة بنسبة ٨٩,٥ % .
- والمسجد بنسبة ٢,٣ % .
- والديوانيّة بنسبة ٠,٣ % .

ويتكلّمون عن الحراك الاجتماعيّ في الدّيوانيات، وهي تمثّل نسبة قليلة جدًّا .

الشيخ محمّد أشكناني :

إن شاء الله نستمرّ في هذا الموضوع خلال الأسابيع القادمة، ومواضيعنا على شكل سلسلة حتّى يمكن أن نحيط بجوانب الموضوع،

ويكون ضمن منهج، وسيتضح أمام الحاضرين والمتابعين في الموقع
واليوتيوب .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد
 وآله الطيبين الطاهرين .

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

(٤٥)

دور العلماء

في إعداد الأنصار^(١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين .

كان الكلام في دور العمل الاجتماعي في إعداد أنصار الإمام المهدي عليه السلام، ومن يريد أن يتحرك اجتماعياً لا بد من أن تكون عنده أساسيات العمل الاجتماعي ومقدماته، ويعرف شروط العمل الاجتماعي، ويعلم بشروط العامل الذي يريد أن يدخل معترك العمل الاجتماعي، وهذه الأمور إذا لم تكن بيد العامل فإنه يقوم بالعمل، ولكن من الممكن أن يفسد أكثر مما يصلح .

ومعرفة التكليف الشرعي ضروري للمؤمن سواء كان العمل عملاً فردياً أم جماعياً أم اجتماعياً، وضمن العمل الفردي يصلّي المؤمن،

(١) أُلقيت هذه المحاضرة في الدبواتية الأسبوعية في دولة الكويت منطقة

بيان، الجمعة ٩ جمادى الأولى ١٤٣٤ هـ، ٢٢/٣/٢٠١٣ م .

وقبل أن يصلّي يجب أن يعرف مقدّمات الصّلاة وشروطها وأجزائها، وبعد ذلك يُقدّم على أداء الصّلاة، وإذا أراد أن يدخل إلى صلاة الجماعة فلا بدّ من أن يعرف أحكام صلاة الجماعة، فإذا دخل إلى الصّلاة يضمن أنّ صلاته صحيحة سواء كان يصلّي صلاةً فرديّةً أم صلاةً ضمن جماعة .

والتكليف الشرعيّ يسير مع الإنسان في تحركه الفرديّ، ويسير معه أيضًا في تحركه الاجتماعيّ، وفي التّحرك الفرديّ يقع الضّرر على الشّخص فقط، فإذا صلّى في بيته فرادى وكانت صلاته باطلة فالمردود يكون عليه، وأمّا في التّحرك الاجتماعيّ إذا كان يوجد أيّ خلل في عمله فإنّ الضّرر يقع على المجتمع، وبمقدار الخلل الموجود في عمله يقع الضّرر بنفس المقدار على المجتمع وعلى الأفراد المحيطين به، فمن يريد أن يقوم بعمل اجتماعيّ إذا لم يكن متمكّنًا من الأحكام الشرعيّة الفقهية الاجتماعيّة فإنّه يقدم على عمل بدون معرفة مقدّمات العمل وشروطه وأجزائه، وفي التّحرك الفرديّ هذه الصّلاة تكون باطلة، وفي تحركه الاجتماعيّ قد يكون عمله باطلاً أيضًا، ولا يوجد فقه يختصّ بالتّحرك الفرديّ فقط، فالفقه كما يتعرّض للقضايا الفرديّة كذلك يتعرّض للقضايا الاجتماعيّة، ويتعرّض أيضًا للقضايا السياسيّة والقضايا الاقتصاديّة والعلاقات بين الدّول، فكيف تبني العلاقة كدولة إسلاميّة مع دولة لا تؤمن بالله تعالى ؟

إنّ المسائل الشرعيّة ليست مختصّةً بالقضايا الفرديّة، بل الأحكام

الشَّرعية شاملة لجميع مجالات الحياة، واعتقادنا هو أنّ الإسلام صالح لحلّ جميع مشاكل البشريّة، ومشاكل البشريّة لا تدور حول أنّ الإنسان يصليّ أو لا يصليّ، ونظنّ بأنّه إذا صليّ انحلت جميع مشاكله، وفي بيوت المسلمين توجد مشاكل اجتماعيّة بين الزوجين وبين الأبناء مع أنّ جميعهم يصلّون، هذه المشاكل كيف يمكن حلّها؟ ونرى أنّ الشّخص يهتمّ بصلاته، ولكنّه لا يسأل: ما هي الأحكام الشّرعية التي على أساسها يمكنني أن أحلّ المشاكل الاجتماعيّة في بيتي؟

ونادرًا ما يسأل عن ذلك، وحينما تبين لهم الحلّ الشّرعيّ لا يقبلونه، مثلاً تقول له بأنّ الدّين يطلب منك أن تتنازل في هذه القضية، ولكنّه لا يقبل هذا الحلّ.

وكما أنّه في العمل الفرديّ توجد الأحكام الشّرعية الخمسة، كذلك في القضايا الاجتماعيّة توجد الأحكام الخمسة أيضًا من الوجوب والحرمة والاستحباب والكرهة والإباحة، ومعرفة الأحكام الشّرعية في مختلف مجالات الحياة أمر مهمّ جدًّا؛ لكي يمكن للشّخص أن يتحرّك ويعمل على أساس العلم والمعرفة.

ومن يريد أن يتحرّك اجتماعيًّا يجب أن يعرف الأحكام الشّرعية في جميع مجالات الحياة لا في القضايا الفرديّة فقط، وثانيًا يكون مطبّقًا للدّين على نفسه قبل أن يطلب من الآخرين الالتزام بالدّين، فحينما يلقي درسًا أو محاضرةً يكون تفكيره الأوّليّ إصلاح من يلقي عليهم

الدّرس أو المحاضرة، وهذه النظرة خاطئة، فالهدف الأوّل هو أنّي أريد أن أصبح مهتدياً وصالحاً وأزاد هدًى وصلاً، ومن خلال بحثي في الموضوع أريد أن أصل إلى معالم الهداية التي على أساسها أكون مهتدياً أولاً، فإذا أصبحت مهتدياً يمكنني نقل الهداية إلى الآخرين .

وأوّل طريق الهداية أن يعلم الإنسان ويعرف ثم يُقدّم على العمل، فالعلم قبل العمل، والرّوايات الشريفة تدعو المسلمين إلى طلب العلم من المهد إلى اللحد، وطلب الحكمة ولو في الصّين .

عن النّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : "اطلبوا العلم ولو بالصّين" (١) .

تقول : يوجد في الصين بوذيّون فكيف نطلب العلم والحكمة

منهم ؟

نقول : تطلب العلم والحكمة من أيّ إنسان كان .

عن النّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : "كلمة الحكمة ضالّة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحقّ بها" (٢) .

عن أمير المؤمنين عليه السّلام : "الحكمة ضالّة المؤمن، فخذ الحكمة ولو من أهل التّفاق" (٣) .

طلب العلم أوّلاً ثمّ الإقدام على العمل، فإذا أردت أن تصلّي تتعلّم مسائل الصّلاة وأحكامها قبل أن تصلّي، لا فقط الأحكام الفقهيّة

(١) بحار الأنوار ج ١ ص ١٧٧ ح ٥٥ .

(٢) المصدر السّابق ج ٢ ص ٩٩ ح ٥٨ .

(٣) المصدر السّابق ج ٢ ص ٩٩ ح ٥٧ .

الموجودة في الرّسالة العمليّة، أنت تريد من خلال الصّلاة أن تعرج إلى الله تعالى، فالصّلاة معراج المؤمن، ولا بدّ من أن تعرف كيفيّة الاستفادة من الصّلاة كوسيلة للعروج إلى الله تعالى، والرّسالة العمليّة لوحدها لا تعطيك هذه المعلومة، فالرّسالة العمليّة تبين لك مقدّمات وشروط وأجزاء الصّلاة، وتقول لك بأنّ صلاتك صحيحة، ولكنها لا توضّح لك كيف تستفيد من الصّلاة للصعود إلى الله سبحانه، وهذا يحتاج إلى معرفة الجانب العقائديّ والجانب الأخلاقيّ، وحينما نقول الأحكام الشرعيّة فأول ما يتبادر إلى الأذهان أحكام الرّسالة العمليّة، نعم الأحكام العمليّة جزء من الأحكام الشرعيّة، وبالإضافة إلى الأحكام العمليّة توجد الأحكام العقائديّة والأحكام الأخلاقيّة، وكلّ عمل يقوم به الإنسان فيه الأحكام الثلاثة، مثلاً أنت تحضر إلى الديوانيّة، وهذه الأحكام الثلاثة موجودة أثناء تواجدك في الديوانيّة، فمن ناحية الفقه العمليّ الحكم إمّا الجواز وإمّا الاستحباب، ومن ناحية الفقه الأخلاقيّ كيف يمكننا الاستفادة من المعلومات في التّكامل والتّحرّك إلى الله تعالى، ومن ناحية عقائديّة يكون نظرك إلى الله تعالى، فتحتاج إلى الجانب العقائديّ في أنّ الله تعالى محور لجميع أعمالك، وتحتاج إلى الجانب الأخلاقيّ في كيفيّة التّكامل والتّقرب إلى الله تعالى، وتحتاج إلى الجانب العمليّ في جواز أو استحباب تواجدك، وإذا لم يضبط حركته ضمن الأحكام الثلاثة وأخذ بالحكم العمليّ فقط فلا يمكن أن يعرج إلى الله تعالى؛ لأنّه لا بدّ من أن يعرف كيفيّة

العروج، وإذا لم يعرف كيفية العروج فلا يعلم أنه عرج إلى الله أو لا، فمن يريد أن يكون عاملاً بل كل مؤمن عليه أولاً أن يتعلم ثم ثانياً أن يطبق الأحكام الثلاثة على نفسه ويصبح مهتدياً ثم ثالثاً بعد ذلك ينقل الهداية إلى الآخرين .

وفي العمل الفردي تأتي الأحكام العملية التكوينية الخمسة من الوجوب والاستحباب والحرمه والكراهة والإباحة، وكذلك في العمل الاجتماعي تأتي الأحكام الخمسة، فقد يكون العمل واجباً أو مستحباً أو حراماً أو مكروهاً أو مباحاً، ولا بد من أن يعرف الحكم قبل أن يُقدّم على العمل سواء كان عملاً فردياً أم عملاً اجتماعياً .
ففي هذا الموضوع المعين هل المطلوب منه أن يعمل ويتحرك أو يقف ويعتزل ؟

وهذا يحتاج إلى معرفة الأحكام الشرعية من وجوب الحركة أو وجوب العزلة أو استحباب أحدهما أو حرمة أحدهما أو كراهة أحدهما أو إباحتهما، وإذا لم تكن المواضع واضحة فمن الممكن أن يُقدّم على العمل مع أنّ العمل محرم؛ لأنه قد يسبب ضرراً على نفسه أو على غيره، وقد يعتزل ويكون المطلوب منه أن يتحرك، فهو يعتزل مع أنّ الواجب عليه ضمن الظروف هو الحركة في العمل الاجتماعي وهداية الآخرين، فالتكاليف والأحكام الشرعية في حالات التحرك والعزلة لا بد من أن تكون واضحة أمام من يريد أن يعمل عملاً اجتماعياً، وإذا لم تكن المسائل واضحة فعليه أن لا يتحرك؛ لأنه سيفسد أكثر ممّا

يصلح، ومن يتحرّك على أساس العلم والمعرفة فإنّ حركته تكون صحيحةً .

ونحن الآن في اختبار، وكلّ إنسان في اختبار وتمحيص، ومن ينجح في التّمحيص يتأهّل لأن يصبح من أنصار الإمام عليه السّلام، ومن لا ينجح فمعنى ذلك أنّه لن يصل إلى درجة الأنصار، ومن يتحرّك اجتماعيًا يكون تحت نظر إمامه عليه السّلام، وما دام أنّه تحت نظر الإمام عليه السّلام فلا بدّ من أن يحرص على أن ينجح في التّمحيص، وإذا نجح فالإمام عليه السّلام يختاره ليكون من أنصاره، وإذا لم ينجح فالإمام عليه السّلام لا يختاره؛ لأنّه لم يحقّق في نفسه شروط العامل، ومن ينجح في التّمحيص يساهم في إيجاد شرط الظّهور، وهو وجود الأنصار، ووجود الأنصار بالكفّ والكيف المطلوبين شرط لظهور الإمام عليه السّلام، والمفروض أن لا تكون نظرة المؤمنين إلى العمل الاجتماعيّ نظرةً قاصرةً، فيكون عندنا عمل اجتماعيّ وكفى، بل لا بدّ من أن نعرف أنّ الهدف من التّحرّك الاجتماعيّ هو الوصول إلى درجة الأنصار؛ لأنّنا في عصر الغيبة الكبرى، فنظرنا إلى الإمام عليه السّلام لا بدّ من أن يكون نظرًا دائمًا، وما دام أنّك تحت نظر الإمام عليه السّلام دائمًا فلا بدّ من أن يكون نظرك إلى إمامك عليه السّلام نظرًا دائمًا أيضًا، وإذا أردت أن تصبح من الأنصار فجميع الأعمال التي تقوم بها تصبّ في هذا الاتّجاه، ولا بدّ من أن يعرف الرّابط بين العمل الذي يؤدّيه وبين

الإمام عليه السّلام؛ حتّى يمكنه أن يصل إلى درجة أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام .

ومن يعرف تكليفه العمليّ من العزلة أو العمل ينجح في التّمحيص الإلهي، ويساهم في إيجاد شرط الظهور بإعداد أنصار الإمام عليه السّلام في نفسه أوّلاً وفي غيره ثانيًا، والميدان الأوّل للعمل هو نفس الإنسان، فإن قدر عليها فعلى غيرها يكون أقدر، وإن عجز عنها يكون على غيرها أعجز .

فميدانك الأوّل هو نفسك، فإذا قدرت على نفسك يمكنك أن تنتقل إلى أنفس الآخرين، وإذا استطاع أن يسيطر على نفسه فيمكنه أن يعمل على نفوس الآخرين، لا أنّ نفسه هي التي تحركه ويمنّه ويسرّه، بل هو الذي يحرك نفسه، أي تكون عنده السّيطرة والسّلطة على نفسه، وإذا أصبح مسيطرًا على نفسه فإنّه يصل إلى درجة الأنصار، وأمّا إذا كانت نفسه لحدّ الآن ضعيفةً ولم يسيطر عليها فيحتاج أن يعمل على نفسه أكثر؛ لكي يصل إلى السّيطرة عليها، وكيفية سيطرة الإنسان على نفسه يحتاج إلى عدّة محاضرات، ويمكنه أن يسيطر على نفسه بواسطة عقله، فيكون عقله هو المسيطر على مملكة نفسه .

والمؤمن حينما يدخل إلى ساحة العمل لإصلاح أوضاع المجتمع فإنّه سيشعر بالظلم الذي تعيشه الأُمَّة الإسلاميّة بشكل خاصّ والبشريّة بشكل عامّ، وأغلب النَّاس لا يستمعون إلى أخبار العالم .

يقول : لا شأن لي بالعالم، فأنا وعبادتي المخصوصة فقط من صلاة

وصيام وحجّ وزيارة .

ولا يهتمّه أوضاع المجتمع وما يجري في العالم من أحداث، وهذا يعيش الحياة الفرديّة، وانطلاقته تكون من الأنانيّة، والإنسان الأناني لا يمكن أن يصبح من أنصار الإمام عليه السّلام .

عن النّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : "من أصبح لا يهتمّ بأمور المسلمين فليس بمسلم" (١) .

وأنصار الإمام عليه السّلام لهم شغل بالعالم؛ لأنهم يريدون أن ينشروا العدل في العالم، وحينما تسمع الأخبار ترى الحروب والمجاعات والظلم في جميع أرجاء العالم، والبشريّة لحدّ الآن لم تصل بواسطة عقلها إلى حلول للمشاكل العالميّة، ويشعر المؤمن بالظلم الواقع عليه وعلى المسلمين وعلى البشريّة، وحتىّ الملحد يشعر بالظلم، وأنت كإنسان مؤمن تعتقد بالإمام عليه السّلام، والإنسان الملحد الذي لا يعتقد بالله تعالى إذا وقع عليه الظلم فأنت لا ترضى، لا أنّ الكافر يُقتلُ بلا سبب، والكافر لمجرّد كفره لا يُقتلُ، نعم الكافر الحربيّ تحاربه؛ لأنّه يحمل السّلاح ويريد أن يقتلك فتدافع عن نفسك وتقاتله، وهذه القاعدة تجري مع الكافر وحتىّ مع المسلم، وإذا حمل المسلم عليك السّلاح فأنت تدافع عن نفسك، ومن حقّ أيّ إنسان أن يدافع عن نفسه وعرضه وماله، فقاعدة الدّفاع عن النّفس قاعدة عامّة تشمل جميع النّاس .

(١) الكافي ج ٢ ص ١٦٣ ح ١ .

والإمام عليه السّلام مسؤول عن كلّ العالم، وأنت كمؤمن تشعر أيضاً بهذه المسؤوليّة، والإمام عليه السّلام ينشر العدل في العالم لا أنّه ينشر العدل في بلدان المسلمين فقط، فالإمام عليه السّلام مسؤوليّة عالميّة، ومن يتحرّك اجتماعياً أو سياسياً لا بدّ من أن يشعر بهذه المسؤوليّة العالميّة، ويكون تحرّكه تحرّكاً عالمياً لا تحرّكاً بلدياً في بلده فقط أو تحرّكاً إقليمياً .

ومن يتحرّك يشعر بالظلم، وينقل هذا الشّعور إلى العاملين معه والمحيطين به، وبعض الأشخاص حينما تجري الأموال بأيديهم يظنون بأنهم غير مظلومين، مع أنّهم في الواقع مظلومون، ولكنهم لا يشعرون بالظلم، والحريّة الاعتقاديّة والفكريّة للإنسان أهمّ من الأموال، ولا بدّ من أن تكون مكفولة لجميع النّاس، ولا توجد قاعدة بأنك تُكره شخصاً على الاعتقاد بعقيدة معيّنة حتّى لو كان يعيش في بلدان المسلمين، نعم تقنعه عن طريق الحوار، وإذا لم يقتنع فلا يجوز قتله، كان مسيحياً أو يهودياً أو بوذياً أو ملحدًا، فكلّ إنسان عنده حريّة الاعتقاد، ولا يجوز التّعريض له لا لنفسه ولا عرضه ولا ماله بسبب اعتقاده، نعم يفتح باب الحوار والنّقاش معه لمعرفة آرائك ومعرفة آرائه، ثمّ يتم عرض الآراء على العقل .

والآن الحوار بين الأديان شعار موجود، ولكنّ المشكلة أنّه لا يوجد حوار بين أتباع المذاهب المسلمين، وهؤلاء الذين يدعون إلى الحوار بين الأديان لا يتبنّون الحوار بين المذاهب، وترى أنّهم يدعون إلى ندوات

ومؤتمرات للتقريب بين الإسلام واليهودية والمسيحية، ولكن حينما تقول بالتقريب بين السنة والشيعية يقولون لك : لا .

إذا كان يدعو إلى الحوار بين الأديان فبطريق أولى لا بد من أن يدعو إلى الحوار بين المذاهب والمدارس في الدين الواحد، وحتى المسيحيون لا بد من أن يتبنوا التقريب بين الطوائف المختلفة عندهم من الكاثوليك والبروتستانت مثلاً، وترى الحروب واقعةً بين مدارس المسلمين، وكذلك بين طوائف المسيحيين، وكلهم يدعون أنهم من دين واحد، ولكن تختلف القراءات والآراء والأفكار، فلا بد من أن يفتح باب الحوار بين جميع الناس على مختلف أديانهم ومذاهبهم ومدارسهم، ولا نحتاج إلى الحروب وسفك الدماء وحصد الأرواح، والمشاكل الفكرية يتم حلها عن طريق الحوار، وإذا لم نصل إلى اقناع فكل شخص يتمسك بدينه أو مذهبه أو مدرسته دون التعرض له بسوء، وحقوق المواطنة لا تختص بسنيّ دون شيعي، أو بشيعيّ دون سنيّ، أو مسيحيّ أو يهودي، فالمجتمع الواحد فيه جميع الأديان والمذاهب والمدارس، والمعتقدون بأيّ دين لهم حقوق المواطنة أو حقوق الوافدين، وكلّ شخص حقوقه محفوظة، ولا يجوز التعدي على حقوقه .

ومن يشعر بالظلم ينقل هذا الشعور إلى الآخرين، والظلم بدأ من قتل قابيل لهابيل، وهو مستمرّ إلى يومنا، والبشرية لم تستطع أن تحلّ مشاكلها مع أنّه خلال مسيرة البشرية وجدت أطروحات كثيرة، وكلّ أطروحة حاولت حلّ المشاكل إلى أن وصلت البشرية إلى الاشتراكية

والرأسماليّة، والاشتراكيّة لم تستطع حلّ المشاكل، ولا الرأسماليّة حلّت المشاكل، والرأسمالية هي المسيطرة الآن على العالم، حتّى أنّ كثيراً من المسلمين فكرهم فكر رأسماليّ، وهذه الأطروحات المختلفة التي مرّت في مسيرة البشريّة لم تستطع أن تحلّ المشاكل، وما دام أنّ الحروب مستمرّة والمجاعات منتشرة في العالم فمعناه أنّ العقل البشريّ لم يستطع أن يحلّ المشاكل .

ورأينا بأنّ الأطروحات المختلفة فشلت في حلّ المشاكل العالميّة، فإذا كنّا نعتقد بأنّ جميع الأطروحات لم تحلّ مشاكل البشريّة فنأتي إلى ما نعتقد به وهو الإسلام، والإسلام صالح لكلّ زمان ومكان، ومن يتحرّك اجتماعياً لا بدّ من أن يعتقد بأنّ الإسلام صالح لحلّ مشاكل البشريّة في كلّ زمان ومكان لو طُبّق كما يريد الله تعالى، والإسلام هو خاتم الأديان، والنبيّ صلّى الله عليه وآله هو خاتم الأنبياء عليهم السّلام، ونعتقد بأنّ هذا الدّين يحتوي على حلول لجميع مشاكل البشر، والمشكلة هي أنّ كثيراً من المسلمين لا يعتقدون بهذا، ولم نصل لحدّ الآن إلى اعتقاد جميع المسلمين بأنّ الإسلام صالح لحلّ المشاكل، ولا يأخذون بالحلّ الإسلاميّ للمشاكل بين الأزواج داخل البيت .

مثلاً زوج مع زوجته يذهبان إلى أحد علماء الدّين، ويعطيهم الحلّ لمشكلتهم، ولكنّ أحدهما يرفض الحلّ؛ لأنّ الحكم ليس لصالحه، ولا يأخذ بالحلّ؛ لأنّه لا يعتقد بأنّ الإسلام صالح لحلّ المشاكل، ولو كان يعتقد والعالم يعطيه الحلّ فالمفروض أنّ الحلّ يكون مقبولاً بحسب

الأحكام الشرعيّة، وهما يذهبان إلى العالم وكلّ طرف يريد من العالم أن يؤيّدته ويقول بخطأ الطّرف الآخر، ولا يذهبان للحصول على الحلّ .

وفيما بعد يقول الزوج لزوجته : سمعتي فالعالم معي .

وتقول الزّوجة : سمعت فالعالم أيّديني .

وليس هدفهما الوصول إلى الحلّ، ويأتي بعض الأزواج هنا ونعطيهم الحلّ، ويكون الحلّ بسيطاً جدّاً، وأسمع بعد ذلك بأنّه وقع الطّلاق بينهما، والمشكلة حينما يوجد بينهما أولاد .

ونحن نعتقد بأنّ الإسلام صالح لكلّ زمان ومكان، لذلك حينما يظهر الإمام عليه السّلام يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلمًا وجورًا، و"مُلئت" تعني أنّه في كلّ زاوية من زوايا الأرض يوجد ظلم، وواقع العالم اليوم هو انتشار الظّلم في كلّ مكان، والظّلم لا يفرّق بين مسلم وغير مسلم .

وأوضح مثال للظّلم هو الظّلم الإعلاميّ في القنوات الفضائيّة، وهو أعظم ظلم، وهذا النوع من الظّلم موجود في كلّ العالم، لذلك فالأرض تُملأ ظلمًا وجورًا، والظّلم الإعلاميّ دخل إلى كلّ بيت في العالم، فالقناة الفضائيّة تكذب في نقل الأخبار فتجعل الحقّ باطلاً والباطل حقًّا، ومن يسمع الفضائيّات يعتقد بأنّ هذه أخبار صحيحة، فيكون مظلومًا من قبل هذه الفضائيّة، والظّلم الإعلاميّ هو أكبر أنواع الظّلم في عصر الغيبة الكبرى، وترون القنوات الفضائيّة كيف تحرّف الأخبار، وأحيانًا بعض العاملين في نفس القنوات الأخباريّة يقدّمون

استقلالهم، ويقولون بأنّ الكذب قد بلغ درجته القصوى، وفي البداية هؤلاء العاملون يسايرون القناة، ولكن بعد ذلك لا يستطيعون تحمّل مقدار الكذب الذي تقدّمه القناة، ولا يحتاج أن نعطي أمثلة لأكاذيب القنوات الفضائية، فتابع الأخبار وستلاحظ الأكاذيب .

وأقلّ شيء حينما يُقال في بعض القنوات بأنّ زيارة القبور شرك وأنكم تعبدون صاحب القبر، فهل يوجد أحد يعبد ميّتًا؟!

والشيعة يصيحون ليلاً ونهاراً منذ مئات السنين بأنهم لا يعبدون النّبّي صلّى الله عليه وآله ولا الأئمّة عليهم السّلام، ولا يشركون بالله تعالى، وأنهم يذبّون الدّبائح قربةً لله تعالى، ويهدون الثّواب لصاحب القبر، ولحدّ الآن هذه التّهمة موجودة، وكذلك تهمة تحريف القرآن، وكذلك تهمة خان الأمين، وكم من المؤلّفات والمقابلات الفضائية التي يقول فيها علماء الشيعة بأنهم لا يقولون بتحريف القرآن الكريم، وأنهم يعتقدون بأنّ القرآن الموجود اليوم بين الدّفّتين هو القرآن الذي نزل على رسول الله صلّى الله عليه وآله، ولكن تجد بأنّ قضية تحريف القرآن ما زالت تُطرح في بعض القنوات الفضائية .

ونعتقد بأنّ الإسلام صالح لحلّ جميع المشاكل، ولكن لا بدّ من أن يطّلع العالم على أنّ الإسلام صالح لحلّ المشاكل العالميّة، وهنا يأتي دور العلماء المفكّرين الذين يبيّنون جوانب الدّين، ويبحثون للوصول إلى الحلول الإسلاميّة للمشاكل العالميّة من جميع جوانبها الثّقافيّة والفكريّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والسّياسيّة والأخلاقيّة على نطاق

الفرد وعلى نطاق المجتمع؛ لكي يبينوا أنّ الإسلام صالح لكلّ زمان
ومكان .

والعلماء حينما يبحثون في مختلف مجالات الحياة فإنّهم يتجهون
بأنفسهم نحو الكمال العلميّ الفكريّ أوّلاً والكمال العمليّ ثانياً،
والعالم حينما يبحث يكون مقتنعاً بأنّ الإسلام صالح لكلّ زمان
ومكان، ويأتي إشكال من نفس المسلمين بأنّهم يعيشون المشاكل فأين
الحلول الإسلاميّة لمشاكلهم!؟

أوّلاً نحتاج إلى تنظير لبيان حلول المشاكل، فنأتي إلى الآيات
الكريمة والروايات الشريفة ونقول بأنّ الحلّ موجود في القرآن الكريم
وروايات أهل البيت عليهم السّلام، ولا بدّ من بيان المشكلة الأولى
وبيان الحلّ لها، وبيان المشكلة الثّانية وبيان الحلّ لها، وهكذا .

والعالم الذي يبحث أوّلاً هو يقتنع ويحصل على الكمال العلميّ
الفكريّ، وثانياً بناءً على الكمال العلميّ الفكريّ يحصل على الكمال
العمليّ، فيحوّل ما وصل إليه من نتائج علميّة فكريّة إلى كمال عمليّ
بالمقدار الذي يمكن أن يطبّقه على نفسه، وأوضاع الآخرين ليس بيد
العالم، ودور العالم أن يبيّن حلول المشاكل، ويساهم في تثقيف الأمتّة
المسلمة، وتكليف المسلمين أن يأخذوا هذه الحلول ويطبّقوها على
أرض الواقع .

والفكر الدّينيّ لا بدّ من أن ينتشر بين الشّعوب المسلمة والشّعوب
غير المسلمة عن طريق ترجمة الكتب إلى اللّغات الأخرى، فعالم الدّين

يكتب باللّغة العربيّة، ولا بدّ من ترجمة الكتب إلى جميع اللّغات في العالم، والبشريّة تستفيد من هذه الكتب، وتقتنع بأنّ الحلّ موجود في الإسلام، وأمّا إذا لم يسمعوا بالإسلام أو سمعوا بالإسلام المشوّه فلا يمكن أن يقتنعوا، فلا بدّ من ترجمة الكتب إلى اللّغات الأخرى .

ويتمّ الرّدّ على جميع الشّبّهات سواء كانت من المسلمين أم من أتباع الأديان الأخرى أم من الملحدين ردّاً علميًّا لا ردّاً عن طريق التّهريج، فالردّ التّهريجيّ لا يوصل إلى نتيجة، ولا يكفي أن يقال بأنّ فلاناً كافر أو منافق أو في الدّرك الأسفل من النّار، ولا تصل إلى نتيجة؛ لأنّ الشبهة مطروحة، وهذه الشبهة تحتاج إلى ردّ مقنع، وأمّا أن نغلق الأبواب فلا، ونحن أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السّلام لا توجد عندنا خطوط حمراء في أيّ سؤال من الأسئلة، لذلك فالحرّيّة الفكرية مكفولة لجميع النّاس في السّؤال عن أيّ مسألة تخطر في أذهانهم، فترى الشّابّ الشّيعيّ يذهب إلى عالم الدّين ويسأله عن أيّ موضوع أو إشكال يخطر في ذهنه حتّى لو كان السّؤال عن الله سبحانه، وفي بعض مذاهب المسلمين تجد خطوطاً حمراء لا يمكن تجاوزها، فالعالم عندهم يقول : لا تسأل في هذا الموضوع .

وأتباع أهل البيت عليهم السّلام لا يوجد عندهم هذا المنع، فعندنا قاعدة تقول : لكلّ سؤال جواب .

وأئمة أهل البيت عليهم السّلام كانوا يتبعون هذا المنهج، وأيّ شخص يمكنه أن يسألهم أيّ سؤال، وكانوا يجيبون على الأسئلة،

وتوجد كتب في المناظرات التي عقدت بين الإمام الصادق عليه السلام والملحدين في ذلك الوقت، والمناظرات بين الإمامين الرضا والجواد عليهما السلام مع الأديان الأخرى، ولا توجد خطوط حمراء في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، فيمكن السؤال في أيّ موضوع، وكلّ شبهة لها حلّ؛ حتّى يقتنع الطرف الآخر، وستجد الجواب عند أهل البيت عليهم السلام وعند علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام .

ولا يمكن أن تقول لأحد : لا تفكّر .

فالسؤال والشبهة موجودان في ذهنه، ولا بدّ من الإجابة عليهما .
ولا بدّ من نشر الفكر الدينيّ على أساس مدرسة أهل البيت عليهم السلام، والآن ينتشر في العالم مع كثرة المواجهات لهذه المدرسة، ونحن نعتقد أنّ هذه المدرسة هي الممثل الحقيقي للإسلام بدون تكفير للآخرين، ويمكنها أن تجيب على أيّ سؤال وشبهة يردّان في أذهان البشر، وتنتشر هذه المدرسة في العالم ويقتنعون بها؛ لأنّهم يقبلون المنهج الفكريّ العقليّ الموجود في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، ويطرحة علماء المدرسة، وهذا المنهج العقليّ والاعتماد على العقل غير موجود لا في الأديان الأخرى ولا في المدارس والمذاهب الأخرى، والعقل أحد المصادر الأربعة لاستنباط الأحكام الشرعيّة، وهي : القرآن والسنة والإجماع والعقل، ونحتاج إلى العقل في كل مجال، والقرآن الكريم يركّز على أعمال العقل في آيات كثيرة، منها :

"هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ يُبَيِّتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ" (١) .

"كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ" (٢) .
"أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا" (٣) .

وبعد تركيز القرآن على إعمال العقل ليس من حق أحد أن يقول :
جَمَدٌ عَقْلِكَ .

ولا تستمع إلى من يقول لك : لا تَسْتَعْمِلْ عَقْلَكَ .
وعلماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام يقولون لجميع الناس
وبالأخصّ الشّباب : فكّروا، وإذا كان عندك أيّ سؤال فاطرحه ونحن
نجيبك .

والحرّيّة الفكرية والعقائدية موجودة في مدرسة أهل البيت عليهم
السّلام، ونعتقد أنّ الإنسان حرّ فيما يعتقد بشرط أن تكون عنده

(١) التّحلّ : ١٠-١٣ .

(٢) ص : ٢٩ .

(٣) النّساء : ٨٢ .

الأدلة على صحة اعتقاداته والاستعداد للنقاش والحوار، وفي مدرسة أهل البيت عليهم السلام باب الحوار مفتوح مع جميع الأديان والمذاهب والمدارس .

وإذا استطاع العلماء أن يقوموا بهذا الدور وهو عرض المشاكل التي تواجه البشرية وإعطاء الحلول لها - يكونون قد ساهموا في التخطيط الإلهي وإيجاد شرط الظهور بإعداد أنصار الإمام عليه السلام، والعمل ليس عملاً هيئاً .

ومن يتحرك تحركاً اجتماعياً فهذه الأفكار لا بد من أن تكون موجودةً عنده، فهو لا يتحرك تحركاً عشوائياً، وهو يظن أنه إذا اشترك في دورة شبابية فالقضية تنتهي عند هذا الحد، إن اشتراكك في الدورة يصب في اتجاه إعداد أنصار الإمام عليه السلام، وإذا شارك في مسجد أو حسينية أو مؤسسة دينية أو ديوانية فهو يساهم إما في تعجيل ظهور الإمام عليه السلام وإيجاد شرط الظهور وإما على العكس من ذلك يساهم في تأخير الظهور؛ لأن العمل الذي يقوم به يؤثر على الآخرين .

فإذا كان موجوداً في ديوانية ويلعبون الورق (الجنجفة) فقط فيوجد أفراد يتأثرون، ويكون هدفهم اللهو وتضيع الوقت، وإذا كان هدفه اللهو فلا ينظر إلى ظهور الإمام عليه السلام، وإن كان عملاً صغيراً، ولكنه يلهيه عن أهداف أكبر، أو ينشغلون في أحاديث غير نافعة، فيلهيهم عن النظر إلى مواضيع أهم، فحتى العمل الصغير يؤثر على

الإنسان إما سلبياً وإما إيجابياً، وما يصبّ في اتجاه ظهور الإمام عليه السلام هو العمل الإيجابي، وما يؤثر سلبياً في ظهور الإمام عليه السلام هو العمل الملهي والأحاديث الملهية .
إذن :

دور علماء الدين هو المساهمة في حلّ مشاكل البشريّة بإظهار الجوانب الفكرية في مدرسة أهل البيت عليه السلام، والرّد على الشبهات سواء كانت من المسلمين أم غير المسلمين؛ لأجل بيان صلاحية الإسلام في حلّ جميع المشاكل بما فيها المشاكل الفكرية التي تعاني منها البشريّة، وكلّ ذلك يساهم في التخطيط الإلهي وإيجاد شرط الظهور بإعداد أنصار الإمام عليه السلام، والأطروحات الفكرية تبين للمسلمين الرّسالة العالميّة التي يمتازون بها، فيستعدّون للتّضحية في سبيلها بحصولهم على التّقافة الدّينية والإخلاص في العمل لنشر الدين في العالم .

ومدرسة أهل البيت عليهم السلام قويّة جدّاً في الإجابة عن أيّ سؤال، وهذا حاصل اليوم، فالفضائيات تقوم بجزء من هذا الدور حينما يطرحون فيها مختلف المواضيع، حتّى في مثل موضوع السّعادة الزوجية، وبعض القضايا الاجتماعيّة، نعم لم نصل لحدّ الآن إلى طرح جميع القضايا الاجتماعيّة، وإنّما طرح جزء منه، والفضائيات لها دور في إعداد أنصار الإمام عليه السلام، وبالعكس بعض الفضائيات لها تأثير سلبيّ على الناس، ومن يتابع هذه الفضائيات يتأثر سلبياً، فنتبته

إلى ما تختاره وأنت تعيش الآن في عصرنا عصر المعلومات، وتوجد معلومات هائلة في الإنترنت، ولكن على الإنسان أن يعرف كيف يستفيد من هذه المعلومات، والشابّ يمكنه أن يتكامل إيجابياً بمتابعة بعض المواقع والفضائيات ويصل إلى درجة الأنصار، ومن الممكن أن يتسافل إذا لم ينتبه إلى نفسه ويصبح من أعداء الإمام عليه السّلام وهو لا يشعر بذلك .

وإذا ظهر الإمام عليه السّلام فأقلّ شيء يقوله : وكيف لنا أن نعرف أنّ هذا هو الإمام ؟

وهو لا يوجد عنده اطلاع على الجوانب المختلفة للدين، فيصبح مع أعداء الإمام عليه السّلام، والبعض من الأغنياء قد يعترض؛ لأنّه من الممكن أنّ الإمام عليه السّلام يأخذ منه الأموال الزّائدة ويعطيها للفقراء، ويقول بأننا سمعنا بأنّ الإمام عليه السّلام يعطي الأموال وأنّ بيت المال مفتوح لمن يريد أن يأخذ منه، فكيف يأخذ منّي ويعطي للفقير !؟

فيعترض على فعل الإمام عليه السّلام .

إنّ الجوانب الفكرية في الدين بمختلف مجالاتها - لا فقط الرّسالة العمليّة - من الضّروري أن يعرفها المؤمن ويكون مطلعاً عليها، ويعرف الأحكام الثلاثة من الفقه العقائديّ والفقه الأخلاقيّ والفقه العمليّ، ويعرف كيفية الرّبط بين هذه الأنواع الثلاثة من الفقه، وهذا مهمّ للمؤمن في تحركه الفرديّ وتحركه الاجتماعيّ، وإذا لم تكن الصّورة

واضحَةً عند المؤمن فإنّه يتحرّك بشكل عشوائيٍّ، فمرّة يتكامل ومرّة يتسافل، ويعمل على أساس حظّك يا نصيب، وقد يصل إلى درجة جيّدة أو ينزل إلى درجة سافلة، والأمر ليس عشوائياً، ولا يمكن للإنسان أن يصبح من أنصار الإمام عليه السّلام بالصدفة .

ويقول : إنّ الإمام عليه السّلام لم يخترنى لأكون من الأنصار .

وكأنّ الإمام عليه السّلام يختار أنصاره عن طريق القرعة، فيضع أوراقاً فيها أسماء النّاس ويختار كما في اليانصيب، فيكون هذا من الأنصار، وذاك ليس من الأنصار، ولم يختره الإمام عليه السّلام؛ لأنّه لم يوفّر في نفسه مواصفات الأنصار، وعلى الجميع أن يعمل، ولكنّهم لا بدّ من أن يعرفوا شروط العامل ومقدّمات العمل، وبعد معرفتهما يتحرّك الإنسان ويعرف أين يضع قدمه، فيرفع قدماً ويضع الأخرى، ويعرف الهدف الذي يسير إليه، ويتحرّك على سلّم الكمال، والتحرّك يكون باتجاه الهدف المنشود، والطّرق مفتوحة لجميع النّاس، ولكن يجب أن يعرف الطّريق الذي يوصله إلى مرتبة الأنصار، ولا بدّ من معرفة معالم الطّريق وكيفيّة الحركة في هذا الطريق حتّى يمكنه الوصول إلى درجة الأنصار، والعملية ليست سهلةً يسيرةً، ويحتاج إلى العلم والمعرفة، وبعد ذلك يتحرّك إلى العمل الفرديّ والعمل الاجتماعيّ؛ حتّى يمكن للإنسان أن يتكامل .

والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد

وآله الطّيبين الطّاهرين .

أسئلة وتعليقات الحاضرين :

المهندس فوزي الصّراف :

توجد خطبة تؤيّد كلام الشّيخ أشكناني، وهي خطبة أمير المؤمنين عليه السّلام خطبها في صقّين، قال عليه السّلام : " . . . ثمّ جعل سبحانه من حقوقه حقوقاً افترضها لبعض النّاس على بعض، فجعلها تنكافاً في وجوهها، ويوجب بعضها بعضاً، ولا يستوجب بعضها إلاّ ببعض، وأعظم ما افترض الله سبحانه من تلك الحقوق حقّ الوالي على الرّعيّة، وحقّ الرّعيّة على الوالي، فريضة فرضها الله سبحانه لكلّ على كلّ، فجعلها نظاماً لألفتهم وعزّاً لدينهم، فليست تصلح الرّعيّة إلاّ بصالح الولاية، ولا تصلح الولاية إلاّ باستقامة الرّعيّة .

فإذا أدّت الرّعيّة إلى الوالي حقّه وأدى الوالي إليها حقّها عزّ الحقّ بينهم، وقامت مناهج الدّين، واعتدلت معالم العدل، وجرت على أذلالها السنن، فصلح بذلك الزّمان، وطمع في بقاء الدّولة، ويئست مطامع الأعداء .

وإذا غلبت الرّعيّة واليها أو أجحف الوالي برعيّته اختلفت هنالك الكلمة، وظهرت معالم الجور، وكثر الأدغال في الدّين، وتركت محاجّ السنن، فَعَمِلَ بالهوى، وَعُطِّلَتِ الأحكام، وكثرت علل النّفوس، فلا يستوحش لعظيم حقّ عَطِّلَ، ولا لعظيم باطل فُعِلَ، فهنالكَ تذلّ الأبرار، وتعزّ الأشرار، وتعظم تبعات الله عند العباد .

فعليكم بالتّناصح في ذلك، وحسن التّعاون عليه، فليس أحد وإن اشتدّ على رضا الله حرصه وطال في العمل اجتهاده ببالغ حقيقة ما الله

أَهْلَهُ مِنَ الطَّاعَةِ لَهُ، وَلَكِنْ مِنْ وَاجِبِ حَقُوقِ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ النَّصِيحَةَ بِمَبْلَغِ جَهْدِهِمْ، وَالتَّعَاوُنَ عَلَى إِقَامَةِ الْحَقِّ بَيْنَهُمْ .

وَلَيْسَ أَمْرُهُ وَإِنْ عَظُمَتْ فِي الْحَقِّ مَنَزَلَتُهُ وَتَقَدَّمَتْ فِي الدِّينِ فَضِيلَتُهُ بِفَوْقِ أَنْ يُعَانَ عَلَى مَا حَمَلَهُ اللَّهُ مِنْ حَقِّهِ، وَلَا أَمْرُهُ وَإِنْ صَغُرَتْهُ النَّفُوسُ وَاقْتَحَمَتْهُ الْعْيُونَ بِدُونِ أَنْ يَعِينَ عَلَى ذَلِكَ أَوْ يَعَانَ عَلَيْهِ" .

فَأَجَابَهُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ بِكَلَامٍ طَوِيلٍ يَكْثُرُ فِيهِ الثَّنَاءُ عَلَيْهِ وَيَذْكَرُ سَمْعَهُ وَطَاعَتَهُ لَهُ .

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : "إِنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ عَظَّمَ جَلَالَ اللَّهِ فِي نَفْسِهِ وَجَلَّ مَوْضِعُهُ مِنْ قَلْبِهِ أَنْ يَصْغُرَ عِنْدَهُ لِعَظَمِ ذَلِكَ كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ لِمَنْ عَظَّمَتْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَطَفَ إِحْسَانَهُ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَمْ تَعْظَمْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا أَزْدَادَ حَقِّ اللَّهِ عَلَيْهِ عَظْمًا، وَإِنَّ مَنْ أَسْخَفَ حَالَاتِ الْوَلَاةِ عِنْدَ صَالِحِ النَّاسِ أَنْ يَظُنَّ بِهِمْ حَبَّ الْفَخْرِ، وَيُوضِعَ أَمْرَهُمْ عَلَى الْكِبَرِ، وَقَدْ كَرِهَتْ أَنْ يَكُونَ جَالٍ فِي ظَنِّكُمْ أَيُّ أَحَبِّ الْإِطْرَاءِ وَاسْتِمَاعِ الثَّنَاءِ، وَلَسْتُ بِحَمْدِ اللَّهِ كَذَلِكَ .

وَلَوْ كُنْتُ أَحَبَّ أَنْ يُقَالَ ذَلِكَ لَتَرَكْتُهُ انْحِطَاطًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ عَنْ تَنَاوُلِ مَا هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ الْعِظْمَةِ وَالْكَبْرِيَاءِ، وَرَبَّمَا اسْتَحْلَى النَّاسُ الثَّنَاءَ بَعْدَ الْبَلَاءِ، فَلَا تَثْنُوا عَلَيَّ بِجَمِيلِ ثَنَاءٍ لِإِخْرَاجِي نَفْسِي إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ مِنَ التَّقْيِيَةِ فِي حَقُوقِ لَمْ أَفْرَغَ مِنْ أَدَائِهَا، وَفَرَائِضَ لَا بَدَّ مِنْ إِمضَائِهَا .

فَلَا تَكَلِّمُونِي بِمَا تَكَلَّمُ بِهِ الْجَبَابِرَةُ، وَلَا تَتَحَفَّظُوا مِنِّي بِمَا يَتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ، وَلَا تَخَالِطُونِي بِالْمَصَانِعَةِ، وَلَا تَنْظَنُّوا بِي اسْتِثْقَالًا فِي حَقِّ قِيلَ لِي، وَلَا التَّمَاسُ أَعْظَامَ لِنَفْسِي، فَإِنَّهُ مِنْ اسْتِثْقَالِ الْحَقِّ أَنْ يُقَالَ لَهُ

أو العدل أن يُعْرَضَ عليه كان العمل بهما أثقل عليه، فلا تكفوا عن
مقالة بحق أو مشورة بعدل، فإنّي لست في نفسي بفوق لأن أخطئ ولا
آمن ذاك من فعلي إلا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به منّي،
فإنّما أنا وأنتم عبيد مملوكون لربّ لا ربّ غيره، يملك منّا ما لا نملك
من أنفسنا، وأخرجنا ممّا كنّا فيه إلى ما صلحنا عليه، فأبدلنا بعد
الضلال بالهدى، وأعطانا البصيرة بعد العمى" (١) .

أيّ أحد يوجد شيء في باله عليه أن يقوله؛ لأنّه إذا لم يعرف
فتطبيقه للحقّ يكون ثقیلاً عليه، فأیّ سؤال لديك اطرحه؛ حتّى تصل
إلى الجواب عليه .

سؤال من أحد الحاضرين :

هل أستطيع أن أطالب الإنسان العاديّ بالتمهيد لظهور الإمام
عليه السّلام، وأطالب العالم صاحب المعرفة بنفس المطالبة وبنفس
المقياس أو تختلف باختلاف العلم والمعرفة ؟
ورأينا في المجتمع الإسلاميّ ككلّ عدم الاهتمام بشؤون المسلمين،

(١) بحار الأنوار ج ٢٧ ص ٢٥١-٢٥٣ ح ١٤ . تتكافأ في وجوهها :
تتساوى في وجوهها، الله تعالى افترض حقوقاً بين النّاس، فيجب على كلّ
شخص أن يراعي حقوق الآخر، فجعل لكلّ شخص حقوقاً له وحقوقاً
عليه . على أدلّها : على مجاريها . محاجّ : جمع محجّة، وهي وسط
الطريق . أهل البادرة : أهل الحدّة أو ما يبدو من الإنسان عند حدّته .
المصانعة : المداهنة والخدعة .

مجموعة وضعهم الاجتماعي من الناحية المادّية ضعيفة، أو في ديوانيّة شباب مؤمنين يقرأون دعاء كميل في ليلة الجمعة، ولكن لا يوجد عندهم اهتمام بالآخرين مع أنّه إنسان مؤمن ومظاهر الإيمان ومظاهر الشّعائر يهتمّ بها، ولكنّه لا يهتم بشؤون المسلمين، فهل هذا يؤثّر بالتّعجيل بظهور الإمام عليه السّلام ؟

جواب الشيخ محمّد أشكناني :

الإنسان العالم المطلوب منه أكثر من الإنسان العاديّ، والعالم أصبح عالماً؛ لأنّه أخذ بالمقدّمات، ويصعد الإنسان في درجات العلم، ومن يكون علمه قليلاً لا يقول : أكتفي بما عندي من علم .
والمؤمن لا يكتفي بالعلم الموجود عنده، وإتّما يطلب المزيد من العلم، فيحصل على الكمال العلميّ، ويترتّب عليه الكمال العمليّ، والمطلوب من الإنسان العاديّ أن يتعلّم أكثر، وعظم حجم المسؤوليّة عند الشّخص العالم معناه أنّ العالم احتمال أن يصبح من الأنصار أكثر من احتمال الشّخص العاديّ، نعم توجد مسؤوليّة على العالم، وعظم المسؤوليّة يدلّ على عظم الثّواب، وكلّما كان الإنسان في مسؤوليّة وتعب أكثر فمعناه أنّ ثوابه أكثر، فالعالم من خلال علمه سيعمل أكثر، ويكون نظره أكثر شموليّة من الإنسان العاديّ، فيكون عمله أكثر، ومن الممكن أن يصبح من الأنصار؛ لأنّ علمه ومعرفته أكثر، طبعا من يستفيد من علمه، والأقلّ علماً لا يكتفي بعلمه القليل، والمؤمن يطلب العلم دائماً، فيطلب العلم أكثر؛ لأجل أن

يصعد أكثر، وتدرجياً يتحرك لأجل أن يصل إلى درجة الأنصار، ولا نقصد من العلم المعلومات التي يخزنها في ذهنه، فبعض العلوم الموجودة عند الإنسان تؤهله لأن يصبح من الأنصار، فمن الممكن أن صاحب بقالة يكون من الأنصار، والقضية ليست بكثرة المعلومات الذهنية فقط، فقد يكون عنده علم قليل، ولكن التكامل عنده أكثر، ومن يكون عنده علم أكثر يكون احتمال التكامل عنده أكبر، ولا نقول بأنه قطعاً يكون تكامله أكثر، وشخص علمه قليل قد يتكامل أكثر من صاحب العلم الكثير؛ لأنه استفاد من علمه أكثر ممن علمه أكثر، وباب التكامل مفتوح أمام جميع المؤمنين، وفي القصص أن صاحب الأفقال أو صاحب بقالة أو حارس مدرسة يكون من أنصار الإمام عليه السلام، والأمر ليس مرتبطاً بكمية المعلومات الموجودة في الكتب والتي ينقلها إلى ذهنه، ويظن بأنه إذا صار أكثر علماً فيصبح من الأنصار من دون أن يحول العلم إلى عمل ويتكامل بواسطته، والمقصود من العلم هو ما يترتب عليه العمل، ويحصل على الأثر العملي من علمه، هذا بالنسبة للسؤال الأول .

وبالنسبة للسؤال الثاني :

الإمام عليه السلام عنده اهتمام بالبشرية وبالأفراد الآخرين، ومن يريد أن يصبح من الأنصار فلا بدّ من أن يكون عنده نفس اهتمامات الإمام عليه السلام، ومن يعيش الأنانية ولا يهتم بما يجري في العالم لا يهتمه أن ينتشر العدل في العالم، ومن يريد أن يكون من

الأنصار لا بدّ من أن يكون عنده اهتمام بانتشار العدل في العالم، ويبدأ بنفسه بأن يكون عادلاً، ثمّ ينشر العدل في نطاقه الضيّق في بيته ثمّ بين المحيطين به ثمّ في مجتمعه ثمّ في العالم، والشّعور والاهتمام بالآخرين ضروريّ لمن يريد أن يصبح من الأنصار، فهذا الشّعور هو الذي يحركه لأن يصل إلى درجة الأنصار، ويكون هدفه نشر العدل في العالم، فهذا الشّعور والاهتمام يتحرّك، وأمّا الشّخص الذي وضعه المادّي جيّد وهو مرتاح مع زوجته وأولاده ولا يهتمّه وضع العالم فهذا لا يمكن أن يصبح من الأنصار، والشّعور بالاهتمام بالآخرين ضروريّ لمن يريد أن يصل إلى درجة أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيبين الطّاهرين .

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

(٤٦)

العلماء في مواجهة

الغزو الفكري والثقافي^(١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين .

ما زال الحديث عن دور العمل الاجتماعي في إعداد أنصار الإمام المهدي عليه السلام، ومن يدخل في العمل الاجتماعي يشعر بالظلم، والقاعد في بيته لا يشعر بشيء، وأما الذي يخرج إلى خارج البيت ويعمل سيشعر بوجود الظلم، ويمكن الاستفادة من الظلم في تهيئة المؤمن لنفسه لكي يصبح من الأنصار؛ لأنّ هدف الإمام عليه السلام هو القضاء على الظلم ونشر العدل في العالم، فقبل هذا لا بدّ من أن يشعر المؤمن بالظلم حتّى يبحث عن العدل، وهذا الشعور والإحساس بالظلم مهمّ للمؤمن الذي يريد أن يصبح من الأنصار .

(١) أُلقيت هذه المحاضرة في الدبواتية الأسبوعية في دولة الكويت منطقة

بيان، الجمعة ١٦ جمادى الأولى ١٤٣٤ هـ ، ٢٩/٣/٢٠١٣ م .

وقلنا في محاضرة سابقة بأنه توجد مشاكل فكرية علمية، والفكر الاشتراكي انتهى، وتوجد عندنا الآن مواجهة مع الرأسمالية .

سؤال : هل الرأسمالية قادرة على حلّ مشاكل البشرية أو لا ؟

الآن الفكر الرأسماليّ مسيطر على العالم، والبنوك اليوم قائمة على الرأسمالية والرّبا إلّا البنوك القائمة على الأحكام الإسلامية .

هل يمكن أن نطرح البدائل لحلّ المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية غير المطروحة اليوم بناءً على النظرية الغربية ؟

هل توجد نظرية اجتماعية في الإسلام أو لا ؟

وإذا وُجِدَتْ فما هي النظرية الاجتماعية في الإسلام ؟

وما هي النظرية الاقتصادية في الإسلام ؟

وما هي النظرية السياسية في الإسلام ؟

ونريد أن ننظر إلى جميع جوانب الحياة .

فهل توجد نظرية لتنظيم الأسرة وحلّ مشاكلها في الإسلام أو لا ؟

وما هي نظرية التربية في الإسلام ؟

وهل عندنا بدائل إسلامية للنظريات الغربية أو لا ؟

وبعض المسلمين يأخذون الأفكار من الغرب ويطرحونها كمواضيع ومحاضرات، ولكن مع الرجوع إلى القرآن الكريم والروايات الشريفة يمكن أن نطرح نظرية إسلامية في كلّ جانب من جوانب الحياة، وهنا يأتي دور علماء الدين والمفكرين الذين يبحثون ويحاولون أن يغطّوا جميع جوانب الحياة .

ومن يتحرّك اجتماعيًا إمّا أنّه قادر على فهم الآيات والروايات بنفسه فيطرح النظريّة، وإمّا أنّه يأخذ النظريّة من العلماء، فيصبح حلقة وصل بين العالم وبين النّاس، فهو لا يمكنه استنباط الأحكام وإعطاء التّظريّات، ولكنّه يأخذ من العلماء ويوصل للنّاس هذه الأفكار، والعالم قد لا يستطيع أن يصل إلى النّاس مباشرةً، فهؤلاء العاملون اجتماعيًا يشكّلون أيادي للمراجع والعلماء في نشر الفكر الدّيني في المجتمع، وإذا طلبت من المرجع أن يأتي للدّورة أو المخيم فإنّه لا يحضر، ولكن يوجد أشخاص يأخذون من أفكار العلماء وينقلونها إلى الشّباب المشاركين في الدّورات والمخيّمات .

ونحتاج إلى قيام العلماء بالدّور العلميّ الفكريّ الثّقافيّ، والعلماء قاموا وما زالوا يقومون بهذا الدّور، ففي كلّ زمان هناك مجموعة من العلماء يقومون بهذه المهمّة، وتخصّصات العلماء مختلفة، فتجد عالماً متخصصاً بالفقه، وينفع في هذا الجانب، وعالماً متخصصاً في التّاريخ، ونستفيد منه في هذا الجانب، فكلّ عالم ينتج في مجال تخصّصه، وهذا موجود في مدرسة أهل البيت عليهم السّلام حيث تجد أنّ العلماء يغطّون مختلف التخصّصات، وتجد عالماً متخصصاً في قواعد اللّغة العربيّة، ويقوم بتدريس موادّ النّحو فقط، وعالماً آخر يدرّس الرّسالة العمليّة، وعالماً ثالث يناقش التّظريّات الفلسفيّة، مثل السيّد الشّهيد محمّد باقر الصّدر والشّيخ الشّهيد مرتضى المطهريّ والعلامة السيّد محمّد حسين الطّباطبائيّ رضوان الله عليهم .

وعلمائنا قاموا بجانب آخر، وهو النظر إلى الأفكار الغربية المادّية ومناقشتها والرّدّ عليها، وليس جميع العلماء يقومون بهذا الدور، فيوجد عند العلماء تعدّد أدوار ووحدة هدف، فكما تحتاج إلى الفقه العمليّ تحتاج أيضًا إلى مناقشة الفكر الغربيّ، وتحتاج إلى من يعلّمك الوضوء والصلاة، وتحتاج أيضًا إلى من يواجه الفكر الغربيّ، وكلّ عالم يجيب بناءً على تخصصه وبحوثه في الجوانب المختلفة لتخصصه، وكلّ عالم يختار التخصص الذي يرغب أن يخدم فيه، في الفقه العمليّ وأصوله أو التفسير أو العقائد أو الأخلاق وغيرها من التخصصات الموجودة في الحوزات العلميّة، فعالم يدرس الفلسفة الإسلاميّة والفلسفة الغربيّة؛ لأجل أن يقارن بينهما؛ ليرى أيّ فلسفة يمكنها أن تحلّ الإشكالات الفلسفيّة والشبهات العقائديّة، فالعلماء يبحثون في التخصصات المختلفة .

والعالم الذي يبحث في القضايا العلميّة هو يستفيد أوّلاً، والاستفادة من الجانب العلميّ يؤثر في أعماله، فأوّلًا يفكّر في نفسه وماذا يمكن أن يستفيد، وبعد ذلك يفكّر في الآخرين وفي هدايتهم، فهو أوّلاً يكون مهتديًا، وإذا اهتدى يمكنه أن يهدي الآخرين، والعالم أوّل ما يبحث يريد أن يبحث لنفسه، فهناك مجموعة من الأسئلة والإشكالات يريد أن يجيب عليها لنفسه أوّلاً، وبعد ذلك يلقاها كمحاضرات أو يطبعها في كتاب وينشرها .

والعالم يريد أن يصل إلى الكمال العلميّ، وعلى أساس التّحرّك في

المجال العلميّ يحاول أن يصل إلى الكمال العمليّ؛ لأنّ العمل مبنيّ على العلم والمعرفة والنّظريّة، والإنسان لا يستطيع أن يعمل بلا علم، مثلاً شخص يريد أن يصليّ لا بدّ من أن يتعلّم الوضوء وشروط الصلاة وأجزائها؛ ليضمن أنّ صلاته صحيحة، ومن يريد أن يدخل إلى العمل الاجتماعيّ لا بدّ أوّلاً من أن يعرف مقدّمات العمل وشروطه وأجزائه، فيعرف شروط العمل وشروط العامل، ويعرف الشّروط التي لا بدّ من أن تكون متوفّرة في العامل؛ لكي يُقدّم على العمل، فليس كلّ شخص يُقدّم على العمل إلّا إذا كان مؤهّلاً للعمل، وهذا يحتاج إلى مجموعة من البحوث عن نظريّات العمل الاجتماعيّ .

هل القرآن الكريم والنبيّ صلّى الله عليه وآله الأئمّة عليهم السّلام عندهم هذه النّظريّات أو لا ؟

والعالم يبحث في القضايا العلميّة وينشر الفكر الدّينيّ، ونحن نعتقد أنّ الإسلام هو خاتم الأديان، وأنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله هو خاتم الرّسل، والاعتقاد بأنّه خاتم الأديان وأنّه خاتم الرّسل معناه أنّ هذا الدّين لا بدّ من أن يكون قادراً على حلّ مشاكل البشريّة إلى يوم القيامة، وهذا ما نعتقد به كمسلمين، والاعتقاد لوحده لا يكفي، بل لا بدّ أوّلاً من أن نثبت لأنفسنا كمسلمين أنّ الدّين صالح لكلّ زمان ومكان، وأنّه قادر على حلّ مشاكل البشريّة، وثانيًا نثبت لغير المسلمين أنّ الإسلام قادر على حلّ مشاكل البشريّة، فيحتاج أن نأتي

في كلّ زمان ونرى ما هي المشاكل التي تواجه المسلمين والبشريّة،
وعلى علماء الدّين أن يذكروا الحلول لهذه المشاكل .

مثلاً في زمان من الأزمنة كانت عند المسلمين مشكلة تنجّس آبار
المياه، فإذا سقطت نجاسة في البئر هل تنتجّس أو لا تنتجّس ؟ وإذا
تنجّست كيف يمكن تطهيرها ؟

والآن يمكن أن نفتح درساً عن كيفية تطهير الآبار، ولكن هذا
الدّرس لا يكون نافعاً؛ لأنّه لا يوجد ابتلاء بهذه المشكلة في زماننا،
نعم قد توجد آبار في بعض المناطق في أفريقيا، ولكن في العالم بشكل
عامّ لا توجد آبار، بل لا بدّ من أن نفتح درساً عن تنجّس المياه
الموجودة في الحنفيّات وتنجّس خزّانات الماء على أسطح البيوت
وكيفية تطهيرها، مثلاً إذا سقط طير ومات في الخزان كيف يمكن
تطهيره ؟

وبعض المشاكل انتهت ولا يوجد ابتلاء بها في زماننا، فلا نبحت
فيها، ولكن توجد مسائل جديدة، كمسألة الاستنساخ والتلقيح
الصنّاعيّ بماء الأجنبي، هل يجوز أو لا يجوز ؟

ومسألة التّرقيع بجلد الخنزير مثلاً، هل يجوز أو لا يجوز ؟

هذه وأمثالها من المسائل المستحدثة هي البحوث الحيويّة التي
يحتاجها المسلمون والبشريّة، والآن الغرب يصلون إلى أمور جديدة،
والفكر الإسلاميّ لا بدّ من أن يجيب عليها، والمؤمنون يرسلون
الأسئلة إلى مراجع الدّين، ويجب المراجع عليها، وأحياناً قد يتأخّر

المرجع بالجواب؛ لأنّ المسألة مستحدثة، ويريد أن يعرف ماهية هذا الأمر بشكل دقيق؛ حتى يمكنه أن يجيب، وعملية البحث في أحكام المسائل المستحدثة ليست عملية سهلة .

وتجد أحد الشّباب يقول : أنا قرأت روايةً، وهذه الرواية هي حلّ لهذه المسألة المستحدثة، فلماذا يتحير الفقهاء ويتأخرون في الجواب ؟
يظنون أنّ الأمر سهل في استنباط الأحكام الشرعيّة، وجد روايةً وتنتهي القضية، ولا يعرف أنّ البحث في الرواية يكون من حيث السند ومن حيث المتن، ويبحث الفقيه في الروايات المتعارضة، وكيفية حلّ التّعارض بين الروايات، وكلّها بحوث تبحث في أصول الفقه قبل المجيء إلى علم الفقه والبحث في نفس الرواية، والبحث لا يقوم على آية واحدة أو رواية واحدة فقط، فتوجد بحوث قبل الدّخول في نفس الآية أو الرواية، والعالم يجمع جميع الآيات والروايات التي تتحدّث عن نفس الموضوع، ويرجع إلى سيرة المشرّعة والسيرة العقلانيّة في نفس الموضوع، وبعد البحث الطّويل في الأدلّة يقول : يجوز أو لا يجوز .

ونشبه ذلك بأمر عرقيّ، فحينما تتناول وجبة الغداء فأنت تأكل الطّعام وهو جاهز، واذهب إلى المطبخ وسترى أنّ الطّبّاخ يجهّز ما يحتاجه من اللّيل ويعمل من الصباح، وفي آخر المطاف أنت تأكل الطّعام جاهزًا .

كم ساعة استغرقها الطّبّاخ في إعداد هذه الوجبة ؟ وكم الجهد الذي بذله حتى يكون الطّعام جاهزًا في السّاعة الثّانية ظهرًا ؟ وكم

عامل ساعده في الإعداد ؟ وكم ساعة استغرقها في السوق حتى يشتري الأطعمة التي يحتاجها في الإعداد ؟

يأخذ الطعام جاهزاً، ولا يأتي إلى ذهنه خلفيات إعداد الطعام من الوقت والجهد المبذول، وبكل سهولة ينقد ويقول : هذا الطعام ينقصه الملح .

وهكذا الفقهاء كم من الوقت والجهد الذي يبذلونه لكي يقدموا لك المسألة الشرعية جاهزة، ويأتي شخص ويقول بكل سهولة : لقد أخطأ الفقيه في المسألة، لو أنه قال حكماً آخر لكان أفضل .

وبعض الفقهاء يقولون : تأتينا بعض الاستفتاءات في المسائل المستحدثة، ونظّل أشهر ونحن نبحث عن الجواب .

نعم المسائل التقليدية عن الوضوء والصلاة والصيام وغيرها إجابتها لا تستغرق ثواني، ولكن المسائل المستحدثة تحتاج إلى بحوث طويلة حتى نصل إلى الجواب، فالمرجع يريد أولاً أن يتصور المسألة بدقة حتى يجيب عنها بدقة .

وترى شخصاً يدعي المرجعية يصل إليه الاستفتاء في مسألة مستحدثة، وتجد أنه خلال دقيقتين يصل إلى الجواب، وبسرعة يعطي الجواب، ولكن ما هي أدلته ؟

هو يجيب على أساس الاستحسانات، ومن يدعي المرجعية لا يقوم بهذا البحث الطويل، ولا يريد أن يظهر أمام الناس أنه لا يعرف الجواب، ولا يقول : لا أعلم .

فيعطي أيّ جواب، والأمر سهل عنده إذا قال : يجوز، أو قال : لا يجوز .

والمرجع الحقيقي يبحث عدّة أسابيع أو أشهر حتى يحصل على الجواب، ولا يهتمّ ما يقول النَّاس عنه، فالمهمّ أن يكون مبراً الذمّة أمام الله عزّ وجلّ، وسوف يحاسبه الله على جوابه، ويسأله تعالى عن الدليل الذي أدّى به إلى هذا الحكم بالجواز أو عدم الجواز .

والعلماء ينشرون الفكر الديني في الأمة المسلمة والأمم غير المسلمة، لذلك نحتاج إلى ترجمة الكتب، والترجمة تحتاج إلى متخصصين، لا أن نأتي إلى طالب في الجامعة في سنة أولى أو سنة ثانية يدرس اللّغة الفرنسيّة، ونطلب منه الترجمة من العربيّة إلى الفرنسيّة، بل لا بدّ من أن نذهب إلى دكتور متخصص في اللّغة الفرنسيّة، ونطلب منه الترجمة الدقيقة، وأحد الطّلبة من الجزائر قال بأنّه رأى كتاباً مترجماً إلى الفرنسيّة، ورأى أنه مكتوب فيه "الله غير موجود" بدل أن يترجم إلى "الله موجود"، وفهمت منه أنّه يوجد حرف يغيّر المعنى إلى النقيض، فنحتاج إلى دكاترة متخصصين في الترجمة إلى اللّغات الأخرى، والترجمة تحتاج إلى ميزانيّة؛ لأنّها تكلف كثيراً، فالمتخصص يطلب مبالغ أكبر، وبذلك ينتشر الفكر الدينيّ بين الشعوب الأخرى غير العربيّة، وإذا قرأوا هذه الكتب ستنشأ عندهم أسئلة وشبهات وإشكالات، وحتىّ الشباب المسلم تنشأ عندهم تساولات، ويحتاجون إلى الإجابة عن جميع الأسئلة والشّبهات والإشكالات، ولا ينجّل الإنسان من

طرح أيّ سؤال عن أيّ موضوع ديني، نعم بعض المعمّمين حينما يطرحون عليه أسئلة كثيرة أو يشكّلون عليه قد يغضب ويمشي، فابحث عن العالم الذي يتّصف بسعة صدره وناقشه في أيّ شبهة، وافتح الحوار معه، وعنده استعداد أن يجلس معك لعدّة ساعات، ولا تترك الشبهات تسيطر عليك، ولا توجد عندنا خطوط حمراء .

وفي بعض المذاهب يقول العلماء لأتباعهم : لا تسأل .

وأما في مدرسة أهل البيت عليهم السّلام فيقول العلماء : اسأل وفكّر، ويمكنك السّؤال عن أيّ شيء حتّى لو كان السّؤال عن الله سبحانه وتعالى .

اسأل حتّى تحصل على العلم والمعرفة .

اسأل : ما معنى صفات الله عين ذاته ؟

قد تحصل عندك شبهة من أنّ صفات الله زائدة على الذات الإلهية، ولا بدّ من أن تحصل على الجواب، فالله عزّ وجلّ واحد، وهذه الصّفات هل تتركّب مع الواحد ؟

وهذا يحتاج إلى دراسة علم العقائد مع أحد العلماء حتّى تحصل على الأجوبة، وكذلك تحتاجون إلى دراسة علم الأخلاق والرّسالة العمليّة؛ حتّى يمكنكم أن تحصلوا على الأجوبة في المسائل المختلفة .

وكتب علماء الدّين ستنتشر بين النّاس في العالم، ومقدار من هذا الانتشار حاصل في الإنترنت، فالآن دروس العلماء ومحاضراتهم ومؤلفاتهم في مختلف المجالات موجودة على الموقع الرسمي لكلّ عالم أو

على المواقع الأخرى، وفي مواقع المراجع تختار اللغة المناسبة من العربية أو الفارسية أو الإنجليزية أو الأوردو أو غيرها، والآن يوجد جهد مبذول على هذا الجانب، وأدخلنا هذا في العمل الاجتماعي؛ لأنّ العالم من المتصدّين اجتماعياً، فتارةً عالم يتصدّى اجتماعياً وتارةً أخرى بعض الشباب يتصدّون اجتماعياً، والعالم الذي ينشر الفكر الديني هو من المتصدّين اجتماعياً، ويحاول أن يحلّ المشاكل والتشبهات التي تطرح من داخل المذهب، ومن داخل الدّين من المذاهب الأخرى، ومن خارج الدّين من الأديان الأخرى أو الملحدين، ويحاول أن يصل إلى الأجوبة من القرآن الكريم والروايات الشريفة، فتنشر هذه الأفكار الدّينية، ونثبت للعالم أنّ الإسلام صالح لحلّ مشاكل البشريّة، مثلاً نظريّة العدل العالمي والعدالة الاجتماعيّة العالميّة لا بدّ من أن تُوضّح للعالم؛ حتّى تعرف الشعوب الشّرقية والغربيّة معالم الإسلام، ويعرفون أنّه توجد عندنا نظريّات دينيّة لحلّ مشاكل البشر، والإرهابيون شوّهوا الإسلام، فلا بدّ من أن يرى النّاس النّظريّات الدّينية المختلفة في جميع المجالات المعرفية والعملية ليدركوا أنّ الإرهابيين لا يمثلون الإسلام، ويصلون إلى أنّ حلّ مشاكل البشر محصور في الدّين الإسلاميّ، ونشر الفكر الدّينيّ يساهم في إعداد الأرضيّة لظهور الإمام عليه السّلام، وبعض الأشخاص يدخلون في الإسلام نتيجة لهذه الكتب، مثلاً كتاب المراجعات للسّيّد عبدالحسين شرف الدّين رضوان الله عليه كم من النّاس تشيّعوا بسبب هذا الكتاب؟

واسأل أيّ متشيع سترى أنّه قرأ هذا الكتاب، كتاب واحد، فمن وفاة السيّد شرف الدّين رضوان الله عليه إلى يومنا هذا وبركات الكتاب مستمرة، فمثل هذا الكتاب حلّ مشكلةً عند أتباع الإسلام من المذاهب الأخرى، ولكنّ السيّد الشهيد محمّد باقر الصّدر والشيخ الشهيد مرتضى المطهريّ رضوان الله عليهما كتبهما تنفع أتباع الإسلام وأتباع غير الإسلام، فكانا يناقشان الفلسفات الأخرى، ففتحا خطأً مع المدارس الفلسفيّة الأخرى والفكر الفلسفيّ الآخر، فحلّوا المشاكل من هذه النّاحية، طبعاً كتب السيّد الشهيد والشيخ الشهيد رضوان الله عليهما كتب جيّدة ونافعة للمؤمنين وللمسلمين بشكل عامّ ولأتباع الأديان الأخرى أيضاً، وإذا اطّلع الشّباب عليها فسيستفيدون كثيراً منها، نعم بعض الكتب هي للمتخصّصين لا للاطّلاع العامّ؛ لأنّها تحتاج إلى مقدّمات منطقيّة وفلسفيّة، ولكن بشكل عامّ يمكن للشّباب قراءة كتب الشّهيدين، ومن يريد أن يدخل إلى الفكر الدّينيّ لا بدّ من أن يطّلع على كتب هذين العالَمين، ولا يمكن لشخص أن يقول عن نفسه بأنّه "مفكّر إسلاميّ" بدون أن يقرأ كتب الشّهيدين، لذلك أدعوكم إلى الاطّلاع على كتبهما وقراءتها قراءةً دقيقةً .

ونحن عندنا رسالة عالميّة، وأوّلًا لا بدّ من أن نفتنح أنّ بأيدينا جوهرة، ولا بدّ من أن ندرك أنّ الإسلام عبارة عن جوهرة ثمينة لا تُقدّر بثمن، وبعد ذلك نريد أن ننشر جواهر الفكر الدّينيّ في العالم بحيث إنّ أتباع الأديان الأخرى يعرفون هذه الجواهر، ولا نترك المجال

للإرهابيين ليشوّهوا الإسلام، ولا بدّ من أن نتصدّى لبيان معالم ديننا، ونثبت أنّ الإسلام يدعو إلى السّلام العالميّ، والإسلام مشتقّ من السّلام، والسّلام اسم من أسماء الله تعالى، والأصل في الدّين هو السّلام، والنّبّي صلّى الله عليه وآله مع الطّلقاء كان من الممكن أن يقتلهم جميعًا، ولو فعل النّبّي صلّى الله عليه وآله ذلك لقليل بأنّ الإسلام دين القتل والإرهاب، ولكنّ النّبّي صلّى الله عليه وآله قال : اذهبوا فأنتم الطّلقاء؛ حتّى يبيّن بأنّ الأصل في الدّين هو السّلام لا الحرب والقتل والقتال، فالقتال في الإسلام أمر استثنائيّ، والإمام المهديّ عليه السّلام سيدخل الحرب مع أعدائه، ولكنها حرب استثنائيّة، فأعداؤه سيبدأون بالحرب والقتال، ولو أنّهم سلّموا لما حاربهم، والإمام عليه السّلام سيطبّق الاستثناء بسبب الطّروف، وبمجرّد ما ينتهي من أعدائه سيبدأ بنشر العدل والسّلام في العالم، فتخرج المرأة العجوز من الشّرق إلى الغرب لوحدها، ولا يتعرّض لها أحد بسوء، فالسّلام سيسود العالم .

إذن :

الأطروحات الفكرية في الإسلام حينما نعرف بأنّها صالحة لكلّ زمان ومكان فإنّنا نكون مستعدّين للتّضحية في سبيلها، ومن يريد أن يكون من الأنصار أوّلاً لا بدّ من أن يكون مقتنعًا بالإسلام، وأمّا إذا كان عنده شبهات ولا يدري أنّ هذا الدّين صالح لحلّ مشاكل البشرية فهذا الشّخص ليس مؤهّلًا لأن يكون من الأنصار، فالأنصار

هم القمم في الدين، لذلك ترون في كلّ زمان أنّ المتصدّين في القضايا
الدينيّة ليسوا أناسًا عاديّين، مثلًا ترى أبا ذرّ وعمارًا بن ياسر وسلمان
المحمديّ يتصدّون، أو أصحاب الأئمة عليهم السّلام على مرّ التّاريخ،
وسابقًا المتصدّون كانوا القمم، ولكن في زماننا نرى أنّ كلّ شخص
يتصدّى حتّى لو لم يكن مؤهّلًا للتّصدّي، ولكن في الأزمنة السّابقة
كان المؤهّلون هم المتصدّين، وراجعوا التّاريخ لتروا أنّ المتصدّين
اجتماعيًا أو سياسيًا لا يكونون من المؤمنین العاديّين، وانظروا إلى
الأسماء التي حفظها التّاريخ، وفي زماننا أشخاص غير مؤهّلين يتصدّون
اجتماعيًا أو سياسيًا، ولا يراجع نفسه ليرى أنّه مؤهّل أو غير مؤهّل،
وعلماء الدين ترى أنّ بعضهم يتصدّون سياسيًا والبعض لا يتصدّون؛
لأنّ العالم إذا لم يرّ نفسه مؤهّلًا للتّصدّي السياسيّ فلا يتصدّى، مثلًا
الإمام الخمينيّ رضوان الله عليه تصدّى سياسيًا؛ لأنّه كان مؤهّلًا
للتّصدّي، وبعض العلماء يكونون مؤهّلين للتّصدّي، ولكنّ الظروف
السياسيّة التي يعيشونها لا تسمح لهم بالتّصدّي، ومع سماح الظروف
بالتّصدّي ترى أنّ عالما يتصدّى وعالما آخر لا يتصدّى، وكلّ عالم
يعرف تكليفه الشرعيّ، وأيّ شخص يريد أن يتصدّى لا بدّ من أن
يحمل مواصفات معيّنة، والمواصفات المعيّنة تكون من حيث الإيمان
ومن حيث العلم ومن حيث العمل ومن حيث الاستعداد للتّضحية،
ومن يريد أن يتصدّى لا بدّ من أن يعرف شروط العمل الاجتماعيّ
والعمل السياسيّ ومقدماته وشروط العامل قبل الإقدام على العمل،

فيكون سلمان زمانه أو أبا ذرّ زمانه أو عمّار زمانه، وقد ترى شخصاً يكون مديرًا لمؤسسة دينيّة، ولكن في تعامله مع النّاس لا يكون على أساس الدّين والأخلاق، فالمتصدّي أوّلاً لا بدّ من أن يعتقد بأنّ الإسلام دين عالميّ ورسالة عالميّة، وثانيًا يكون مستعدًّا للتّضحية في سبيل هذه الرّسالة العالميّة، والاستعداد للتّضحية ضروريّ لمن يريد أن يصبح من الأنصار، ولا بدّ من أن يهيئ نفسه للتّضحية إذا حان وقت التّضحية .

الاستعمار الجديد :

الملاحظ في زماننا أنّ المستعمر المستكبر لا يستعمل الأسلوب العسكريّ، وإنّما يستعمل الأسلوب الفكريّ والثّقافيّ، فيأتي إلى الاستعمار الفكريّ والثّقافيّ .

وترى شخصًا يظهر عليه أنّه مسلم، ولكنّه يؤمن بالنّظريّة المادّيّة، وتعامله مع الحياة على أساس المادّة لا على أساس أنّ الله سبحانه يدخل في المعادلة، ولا تكون حساباته حسابات إلهيّة، وإنّما يحسب كلّ شيء في حياته بالحسابات المادّيّة، فيحسب كم يدخل عليه من الأموال إذا قام بهذا العمل، ولا يراعي الحلال والحرام، وأحيانًا يوجد شخصان يصلّيان في نفس المسجد، ولكن بينهما مشاكل ماليّة، والقضيّة موجودة في المحكمة، والشّخصان المتديّنان الملتزمان بأحكام الدّين لا يحتاجان إلى المحكمة، والدّين قادر على حلّ المشكلة بينهما، وتحتاج إلى المحكمة مع شخص لا يعتقد بأحكام الدّين، فيمكنهما

الذّهاب إلى أحد العلماء لحلّ المشكلة بينهما، وعادةً المشكلة الماليّة فيها حقوق وواجبات على الطّرفين، وتشخيص الموضوع سهل، ففي هذه الشّركة كم كانت نسبة مشاركة الطّرف الأوّل ونسبة مشاركة الطّرف الثّاني، وكم نسبة العمل من الطّرفين، ويمكن حساب نسبة حقّ كلّ طرف، وتنتهي المشكلة، ولكن تأتي المشكلة حينما يريد أن يستولي طرف على حقّ الطّرف الآخر، وفي قرارة نفسه يعلم أنّه ظالم، ولكن استحوذ عليه الشّيطان فأنساه ذكر الله تعالى، ويغفل عن أنّ هذه الدّنيا فانية، وأنّه مُقَدِّمٌ على الحساب في البرزخ والقيامة .

والأسلوب الفكريّ الثّقافيّ هو الذي أخذ به الاستعمار الجديد في زماننا، فيدخل إلى المسلمين من خلال قصّة شعر، ويرون أنّ الشّباب المسلمين في المجتمع إلى أيّ حدّ يتجاوب مع قصّة الشعر أو لباس معيّن، وي طرحون نماذج وقذوة من خلال مطربين أو ممثّلين، ويرون أنّ الشّباب المسلمين كم يتفاعلون مع هؤلاء، و يقيمون المهرجانات الغنائيّة مع الرّقص ويأتون بمطربين أجنب حتّى يروا تجاوب الشّعوب المسلمة مع هذه المهرجانات، ومن خلال دراستهم عن الشّعوب يمكنهم الدّخول إلى المجتمعات المسلمة بأمر أكبر من قصّة شعر أو لباس أو مهرجان غنائيّ، وتدرّجياً يقومون بحرف الفكر الإسلاميّ إلى الفكر المادّيّ، والشّباب لا يعي ذلك، ويظنّ أنّه فقط يلبس قميصاً عليه كلمات إنجليزيّة أو رموز وشعارات غربيّة، ولا يعرف معاني هذه الكلمات والرّموز والشّعارات، كرموز وشعارات عبدة الشّيطان، ولا

بدّ من أن ينضج المسلمون فكرياً وثقافياً؛ حتى يمكنهم التمييز بين الحقّ والباطل، وقد يدخل في الحرام كوجود الصليب على قميصه، وشعارات بعض الفرق الرّياضيّة فيها صليب، والشّابّ يلبس شعار هذه الفرقة ولا يلتفت إلى الصليب، ولا يلتفت لأنّه لا يفكر في الحقّ والباطل، وتدرّجياً من الممكن أن ينسحب إلى أمور أخرى، والبعض من الشّباب يقولون بأنّه ما المشكلة في شعارات الفرق الرّياضيّة حتى لو كان يحتوي على صليب، فنقول بأنّ هذا الشّعار لا يمثّل الإسلام وأنّ تقول عن نفسك بأنك مسلم، وإنّما يمثّل ديناً آخر، فيأخذ الشّعار ولا يشعر بوجود مشكلة، وهذا يدلّ على عدم اعتقاده التّام بالإسلام، فلا نحتاج إلى أخذ رموز وشعارات من أديان أخرى، وفي الأحكام الشرعيّة يوجد حكم حرمة بعض الرموز التي تمثّل الأديان الأخرى، مثلاً اليهود عندهم رموز معيّنة أو يلبسون لباساً معيّناً، فيحرم على المسلم أن يأخذ بهذا الرّمز أو يلبس هذا اللباس، والإسلام يريد من المسلمين أن يتميّزوا عن أتباع الأديان الأخرى، وبعض الفقهاء سابقاً كانوا يفتون بجرمة لبس "الكرافته"، وحرّموه لأنّه كان رمزاً للاستعمار الغربيّ في ذلك الزّمان، فحرّموه من هذه الجهة، وإذا لم يكن رمزاً في زمان آخر فلا يكون حراماً، ففي كلّ زمان أو مكان قد توجد رموز وشعارات لا تمثّل الإسلام، فتكون حراماً، وشابّ قد يتعلّق بمطرب أو ممثّل أو لاعب، ويضع صورته في نقّاله، ولو تسألته: لماذا أنت متعلّق بهذا الشّخص مع أنّه لا يمثّلك وأنّك مسلم؟

فلا يوجد عنده جواب مقنع .

ولا بدّ من أن يلتفت المسلمون إلى أنّ الرّموز التي لا تمثّل دينهم لا يتعلّقون بها، واسأل نفسك : ما هو دين هذا اللّاعب ؟ وما هي أخلاقه ؟ وهل شرب الخمر عنده حلال ؟ وهل الرّنا عنده حلال ؟ هو يرتبط برمز يحلّل الحرام، وإذا كان الإنسان مسلّمًا فلا يتّخذ هذه الرّموز الباطلة، وإمّا يتّخذ الرّموز التي تمثّل دينه .

في زماننا يعيش المسلمون الغزو الفكريّ والثّقافيّ، فنحتاج إلى مواجهة فكريّة ثقافيّة، والآن الدّورات الشّبائيّة تقوم بهذه المهمّة على مستوى العقائد والأخلاق والفقّه العمليّ والسّيرة، ولكن كوادرات الدّورات والعاملين فيها لا بدّ من أن تقام لهم دورات خاصّة، لكي يتعرّفوا على الفكر الدّيني لا فقط على مستوى أنّه يقوم بتدريس العقائد أو الأخلاق أو الرّسالة العمليّة، ويستمرّ عشرين سنة في تدريس هذه الموادّ، ولا يتطوّر فكريًّا، والمشاركون في الدّورات لا بدّ من أن يتعلّموا أكثر، وأن لا يكتفوا بالمعلومات الموجودة عندهم، بحيث فيما بعد يصبح مؤهّلًا لمواجهة الفكر الغربيّ، وهذا يحتاج إلى عمل، فأوّلًا لا بدّ من أن يقتنع أنّ الوصول إلى الكمال العلميّ أمر مهمّ، وثانيًا أنّ الوصول إلى الكمال العمليّ أمر مهمّ أيضًا، فيسعى إلى الكمالين، وإذا لم يهتمّ بالكمالين فيظلّ يعمل في الدّورات سنوات طويلة، ولكنّه لا يتطوّر لا علميًّا وفكريًّا وثقافيًّا ولا ينمو عمليًّا، ويظلّ على نفس المستويين العلميّ والعمليّ طوال عمره، وآخر شيء ترى

أنه شاب شَعْرُهُ وتقاعد من العمل في الدورات الشبائية ولم يتغيّر وضعه العلميّ والعملّي، هذا إن لم ينزلا عنده، فدخل في الدورات ببعض المعلومات والصفّات والأعمال، وخرج منها بعد سنوات طويلة بنفس المعلومات والأفكار ونفس الصفّات ونفس الأعمال، ولا بدّ من أن ينمو الشّخص فكريّاً وعلميّاً ويتطوّر عمليّاً، ومن الضّروري للمشاركين في الدورات الشبائية أن يهتمّوا بالتّمتين العلميّة والعملّيّة، ويحتاجون إلى الارتباط بالعلماء الذين يعطونهم هذين الجانبين، ومن الضّروري أن يوجد عالم يشرف على أعمال الدّورة؛ حتّى يضمن الشّباب أنّ أعمالهم تسير ضمن الخطّ الصّحيح للدين، بالإضافة إلى نموّهم العلميّ والعملّي، ويحضرون دروس هذا العالم ومحاضراته، ويحضر اجتماعاتهم حتّى يوجّههم إلى الأعمال الصّحيحة، ويعطيهم النّصائح والمواعظ التي تنمّيهم، ويستمعون أيضاً إلى محاضرات العلماء في اليوتيوب أو في القنوات الفضائيّة .

إذن :

الآن مواجھتنا مع الاستعمار هي المواجهة الفكرية والثّقافية، والفكر الرّسماليّ هو المسيطر في العالم، والرّسماليّة عمرها مائتا سنة تقريباً أو أكثر من ذلك، ويحتاج المسلمون إلى الرّدّ على النّظرية الرّسماليّة، والرّسماليّة لحدّ الآن لم تحلّ مشاكل البشريّة، بل هي أصبحت مشكلةً وعقبةً في طريق البشريّة، ونجد أنّه في عقر دارهم خرجت المظاهرات للتّدييد بالرّسماليّة، والمسيطرون على رؤوس الأموال في العالم يشكّلون

نسبة ١% فقط من سكاّن العالم، و ٩٩% بالمائة من سكان العالم لا يملكون إلا القليل، فتوجد طبقة الأغنياء وطبقة الفقراء، والفقراء والكادحون يشكّلون أغلبية سكاّن العالم، والرأسماليّ هدفه أن يكسب الأموال بكلّ طريقة، ولا يهتمّ أن يموت شخص أو يعيش، فإذا مات أحد العمّال أو أصيب أثناء العمل يأتي بعامل آخر مكانه، ولا تهتمّه الطّريقة التي يكسب بها الأموال أنّها مشروعة أو غير مشروعة، وتوجد بعض المظاهر في المجتمع الرأسماليّ، مثلاً ارتفاع نسبة الجريمة، ولكنّ المشكلة ليست في كثرة الجرائم عندهم، فكثرة الجرائم موجودة أيضاً في مجتمعات المسلمين، بل لا بدّ من أن نأتي إلى أسس الفكر الرأسماليّ، ونأخذها من كتبهم التي يعتمدون عليها، ولا نأخذها من كتب الذين ردّوا عليهم، فلا نأخذ أسس الفكر من الطّرف المعادي المناوئ .

مثلاً في إحدى الفضائيات في مقابلة مع من يُطلَق عليه "مفكّر إسلامي"، ويتكلّم عن الشيعة، فيقول إنّ الشيعة يعبدون القبور، فإذا كان مفكّراً إسلامياً فكيف يقول بهذا القول؟! ألا يعرف أنّ الشيعة لا يعبدون القبور ولا يعبدون التّربة التي يسجدون عليها ولا يقولون :
خان الأمين ؟

ويطلّ اسمه "مفكّر إسلامي" أو "متخصّص في دين الشيعة"، فكيف لا يبحث المفكّر والمتخصّص لأجل الوصول إلى الحقيقة؟!
ومن يريد أن يتصدّى فكرياً فالآن مواجعتنا الرّئيسة هي المواجهة مع النّظريّة الرأسماليّة، ولا بدّ من أن نعرف أسس الفكر الرأسماليّ،

وهذا من تخصص العلماء لأجل الردّ عليها، والفكر الرّاسميّ لم يستطع أن يحلّ مشاكل البشر، بل أضاف مشكلةً إلى مشاكلهم، ولا بدّ من أن نبين النّظرية المقابلة وهي النّظرية الإسلاميّة في حلّ المشاكل العالميّة، ولا يمكن حلّ المشاكل العالميّة إلّا بناءً على مدرسة أهل البيت عليهم السّلام، اعتمادًا على القرآن الكريم والنبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطّاهرين من السيّدة فاطمة الزّهراء عليها السّلام والأئمّة عليهم السّلام، والقرآن كامل وهو الموجود بين الدفتين، ولا يوجد فيه تحريف أو نقص أو زيادة؛ لأنّ الله عزّ وجلّ تكفل بحفظه .
يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

"إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" (١) .

وعلماء مدرسة أهل البيت عليه السّلام قاموا بجهد جبّار في فهم القرآن الكريم وحفظ الروايات الشّريفة وفهمها، نعم في مجال نفس المدرسة وفي مقابل المدارس الأخرى بذل العلماء جهودهم، ولكن في مجال الأديان الأخرى والأفكار البعيدة عن الإسلام قليل من العلماء في كلّ زمان يتصدّون لها، مثل السيّد الشهيد الصّدر والشّيخ الشهيد المطهريّ رضوان الله عليهما تصدّيا لهذه الأفكار، ونحتاج في كلّ زمان إلى من يتصدّى للأفكار الغريبة عن الإسلام .

والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيبين الطّاهرين .

(١) الحجر : ٩ .

أسئلة وتعليقات الحاضرين :

المهندس فوزي الصّراف :

توجد إضافات للحديث السابق الشّيّق، بالنّسبة للعمل الاجتماعيّ يوجد في بلدنا عمل اجتماعيّ كبير، والفسحة الاجتماعيّة مفتوحة خلال المائة سنة السّابقة، ولكننا لا نرى أيّ نتيجة، ومن الأمور أنّ الدّيوانيّات التي يتناولون فيها القضايا العقائديّة لا نرى أنّ هناك أيّ نتيجة .

والقرآن تكلم عن هذا الموضوع، وإحدى الأدوات التي تكلم عنها القرآن هي :

"قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَىٰ وَفَرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا .
.. " (١) .

والمفهوم العامّ هو أنّه إذا أردنا أن نصل إلى نتيجة معيّنة فأول شيء هو أن يكون القيام لله تعالى، وثانيًا أن يوجد اثنان أو واحد؛ لأنّ المهرج والمرج الذي نراه في الدّيوانيّات لا نخرج منه بنتيجة، واثنان يكونان بنفس المستوى ونفس الهدف حتّى يطرحا أفضل فكرة، فالطرف الأول يطرح فكرة، والطرف الثاني يطرح فكرة مثلها أو أفضل منها، ويخرجان بالأفضل .

والقرآن الكريم يقول :

"الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ

(١) سبأ : ٤٦ .

وَأُولَئِكَ هُمُ أَوْلُو الْأَلْبَابِ" (١) .

القيام مثني أو فرادي ثم التّفكّر .

وينقل عن السيّد الشهيد الصّدْر أنّه قال إنّهُ يقرأ ١٠%، ويفكّر ٩٠% .

والشيخ أشكناني تكلم عن الأفكار الغريبة، وروجيه جارودي المفكّر الفرنسيّ الذي أسلم في الثمانينيّات عنده عدّة مؤلّفات، وكان عضواً مؤسساً في الحزب الشّيعيّ، وعبدالوهاب المسيريّ عنده موسوعة الصّهيونيّة، وروجيه جارودي عنده عبارة جميلة جدّاً قال :
الثّقافة الغريبة وغاياتها ومقاصدها .

وأريد أن أعطي مثلاً، في سنة ١٩٨٤ حينما اشتدّت الحرب العراقيّة الإيرانيّة، وكان يوجد فيها كثير من التّضحيات من قبل الجانب الإيرانيّ، وانبهر العالم به، وحينما رأى بعض الفرنسيّين هذا الأمر فكّروا أن يصوّروا الفيديو كليب، والفيديو كليب صرعة جديدة في الأغاني حتّى تغطّي على الأمر الذي من الممكن أن يملأ الفراغ ويعمل هزّة في العالم، كما اهتزّ العالم في أيّام الثّوار الشّيعيّين الفيتناميّين في السّتينيّات، وأراد الفرنسيّون تقديم البديل وهو الفيديو كليب .

سؤال من أحد الشّباب الحاضرين :

قلتُم بأنّ الشّباب الذين يدخلون مجال المراكز الإسلاميّة يدخلونها بفكر معيّن قد يكون سلبيّاً، وبعد مرور فترة طويلة يخرج منها وهو

(١) الزّمر : ١٨ .

يملك نفس الصّفات السّلبية، فإذا فكّر الشّخص أن يطرّ من نفسه
فهل القراءة لوحدها كفيلة بأن يتطرّ فكرياً ؟

جواب الشيخ محمّد أشكناني :

بالقراءة لوحدها لا يمكن أن يتطرّ الإنسان فكرياً، لا بدّ من أن
يكون عنده اتّصال ببعض العلماء، وهذا الأمر ضروريّ؛ لأنّ الشّابّ
قد يقرأ وتنشأ عنده بعض الشّبّهات والإشكالات، وخاصّةً إذا كان
يقرأ في علم العقائد، ففي علم العقائد لا يقرأ الشّابّ لوحده بدون أن
يدرس على يد أستاذ، والأستاذ لا بدّ من أن يفتح المجال لأسئلة
الشّباب ويجيب عليها، فيخرج من الدّرس وقد أجاب الأستاذ على
جميع أسئلته وإشكالاته، وبعض الإشكالات والشّبّهات إذا ظلّت في
الدّهن بلا أجوبة فمن الممكن أن تتطرّ بحيث تؤدّي إلى الإلحاد
وعدم الاعتقاد بوجود الله سبحانه، مثلاً قد تأتي شبهة في معنى
القضاء والقدر، فيفهمون معنى الجبر، فلا يصلّي، ويقول ما دام أنّ
الله يجبر النّاس على ما يفعلونه فالله أجبرني على ترك الصّلاة، وفي
مدرسة أهل البيت عليهم السّلام القضاء والقدر لا يرّد عليه إشكال .
قال بعض أصحاب الإمام الرّضا عليه السّلام : رويّ لنا عن
الإمام الصّادق عليه السّلام أنّه قال : " لا جبر ولا تفويض، بل أمر
بين أمرين"، فما معناه ؟ قال الإمام الرّضا عليه السّلام : "من زعم أنّ
الله فوّض أمر الخلق والرّزق إلى عباده فقد قال بالتفويض". قلت : يا
ابن رسول الله، والقائل به مشرك ؟ فقال عليه السّلام : "نعم، ومن

قال بالجبر فقد ظلم الله تعالى" . فقلت : يا ابن رسول الله، فما أمر بين أمرين ؟ فقال عليه السلام : "وجود السبيل إلى إتيان ما أمرُوا به، وترك ما نُهوا عنه" . قال : وقد قال له رجل : إنّ الله تعالى فوّض إلى العباد أفعالهم ؟ فقال عليه السلام : "هم أضعف من ذلك وأقل" . قال : فجبرهم ؟ قال عليه السلام : "هو أعدل من ذلك وأجل" . قال : فكيف تقول ؟ قال عليه السلام : نقول : "إنّ الله أمرهم ونهاهم وأقدرهم على ما أمرهم به ونهاهم عنه" (١) .

وسأل الإمام الرضا عليه السلام الفضل بن الحسن بن سهل : الخلق مجبورون ؟ قال عليه السلام : "الله أعدل من أن يجبر ويعذب" . قال : فمُطْلَقُونَ ؟ قال عليه السلام : "الله أحكم من أن يهمل عبده ويكله إلى نفسه" (٢) .

قبل مدّة جاء أحد الشّباب وأراد النّقاش، وقال بأنّه يعتقد بالله تعالى، ولكن عنده إشكالات في موضوع القضاء والقدر، وأنّ عنده مشكلة عقائديّة، ولا يستطيع أن يصلّي إذا لم تنحلّ هذه المشكلة، وناقش مدّة ساعة ونصف أو ساعتين تقريبًا، وقال بأنّه اقتنع، وأنني أجبت على إشكالاته .

وقال بأنّه ذهب إلى بعض العلماء، ولم يحصل على الإجابة منهم . والشّباب مساكين يحتاجون إلى سعة صدر، ولا بدّ من أن نحتضنهم

(١) بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٣٥٣-٣٥٤ .

(٢) المصدر السابق ج ٧٥ ص ٣٥٤ .

ونجيب على جميع أسئلتهم وإشكالاتهم بكلّ هدوء، وإذا لم نتعامل معهم بهدوء يحصل عندهم انطباع عن علماء الدين بأنهم لا يعطونهم مجالاً للسؤال والنقاش، واقترح أحد الشباب عليه أن يأتي عندي، وقد قال له بأنّ الشّيخ عنده سعة صدر، ويمكنك أن تسأل أيّ سؤال، وسيجيبك بكلّ هدوء، وحينما جاء تكلم كثيراً، وقلت له بأنّه يوجد عندي استعداد أن أجلس معك عدّة ساعات .

وقلت له : اطرح كلّ ما عندك، ولكلّ سؤال جواب .

وطرح أسئلته، وبدأت بالإجابة عن أسئلته، وفي النّهاية قال بأنّه مرتاح من النّقاش .

والشّباب عندهم أسئلة، ولا يصحّ أن نتركهم بلا أجوبة، إذا سمع محاضرة عقائديّة عن عصمة الأئمّة عليه السّلام يريد أن يعرف معنى العصمة؛ لأنّه لا يمكن أن يتصوّر إنساناً لا يخطئ، فيظنّ بأنّ العصمة بمعنى الإجماع على الفعل والتّرك، ويحصل عنده شبهة بأنّ الإمام عليه السّلام إذا كان مجبوراً على الفعل وعدم ارتكاب الحرام فالإنسان العاديّ يكون أفضل من الإمام عليه السّلام؛ لأنّ الإنسان العاديّ يفعل ولا يرتكب الحرام باختياره، وهذا إشكال من الشّباب، ونحن لا نقول بأنّ الإمام عليه السّلام مجبور، بل هم يفعلون ويتركون باختيارهم، فباختيارهم لا يرتكبون الحرام، مثلما أنت كإنسان عاديّ لا ترتكب الحرام في بعض الموارد، ولو كان أمام الإنسان العاديّ سمّ قاتل وقيل له بأن يشربه فإنّه لا يشربه، فيكون معصوماً من جهة

شرب السّم، وهذه عصمة في أمر واحد، وتكون عنده العصمة في شيئين وفي ثلاثة أشياء وفي ألف شيء، فالإنسان العاديّ عنده عصمة جزئية، ولكنّ الإمام عليه السّلام معصوم في جميع الأمور، فتكون عصمته عليه السّلام كليّة مطلقة، وفي كلّ إنسان يوجد جزء من العصمة، نعم الشّيطان شاطر، فيوسوس للإنسان بفعل الحرام، ونرمي كلّ شيء برأس الشّيطان، ولكنّ الإنسان مسؤول عن أفعاله، والشّيطان يوسوس ويزين الأعمال السيّئة، ودور الشّيطان الوسوسة فقط، والإنسان يتحرّك بإرادته، فيرتكب الحرام بإرادته، فإنسان يتعد عن المعاصي بنسبة ٦٠%، والبعض يتعد بنسبة ٧٠% أو ٨٠% أو ٩٠%، ولكنّ الإمام عليه السّلام معصوم عصمة كليّة مطلقة فيتعد عن المعاصي بنسبة ١٠٠%، فلا يرتكب أيّ معصية، والآن عندنا تصوّر عن العصمة المطلقة، والإنسان عنده عصمة جزئية، فلا يشرب الخمر ولا يزني، وقد لا يرتكب الكبائر، ولكنّه يرتكب بعض الصّغائر، والإمام عليه السّلام لا يرتكب الكبائر ولا الصّغائر، وهكذا تنحلّ مشكلة عدم فهم معنى العصمة .

ويمكن حلّ الإشكالات العقائديّة الأخرى بأمثلة بسيطة من حياة الإنسان العاديّ، ولكننا حينما نطرح موضوعاً فكريّاً عميقاً مع المصطلحات المعقّدة في المحاضرات فالشّابّ لا يمكنه أن يفهم ما يقوله المحاضر، مثلاً علّة ومعلول والحقيقة المحمّديّة، ويأتي بمصطلحات كثيرة، ولكنّ النّاس وخاصّةً طبقة الشّباب لا يستفيدون من هذه

المحاضرات، ولكلّ مقامٍ مقال، فنطرح المواضيع التي تنفع الحاضرين في المجالس حتى يستفيدوا منها .

والقراءة لوحدها لا تكفي، والقضايا الدّينية تتعلّمها على يد أستاذ عالم يسير معك خطوةً خطوةً، فيعطيك درسًا، وإذا فهمت ينقلك إلى درس أعلى، وتدرّيجًا يوصلك من نقطة إلى نقطة، والسؤال المهم هو أنّه إذا أراد الشّاب أن يقرأ فمن أين يبدأ ؟ وماذا يقرأ ؟
وأحد الشّباب طلب درسًا في العرفان، وهو لم يدرس أيّ درس سابقًا .

لماذا يريد أن يدرس العرفان ؟

لأنّه سمع أنّ العارف يعلم الغيب، وأنّه إذا رأى شخصًا فإنّه يعرف ما في نفسه وبم يفكر، وهو يظنّ بأنّ هذا هو العرفان .
قلت له : لا توجد مشكلة، ولكن أوّل درس نبدأ به هو دراسة الرّسالة العمليّة، فالعارف أوّل ما يبدأ به هو ضبط سلوكه الخارجيّ قبل الدّهاب إلى ضبط سلوكه الباطنيّ، وأوّل خطوة في العرفان هي السّلك الخارجيّ .

قال : يبدو أنّ الطريق طويل .

قلت : طبعًا، الطّريق طويل .

قال : إذن لا أريد أن أدرس .

على جميع المؤمنين أن يبدأوا بدراسة الرّسالة العمليّة حتى لو لم يصلوا إلى العرفان؛ لكي يعرفوا تكاليفهم الشّرعيّة العمليّة، وهو ظنّ

بأنّ دراسة العرفان أمر سهل، عليك أن تسير خطوةً بعد خطوةٍ إلى أن تصل إلى العرفان، ولن تصل إلى الأكمل تمامًا .

عند الشّباب تصوّرات خاطئة، فهو يريد أن يصل بسرعة، ويقال إنّ مسيرة الألف ميل تبدأ بخطوة، ولا يريد أوّل خطوة ولا ما بعدها من خطوات، وهو يريد أن يقطع الألف ميل بثانية واحدة، وهذا غير ممكن، ففي الحركة الخارجيّة المادّيّة الوصول إلى الهدف بسرعة غير ممكن، وفي الحركة الباطنيّة القلبيّة الأمر أصعب، ففي الحركة الباطنيّة تسير تدريجيًّا، ومن الممكن أن تصعد، ومن الممكن أن تنزل، أي يتكامل ويتسافل، فيقطع مرحلة معيّنة، وإذا لم يأت ببعض الأعمال فإنّه يرجع خطوات إلى الخلف، فلا بدّ من أن يسير خطوةً بعد خطوةٍ حتّى يتحرّك حركة باطنيّة قلبيّة تكاملية دائمة، ولا يرجع إلى الخلف، وهذا يحتاج إلى إشراف أستاذ متخصصّ في هذه الأمور؛ حتّى ينتقل المؤمن من درجة إيمانيّة إلى درجة إيمانيّة أعلى .

وبعض الإخوة الآخرين طلبوا درسًا في العرفان .

فقلت لهم : أنا نفسي لم أدرس العرفان لا العرفان النظريّ ولا

العرفان العمليّ، فأنا غير مؤهّل لتدريسكم العرفان .

والعرفان يعتبر تخصّصًا، فيحتاج إلى أستاذ متخصصّ في تدريسه،

نعم يمكنني أن أعطيكم بعض المقدمات، وبعد ذلك يمكنكم الدّهاب

إلى أستاذ متخصصّ في العرفان، وتستفيدون منه، والدّراسة تحتاج إلى

جهد ووقت، والعرفان ليس معلومات نظريّة فقط، وإتّما قضايا عمليّة

مرتّبة على القضايا النظرية، وإذا كنتم مستعدّين فيمكنكم أن تبدأوا معي، ولكنّهم لم يجيبوني ولم يبدو استعدادهم للبدء في دراسة مقدمات العرفان .

وذكرت سابقاً أنّ بعض الشّباب طلبوا دراسة كتاب العدل الإلهي للشيخ الشهيد مرتضى المطهريّ رضوان الله عليه، وجاءني مندوب عنهم .

قلت له : سأعطيكم منهجاً تصلون بعده إلى هذا الكتاب، وعندني شرط واحد، وهو أن تطلبوا العلم لأجل العمل، فتأخذون ١٠% من العلم وتأتون من العمل بمقدار ١٠% .

قال المندوب : نحن هدفنا الحصول على المعلومات .
ماذا ينفع الإنسان أن يدرس كتاباً ولا يحوّل المعلومات إلى عمل، لنفرض أنّك درست كتاب العدل الإلهي، وماذا بعد ذلك ؟ هل تصبح عادلاً أو لا ؟

بعض الشّباب يطلبون معلومات، ولا يطلبون العلم لأجل العمل، فيكون عنده معلومات، ويكون في مجلس ويتفلسف ببعض المعلومات الموجودة عنده، ويتكلّم في هذه الأمور .

وبعض طلبة الحوزة يكونون في سنة أولى، ولكنّهم يتكلّمون بكلمات لطالب يكون في بحث الخارج، فيستعملون المصطلحات التي لم يأخذوها حدّ الآن، ويحضرون دروس بحث الخارج .

مثلاً يكون جالساً مع بعض المعتمّين، فيقول بأنّ عنده سؤالاً،

ويطرح السؤال حتى يبيّن أنّه يفهم وعنده معلومات مع أنّه في أوّل فصل دراسي في الحوزة، ومرّت علينا نماذج مثل هذا الطّالب، ولكن آخر شيء يرجع إلى بلده، ولا يستمرّ في دراسته .
إذن :

يتعلّم الإنسان لأجل أن يعمل، ومن يتعلّم أكثر عليه مسؤوليّة إضافية، ومن يكون علمه أكثر لا بدّ من أن يكون عمله أكثر، والعمل ليس عملاً خارجياً فقط، فالعمل عملان : عمل خارجي ظاهريّ وعمل قلبيّ باطنيّ، والعمالان يسيران معاً، فتصلي صلاةً خارجيّةً ظاهريّةً، ولكن هناك صلاة باطنيّة قلبيّة تسير مع الصّلاة الظّاهريّة، ولا ينظر المؤمن إلى العمل الظّاهريّ فقط، والرّسالة العمليّة تتكفّل ببيان الحركة الخارجيّة الظّاهريّة فقط، وتحتاج إلى الحركة الباطنيّة مع الحركة الظّاهريّة، والمؤمنون بشكل عامّ لا يدرسون شيئاً عن الحركة الباطنيّة القلبيّة التي يحتاج إلى معرفتها وتطبيقها أثناء الصّلاة، نعم يعرفون المقدمات والشّروط والأجزاء الظّاهريّة الخارجيّة للصّلاة، ولكنهم لا يعرفون المقدمات والشّروط والأجزاء الباطنيّة القلبيّة لها، فيركع ولا يعرف ما هي حركته القلبيّة أثناء الرّكوع، ويسجد ولا يعرف شيئاً عن الحركة القلبيّة أثناء السّجود، وكذلك في جميع مقدمات وأجزاء الصّلاة، وهذا مهمّ جدّاً؛ لأنّ التّكامل مبنيّ على الحركة القلبيّة للمؤمن، والمؤمنون يحتاجون إلى هذه المعلومات وبالخصوص شباب الدّورات؛ حتى يصعدوا تدريجيّاً في مدارج الكمال، ويصبحوا علماء

فيما بعد، وهذا ممكن لكل مؤمن، والشَّابَّ إذا كانت عنده الإرادة يصبح عالماً بدراسة بعض العلوم الدِّينيَّة حتَّى لو لم يذهب إلى الحوزة، ولكن يحتاج إلى إرادة وجدِّية، فيكون جاداً في طلب العلم، مثلاً نفتح درساً فيحضر يوماً ويغيب يوماً، ولا بدَّ من أن تكون دراسته ضمن منهج، ويأخذ المنهج خطوةً خطوةً، كما هو الحال في دروس الجامعة، فيأخذ الطالب مادَّةً دراسيَّةً وينتهي منها ثمَّ يدخل في المادَّة الثَّانية، لا أن يأخذ نصف المادَّة الأولى وينتقل إلى المادَّة الثَّانية، ويكون في سنة خامسة وهو لحدِّ الآن لم يأخذ جميع المقدمات، وبالمنهج الدِّينيِّ يمكن للمؤمن أن يتكامل من ناحية علميَّة ومن ناحية عمليَّة .

والحمد لله ربِّ العالمين وصلَّى الله على سيِّدنا أبي القاسم محمَّد

وآله الطَّيِّبين الطَّاهرين .

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

(٤٧)

أساسيات العمل الاجتماعي^(١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين .

هذا الموضوع يحتاجه من يتحرك في العمل الاجتماعي، والموضوع يمثل أساسيات التحرك في العمل الاجتماعي، ويحتاج العامل إلى مجموعة من هذه المواضيع التي يمكن الاستفادة منها في العمل الاجتماعي، وتوجد خمس مقابلات في برنامج "روح الإيمان" على قناة المعارف الفضائية عن (العمل الفردي والعمل الجماعي)، وفيها عن صفات العامل وصفات العمل وشروط العمل .

والمقابلات موجودة على قناة اليوتيوب Ashkanani Channel .

كانت النقطة الأخيرة التي وصلنا إليها في المحاضرة السابقة هي أنّ المستعمر اليوم لا يدخل عن طريق الغزو العسكري، وإنما يدخل عن

(١) أُلقيت هذه المحاضرة في الديوانية الأسبوعية في دولة الكويت منطقة

بيان، الجمعة ٢٣ جمادى الأولى ١٤٣٤ هـ ، ٥/٤/٢٠١٣ م .

طريق الفكر والتّقافة، ومهمّتنا الأساسية هي الجهاد الفكري التّقافيّ في مقابل الاستعمار الفكريّ التّقافيّ، والاستعمار الجديد منتشر بين المسلمين وحتى بين المؤمنين، شخص يصليّ في المساجد ويذهب إلى الحسينيّات، ولكن فكره فكر مادّيّ، وتفكيره تفكير مادّيّ، والمقاييس عنده مقاييس مادّيّة، فحينما يحسب حساباته وأموره لا يُدخِلُ الله سبحانه كعامل من عوامل التّفكير، فيجعل الله سبحانه خارج المعادلة، فيبني ويخطّط ولا يلتفت إلى أنّ جميع الأمور بيد الله عزّ وجلّ، وقد يخطّط الشّخص من ناحية مادّيّة، ولكنّ الله تعالى هو العامل الأساس في التّفكير والتّخطيط، ومهما فكّر الإنسان مادّيّاً فالأمور بيد الله تعالى، فمن الممكن أنّ ما خطّط له هذا الشّخص يتحقّق في الخارج بمشيئة الله تعالى، ومن الممكن أن لا يتحقّق خارجاً؛ لأنّ الله عزّ وجلّ لم يشأ أن يتحقّق .

والمؤمن يعتقد بأنّ الله تعالى يفعل ما فيه صالح الإنسان، وحتى في العمل الاجتماعيّ المؤمن يخطّط أموراً معيّنة كدورة أو مخيم، ولكن تدخل بعض العوامل الخارجيّة بحيث لا يمكن له أن يستمرّ في الدّورة أو المخيم، وإذا كانت الحسابات مادّيّة فبعض الأشخاص الذين يعملون مدّة سنوات يسألون : ما الذي صدر منّا حتى لا يوفّقنا الله تعالى ؟

والمسألة لا يُنظَرُ لها هكذا، قد يكون التّوفيق بالعكس، فهذا الشّخص لا يتوفّق للدّورة أو المخيم؛ لأنّ ليس في صالحه الدّخول في

هذا العمل، نعم وإن كان العمل الاجتماعيّ من وسائل التّكامل إلى الله، ولكن من الممكن أن يكون من وسائل التّسافل إذا لم يرتبط الشّخص بالله تعالى من خلال العمل الاجتماعيّ، وهذا معناه أنّه تحصل عنده حالة التّسافل بدل أن يتكامل .

والعمل الاجتماعيّ يساهم في تكامل المؤمن إذا عرف كيفيّة الاستفادة من العمل الاجتماعيّ في التّكامل، وأمّا إذا أراد الشّخص أن يدخل في العمل بدون معرفة شروط العمل وشروط العامل فهو لن يستفيد من تحرّكه الاجتماعيّ، نعم يفيد غيره، ولكنّه لا يستفيد، ويظلّ على وضعه الإيمانيّ السّابق أو بالعكس هو قد يتسافل إيمانيّاً، فعلاقته بالله تعالى قد تضعف بعد دخوله في العمل الاجتماعيّ؛ لأنّه غفل عن التّقرب إلى الله تعالى في جميع أعماله، فإذا كان يؤدّي العمل قربةً لنفسه - كأن يبحث عن الشّهرة والسّمعة والرّئاسة - فالنتيجة الّتي يحصل عليها هي التّسافل بدل أن يتكامل؛ لأنّه ارتبط بالدنيا بدل أن يرتبط بالآخرة، وارتبط بالشّيطان بدل أن يرتبط بالله عزّ وجلّ، والشّيطان يوسوس وخاصّةً لمن يدخل مجالات العمل الاجتماعيّ .

والشّخص حينما يكون في بيته يتعامل معه الشّيطان بنسبة معيّنة، ولكنّه إذا خرج خارج البيت فإنّ الشّيطان يتعامل معه بنسبة أكبر، مثلاً شخص يصلّي في البيت وشخص آخر يصلّي في المسجد، ففي البيت تأخذه الأفكار يميناً ويساراً، وفي المسجد يكون نظره إلى رؤية

المصلّين له، وهذا يفتح بابًا لدخول الشيطان للوسوسة، فيوسوس له بأن يتقن أداء صلاته أمام النَّاس، وفي بيته لا يصلّي بهذا الإتيقان، نعم تارةً وجوده في المسجد يكون عاملاً مشجّعاً للارتباط بالله تعالى، وهذا شيء إيجابيٌّ، فهو حينما يرى النَّاس يصلّون يحصل عنده الدّافع والحافز للاهتمام بصلاته، وهذه ناحية جيّدة، واستحباب وجود الإنسان في المسجد قد يكون للحصول على مثل هذه الفائدة، فهو يتحرّك مع المصلّين ويرتبط بالله تعالى أكثر، وتارةً أخرى يصلّي رياءً، ويريد أن يراه الآخرون وهو يصلّي، فيتقن أداء الصّلاة حتّى يقول عنه النَّاس بأنّه يؤدّي صلاته بإتقان، ويوجد فرق بين الأمرين، والإنسان يعرف نيّته جيّداً، فهو على نفسه بصيرة، وأحد المؤمنین يقول بأنّه يهتمّ بصلاته في المسجد، ولا يوجد عنده هذا الاهتمام حينما يصلّي في البيت، والاهتمام علامة جيّدة؛ لأنّه يتحرّك على أساس أنّ اهتمامه بالصّلاة في المسجد أكثر من اهتمامه بصلاته في البيت، وهذا أمر إيجابيٌّ لوجوده في المسجد، ولكن يكون أمرًا سلبيًّا إذا كان يصلّي رياءً ويبحث عن السّمعة والشّهرة، أو يريد أن يكون رئيسًا في إدارة المسجد مثلاً، نعم تارةً الإنسان يعمل لله تعالى ولا يهتمّه أن يكون رئيسًا أو مرؤوسًا، فالمهمّ أن يخدم الدّين، وتارةً أخرى يبحث عن الرّئاسة، فيأمر وينهى الآخرين، ويقومون بالعمل على أساس أوامره ونواهيه، ولا بدّ من أن يلتفت المدير أو الرّئيس إلى أنّه حينما يصدر الأمر هل يصدره لله تعالى أو لنفسه، وتنمو "الأنا" عنده .

إذن :

الآن مهمتنا الرئيسة هي الفكر والثقافة؛ حتى يمكننا مواجهة هذه الهجمة الفكرية الثقافية من الاستعمار الجديد، والبيوت انفتحت بسبب وسائل الاتصالات والتواصل، فدخلت الفضائيات إلى كل بيت .

سؤال : ما هو وضع المسلمين والمؤمنين اليوم أمام هذه الهجمة الفكرية الثقافية الغربية ؟

والهجمة الفكرية الثقافية الغربية عبارة عن امتحان وابتلاء للإنسان المسلم والإنسان المؤمن، فهي نوع من التمهيع الإلهي ليعرف أنه نجح في الابتلاء أو لا، وهذه الأفكار الغربية هل تأثر بها بحيث إن حياته تسير على أساس الفكر المادي أو يعرف أن هذا فكر مادي ولا بد من أن يلتفت إلى الفكر الديني ؟

طبعاً الفكر المادي لا يقول للإنسان : "اترك الصلاة"، ولكن كيفية تعامله مع الدنيا يكون على أساس الفكر المادي، فيغفل عن وجود الآخرة، والآخرة لا تدخل في الحسابات، فيؤدّي العمل ويحسب المردود المادي فقط، ولا ينظر إلى أن ما يقوم به له أثر أخروي، والفكر المادي يؤدّي إلى التعلق بالدنيا، وعندما نقول بأن هذا الإنسان زاهد فمعناه أنه يأخذ من الدنيا للآخرة، والإنسان في واقعه مسافر في طريق الدنيا إلى الآخرة، فمقرّه واستقراره النهائي يكون في الآخرة .

العامل في العمل الاجتماعي يربّي الآخرين على فكر معيّن، وإذا لم يلتفت إلى نفسه فمن الممكن أنّه بدل من أن يفيد المشاركين في الدّورات الشّبائيّة ويربطهم بالله تعالى بدل ذلك يربطهم بالدّنيا، ويكون عاملاً سلبيّاً للمشاركين بدل من أن يكون عاملاً إيجابياً لنفسه ولغيره، ومصاديق الارتباط الدّنيويّ مصاديق مختلفة، ولا بدّ من أن يلتفت إلى أنّه حينما يربّي المشاركين في الدّورة فهدفه أن يربط هؤلاء بالله تعالى، وهذه النّقطة مهمّة جدّاً، ولا بدّ من أن يلتفت إليها جميع العاملين في السّاحة، فالهدف هو ارتباطه وارتباط الآخرين بالله عزّ وجلّ، وليس هدفه أن يربطهم بنفسه شخصياً أو بالدّنيا، فهو مجرد واسطة بين الله تعالى وبين المشاركين، طبعاً بحسب السّلسلة التي تبدأ بالله عزّ وجلّ ثمّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله ثمّ الأئمّة عليهم السّلام ثمّ المراجع ثمّ العلماء، فهدفه أن يربط النّاس بهذه السّلسلة، لا أن يربط النّاس بشخصه، وإذا ربط النّاس بشخصه فمعنى ذلك أنّه لا يعمل قربةً إلى الله تعالى، فمن يعمل في العمل الاجتماعيّ يتقرّب إلى الله بعمله، وهدفه ارتباط النّاس بتلك السّلسلة، فيأخذ ما يقوله المراجع والعلماء وينقله إلى المشاركين، ولا يطرح آراءه الشّخصيّة .

مثلاً في الدّورة يريد أن يقوم ببحث وهو غير مؤهّل لذلك، فيبدأ بالبحث في الآيات والرّوايات، ولكنّ النتيجة التي يصل إليها هي نتيجة للآراء الشّخصيّة الموجودة عنده، وهو يبحث عن آية أو رواية تؤيّد رأيه الشّخصيّ، وشخص آخر يبحث في الموضوع ضمن كلمات

العلماء، ولا يكفي أن يرى أنّ الرواية صحيحة أو غير صحيحة، كما في وسائل التّواصل يرسلون بعض الروايات ويقول المرسل بأنّها صحيحة السّنند أو ضعيفة السّنند .

وإذا وصلنا إلى أنّ الرواية ضعيفة السّنند فنسأل : هل من الممكن أنّ العلماء يستدلّون برواية ضعيفة السّنند ؟

الجواب :

نعم من الممكن أن يعتمدوا على رواية ضعيفة من حيث السّنند، فإذا عمل العلماء السّابقون بالرواية الضّعيفة فإنّه يُعتمدُ على هذه الرواية، وقد توجد رواية صحيحة من حيث السّنند، ولكنّ العلماء السّابقين لم يأخذوا بها فهذه الرواية تسقط عن الاعتبار، فلا يكفي معرفة أنّ الرواية صحيحة السّنند أو ضعيفة السّنند فقط، بل لا بدّ من معرفة آراء العلماء في هذه الرواية؛ حتّى يمكن الأخذ بها أو عدم الاعتماد عليها، والمنهج الخطأ الذي يُعطى في بعض الدّورات الشّبائيّة أنّه يقال إنّ الرواية صحيحة أو ضعيفة حينما يدرسون علم الرّجال، فيبدأ بدراسة علم الرّجال؛ لأجل أن يعرف أنّ الرواية صحيحة أو ضعيفة سندياً، وهذا المقدار لا يكفي في الاعتماد أو عدم الاعتماد على الرواية، لذلك هناك بعض العلوم الأخرى التي يحتاجها بالإضافة إلى علم الرّجال كعلم الحديث، فلا بدّ من دراسة سند الرواية ومنتها، ولا بدّ من معرفة أقوال العلماء في المسألة، والشّباب عادةً لا يعرفون، فهم يظنّون أنّه يكفي أن يعرف أنّ الرواية صحيحة أو ضعيفة وتنتهي

القضية، ولكن لا يكفي البحث بهذا المقدار، ومن يريد أن يتصدى لا بدّ من أن يكون طالب علم حتى يمكنه أن يستوعب هذه الأمور، ولا بدّ من أن يدرس المتصدّي مقدارًا من العلوم الدّينيّة؛ حتى يمكنه أن يقيّم الأمور، ولا يطرح آراءه الشّخصيّة، والشخصيّة، ولكن يُلبسها اللباس الدّينيّ عن طريق الاستدلال بأية أو رواية، والمسؤولون عن الدّورات الشّبابيّة لا بدّ من أن يتعلّموا الأحكام الدّينيّة والفكر الدّينيّ، وأن يطلبوا العلم ولو بمقدار، ولا نقول على نحو التّخصّص، بل يكون عنده مقدار من العلوم الدّينيّة بحيث يمكنه تقييم النّشاطات بأن تكون ضمن فعاليّات الدّورة أو لا تكون، ويكون على أساس التّقييم الدّينيّ لا التّقييم الشّخصيّ بأنّه يرغب أو لا يرغب، فيبني على أنّ الدّين يريد هذا الأمر أو لا يريد، ويحتاج إلى معرفة الأحكام التّكليفيّة الخمسة؛ لكي يعرف الحكم الشّرعّي لهذا العمل المعين، فيُقدّم أو يتوقّف، واختيار الأعمال ليس خاضعًا للمزاج، فإذا كان واجبًا أو مستحبًّا فيُقدّم على العمل، وإذا كان حرامًا أو مكروهًا فلا يقوم بهذا العمل، وإذا كان مباحًا فالمباح - كما قلنا سابقًا - ينقسم إلى قسمين : ينبغي ولا ينبغي .

وهذه الأمور إذا لم تكن بيد المتصدّي للعمل الاجتماعيّ فمن الممكن أنّه يمارس بعض الأفعال المحرّمة وهو غير ملتفت، مثلاً يغتتاب الأشخاص المشاركون في الدّورات الأخرى، هنا يكون قد دخل في الحرام، وقد يتعوّد المشاركون معه في الدّورة على الكلام عن العلماء،

فهم يسرون على خطى المتصدّي الرئيس، فيبدأ بتقييم العلماء، فهذا العالم كذا، وذاك العالم كذا، وهذا العالم نصلي خلفه، وذاك العالم لا نصلي خلفه، والتقييم لا يكون تقييماً دينياً، وإنما هو تقييم شخصي؛ لأنّ هذا العالم يعجبه، وذاك العالم لا يعجبه، وهذا العالم ضمن التّيار الذي أنتمي إليه، وذاك العالم ليس من تيّاري، والتقييم من المتصدّي لا بدّ من أن يكون على أساس الدّين، وأوّل خطوة هي أن يعرف الدّين بجوانبه المختلفة، فالجانب الفقهي العقائدي مهمّ، والجانب الفقهي الأخلاقي مهمّ أيضاً، والجانب الفقهي العملي مهمّ أيضاً، فقد يكون العمل مباحاً، ولكن هذا العمل المباح إذا قام به المشاركون في الدّورة فإنّه لا يسبّب لهم تكاملاً، ويثبتون في مكائهم من حيث الأمور المعنويّة، فمثل هذا المباح لا يعملون به، ومباح آخر يساهم في تقوية ارتباطهم بالله تعالى وزيادة تكاملهم فيأخذون به، فلا بدّ من أن تكون عند المتصدّين القدرة على تقييم الأعمال، وإذا لم تكن عندهم القدرة في تقييم الأعمال على أساس الدّين فمقاييسهم لا تكون مقاييس إلهيّة، فتدخل فيها المقاييس الشّخصيّة الشّيطانيّة، فالشّيطان سيوسوس له في هذا الجانب، فالمتصدّي في العمل الاجتماعي لا بدّ من أن تكون بيده المقاييس الدّينيّة؛ حتّى يمكنه أن يقيّم الأعمال، وتارةً قد يقيّم العمل على أساس المقياس الدّيني، وتارةً أخرى قد يقيّم على أساس المقياس الشّخصي، فالمقاييس مهمّة جدّاً للمشاركين في الدّورات الشّبابيّة .

إذن :

الفكر المادّي بمختلف أطروحاته يكون في مقابل الفكر الإلهيّ الدينيّ، والفضائيّات المختلفة تطرح كثيراً من المواضيع، والمشرفون على القنوات يحتاجون إلى معرفة كيفيّة تقييم المواضيع المطروحة؛ حتى يذيعوا بعض المواضيع ولا يعرضوا المواضيع الأخرى .

وجميع الناس الآن في امتحان وخاصّة الشّخص المتصدّي، فضمن ما يُطرح من أفكار في العالم كلّ فرد يعيش التّمحيص الإلهيّ، وهو بين أن ينجح أو يفشل في الامتحان، وإذا فشل سيبتى الفكر المادّي بدون أن يشعر، نعم يصليّ ويصوم ويذهب إلى المسجد وهو ملتحي ويلبس خاتم ويديه مسباح، ولكنّ الفكر الذي يحمله فكر مادّي لا فكر دينيّ إلهيّ، وقد يرى أنّ الدين مسؤول عن تخلف المسلمين مع وجوده في المسجد .

وبعض الشّباب يسألون : لماذا المسلمون متخلفون ؟ ولماذا لا توجد عندهم صناعات واختراعات ؟ فما هو سبب تخلفهم ؟ وهل الدين عامل من العوامل التي تساهم في تخلف المسلمين ؟

ويقولون إنّ الدين لا يشجّع على الصّناعات، ولا توجد روايات من النّبّي صلّى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السّلام تشجّع على الصّناعات وتدعو إلى الابتكار والاختراع، فالنتيجة التي يصلون إليها هي أنّ الدين مسؤول عن تخلف المسلمين .

وإن شاء الله تعالى ستأتي عدّة محاضرات عن "أسباب تخلف

المسلمين"؛ لأجل أن نبين أن الدين ليس عاملاً من عوامل تخلف المسلمين، بل على العكس فعدم تبني المسلمين للدين ساهم في تخلفهم، ولو أنهم كانوا متبنين للدين لعملوا بقاعدة "إتقان العمل".
عن رسول الله صلى الله عليه وآله : "إذا عمل أحدكم عملاً فَلْيُتَقِنْ" (١) .

إنّ الإتقان في العمل عامل من عوامل تقدّم الأمم وتطورها، طبعاً التّقدّم والتّطور الموجّه إلى الله تعالى، فالإنسان يخترع اختراعاً معيّنًا؛ لأجل خدمة البشريّة قربةً إلى الله تعالى، لا أن يصنع صناعات تؤثّر سلبياً على البشريّة، فاخترع القنابل الذّريّة والهيدروجينيّة والنّيوترونيّة لا يصبّ في مصلحة البشريّة، فمثل هذه الاختراعات لا يحتاجها البشر، والصّناعات التي يدعو إليها الدّين هي الصّناعات التي تساهم في خدمة البشر، كالكهرباء التي ساهمت كثيراً في خدمة الناس، حتّى علماء المسلمين استفادوا من الكهرباء بعد أن كانوا يقرأون على ضوء شمعة أو المصباح أو ضوء القمر، ونقرأ في سيرة حياة بعض العلماء أنّهم كانوا يدخلون الحمامات العامّة حتّى يقرأ كتاباً، والكهرباء ساهمت في خدمة البشريّة وفي خدمة الدّين، فالآن عالم الدّين وهو في بيته يطلّع على الكتب ويقرأها ويؤلّفها، فتمت الاستفادة من الكهرباء مع وجود الارتباط بالله تعالى، وبعد ظهور الإمام عليه السّلام تفتح أبواب الصّناعات التي تخدم البشريّة، والأرض تخرج خيراتها لا

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج ٢٢ ص ٢٦٤ ح ٥ .

بالمعجزة، وإِنَّمَا بالطَّرِيقِ الطَّبِيعِيِّ، والمعجزة قد تتدخَّل في أمور قليلة جداً، والآن لو أنَّ البشر كانوا يزرعون الأراضي الصَّالحة للزَّراعة لوصلوا إلى الاكتفاء الزَّراعي العالمي بحيث لا يوجد فقير على وجه الأرض، ولكنَّ المشكلة أنَّ كثيراً من الأراضي الصَّالحة للزَّراعة غير مستغلَّة، وبعض الأراضي يزرعون فيها المخدَّرات، والبشريَّة لا تستفيد من الموارد الطَّبِيعِيَّة، والماء متوقِّر في العالم، ويمكن نقل المياه من الأماكن التي فيها وفرة مياه إلى الأماكن التي يوجد فيها شحٌّ في الماء، بل يمكن زرع الصَّحارى، ونحن في بلدنا نعيش في منطقة صحراويَّة، ومع ذلك فالمياه متوقِّرة في البيوت، وتوجد حدائق فيها بسبب وفرة الماء، وتلاحظون أنَّ بعض الدَّول فيها أراضي صالحة للزَّراعة والماء متوقِّر بكثرة بسبب وجود نهر أو أكثر فيها، ومع ذلك ترى بأنَّها دول فقيرة، وسكَّانها يشكون الفقر والحاجة، وتستغرب من هذا الوضع مع وجود الماء والتراب الصَّالح للزَّراعة .

عن الإمام الباقر عليه السَّلام قال : كان أمير المؤمنين عليه السَّلام يقول : "من وجد ماءً وتراباً ثمَّ افتقر فأبعده الله" (١) .

النَّاس لم يستفيدوا من الأراضي الصَّالحة للزَّراعة، وخيرات الأرض هي لجميع النَّاس، فحينما يستولي شخص على الموارد المائيَّة فالنتيجة هي أنَّ أشخاصاً آخرين سيتأثرون سلبياً بسبب قطع الماء عنهم، والله تعالى خلق جميع ما في الأرض لجميع النَّاس .

(١) ميزان الحكمة للشيخ محمد الرِّيشهريّ ج ٢ ص ١١٤٢ .

يقول القرآن الكريم :

"هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا . . ." (١) .

عن أمير المؤمنين عليه السلام : "إنَّ الله سبحانه فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء، فما جاع فقير إلا بما مُتِّعَ به غني، والله سائلهم عن ذلك" (٢) .

الغني الذي يتمتع هو من يأخذ أكثر من حاجته، فالزائد يكون من حاجات الفقراء، ومن عنده المليارات لو صرف من ماله على نفسه لمئات السنوات لما نفذت منه، وإذا أخذ مقدارًا من هذه الأموال وأعطاهم للفقراء لما وُجِدَ فقير على الأرض، ولو أن جميع الأغنياء تصدّوا لإطعام الفقراء لما بقي فقير على الأرض، وما تأثرت ميزانية الأغنياء، فهناك قمح يُرْمَى في المحيطات، وأبقار وخراف تُقْتَل، وموادّ تُتَلَف؛ لأجل المحافظة على الأسعار، وهذه الموادّ الغذائيّة من المفروض أن يعطوها للفقراء، ولكنهم لا يريدون خدمة البشريّة، والمهمّ عندهم أن تزداد أرصدهم في البنوك، والطائرات يمكن الاستفادة منها في خدمة البشريّة بأن تحمل الموادّ الغذائيّة التي تُتَلَفُ إلى البلدان الفقيرة، ويمكن لبعض شركات الطيران أن تتصدّى لنقل هذه الموادّ إلى المحتاجين في أرجاء العالم، فلا يظلّ فقير لا يحصل على قوت يومه، ولكنّ التاجر يفكّر فقط في المنافع المادّيّة التي تدخل في رصيده

(١) البقرة : ٢٩ .

(٢) نهج البلاغة ج ٤ ص ٧٨ ح ٣٢٨ .

البنكيّ، وهذا هو الفكر الرأسماليّ، والرأسماليّ هدفه جمع المال، ولا يهتمّ أن يموت عمّال المصنع أو يصابوا بحادث، ويقول بأنّه سيأتي بغيرهم، وفي المناجم يموت عامل فيأتون بعامل آخر، فهدفهم أن يستخرجوا الذهب أو الألماس مثلاً، ولا يهتمّون بموت العمّال، فيستأجر أشخاصاً آخرين يحلّون محلّ الموتى، ولا بدّ من التصدّي للفكر الرأسماليّ بمعرفة أسس هذا الفكر ومناقشتها وتفنيدها، ونحتاج إلى شخص مثل السيّد الشهيد محمّد باقر الصّدر رضوان الله عليه؛ لأجل الرّدّ على أسس الرأسماليّة؛ لكي نبين للعالم أنّ الفكر الرأسماليّ لا يمكنه أن يحلّ مشاكل البشريّة بل إنّّه يزيد من مشاكلها، وكمن من المسلمين والمؤمنين يحملون الفكر الرأسماليّ، عنده أموال فيجعلها ودائع في البنوك ويأخذ الفوائد منها، والأموال لا بدّ من أن تُحرّك في السّوق حتّى تفيد النّاس، وأمّا مجرد وضعها في البنوك فأصحاب البنوك الرأسماليّون يستفيدون من هذه الأموال وإن كانوا يعطون نسبةً قليلةً من أرباحهم لأصحاب الودائع، وأسهل طريق هو وضع الأموال في البنوك، وتكون الأرباح مكفولةً، فقد يكون مسلماً أو مؤمناً، ولكنّ الفكر الذي يحمله هو فكر رأسماليّ .

وأوّلًا لا بدّ من أن ندرس الإسلام، ونقيّم الأشخاص على أساس الدّين لا العكس بأن نقيّم الدّين بالأشخاص، فيقال بأنّه ما دام أنّ المسلمين متخلّفون فيكون الدّين من أسباب تخلفهم، وتوجد قاعدة تقول "إذا عمل أحدكم عملاً فليتنقن"، وتوجد قاعدة أخرى تقول "لا

تؤجّل عمل اليوم إلى الغد"، ولكن كم من المسلمين يلتزمون بهاتين القاعدتين!؟

وبشكل عامّ الموجود بين المسلمين هو عدم إتقان العمل وتأجيل العمل، وطلبة المدارس دليل على ذلك، فهم لا يتقنون عملهم، ويؤجّلون دراستهم إلى يوم آخر، فتتراكم عليه الموادّ إلى أيام الامتحانات، وأيّ إنسان يريد أن يكون ناجحًا طوال حياته عليه أن يأخذ بهاتين القاعدتين .

وأيضًا المشارك في العمل الاجتماعيّ إذا عمل بهاتين القاعدتين فإنّه يكون من النّاجحين في عمله، وراجعوا حياة النّاجحين والعظماء وستجدون أنّهم يلتزمون بهاتين القاعدتين التّزامًا كاملاً، لذلك ينجحون في حياتهم .

فإذا أردت أن تكون من النّاجحين فاعمل بهاتين القاعدتين أو بغيرها من القواعد، وسترى التّيجة، وتكون من المؤثّرين بالمحيطين بك سواء كنت في المدرسة أم الوظيفة، وتأكّد بأنّه هناك من سيتأثّر بك بسبب إتقانك لعملك وعدم تأجيله إلى يوم آخر .

وفي الدّورات التّشبيبية يحتاج المسؤولون والمشاركون إلى هاتين القاعدتين، فتوجد بعض الأعمال والنّشاطات لا بدّ من أن ينجزوها سريعًا بدون أيّ تأجيل، ونرى بأنّ بعض الأعمال لا تُنجزُ بسبب الإهمال وعدم إتقان العمل أو تأجيل العمل بلا مبرّر، وتتراكم أعمال الدّورة بدون إنجازها .

إذن :

لا بدّ من تقييم الأمور على أساس الفكر الدّينيّ، وهذا يشكّل أساسًا من أساسيّات العمل الاجتماعيّ .

ولا توجد عندنا كتب عن "أساسيّات العمل الاجتماعيّ"؛ لكي يتّلع عليها الشّخص قبل أن يقوم بأيّ عمل اجتماعيّ، فيقرأ الكتاب ويسير على هذه الأساسيّات، ونحتاج إلى كتاب في "فقه العمل الاجتماعيّ"، ونحتاج في هذا الكتاب إلى تفصيل في أساسيّات العمل الاجتماعيّ من ناحية شرعيّة دينيّة وكيفيّة ومشاكله وحلوله، ويكون في الكتاب بعض العلوم غير الدّينيّة، مثل إدارة العمل، وفي الجامعات في قسم إدارة الأعمال عندهم مجموعة من الكتب، وبعض هذه الكتب يحتاجها المتصدّي في العمل الاجتماعيّ، مثلًا مهمّة المدير تتمثّل في التّخطيط والمراقبة والمتابعة والتّوجيه والإشراف، ومن الضّروريّ للمتصدّي المسؤول عن العمل أن يتّلع على هذه الكتب؛ لأجل أن يعرف كيف يصبح مديرًا ناجحًا قادرًا على إدارة العمل على أفضل وجه، والدّين ليس ناقصًا، فلو راجعنا أقوال أمير المؤمنين عليه السّلام وخاصّةً في نهج البلاغة حيث ذكر عليه السّلام القضايا الإداريّة، مثل رسالته إلى مالك الأشتر، وتوجد مقاييس وقواعد ذكرها عليه السّلام في هذه الرّسالة، ومراجعة الإسلام يمكننا استخراج الآيات والرّوايات التي تصب في مجال العمل الاجتماعيّ، وهذا يحتاج إلى جهد من العلماء ومن المتصدّين للعمل الاجتماعيّ، فإذا قرأ آيةً

أو روايةً معيّنةً ورأى أنّها مرتبطة بالعمل الاجتماعيّ يكتبها مع الآيات والروايات التي جمعها عن العمل الاجتماعيّ، وبعد فترة سيجد عنده كراساً عن "العمل الاجتماعيّ في الكتاب والسنة"، ويكون كتاباً نافعاً، وأوّل خطوة هي عمليّة جمع الآيات والروايات، ويأتي شخص آخر ويكمل ما بدأت، فيحلّل الآيات والروايات ويستفيد منها في بيان تفاصيل العمل الاجتماعيّ، وهذا البحث يتكامل تدريجياً، وقد يرى أحد العلماء هذا الكتاب ويكتب تفاصيل أكثر عنه، وبدل أن يبدأ من الصّفّر تكون الآيات والروايات جاهزةً، ويكتب فيها باعتبار وجود العلم الحوزويّ عنده، فيستخرج التفاصيل منها .

الخلاصة :

المشارك في العمل الاجتماعيّ يحتاج إلى مجموعة من الشّروط والأساسيّات، وإذا لم تتوفّر فيه فهو لن يستفيد من العمل، فبدل من أن يتكامل باطنياً قلبياً قد يتسافل أثناء العمل، ومعرفة هذه الأمور ضروريّة للعامل، فمن البداية حينما يضع قدمه على أوّل درجة في العمل الاجتماعيّ المفروض أن يسير على هذه الأساسيّات، ويحتاج إلى جانب علميّ نظريّ وإلى جانب عمليّ تطبيقيّ؛ حتّى يمكنه أن يستمرّ في العمل، وأمّا إذا دخل إلى العمل الاجتماعيّ بدون معرفة أساسيّات وشروط العمل والعامل فقد يعمل سنوات بدون أن يستفيد، والحماس الذي دخل به في العمل سيخفّ عنده تدريجياً، وترى بعض الأشخاص حينما يبدأون العمل يبدأون بحماس، وبعد

مرور سنة تجد أنه يعتزل العمل الاجتماعي، فإذا كان من البداية مقتنعًا بالعمل فالمفروض أن لا يترك العمل إذا لم تكن عنده ظروف تمنعه من الاستمرار، والزواج ليس من الظروف المانعة عن الاستمرار في العمل، وهذا عذر بعض العاملين في الساحة حينما يتكون العمل، نعم بعض العوامل الضرورية الطارئة قد تمنعه عن العمل الاجتماعي، ولكن إذا كان عنده أساسيات العمل الاجتماعي فالحماس الذي دخل به إلى العمل هو نفس الحماس الذي يستمر به في العمل، بل المفروض أن يزداد الحماس يومًا بعد يوم، لا أن يخفّ عنده، فهو دخل العمل ورأى النتائج المترتبة على العمل الاجتماعي، وخاصةً إذا عمل عدة سنوات في الدورات الشبابية، ورأى الأطفال الصغار المشاركين في الدورة وهم ينتقلون من المرحلة الابتدائية إلى المرحلة المتوسطة ثم إلى المرحلة الثانوية، وأصبحوا مؤمنين متديّنين صالحين، وهذا إنتاج للدورة، ويرجو أن يستمر هذا الإنتاج مع باقي الطلبة، لا أنه في البداية يكون عنده الحماس، وبعد ذلك يقلّ عنده .

وأشرنا إلى أن الفرد في زماننا الذي دخل فيه المستعمر بأسلوب جديد وهو الأسلوب الفكري والثقافي - يعيش التمهيد الإلهي بما يعطيه الاستعمار من أفكار وثقافة اجتماعية واقتصادية وسياسية، والأفراد بين من ينجح في هذا التمهيد ويتبني الفكر الإسلامي ويرى أن الإسلام هو الحلّ، وبين من يفشل في التمهيد ويتبني الفكر الماديّ في التعامل مع الحياة، ويرى أنّ جميع المشاكل التي

يعيشها المسلمون إثمًا هي بسبب الإسلام المتخلف والمسلمين
الرجعيين، فيقيم الإسلام من خلال أتباعه بدل من أن يدرس الإسلام
ليقيم الآخرين على أساس المقاييس الإسلامية .
والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد
 وآله الطيبين الطاهرين .

أسئلة وتعليقات الحاضرين :

المهندس فوزي الصراف :

إذا شخص ذهب إلى المسجد يقول عنه الناس بأنه متدين، وتحصل
عنده ردة فعل سلبية، أو إذا كان يصلي ودخل أشخاص إلى المسجد
فيشعر بأهم يقولون عنه بأنه متدين، فما هو الحل ؟

جواب الشيخ محمد أشكناني :

عندما ذهب إلى المسجد كان مرتبطاً بالله تعالى، فذهب قرينةً إلى
الله عز وجلّ، وهو داخل المسجد يلتفت إلى الشيء الذي يقربه إلى
الله فيأخذ به، والشيء الذي يبعده عن الله يتركه، وحينما يدخل
أشخاص هل يهتم بصلاته حتى يمدحه الناس ؟ فهل يصلي رياءً
لأجل الحصول على مدح الناس أو أنه يريد أن يعرف الناس أنه
إنسان متدين وتكون سمعته طيبةً لأنّ هذا هو واقعه والمؤمن يريد أن
يعرف الناس صلاحه ؟

فإذا أراد أن تكون سمعته طيبةً بين الناس فهذا مطلوب من المؤمن،
ولكن إذا كان عمله للفت الأنظار فقط حتى يقال عنه بأنّ صلاته

ممتازة، وبالتالي تحصل عنده حالة العجب - فالمفروض أن ينتبه، فَيُعْجَبُ بصلاته ويأتي بها رياءً، والعُجْبُ أن يرى أن صلته لا يوجد مثلها، وأن لا أحد من المصلّين يمكنه أن يصلّي كما صلّي، وهذا أمر وجدانيّ يشعر به الشخص بأنّه يصلّي رياءً وَعُجْبًا أو لأسباب أخرى مطلوبة، ولا بدّ من أن يعرف معنى الرّياء ومعنى العُجْب حتّى يمكنه أن يقيّم نفسه على أساس المقاييس الدّينيّة، وإذا كانت المقاييس الدّينيّة بيده فهو يعرف أنّه أدّى العمل رياءً أو عُجْبًا أو لأمر آخر، فإذا أتى بالعمل رياءً أو أُعْجِبَ بعمله فالمفروض أن يتوقّف؛ لأنّ وسوسة الشّيطان بدأت، فيقول الشّيطان له : اهتَمّ بالعمل حتّى يصفق لك الآخرون ويقولون عنك بأنّ صلاتك ممتازة .

وَيُعْجَبُ بنفسه، وهذا شعور باطنيّ وجدانيّ يحسّ به الإنسان بوجوده، فيلتفت إلى أنّ هذا الشّعور الباطنيّ من أيّ نوع ؟ هل هو نتيجة ارتباطه بالله تعالى فينمي هذا الشّعور أو نتيجة ارتباط دنيويّ وارتباط بالنّاس وارتباط بالنّفس وارتباط بالشّيطان فيصحّ عمله ؟

وهذا الشّعور أمر وجدانيّ يشعر به الإنسان نفسه، ولا يصحّ أن يقول بأنّه لا يعرف ما يوجد في نفسه، فإذا كان هذا الشّعور الباطنيّ نابعًا من ارتباطه بالله فيقوم بتنمية هذا الشّعور، ووجوده داخل المسجد يشجّعه على الاهتمام بالصّلاة أكثر، وهذا أمر إيجابيّ، ولكن بشرط أن لا يكون من أجل النّفس أو من أجل الآخريّن، والإنسان على نفسه بصيرة، فلا بدّ من أن يراجع نفسه ليرى ما هو الشّعور

الذي يحمّله حين قيامه بالعمل، فما يكون لله يأخذ به، وما يكون للنفس أو للشيطان يتركه، ويحتاج إلى المجاهدة مجاهدة النفس أو مجاهدة الشيطان، وتحصل عنده عملية الجهاد حتى يتغلب تدريجياً على الناحية السلبية وتزداد عنده الناحية الإيجابية، وينمّي الشعور الباطنيّ الإيجابيّ، ويقضي على الشعور الباطنيّ السلبيّ، وهو سيري أنّ الشعور الإيجابيّ يزداد والشعور السلبيّ يقلّ يوماً بعد يوم، ويكون ملتفتاً دائماً إلى الله تعالى في جميع أعماله .

الأستاذ عليّ إسحاق :

قلتم بأنّ الإنسان لا بدّ من أن يدرس حتىّ يمكنه أن يعرف تفسير القرآن للمعاني التي ترتبط بالعمل الاجتماعيّ .

جواب الشيخ محمد أشكناني :

نعم، يرى أنّ الآية هل هي مرتبطة بالعمل الاجتماعيّ أو لا، مثلاً ورد في آيات كثيرة "الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ"، هل الإيمان والعمل الصالح لهما ارتباط بالعمل الاجتماعيّ أو ليس لهما ارتباط ؟ فيكتب الآية أو جزء الآية عنده، ويبدأ بعملية تجميع للآيات والروايات المرتبطة بالعمل الاجتماعيّ، وهذه أوّل خطوة، وبعد مدّة تتجمّع عنده مجموعة كبيرة من الآيات والروايات، هو يستفيد منها، وإذا نشر ما جمعه يستفيد منه الآخرون .

الأستاذ أحمد كاظمي :

في مجال العمل الاجتماعيّ أو الدورات الشبّانية هل تفضّل أن يقود

العمل عالم دين ويرجعون إليه أو يسير الشباب على آرائهم في الدورة أو يأخذون فكرة من أحد العلماء أو يأخذون من آراء العلماء ؟
جواب الشيخ محمد أشكناني :

وجود عالم الدين في العمل هو الأفضل؛ لأنّ بعض الأمور تحتاج إلى قرارات، وشباب الدورة في اتخاذ القرارات قد ينقسمون في الرأي إلى قسمين، مجموعة يقولون برأي معين، ومجموعة أخرى يقولون برأي آخر، فمن الذي يقرّر أيّ رأي يأخذون به ؟ فضمن الدورة إذا حصل انقسام بالآراء من يفضّل فيها ؟

هنا يأتي دور عالم الدين أو شخص يكون عنده اطلاع واتّصال بالعلماء بحيث يمكنه أن يتّخذ القرار، وأفضل حالة هي وجود عالم دين متصدّي عنده خبرة بالعمل الاجتماعيّ بحيث يتّخذ القرارات في حالة تعدّد آراء المسؤولين، فيقع التّزاحم بين الآراء، والعالم يختار الرّأي الأفضل، ويشرف على العمل بنفسه إشرافاً كاملاً، ويبين لهم مقاييس التّقييم، وفي التّقاشات إذا لم يكن عند الشباب اطلاع كافي على الدين فمن الممكن أن يقرّروا عملاً غير مناسب للدورة، فالعمل الأوّل له إيجابيّات وسلبيّات، والعمل الثّاني له إيجابيّات وسلبيّات، ويحتاجون إلى عمليّة التّقييم والموازنة بين العمليتين وترجيح أحدهما، فهل يقدّمون العمل الأوّل أو العمل الثّاني ؟

هنا يحتاجون إلى عالم يقيم لهم العمليتين ويبين إيجابيّات وسلبيّات كلّ عمل، ويقرّر أيّ العمليتين يختارون بحيث يكون هو الاختيار

الأفضل، وحينما نقول بوجود عالم دين يشرف لا نعي أن يكون ديكتاتوراً في الدورة، فباب النقاش بين العالم والأعضاء المسؤولين يكون مفتوحاً دائماً في الدورة أو أي عمل آخر، كعمل المساجد أو الحسينيات أو المؤسسات الدينية، فيتناقش معهم في الأمر ويسمع آراءهم ويصلون إلى قرار جماعي، وقد يقدم العالم رأي أحد الأعضاء إذا كان أفضل من رأيه، فالعالم يريد أفضل الآراء، ولكن أحياناً يَفْصِلُ بين الآراء بحيث يقدم رأيه على باقي الآراء في بعض القرارات الحاسمة، ففي حالات وقوع التزاحم بين الآراء يحتاجون إلى من يقرّر الرّأي النهائي .

سؤال من أحد الحاضرين :

بعض الروايد إذا لم يوجد عنده عمل آخر ويستلم مبلغاً من المال فهل تدخل الرغبة للمال مع أنّ نيّته خالصة لله تعالى ؟
جواب الشيخ محمد أشكناني :

هذا الكلام يأتي في الخطيب والمحاضر والرادود، فنيّته هي المهمّة، تارةً يكون هدفه الوحيد هو المال، وتارةً أخرى تكون نيّته خالصةً لله تعالى، ولكن يستلم مبلغاً من المال في مقابل العمل الذي أدّاه، وهذا لا يضّرّ بنيّته الخالصة، ويأتي نفس الكلام أيضاً في الموظّف .

إذا سألنا أيّ موظّف : لماذا تذهب إلى العمل ؟ هل هدفك المال فقط أو يمكنك خدمة الدين من خلال وظيفتك ؟

إذا كان هدفه المال فقط فيكون إنساناً مادّيّاً، ولا يفرق بين أن

يكون خطيباً أو رادوداً أو موظفاً، فالخطيب يمكنه أن يعمل لله تعالى، والموظف يمكنه أن يعمل لله تعالى أيضاً، والله سبحانه داخل في كلّ عمل، والعامل الأساس هو الله تعالى، بل العامل الوحيد هو الله تعالى، ولا يفرق بين أن يكون عمله في المجال الدنيوي أو في المجال الدنيوي، فيجب أن يعمل الإنسان لله تعالى، نعم الرادود أو الخطيب يقدم العمل باسم الدين، وقد يحصل على أموال، ولكن ليس هدفه هو المال، وقد يتنازل عن المال، ولو كان هدفه المال لاشرط من البداية بأنه يريد مبلغاً معيناً، وإذا لم يحصل على هذا المقدار من المال فإنه لا يقرأ، مثل هذا يكون هدفه المال، ولكن إذا كان عمله لله تعالى فهو يقرأ ويحصل على المال، ولكن ليس هدفه المال .

الأستاذ حسين تقّي :

بعض الشباب عندهم نشاط وهمّة في أن يعمل في أيّ عمل إسلامي، ولكن لا يوجد عنده استعداد أن يقرأ كتاباً أو يستمع إلى المحاضرات، فهل يترك العمل الإسلامي؟

جواب الشيخ محمد أشكناني :

يستمرّ في العمل الإسلامي، ولكنّه يتعلّم، تارةً يكون مُنقّداً لأعمال الدّورة، وقد يقال إنّ المنقّد لا يحتاج إلى علم كثير، مثلاً لنقل إنّه يوزّع الشّاي، ولكن حتّى من يوزّع الشّاي يريد أن يكون عمله لله تعالى، والشّخص الذي يوزّع الشّاي في الحسينيّة أو في أيّ مؤسسة إسلاميّة يعتبر متصدّياً أيضاً، وهو يقوم بمهمّة مطلوبة ضمن أعمال الحسينيّة

أو المؤسسة، ولا يُسْتَحَفُّ بعمله، فهو الَّذِي يقدِّم الشَّاي للحاضرين والضَّيوف، ويمكن جعل هذا العمل قربةً لله تعالى، ولا يُقْصَدُ من طلب العلم كثرة المعلومات في الدَّهن، فالهدف من كسب المعلومات هو تحويلها إلى عمل، فيكون للعلم تأثير في عمله، ويصبح شخصاً نشيطاً في عمله، وهذا جيّد، ولكن لا بدّ من أن يتعلّم، ويحتاج إلى مقدار من العلم حتّى في عمله وحركته ونشاطه .

نسأل : لماذا يتحرّك الشَّخص ويعمل في العمل الإسلاميّ ؟
لا بدّ من أن يعرف جواب هذا السَّؤال، ولا يُقْبَلُ منه أن يقول :
لا أعرف .

أو يقول : أعمل هكذا بدون معرفة الهدف .
وهذا ليس جواباً مقبولاً .

إنّ كلّ عامل في العمل الإسلاميّ يكون متصدِّياً، ولا بدّ من أن يكون عنده جواباً لكلّ سؤال .

لماذا دخلت في العمل الإسلاميّ ؟

وجوابه أنّه يعمل لله تعالى، والوسيلة هي العمل الإسلاميّ .
وطبعاً جوابه بأنّه يعمل لله تعالى لا يكون حركة لسان فقط، يكون فعلاً عاملاً لله تعالى، فهو يعمل ويقدم عمله لله عزّ وجلّ، ويريد أن يخدم الدِّين، ولا يوجد عنده هدف آخر من وراء عمله .

والنتيجة أنّ كل من يعمل في أيّ عمل إسلاميّ يحتاج إلى معرفة الدِّين، والحاجة إلى معرفة الدِّين تكون في الجانب النظريّ والجانب

العمليّ، ويحتاج أيضًا إلى معرفة الدّين في العمل الفرديّ وفي العمل الجماعيّ وفي العمل الاجتماعيّ وفي العمل السّياسيّ، وحينما نقول العمل الاجتماعيّ فالعمل السّياسيّ يكون داخلًا فيه حتّى لو لم نقل العمل السّياسيّ .

وكلّ عمل اجتماعيّ يكون ضمن شروط العمل وشروط العامل، ولا بدّ من أن يعرف هذه الشّروط قبل أن يُقدّم على العمل، ولا نقول له بأن يترك العمل، ولكن نقول له تعلّم دينك حتّى يكون عملك مضبوطًا وتتقرّب إلى الله تعالى وتتكامل من خلال عمالك .

والعامل اجتماعيًا إذا لم يرتبط بالله تعالى فإنّه لا يحصل على نتيجة من عمله حتّى لو عمل لسنوات طويلة، والثّواب الأخرويّ مرتبط بتقرّبه إلى الله تعالى وحصوله على التّكامل، والثّواب ليس مترتّبًا على العمل الخارجيّ فقط، بل مترتّب على العمل القلبيّ الباطنيّ، والعمل القلبيّ الباطنيّ يسير مع العمل الخارجيّ جنبًا إلى جنب، فتوجد عند العامل حركة قلبيّة باطنيّة بالإضافة إلى الحركة الخارجيّة، والثّواب مترتّب على العمل الباطنيّ لا على العمل الخارجيّ لوحده، وهذا الأمر لا بدّ من أن يلتفت إليه العاملون في العمل الفرديّ والعمل الجماعيّ والعمل الاجتماعيّ، لا لمجرد أنّه أدّى الصّلاة الخارجيّة فإنّه يحصل على الثّواب، يحصل على الثّواب من الصّلاة مع التّأثير القلبيّ الباطنيّ بها، وإذا قام بعمل خارجيّ في الدّورة الشّبائيّة فهذا العمل الخارجيّ لوحده لا يترتّب عليه الثّواب، بل لا بدّ من أن تكون عنده حركة

قلبيّة باطنيّة تكاملية حتّى يحصل على الثّواب، فالثّواب مرتبط بالعمل
الباطنيّ لا بالعمل الخارجيّ لوحده، والعمل الخارجيّ وسيلة للحركة
الباطنيّة، ولا بدّ من معرفة كيفيّة كسب الثّواب الأخرويّ .
والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد
 وآله الطّيبين الطّاهرين .

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

(٤٨)

المسؤولية تجاه الرسالة العالمية^(١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين .

ما زال الكلام عن "دور العمل الاجتماعي في إعداد أنصار الإمام المهدي عليه السلام"، وفي كل محاضرة نطرح بعض النقاط المتعلقة بهذا الموضوع .

سؤال : الدعوة إلى الدين هل هي مهمة علماء الدين فقط أو أنها مهمة جميع الأفراد من العلماء وغير العلماء ؟
الجواب :

مهمة العالم ومهمة المؤمن العادي هي الدعوة إلى الدين .

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

"ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِلَيِّ"

(١) أُلْفِيَتْ هذه المحاضرة في الديوانية الأسبوعية في دولة الكويت منطقة

بيان، الجمعة ١ جمادى الآخرة ١٤٣٤ هـ ، ١٢/٤/٢٠١٣ م .

هِيَ أَحْسَنُ . . . " (١) .

هذه الآية الكريمة ليست مختصةً بعلماء الدين، فهي شاملة لجميع الأفراد، فالفرد يدعو إلى الدين، ولكن بمقدار علمه، مع توفير شروط العامل والداعي، والمسلم الجاهل إذا أراد أن يدعو إلى الدين نقول : توقّف، فأنت غير مؤهل للدعوة إلى الدين .

نعم للدعوة إلى الدين، ولكن بشروط، وإذا لم يكن عنده علم فيبدأ أولاً بطلب العلم، وبعد ذلك يدعو إلى الدين، فالخطوة المتوسطة بين الإنسان الجاهل والدعوة هي طلب العلم .
وإذا كان حكم الدعوة هو الاستحباب فقد يقول : أنا لا أريد أن أدعو إلى الدين .

فنقول : ستخسر الكثير من الثواب .

وأيّ إنسان يقتنع بفكرة معينة ويعتقد بصحة فكرته ألا يرجو أن يتبني الآخرون نفس فكرته ؟

من طبيعة الإنسان أنّه يرجو أن يتبني العالم فكرته التي اقتنع بها، ومن يعتقد بالإسلام كدين عالميّ ويقتنع بصحته فالأمر الطبيعيّ أن يدعو إليه، لذلك فالإمام المهديّ عليه السلام مع أنصاره ينشرون العدل في العالم؛ لأنّهم مقتنعون بفكرة العدل، وعندهم اعتقاد بأنّ كلّ البشريّة لا بدّ من أن تعيش في عدالة لا المسلمون فقط، وهم يشعرون بأنّهم مسؤولون عن إيصال الطّعام إلى الإنسان الفقير الذي لا يحصل

(١) النحل : ١٢٥ .

على قوت يومه، ويشعرون بأنهم مسؤولون عن إيصال الإسلام إلى الإنسان الذي لا يعتقد بالإسلام، وأنهم مسؤولون عن إيصال وجود خالق للكون لمن لا يعتقد بوجود إله، لذلك أتباع الاشتراكية والماركسيّة أرادوا إيصال اعتقاداتهم إلى العالم بمختلف الأساليب؛ لأنهم كانوا مقتنعين بأفكارهم، مع أنّها نظريات دنيويّة، وكانوا يسعون لنشر أفكارهم .

ونحن - المسلمين - الذين نعتقد بالإسلام كم حجم المسؤوليّة التي نشعر به ؟

هل كلّ مؤمن يحمل همّ الرّسالة العالميّة أو أنّ كثيراً من المؤمنين مشغولون بأنفسهم، فعنده المعاش الشّهريّ ويعيش هو وزوجته وأولاده ويكتفي بذلك وتنتهي القضية عند الدّائرة العائليّة الضيّقة ؟

فيهمّ بمن يوجد داخل بيته فقط، وأغلب النّاس يعيشون بهذه الطّريقة، وهو غافل عن أنّ مسؤوليّته أوسع من ذلك بكثير، فمسؤوليّته مسؤوليّة عالميّة، وهو يشعر بمسؤوليّة تجاه الدّائرة الضيّقة من حيث الطّعام فقط لا من حيث التّربية والهداية، فإذا كان مؤمناً فالمفروض أن يرّي أولاده حتّى يصبحوا مؤمنين، وأن يلتفت أولاده إلى مسؤوليّتهم العالميّة، ودور الأب يقتصر على إسكان عائلته في منزل مناسب وأن يجلب لهم الطّعام ويقضي حوائجهم الدنيويّة، وأغلب الآباء لا يحملون همّ الدّين، لذلك يبحث عن دورة شبابيّة يسجّل أبناءه فيها، ويتخلّص بذلك من مسؤوليّته كمرّيّ وموجّه لأولاده،

وأغلب الآباء لا يهتمون، وتوجد بيوت فيها أبناء منحرفون، تارةً الأب يكون مقصراً فيكون مسؤولاً، وتارةً لا يكون الأب مقصراً وابنه انحرف بسبب تأثير المجتمع أو أصدقاء السوء مع أن الأب بذل جهده في تربيته، فهنا الأب يكون خالي المسؤولية، ولكن ليس جميع الآباء يهتمون بالتربية الدينية لأولادهم، وبشكل عام هذا الاهتمام غير موجود عند الآباء، وأغلب الأمهات هنّ اللاتي يشعرن بالمسؤولية، فيهتمن بأولادهنّ وبناتهنّ، وغالباً الأمهات يمارسن دور الأب في التربية والرّقابة والتّوجيه، مع أنّ المفروض أن يكون الأب هو المرّي والمراقب والموجّه الأوّل .

إذن :

إذا تبنّى الإنسان فكرةً معيّنة فإنّه يسعى إلى نشرها، ومن يعتقد بالإسلام فمن الطّبيعي أن يساهم في نشره مع توفير الشّروط المطلوبة في نفسه، فتوجد شروط معيّنة لا بدّ من أن يوفّرها المؤمن في نفسه؛ لأجل أن يكون مؤهّلاً لدعوة الآخرين إلى الدّين، ومن الشّروط أن يتعلّم ليعلم، ومن الشّروط أن يتحرّك ويعمل .

وحيثما يدعو الآخرين إلى الدّين فالمفروض أنّ الدّاعي يكون ملتزماً بالدّين، فإذا التزم بالأحكام الشّرعيّة فإنّه يكون مؤهّلاً لدعوة الآخرين إلى الالتزام بها، مثلاً امرأة سافرة أو حجابها غير شرعيّ تريد أن تدعو إلى الدّين لا يمكنها أن تدعو إلى الحجاب الشّرعيّ، سيردّون عليها بأنك غير ملتزمة بالحجاب الشّرعيّ، وهذا مثال، وقس عليه أيّ مثال

آخر، فإذا لم يلتزم الإنسان بحكم معيّن فلا يمكن أن يدعو الآخرين إلى الالتزام بهذا الحكم، وإذا دعا إلى هذه الفكرة فهو يعلم من نفسه بأنّه لا يعمل بها، وسينكشف بعد فترة أنّه غير ملتزم بها، وقد لا ينكشف، ولكنّه يعلم عن نفسه بأنّه غير ملتزم بها، ويعلم بأنّه لا يعمل بهذا الحكم مع أنّه يدعو إليه، وهذا يعبر عنه بالنفاق، فهو يدعو لشيء، ولكنّه لا يعمل به، وهو نوع من أنواع النفاق .

والدعوة إلى الدين من مسؤوليات كلّ إنسان مؤمن في عصر الغيبة إذا أراد أن يصبح من الأنصار، ومن غير المتوقع أنّ شخصاً لا يهتم بنشر الدين يصبح من الأنصار، فمن لا يهتم بنشر الدين لا يختاره الإمام عليه السلام؛ لأجل أن يساهم في نشره في العالم، ومن الطبيعي أنّ الإمام عليه السلام يختار المؤمنين الذين يشعرون بمسؤوليتهم في نشر الدين في العالم لا فقط في المنطقة والبلدة والإقليم، فعندهم هذا المهمّ بأن ينتشر هذا الدين في العالم، نعم يعملون من ناحية خارجيّة بما تسمح به الظروف، ولكنهم يرغبون بنشر الدين في العالم، وقد يكون تكليفهم الآن هو نشر الدين في منطقة ضيقة، ولكنهم يعتقدون بعالميّة الإسلام، فالفكرة موجودة عندهم، ولكنهم من ناحية العمل الخارجي وتطبيق الفكرة في الخارج تسمح لهم الظروف بأن يمارسوا ٢٠% من دورهم ومسؤوليتهم، ومتى ما حانت الفرصة لنشر الدين في العالم فإنّه يستغلّ هذه الفرصة، لذلك يحاول أن ينشر الدين من خلال موقع أو قناة فضائيّة أو أيّ طريق آخر، وقد يهاجر بعض

المؤمنين إلى مناطق أخرى لأجل نشر الدين، فهو يقوم بهذا الدور، ولكن قبل هذا لا بدّ من أن يشعر بالمسؤولية، وإذا لم يهتمّ بالدين ولم يشعر بالمسؤولية فالإمام عليه السّلام لا يختاره ليكون من الأنصار .

والإمام عليه السّلام حينما يظهر لا يبدأ بتعليم الناس ألف باء الإسلام، فلا بدّ من أنّهم تعلّموا ذلك قبل الظهور، والإمام عليه السّلام يبدأ بالبناء، ولا يبدأ بتعليم الناس مسائل الوضوء، والمفروض أنّ المؤمنين يعرفون هذه المسائل البديهية، والإمام عليه السّلام يوضّح المسائل التي لم تكن واضحة من قبل، فيأتي عليه السّلام بالأحكام الواقعية للموضوعات .

وقد يقول المؤمن بأنّه ينتظر الإمام عليه السّلام إلى أن يظهر فيبدأ العمل، فنقول بأنّه لا بدّ من أن تبدأ العمل الآن، وتكمل العمل بعد الظهور لا أن تبدأ العمل بعد الظهور، فيفترض أنّه في مرتبة سابقة يعمل المؤمن ويتحرّك حتّى يختاره الإمام عليه السّلام، وفي ذهنه حين العمل أنّه يريد أن يصبح من الأنصار، والشخص الذي لا شغل له بأمور المسلمين لا يحتاجه الإمام عليه السّلام، ولا يستفيد منه بعد الظهور؛ لأنّ الإمام عليه السّلام يحتاج إلى الأشخاص العاملين الذين يوزّعهم على الأرض ليعلموا الناس دينهم، ولو بعث مثل هذا الشخص إلى مكان آخر لجلس في بيته، ولا شأن له بتعليم الناس .

إذن :

الدعوة إلى الدين أمر مهمّ للمؤمن في عصر الغيبة، ولكن لا بدّ من

أن يوفّر شروط الدّعوة في نفسه، وليس كلّ شخص يدعو إلى الإسلام؛ لأنّه قد يسيء إلى الدّين ويضرّ مدرسة أهل البيت عليهم السّلام إذا لم يوفّر شروط الدّعوة .

ويوجد محكّ للمؤمن في أنّه يهتمّ بالدّعوة إلى الإسلام أو لا يهتمّ، والمؤمنون ينفرون إلى قسمين : مؤمنون يدعون إلى الدّين ويوفّرون شروط الدّعوة وشروط العمل وشروط العامل، والآن يريد أن يبدأ بالدّعوة، ومؤمنون آخرون لا يدعون إلى الدّين، فهو لا يهتمّ بنشر الدّين، نعم يصليّ ويصوم ويذهب إلى الحجّ، وكلّ أسبوع قد يذهب ثلاثة أيّام إلى زيارة المراقد المشرفّة، ولكنّه لا يفكر في أنّ هناك أناسًا فقراء محتاجين في بلده لا يحصلون على قوت يومهم، ولا شأن له بأموال المسلمين، ولا يخطر في باله أنّ هناك شخصًا محتاجًا لا يستطيع الذهاب إلى الزّيارة، ويمكنه أن يتكفّل بسفره إلى الزّيارة، نعم هو يقوم بأعمال مستحبّة، ولكنّه يقوم بالأعمال المستحبّة على أساس الأنايّة، هو يذهب إلى الحجّ، وهو يزور، وهو يفعل لنفسه، ولا يهتمّ بالفقراء في بلده، وإذا وُجد فقراء في أيّ بلد فالمؤمنون في هذا البلد مسؤولون عن هؤلاء الفقراء، وهذا تكليف على المؤمنين، والمؤمن لا بدّ من أن يوازن بين الأعمال، فيقدّم عملاً على عمل آخر .

ومن باب المثال إذا وُجد إنسان فقير لا يملك قوت يومه وهناك مؤمن يريد أن يسافر إلى الزّيارة بحيث إنّّه هو الوحيد الذي يعرف هذا الفقير ولا يعرفه غيره، فيقع التّراحم بين عمليّن : قضاء حاجة الفقير

والذهاب إلى الزيارة، ففي هذا الفرض يتعيّن عليه قضاء حاجة الفقير، فيقدّم هذا العمل على الزيارة، ويكون تكليفه قضاء حاجة الفقير، وفي حالة التّزاحم يختار الأهمّ على المهمّ، وهذا مقياس في تقديم عمل على عمل آخر في حالة وقوع التّزاحم بينهما، والاختيار بين العملين لا يكون عشوائياً بدون مقياس أو على أساس ما يرغب إليه الإنسان، فالدين يعطينا مقاييس تقييم الأعمال بحيث يقدّم المؤمن عملاً على عمل، نعم هذا عمل مستحبّ، ولكن قد يزاحمه عمل آخر واجب، فيقدّم الواجب على المستحبّ، وقضاء حاجة المؤمن الفقير يكون واجباً كفاًئياً على المؤمنين، فإذا قام به بعضهم وقُضيتِ الحاجة فالتكليف يسقط عن الباقيين، وإذا قام به البعض ولم تُقضى الحاجة فمن قام به يسقط عنه التكليف، ومن لم يقم به بقي عليه التكليف وأصبح في ذمّته، فيقع التّزاحم بين واجب ومستحبّ، والتكليف هو تقديم الواجب على المستحبّ، فالفقراء في البلد من مسؤوليّة جميع المؤمنين، فلا بدّ من أن يتكفّلوا بهؤلاء الفقراء، وكلّ مؤمن يسعى بمقدار استطاعته .

إذن :

يصبح عندنا محكّ وفارز يفرز المؤمن الذي يدعو إلى الدين، والمؤمن الذي يكون أنانياً في تعامله حتّى مع الدين، فيعيش الأنانيّة، وينظر إلى "الأنا" فقط، ولا شأن له بالآخرين، نعم قد يقوم بأعمال مستحبة كخوفا الصلّاة، ويلتزم بالأعمال الفرديّة، ولكن هذه الأعمال

لا تؤلم الجيب، وأعمال المؤمن لا بدّ من أن يكون لها نتيجة اجتماعيّة، لا فقط يقتصر على الأعمال الفرديّة .

ويقول : لا شأن لي بالعالم حتّى لو احترق، المهمّ هو أنا .

إنّ النظرة الأنانيّة قد يعيشها الإنسان حتّى لو كان يعمل بالمستحبّات الفرديّة، ولكنّ الانطلاقة تكون من الأنانيّة، ولا بدّ من أن يأتي المؤمن بالأعمال ويكون نظره إلى الآخرين، مثل صلاة الجماعة في المسجد، تجد شخصاً يصلّي صلاة الجماعة ويرفع صوته بحيث يشوّش على الآخرين، هو ينظر إلى نفسه فقط، ولا ينظر إلى المصلّين الآخرين المحيطين به والذين يحدث لهم تشويش فتتأثر عبادتهم ولا يستطيعون التّركيز في صلاتهم، فهو دخل إلى صلاة الجماعة، ولكن بنفسية أنانيّة، وهو غير ملتفت إلى نفسه، ويوجد مبدأ عنده، وهو مبدأ "الأنانيّة"، ولم يتخلّ عنه في المسجد، ولو كان قد تخلّى عنه لفكّر بمن حوله، وتدخل إلى المسجد وترى الحلقات المتجمّعة من شخصين أو ثلاثة أو أكثر والأحاديث تكون بصوت عالٍ، ولا يفكّرون أنّهم في مسجد، والحكم الشرعي هو كراهة الحديث بصوت عالٍ حينما يوجد أشخاص يصلّون، والمسجد مكان عبادة، والأصل هو أنّ المسجد مكان للعبادة والصّلاة لا للحديث مع أصحابه، والدخول إلى المسجد لا بدّ من أن يكون بوقارٍ، ويكره الحديث في الأمور الدنيويّة، والأصوات التي ترتفع وتشوّش على المصلّين مكروهة، وكلّ هذا لا بدّ من أن يلتفت إليه الدّاخل إلى المسجد .

ولا يقول : لم أكن منتبهًا .

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

" يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ . . . " (١) .

ومن الروايات الشريفة :

عن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : "الجلوس في المسجد انتظار الصلاة عبادة ما لم يحدث" . قيل : يا رسول الله، وما يحدث ؟ قال : "الاغتياب" (٢) .

وعنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : "يا أبا ذرّ، كلّ جلوس في المسجد لغو إلا ثلاثة : قراءة مُصَلٍِّ أو ذَاكِرِ اللهُ تَعَالَى أو سَائِلِ عَن عِلْمٍ" (٣) .
وعنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : "جنّبوا مساجدكم مجانينكم وصبيانكم ورفع أصواتكم إلا بذكر الله تعالى . . ." (٤) .

وعنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : "يأتي في آخر الزّمان قوم يأتون المساجد فيقعدون حلّقًا، ذكرهم الدّنيا وحبّ الدّنيا، لا تجالسوهم، فليس لله بهم حاجة" (٥) .

وأحد العلماء كان يسير إلى المسجد، وكان يوجد عند النّساء شبّاك

(١) الأعراف : ٣١ .

(٢) الكافي ج ٢ ص ٢٥٧ .

(٣) بحار الأنوار ج ٨٠ ص ٣٧٠ .

(٤) المصدر السابق ج ٨٠ ص ٣٤٩ ح ٢ .

(٥) المصدر السابق ج ٨٣ ص ٣٦٨ ح ٢٧ .

مفتوح، وأصواتهنّ كانت مرتفعةً بحيث إنّ من يسير خارج المسجد يسمع أصواتهنّ، فنبّه النساء إلى الموضوع، وبعض النساء قلن بأنهنّ لم ينتبهن إلى وجود شبّاك مفتوح .

فقال العالم : هذا ليس عذرًا، لا بدّ من أن تنتبهن إلى الشّبّاك .
والمرأة حينما تدخل إلى المسجد لا بدّ من تأخذ نظرةً في المكان لترى أنّ هناك شبّاكًا مفتوحًا مثلًا بحيث يصل الصّوت إلى الرّجال .
وبعض المؤمنين حينما تنبّههم إلى شيء يقول بأنّه لم يكن منتبهًا، ويحاول بقوله أن يعطي تبريرًا لنفسه وللآخرين، ولكن أحيانًا هذا ليس عذرًا مقبولًا، والمؤمن لا بدّ من أن يكون عنده رادار يعمل في جميع الاتجاهات .

وبعض الأحيان يقول : لا أدري .

فنسأله : لماذا لا تدري ؟

مثلًا أب يقول لابنه : اغلق الباب .

والولد لم يغلق الباب ليلاً، ودخل بعض اللصوص إلى البيت وسرقوا بعض الأشياء، هل الأب يعتبر الولد معذورًا في عدم غلقه الباب مع أنّه قد قال له ذلك ؟

لا يقبل الأب عذر الولد حتّى لو قال بأنّه كان قد نوى أن يغلقه

فنسي .

فباب البيت لا بدّ من أن يُغلق ليلاً؛ لكي لا يدخل لصّ ويسرق، والأب لا يقبل أيّ عذر في هذا الموضوع .

وفي بعض الأمور يقول الشخص : لا أدري .

أو يقول : لم أنتبه .

ولا يُقبلُ عذره بسبب أهميّة الموضوع أو لوقوع الضرر .

عن ابن زياد قال : سمعت جعفر بن محمد عليهما السلام وقد سئل عن قوله تعالى : "فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ" ^(١) . فقال : "إن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة : أكنت عالماً؟، فإن قال : نعم . قال له : أفلا عملت بما علمت . وإن قال : كنت جاهلاً . قال له : أفلا تعلمت حتى تعمل . فيخصمه، وذلك الحجّة البالغة" ^(٢) .

الجهل لا يكون دائماً عذراً مقبولاً، والجاهل قسماً : جاهل قاصر وجاهل مُقَصِّر، والجاهل القاصر معذور، وأمّا الجاهل المقصّر فلا يكون معذوراً، والمؤمن لا بدّ من أن يكون منتبهاً وملتفتاً دائماً؛ لأنّه يريد أن يطبّق الأحكام الشرعيّة في كلّ أمر، فلا بدّ من أن ينتبه إلى جميع الأمور؛ حتى يمكنه تطبيق الأحكام الشرعيّة، نعم لكلّ جواد كبوة، ولكن ليس في كلّ يوم كبوة، قد ينسى مرّة أو يسهو مرّة، ولكنّ التسيان أو السهو ليس أصلاً عنده، فلا ينسى ويسهو في كلّ يوم .

مثلاً لماذا الوسواسيّ حالته ليست حالةً إيمانيّةً؟

لأنّه مستمرّ في الوسواس، والشخص قد يشكّ مرّة واحدة في

(١) الأنعام : ١٤٩ .

(٢) بحار الأنوار ج ١ ص ١٧٧-١٧٨ ح ٥٨ .

الأُسبوع بين الرّكعتين الثّالثة والرّابعة، ولكن لا يومياً يشكّ بينهما أو يحدث له الشكّ أثناء كلّ صلاة، وإذا كان يشكّ دائماً فهذه الحالة ليست طبيعيّة عند الإنسان، نعم أحياناً قد يسهو أو ينسى أو يشكّ، ولكن هذا لا يشكّل أصلاً عنده، فالأصل هو عدم السّهو وعدم النسيان وعدم الشكّ، فالأصل أنّ الإنسان يتذكّر ويتبّه ويلتفت، وفي أثناء صلاته يكون منتبهاً إلى الأجزاء .

وأنصار الإمام عليه السّلام يكونون دائماً متذكّرين ومنتبهين وملتفتين إلى الأمور، ولولا ذلك لما وصلوا إلى هذه المرتبة العالية، ووضعهم يكون مختلفاً عن النّاس العاديين في تطبيق الأحكام الشرعيّة، فشخص يغفل أنّ هذا المورد من موارد حكم شرعيّ معيّن، والأنصار لا يغفلون عن ذلك، لذلك فالإمام عليه السّلام يختارهم، فعندهم مميّزات غير عاديّة وفوق الإنسان العاديّ، فالأنصار يكونون متميّزين، وحتىّ في المجتمع يكون متميّزاً، فعنده صفات معيّنة بحيث يتميّز عن الآخرين بهذه الصّفات، ولا يكون إنساناً عادياً، وإذا كان الإمام عليه السّلام يختار أناساً عاديين فلا يكون عدد القادة ثلاثمائة وثلاثة عشر شخصاً فقط، ولأصبح جميع النّاس من الأنصار، وإتّما يختار أشخاصاً يكونون بصفات معيّنة، وهذه الصّفات تؤهّلهم لأن يختارهم الإمام عليه السّلام ليكونوا من الأنصار، والإمام عليه السّلام لا يوجد فيهم هذه الصّفات، وإتّما تكون هذه الصّفات متوقّرة فيهم، فيختارهم الإمام عليه السّلام بسبب هذه الصّفات الموجودة فيهم .

إذن :

الاهتمام بنشر الدّين من مسؤوليّات الإنسان المؤمن، فيدخل في العمل الاجتماعيّ أو العمل السّياسيّ، ومن خلال العمل يهتمّ المؤمن بنشر الدّين .

سؤال : من لا يهتمّ بنشر الدّين لماذا لا يوجد عندهم الاهتمام؟! نعم شخص يرغب بنشر الدّين، ولا توجد عنده القدرة على ذلك، ولكن يمكنه أن يساهم بدفع المال .

مثلاً شخص لا يستطيع الدّهاب إلى الحوزة للدراسة بسبب ذهنه البسيط أو أنّ ظروفه لا تساعد على الدّهاب، ولكن يمكنه أن يتكفّل بطالب يدرس داخل البلد أو خارجه فيمدّه بالمال شهريّاً، والحمد لله المعاشات في بلدنا جيّدة، وهذا المؤمن يشعر بمسؤوليّة نشر الدّين حتّى لو لم ينشره بطريقة مباشرة، وإتّما ساهم بنشره عن طريق ماله .

وإذا قال شخص : لا أعلم بوجود حوزات أو بوجود طلبة حوزة يحتاجون إلى المال - فهل يُقبَلُ عذره بأنّه جاهل؟!

هو جاهل مقصّر، فهو لم يَسعَ إلى العلم بذلك، فكان يمكنه أن يسأل أحد العلماء من أئمة المساجد عن هذا الموضوع .

والمؤمن لا بدّ من أن يسعى إلى العلم والمعرفة دائماً، فيسأل عن أيّ موضوع، ولا ينتظر حتّى يسمع صدفةً .

وبعض الأشخاص إذا سألتهم : من هو الإمام في ذاك المسجد ؟

فيقول : لا أدري .

مع أنّ هذا العالم إمام للصلاة في هذا المسجد مدة عشرين سنة .

سؤال : هل المؤمن يكون معذورًا إذا لم يعرف علماء بلده ؟!

المفروض أن يعلم؛ لأنه يحتاج إلى سؤالهم عن الأحكام الشرعية، ولا بدّ من أن يعرف أسماء أئمة المساجد في بلده، ولا يعرف العلماء في بلده، وقد يعرف واحدًا فقط، فهو غير معذور، فعلماء البلد يمثلون الإمام عليه السلام، فلا بدّ من معرفتهم؛ لأنّه يأخذ الأحكام من علماء البلد، وعلماء البلد قد يكون لهم مواقف معينة، ولا بدّ من أن ينسّق مع مواقفهم .

فبعض الأمور لا يُقبلُ فيه العذر حتّى لو كان جاهلاً بالأمر؛ لأنّه جاهل مقصّر لا قاصِر، والجاهل المقصّر لا بدّ من أن يسعى حتّى يعلم، لا أن يبقى طوال عمره لا يعلم .

مثلاً تسأل شخصًا عن حكم معيّن فيقول بأنّه لا يدري، وتسأله بعد سنة ويظلّ يقول بأنّه لا يدري، وتسأله بعد عشر سنوات ويستمرّ بقوله لا أدري .

نسأله : لماذا لم تسأل لتعرف هذا الحكم الشرعيّ ؟

وأحيانًا تترتب آثار على جهله وعدم علمه بالحكم الشرعيّ، مثلاً أحد الشباب أرسل سؤالًا بأنّه في الوضوء يغسل اليد اليسرى قبل اليد اليمنى، فما هو الحكم ؟ هل يعيد الصلوات التي صلاها بهذا الوضوء لمدة سنتين ؟

نسأل : هل هذه مسألة بديهية أو لا ؟

غسل اليد اليمنى قبل اليد اليسرى من بديهيات عملية الوضوء .
والجواب هو أن يعيد الصلوات التي صلاها بهذا الوضوء، فالوضوء باطل، وبالتالي تكون الصلاة باطلة، ويجب أن يعيد صلوات سنتين .
يقول : لم أكن أدري .
يقال له : جهلك لا يعذرک .

وهكذا في بعض الأحكام الشرعية الجهل لا يكون عذراً مقبولاً،
ويترتب على الجهل بطلان العمل، وتجب إعادة العمل حتى لو كان
لمدة سنتين أو عشرين سنة أو أكثر من ذلك، حتى لو قال بأنه كان
ساهياً أو غير ملتفت أو غافلاً عن المسألة فإنه لا يُقبل منه العذر،
ولا يقال بصحة وضوئه وصحة صلاته، والمسألة بديهية؛ لأنه كما
تمسح القدم اليمنى قبل القدم اليسرى، كذلك تغسل اليد اليمنى قبل
اليد اليسرى، فالجهل في هذه المسألة لا يعتبر عذراً؛ لأن المسائل
الشرعية تطرح كثيراً في المساجد والدورات الشبائية، وهو ليس
كالشخص الذي يعيش في أدغال أفريقيا .

وبعض الأعمال التي يجهلها الشخص تترتب عليها آثار، كبطلان
العمل، فمن يريد أن يصلي عليه من البداية أن يضبط وضوئه
وصلاته، ومن الممكن أن يذهب إلى أحد العلماء ويتوضأ أمامه،
ويعطيه العالم الملاحظات حول وضوئه، وكذلك يصلي ركعتين أمام
العالم حتى يتعلم منه الصلاة الصحيحة، وخلال ثلاث وعشرين سنة

شخص واحد فقط في المسجد جاء إليّ وطلب بأن أسمع قراءته لسورة الفاتحة أنّها صحيحة أو لا، وقد توفي رحمة الله عليه قبل كم سنة، قلت له : تفضّل اقرأ .

فقرأ وكانت قراءته صحيحةً، ولا تتوقّع أنّ جميع الموجودين في المسجد قراءتهم صحيحة، ويظهر هذا من خلال قراءتهم للقرآن الكريم في السور الأخرى حيث إنّهم لا يقرأون القراءة الصّحيحة، ولا بدّ من أن تعرض دينك على أحد العلماء، كما فعل السيّد عبدالعظيم الحسيني رضوان الله عليه حيث عرض دينه على الإمام الهاديّ عليه السّلام، قال : أريد أن أبيّن لك ديني .

وبيّن اعتقاداته، والإمام عليه السّلام وافق على صحّة اعتقاداته، ولا بدّ من عرض دينك على العلماء؛ لأجل أن تعرف الصّحيح منها من الفاسد، وبيّن له اعتقاداتك والأعمال التي تقوم بها .

والآن المجال مفتوح أمام المؤمنين لتعلّم معالم دينهم وهم جالسون في بيوتهم من القنوات الفضائيّة ومواقع الإنترنت حيث تعرض جميع الأحكام الشرعيّة، وكذلك يمكنك الحصول على جميع الدّروس الحوزويّة على المواقع، والمؤمن لا بدّ من أن يسعى إلى طلب العلم حتّى يكون مؤهّلاً ليصبح عالماً عاملاً .

ويحصل الفرز بين المؤمنين، فشخص لا يهتمّ بالدّعوة إلى الدّين؛ لأنّه غير ملتزم بأحكام الدّين، وقد يكون ملتزماً، ولكنّه يظنّ بأنّ الدّين مقتصر على الفقه العمليّ الفرديّ، فيلتزم بالرّسالة العمليّة،

وأغلب المسائل في الرّسالة العمليّة طابعها فرديّ، وحتّى في صلاة الجماعة أنت تفعل كذا ولا تفعل كذا، وأنّ صلاتك صحيحة أو باطلة، ولا تتحدّث عن الآخرين إلّا في حدود قليلة، ككراهة رفع المأموم لصوته بحيث يسمعه إمام صلاة الجماعة، وهذا جانب في العلاقة مع الآخر، ولا يلتفت إلى أنّ الدّين شامل لجميع أحكام الدّين من الأحكام العقائديّة والأحكام الأخلاقيّة والأحكام العمليّة، ولا يهتمّ بأحكام العمل الاجتماعيّ وجوانب العمل الجماعيّ، وتوجد حاجة إلى الفقه الاجتماعيّ بصورة أوسع، نعم توجد مسائل الزّواج والطلاق التي لها جوانب اجتماعيّة، وتقرأ في الرّسالة العمليّة واجبات وحقوق الزّوجة وواجبات وحقوق الزّوج، وإذا وقع الطّلاق بينهما فأحكام الأولاد كذا، وطبعًا هذا هو دور الرّسالة العمليّة في بيان الأحكام العمليّة من الدّين، ونحتاج إلى بحوث في القضايا الاجتماعيّة المترتبة على الأحكام العمليّة الفرديّة، كالأثار الاجتماعيّة المترتبة على الزّواج وعلى صلاة الجماعة، والأثار الاجتماعيّة للأحكام الشرعيّة لا تجدها في الرّسالة العمليّة، ونحتاج أيضًا إلى فقه العمل الاجتماعيّ، ويتضمّن فقه الدّعوة إلى الدّين، والعامل في العمل الاجتماعيّ لا بدّ من أن يعرف شروط العامل الاجتماعيّ وشروط العمل الاجتماعيّ وأحكام العمل الاجتماعيّ، ونحتاج إلى معرفة الأحكام العقائديّة والأحكام الأخلاقيّة المرتبطة بالعمل الاجتماعيّ، مثلًا العمل يكون قربةً لله تعالى، وعدم دخول الرّياء والسّمعة والعُجب في العمل،

ونحتاج أيضًا إلى الفقه الاقتصادي والفقه السياسي، فالفقه الإسلامي شامل لجميع مجالات الحياة، ولا يقتصر على الجوانب الفردية للمؤمن، وفي المكتبة الإسلامية يوجد نقص في المؤلفات في هذه الجوانب، والكتب قليلة في هذه الأمور أو لا توجد أصلًا في بعض القضايا .

ولا توجد كتب في بيان الخطوات العملية التي على أساسها يصل المؤمن إلى أن يكون من أنصار الإمام عليه السلام، وقد تقول بأنه يكفي الالتزام بالدين، فنقول بأن هذا عنوان عام، مثلًا الصلاة عنوان عام، والصيام عنوان عام، وهذا مطلوب من الجميع في كل زمان ومكان، ولكن من يريد أن يصبح من الأنصار ما هي المواصفات الخاصة التي لا بد من أن تتوفر فيه والتي تؤهله لأن يصبح من الأنصار ؟

وهذا يحتاج إلى بحوث أخرى، نعم يدرس علم العقائد وعلم الأخلاق والرّسالة العملية، ولكنّه يحتاج إلى أكثر من هذا، يحتاج إلى أن يدرس حياة الإمام عليه السلام من ولادته إلى غيبته؛ لكي يعرف الإمام عليه السلام، ويعرف حركة الإمام عليه السلام، والأحداث التي تقع قبل الظهور وأثناء الظهور وبعد الظهور، ويمكنه أن يشخص أنّ هذا هو الإمام عليه السلام أو أنّه شخص مدّعي للإمامة، وتحصل عنده علاقة مع الإمام عليه السلام، ويبنى هذه العلاقة ويقوّيها تدريجيًا، وهذه العلاقة تسير معه في كلّ عمل يقوم به؛ لأنّه يريد أن يوجّه كلّ عمل في اتجاه الإمام عليه السلام، وسيتخلّى المؤمن عن

كثير من الأعمال التي لا تصب في هذا الاتجاه وخاصة المباحات التي لا تنبغي للمؤمن أن يأتي بها؛ لأنه يريد أن يصبح من الأنصار، والمباحات التي لا تنبغي لا تساهم في إعداده ليكون من الأنصار، والمباحات بناءً على الفقه العملي يجوز أن يأتي بها، ولكن بناءً على الفقه الأخلاقي لا ينبغي أن يأتي بها؛ لأنها لا تساهم في تكامل المؤمن، والمباح بناءً على العمل الخارجي حيادي بالنسبة للتكامل، فيأتي به أو لا يأتي به؛ لأنه يجوز أن يعمل به، ويجوز أن لا يعمل به، ولكن بناءً على علم الأخلاق والصفات القلبية الباطنية فعل المباح الذي ينبغي وترك المباح الذي لا ينبغي يساهم في التكامل، وله الخيار بين أن يقف وبين أن يتكامل، والمؤمن يختار التكامل، وبهذه الطريقة يمكن للمؤمن أن يميز بين الأعمال الخارجية، فيأخذ ما يساهم في تكامله، ويترك ما لا يساهم في تكامله، وسيجد بعض الصعوبة في حياته أكثر من غيره؛ لأنه سيترك كثيراً من المباحات، وأهل البيت عليهم السلام هم القدوة في ذلك، وكذلك الأصحاب المقربين للنبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، كسلمان المحمدي وأبي ذر وعمار بن ياسر ووزارة وأبي بصير وغيرهم، وهؤلاء أمثلة لمن يقول بأنه لا يمكن أن يصبح مثل النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، فنقدم لهم نماذج عن أشخاص وصلوا إلى مرتبة أنصار النبي صلى الله عليه وآله وأنصار سيده نساء العالمين عليها السلام وأنصار الأئمة عليهم السلام في أزمنتهم، وعلى المؤمن أن يدرس حياتهم

عليهم السّلام وحياة أنصارهم؛ لكي يقتدي بهم ويكون مثلهم،
فيصبح من الأنصار في زماننا .

إذن :

المؤمن يكون عنده اهتمام بالعمل الاجتماعيّ، والعمل الاجتماعيّ
يتحقّق بالتحرّك الفرديّ وبالتحرّك الجماعيّ، والعمل الاجتماعيّ له
مساهمة فعالة في التّخطيط والتّمحيص الإلهيّين، وهو المحكّ لفشل
المسلمين الذين لا يشاركون ولا يهتمّون بنشر الدّين من خلال العمل
الاجتماعيّ .

والقرآن الكريم يعطينا هذا المنهج :

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا . . ." (١) .

وأهل البيت عليهم السّلام يبينون معنى الآية الكريمة :

عن أبي بصير في قول الله تعالى : " قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا"،
قلت : كيف أقيهم ؟ قال عليه السّلام : " تأمرهم بما أمر الله، وتنهاهم
عما نهاهم الله، فإن أطاعوك كنت قد وقيتهم، وإن عصوك كنت قد
قضيت ما عليك" (٢) .

ويمكن للمؤمن أن يقتصر على هذه الآية، فالآية الكريمة تقول بأن
تَهْتَمّ بنفسك وأهلك، ولكن هذا تطبيق في دائرة ضيّقة، ويمكن توسعة
هذه الدّائرة إلى المجتمع الذي يعيش فيه، ويمكنه أن يوسّع الدّائرة أكثر

(١) التّحريم : ٦ .

(٢) الكافي ج ٥ ص ٦٢ ح ٢ .

إلى العالم الذي هو جزء منه، ولا بدّ من النّظر إلى الآيات الأخرى التي فيها الجوانب الاجتماعيّة وغيرها من الجوانب، مثل قوله تعالى :
". . . فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ
وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ" (١) .

بالإضافة إلى وقاية نفسه وأهله من النّار المطلوب أن يقي الآخرين من النّار أيضًا، والإنسان لا تكون انطلاقتنه من الأنانيّة، فيرى نفسه وأهله فقط، فالآية السّابقة تتكلّم عن وقاية نفسه وأهله، وهذه الآية تتكلّم عن قومه، فاتّسعت الدّائرة لتشمل القوم، والحركة مع القوم تكون بالعمل الاجتماعيّ .

والقرآن الكريم يقول :

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" (٢) .

"اصْبِرُوا" أي كلّ فرد يَصْبِرُ، "وَصَابِرُوا" أي تصبّر إخوانك المؤمنين، " وَرَابِطُوا " أي أنت في ثكنة من ثكنات الجهاد مع أنّك في داخل المدينة لا خارجها على الحدود في الثّغور، فلا بدّ من أن تعيش حالة المراقبة، فأنت جنديّ من جنود الإمام عليه السّلام، فتعيش حالة الجهاد دائميًا، وتكون في حالة الجهاد أيضًا حينما تدعو إلى الدّين، ومهمّة المجاهدين هي دعوة الآخرين إلى الدّين ونشره عن

(١) التّوبة : ١٢٢ .

(٢) آل عمران : ٢٠٠ .

طريق الجهاد الفكري والثقافي .

وقوله تعالى :

"أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ" (١) .

حالة الجهاد مطلوبة من المؤمن، من جهاد النفس وجهاد الأعداء، لا بالسلاح فقط، فالجهاد الثقافي نوع من الجهاد، وخاصة في زماننا، فأمام المؤمنين الجهاد الفكري أمام أفكار الشرق والغرب، وكل مدرسة تطرح فكرها، والفكر الموجود في مدرسة أهل البيت عليهم السلام لا بد من أن يعرفه المؤمن، ويعرف كيفية طرح هذا الفكر، وكيفية الطرح والبيان مهمة أيضاً .

وقوله تعالى :

"أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ . . ." (٢) .

وقوله تعالى :

" . . . لَكِنَّ الرِّسُولَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" (٣) .

الجهاد بالمال والنفس، "وأولئك لهم الخيرات" حيث يحصلون على النتيجة الطيبة والخير الكثير، ويصلون إلى الفلاح، والفلاح ليس

(١) آل عمران : ١٤٢ .

(٢) التوبة : ١٦ .

(٣) السورة السابقة : ٨٨ .

مترتّباً على التّحرّك الفرديّ فقط، بل يترتّب أيضاً على العمل الجماعيّ كما في جهاد المؤمنين بالمال والنّفس .

ويمكن البحث في القرآن الكريم عن كلمة "الفلاح" لاستخراج صفات المفلحين وكيفية الحصول على الفلاح، والقرآن الكريم حينما يذكر جماعةً اجتث عن صفاتهم، مثلاً عباد الرّحمن، والقرآن يطرح مجموعة من الصّفات لعباد الرّحمن، ومن يريد أن يكون من عباد الرّحمن عليه أن يجسّد صفاتهم في نفسه .

إذن :

المؤمن لا ينظر إلى العمل الفرديّ فقط، بل ينظر أيضاً إلى العمل الجماعيّ والعمل الاجتماعيّ، والإنسان قد يأتي بالأعمال الدّينيّة، ولكنّ الانطلاقة تكون من الأنايّة أي النّظر إلى نفسه فقط دون النّظر إلى الآخرين الذين يشاركونه نفس العمل الدّينيّ، كما في صلاة الجماعة، والإنسان المتديّن لا ينظر إلى نفسه فقط، فكما يريد أن يدخل الجنّة، كذلك يريد أن يُدخِلَ الآخرين معه إلى الجنّة .

مثلاً الكافر تقول له : أنت كافر محلّد في النّار .

فنسأل : وماذا بعد هذا القول ؟ وما هي النّتيجه ؟

هو سيعاندك أكثر، ولكنّ الأفضل أن تبين له الدّين، وابدأ معه النّقاش في العقائد، واثبت له أنّ هناك خالقاً للكون عن طريق الدّليل العقليّ، ومن الممكن أن يقتنع بالإسلام، فتبدأ ببحث عن خالق الكون، وتسير معه خطوةً بعد خطوة .

وأما إذا بدأت معه بقولك : أنت كافر، ولا شأن لي بك، ولا أريد أن أناقشك وأثبت لك وجود الإله الخالق .

وأما المؤمن فلا يقول بأنه لا شأن له به، وإنما يشعر بأنه مسؤول عن هذا الإنسان، فكما يريد أن يدخل الجنة يرغب أنّ هذا الكافر يدخل الجنة أيضًا، فيبدأ بالتّقاش معه لعلّه يسلم، وكم من الكفّار أصبحوا مسلمين بسبب التّقاش الهادئ، ولولا هذا التّقاش ما كانوا ينتقلون إلى الإسلام، ولو أنّه من البداية قال بأنه كافر ولا شأن له به لما دخل إلى الإسلام، والمسلمون مسؤولون عن كلّ إنسان على الأرض، طبعًا كلّ مسلم يتحرّك بحسب الطّاقة الموجودة عنده وبحسب الظروف التي يعيش فيها، والشّعور بالمسؤوليّة تجاه العالم لا بدّ من أن يكون موجودًا عند المسلم، لا فقط مسؤوليّة تجاه الأرض، بل المسؤوليّة تجاه الكون كلّّه؛ لأنّه بعد ظهور الإمام عليه السّلام تفتّح الكواكب على بعضها البعض، وقد تكون هناك سفن فضائيّة تسير بسرعات عالية، وقد تصل إلى سرعة الضّوء أو أقلّ منها بقليل، وستوجد اختراعات لم يسمع بها البشر من قبل، وقد تفتّح العوالم على بعضها البعض، كعالم الجنّ وعالم الملائكة، والمؤمن لا بدّ من أن يشعر بالمسؤوليّة تجاه كلّ الكون لا الأرض فقط، نعم يبدأ الإمام عليه السّلام وأنصاره بنشر العدل على الأرض، وبعد ذلك ينطلقون إلى الكواكب الأخرى، والآن لا نعلم بوجود كائنات على الكواكب الأخرى، ومن غير المعقول أنّ هذا الكون المترامي الأطراف لا يوجد

فيه أحد إلا الإنسان الظلوم الجهول، ويقال بأن وجود الماء على أي كوكب دليل على وجود نوع من الحياة فيه، وسكان الكواكب الأخرى قد لا يكونون مخلوقين من الطين، بل يكونون مخلوقين من مواد أخرى، والمهم أن هذه المسؤولية لا بد من أن يشعر بها من يحمل رسالة الإسلام، والشعور بالمسؤولية يدعو المؤمن إلى نشر العدل في العالم، والإمام عليه السلام يبحث عن الأشخاص الذين يوجد عندهم هذا الشعور بالمسؤولية، لا أنه يهتم بنفسه فقط، بل يهتم بالآخرين أيضاً، ومن يهتم بالآخرين -بالإضافة إلى توفر الصفات الأخرى فيه- يكون مؤهلاً لأن يصبح من الأنصار، ويختاره الإمام عليه السلام؛ لأنه سيساهم في مهمة الإمام عليه السلام بعد الظهور، ويختاره قبل الظهور حتى يبدأ الحركة معه بعد الظهور في نشر العدل في العالم، ودور المسلمين أن يرسخوا في أنفسهم الشعور بالمسؤولية تجاه العالم، ويهتم المسلم بنشر الدين في العالم، ولا يعيش الأنانية والفردية في المجال الديني، بل لا بد من أن يعيش الحالة الجماعية والحالة الاجتماعية ضمن الدين، ويشعر بأخيه المسلم، ويشعر بأخيه الإنسان أيضاً .

وفي الآية الكريمة: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ" (١) .

عن أبي عبد الله عليه السلام: "المسلم أخو المسلم . . ." (٢) .

وبعد الظهور المؤمن يأخذ من أخيه المؤمن بلا حساب .

(١) الحجرات : ١٠ .

(٢) الكافي ج ٢ ص ١٦٧ ح ١١ .

عن سعيد بن الحسن قال : قال أبو جعفر عليه السّلام : "أجيبني
أحدكم إلى أخيه فيدخل يده في كيسه فيأخذ حاجته فلا يدفعه ؟" .
فقلت : ما أعرف ذلك فينا . فقال أبو جعفر عليه السّلام : "فلا
شيء إذا" . قلت : فاهلاك إذا . فقال عليه السّلام : "إنّ القوم لم
يعطوا أحلامهم بعد" ^(١) .

وهذه العلاقة تكون من الطرفين لا من طرف واحد، لا أنّ الأوّل
يأخذ دائماً، والثاني يعطي دائماً، بل الأخذ والعطاء يكونان من
الطرفين، وهذه الحالة نعيشها في زماننا الحاليّ في مسيرة المؤمنين إلى
الإمام الحسين عليه السّلام، فجميع المؤمنين يبذلون من أموالهم، وحتى
الفقير يبذل ما يستطيع، وهذا مثال تطبيقيّ لستّة عشر مليون
شخص، وكلّ مؤمن يبذل حتىّ الفقير الذي يضع بسطةً صغيرةً ويوزّع
الماء أو بعض الطّعام أو الشّاي، والمؤمن يعطي لأخيه المؤمن باسم
الإمام الحسين عليه السّلام، وهذه ظاهرة نعيشها الآن، وهو نوع من
التّمهيد لظهور الإمام عليه السّلام، لذلك قضية الإمام الحسين عليه
السّلام ركّز عليها الأئمّة عليهم السّلام، لأنّه سيكون لها نتائج كثيرة،
وهذه نتيجة من النتائج، وهذه النتائج يستفيد منها أنصار الإمام
المهديّ عليه السّلام، وتوجد نتائج مترتبة على قضية الإمام الحسين
عليه السّلام قبل الظّهور، وكلّها ببركة الإمام الحسين عليه السّلام،
ومن هذه البركة أنّ ستّة عشر مليون زائر يخرجون من الجنوب إلى

(١) الكافي ج ٢ ص ١٧٣-١٧٤ ح ١٣ .

الشّمال ومن الشّمال إلى الجنوب ومن الشّرق إلى الغرب ومن الغرب إلى الشّرق، ولا يأخذون معهم الأموال، وطول الطّريق يأكلون ويشربون وينامون بلا حساب، وهذه ظاهرة مهمّة، وهذه الظّاهرة المصعّرة في بقعة من الأرض ستكون على مستوى العالم .

عن الإمام الباقر عليه السّلام قال : " . . . وحتىّ تخرج العجوز الضّعيفة من المشرق تريد المغرب ولا ينهاها أحد . . . " (١) .

وبعد الظّهور بعض القوانين التّكوينيّة تتغيّر، وبعض الأمور التي تكون بعد الظّهور لها مظاهر قبل الظّهور بحيث إنّ المؤمن يرى هذه المظاهر، وإذا تحقّقت بعد الظّهور بصورة أوسع فالمؤمن لا يستغرب منها، وانتشار العدل في العالم لا يكون شيئاً غريباً، وقد توجد بعض الأمثلة قبل الظّهور في بعض المناطق حيث ينتشر العدل فيها، ويكون نموذجاً مصعّراً لانتشار العدل، فبعض المظاهر توجد قبل الظّهور، وهذه المظاهر ستنتشر في العالم كلّ بعد الظّهور .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيبين الطّاهرين .

أسئلة وتعليقات الحاضرين :

المهندس حسن الجريدان :

ذكرتم أنّه نحتاج إلى "فقه العمل الاجتماعيّ"، فهل هذا الكلام موجّه لعوامّ النّاس أو للعلماء ؟

(١) تفسير العيّاشيّ ج ٢ ص ٦١ .

جواب الشيخ محمد أشكناني :

هذا من وظيفة العلماء والمفكرين، وحينما نقول "فقه" فهذا وظيفة العالم، فيهتمون بهذا الجانب، ودور العلماء أن يتصدوا للقضايا الاجتماعية .

والمتصدون بشكل عام من العلماء وغير العلماء لا يكتبون الخبرات التي اكتسبوها خلال السنوات الطويلة التي عملوا فيها، والخبرات التي تتجمع عند العالم مع اطلاعه على الناحية الشرعية تمكنه من إضافة شيء على فقه العمل الاجتماعي، ولكن المشكلة أنّ أغلب العاملين في المجتمع مدة ثلاثين وأربعين سنة إذا ترك العمل الاجتماعي أو توقاه الله تعالى لا يترك كتاباً يعكس خبرته في العمل الاجتماعي، وكذلك العلماء المتصدون لا بد من أن يكتبوا خبرتهم حتى يستفيد من كتاباتهم من يأتي بعدهم، وسنحاول في هذه الديوانية طرح بعض النقاط عن العمل الاجتماعي؛ حتى تبقى هذه الخبرة التي اكتسبناها، وبدايتنا مع العمل الاجتماعي كانت حينما كنت في السادسة عشرة من عمري، وكانت بصورة مصغرة جداً، وتوسّع الأمر وتجمّعت الخبرات خلال أكثر من ثلاثين سنة، ومن المهم أنّ الخبرات تكتب على ورق أو ضمن محاضرات؛ حتى يستفيد منها العاملون في المستقبل، ويستفيد منها مسؤولو الدورات الشبابية، ويستفيد منها المؤمنون العاملون في الدول الأخرى، والمفروض في العمل الاجتماعي أن لا يبدأ العامل من نقطة الصفر، فمن يريد أن يبدأ بدورة شبابية

مثلاً لا يبدأ من الصفر، بل يستفيد من خبرة مسؤولي الدورات الذين سبقوه، فخذ منهم الخبرة من ناحية مناهج الدراسة، وهذا جزء بسيط من الخبرة المكتوبة، وعندهم خبرات غير مكتوبة، ولا توجد كتابات عن كيفية إدارة العمل في الدورات الشبائية، فيبدأون من نقطة الصفر، ويقعون في الأخطاء ويتعلمون منها، والدورات الأخرى يبدأون أيضاً من الصفر ويتعلمون من أخطائهم، وتدرجياً يكتسبون الخبرة، فنحتاج إلى فقه العمل الاجتماعي، ونحتاج أيضاً إلى معرفة كيفية إدارة العمل الاجتماعي، وهذه الكتابات مهمة جداً، وفي كيفية اكتساب الأصدقاء يوجد كتاب أو كتابين في المكتبة، وأصل الكتاب لكاتب غربي، ثم كتب فيه أحد الكتاب المسلمين، مع أنه عندنا روايات في هذا الموضوع، وتوجد آيات وروايات في جميع مجالات الحياة، ولكن الكنوز الموجودة عندنا لم نستفد منها الاستفادة الكاملة، ونظراً لندرة بعض المواضيع، وبعض المواضيع المهمة تركناها مع وجود الآيات والروايات فيها، وفي بعض الروايات تجد أنها تتحدث عن أمور صغيرة، مثلاً رواية تتحدث عن كيفية دخول الحمام وأنتم بكرامة، وشخص قد يسأل : دخلت بالقدم اليسرى أو اليمنى فما هو الفرق؟!

وبعض الأمور التي تتكلم عنها الآيات والروايات هي عبارة عن أمور تكوينية، فحينما تصلي يوجد أمر تكويني مرتبط بالصلاة، وتوجد أمور تكوينية مترتبة على الأمور العبادية، وبعض المؤمنين إذا سمع الأذان تحصل عنده حالة تكوينية معينة، كحالة الاطمئنان القلبي،

وكذلك بعد الصلاة، والبعض يسمع الأذان فيسرع إلى أداء الصلاة، فالأذان أثر في هذا الشخص، والبعض يسمع الأذان ولا يهتم بأن يصلّي في أوّل الوقت أو في آخره، فالأذان له أثر تكويني، ولكن هذا الشخص أهمل هذا الأثر، ولم يتحرّك على أساسه، فتوجد تأثيرات تكوينيّة من العبادات، وإذا أكل الشخص لحمًا حرامًا فهناك تأثير تكويني باطني قلبي عليه، ويقال إنّ كلّ لحم في سوق المسلمين يأتي به المسلم يجوز أكله، ولا بدّ من أن يتحقّق المؤمن من مصادر اللحوم؛ لأنّه لا يريد أن يُدخَلَ إلى بطنه لحمًا حرامًا أو ما فيه شبهة، فاللحم الحرام يؤثّر على قلب الإنسان، وعليك أن تسأل: هل هذا المسلم الذي يجلب اللحوم ثقة أو غير ثقة بحيث يمكن الاعتماد على قوله أو لا؟

فتتأكّد من الطّعام الذي تأكله لا فقط على أساس الرّسالة العمليّة، بل أيضًا على أساس الرّسالة الأخلاقيّة المرتبطة بقلب الإنسان وباطنه، وبواسطة القلب والباطن تتحرّك إلى الله تعالى، ويقال إنّ الأحكام العمليّة تأتي بها تعبّدًا فقط، نقول نعم تأتي به تعبّدًا، ولكن اعلم أيضًا بأنّه توجد آثار تكوينيّة مترتبة على الأمور العباديّة، وتسمّى "الآثار الوضعيّة للأعمال"، وتظهر هذه الآثار في عالم البرزخ والقيامة، مثلًا ولاية أهل البيت عليهم السّلام تنتقل مع المؤمن وتمثّل في قبره .

عن أبي بصير عن أحدهما عليهما السّلام قال: "إذا مات العبد المؤمن دخل معه في قبره ستّ صور، فيهنّ صورة أحسنهنّ وجهًا،

وأباهنَّ هيئَةً، وأطيبهنَّ ريحًا، وأنظفهنَّ صورةً" . قال : "فيقف صورة عن يمينه، وأخرى عن يساره، وأخرى بين يديه، وأخرى خلفه، وأخرى عند رجله، وتقف التي هي أحسنهنَّ فوق رأسه، فإن أتي عن يمينه منعته التي عن يمينه، ثم كذلك إلى أن يُؤتَى من الجهات الست" .
 قال : "فتقول أحسنهنَّ صورةً : ومن أنتم جزاكم الله عتي خيرا ؟ فتقول التي عن يمين العبد : أنا الصلّاة، وتقول التي عن يساره : أنا الزكاة، وتقول التي بين يديه : أنا الصيام، وتقول التي خلفه : أنا الحج والعمرة، وتقول التي عند رجليه : أنا برّ من وصلت من إخوانك، ثم يقلن : من أنت فأنت أحسننا وجهًا وأطيبنا ريحًا وأبهانا هيئَةً ؟ فتقول : أنا الولاية لآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين" (١) .

عن الإمام جعفر الصادق عليه السّلام : "يُسأل الميت في قبره عن خمس : عن صلّاته وزكّاته وحجّه وصيامه وولايته إيانا أهل البيت، فتقول الولاية عن جانب القبر للأربع : ما دخل فيكنّ من نقص فعليّ تمامه" (٢) .

ولاية أهل البيت عليهم السّلام لها تأثير دنيويّ وتأثير برزخيّ وتأثير أخرويّ، ولكنّ الولاية بشرطها .

وقد يقول البعض : ما دام عندي ولاية أهل البيت عليهم السّلام

(١) بحار الأنوار ج ٦ ص ٢٣٤-٢٣٥ ح ٥٠، أحدهما أي أحد الإمامين الباقر والصادق عليهما السّلام .

(٢) المصدر السابق ج ٦ ص ٢٦٥-٢٦٦ ح ١١١ .

فأنا من النّاجين قطعاً حتّى لو ارتكبت المحرّمات .

نقول : يكون من النّاجين بشرط الالتزام بالولاية، والعمل على أساسها، وولاية أهل البيت عليهم السّلام لا بدّ من أن تؤدّي إلى التقوى والطّاعة والالتزام بأحكام الدين .

عن الإمام الباقر عليه السّلام مخاطباً جابر بن عبد الله الأنصاريّ :
"يا جابر، أيكثفي من يَنْتَحِلُ التّشيعُ أن يقول بحبنا أهل البيت ؟
فوالله ما شبعنا إلّا من اتقى الله وأطاعه، وما كانوا يُعرفُونَ - يا جابر - إلّا بالتواضع والتّخشع والأمانة وكثرة ذكر الله والصّوم والصّلاة والبرّ بالوالدين والتّعاهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والأيتام وصدق الحديث وتلاوة القرآن وكفّ الألسن عن النّاس إلّا من خير وكانوا أمناء عشائهم في الأشياء" . . . (١) .

فإذا لم يلتزم الشّخص بأحكام الدّين فهو غير ملتزم بالولاية، مثلاً الشّخص المستهين بالصّلاة لم يتمسك بالولاية ولا يحصل على شفاعته أهل البيت عليهم السّلام .

عن الإمام الباقر عليه السّلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : "لا ينال شفّاعتي من استخفّ بصلاته، ولا يرِدُ عليّ الحوض، لا والله" (٢) .

عن الإمام الصّادق عليه السّلام قال : "شفّاعتنا لا تنال مُستخفّاً

(١) الكافي ج ٢ ص ٧٤ . يَنْتَحِلُ : يدّعي .

(٢) بحار الأنوار ج ٨١ ص ٢٤١ ح ٢٧ .

بصلاته" (١) .

الأثر الأخرويّ لأكل الحرام :

عن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله : " لا يشمّ ريح الجنّة جسد نبت على الحرام" (٢) .

الأثر الأخرويّ لترك الصلّاة على آل النبي صَلَّى الله عليه وآله :

عن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله : " من صَلَّى عَلَيَّ ولم يُصَلِّ عَلَيَّ لم يجد ريح الجنّة، وإنّ ريحها لتوجد من مسيرة خمسمائة عام" (٣) .

الأثر الأخرويّ لعقوق الوالدين وقطع الرّحم :

عن الإمام الصادق عليه السّلام : " . . . إنّ الله خلق الجنّة فطيّبها وطيب ريحها، وإنّ ريحها ليوجد من مسيرة ألفي عام، فلا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم" (٤) .

لا أنّه لا يدخل الجنّة، بل لا يشمّ ريح الجنّة .

وتوجد مجموعة من الآثار التكوينيّة المترتبة على المهتمّ بصلاته، والمستهين بالصلّاة لا يحصل على هذه الآثار لا في الدّنيا ولا في عالم البرزخ ولا في القيامة، والمؤمن الملتزم بصلاته يحصل على الآثار الوضعيّة في الدّنيا، وكلّ عمل يؤدّيهِ الإنسان له آثار وضعيّة تكوينيّة .

(١) بحار الأنوار ج ٧٩ ص ٢٢٧ ح ٥٣ .

(٢) إرشاد القلوب للحسن بن محمّد الدّيلميّ ج ١ ص ١٤٦ .

(٣) بحار الأنوار ج ٨ ص ١٨٦ ح ١٥٠ .

(٤) المصدر السّابق ج ٧١ ص ٩٦ ح ٢٩ .

الأثر الدنيويّ لمجاورة المؤمن :

عن أمير المؤمنين عليه السّلام : "شيعتنا . . . بركة على من جاوروا . . ." (١) .

المؤمن الحقيقيّ بيته يكون مباركًا، وآثار البركة تمتدّ إلى جيرانه، وقد لا نعرف حقيقة هذه الآثار ولا نشعر بها مع وجودها .

والمؤمن في المدرسة يتأثر به بعض الطّلبة، والمؤمن في وظيفته يتأثر به بعض الموظّفين العاملين معه، وهو لا يشعر بأنّ له تأثيرًا عليهم، وفي يوم ما بعد عشرين أو ثلاثين سنةً ترى شخصًا يقول لك بأنّه قد تأثر بك حينما كنت في المدرسة أو في الوظيفة، وأنك كنت قدوةً له، وهذا التأثير قد يستمرّ معه إلى آخر حياته، وقد تساهم في تغييره إلى الأفضل، والإنسان كلّما التزم بالدين أكثر تربّبت على أعماله آثار أكثر، مثلًا مؤمن يقضي حاجة مؤمن آخر تترتب بعض الآثار .

الآثار الدنيويّة والأخرويّة لقضاء حاجة المؤمن :

عن الإمام الصّادق عليه السّلام : "ومن قضى لأخيه المؤمن حاجةً قضى الله عزّ وجلّ له يوم القيامة مائة ألف حاجة، من ذلك أوّلها الجنّة، . . ." (٢) .

وعنه عليه السّلام : "أيما مؤمن نفّس عن مؤمن كربةً نفّس الله عنه سبعين كربةً من كرب الدّنيا وكرب يوم القيامة" . وقال : "ومن يسرّ

(١) بحار الأنوار ج ٦٥ ص ١٩٠ ح ٤٦ .

(٢) المصدر السابق ج ٧١ ص ٣٢٢ ح ٩٠ .

على مؤمن وهو معسر يسّر الله له حوائجه في الدّنيا والآخرة" . قال :
"ومن ستر على مؤمن عورةً يخافها ستر الله عليه سبعين عورةً من عوراته
التي يخافها في الدّنيا والآخرة" . قال : "وإنّ الله عزّ وجلّ في عون
المؤمن ما كان المؤمن في عون أخيه المؤمن، فانتفعوا بالعظة، وارغبوا في
الخير" (١) .

وعنه عليه السّلام : "من أغاث أخاه المؤمن اللّهفان عند جهده
فنفس كربته وأعانه على نجاح حاجته كانت له بذلك عند الله اثنتان
وسبعون رحمةً من الله، يعجل له منها واحدةً يصلح بها معيشته، ويدّخر
له إحدى وسبعين رحمةً لأفراع يوم القيامة وأهواله" (٢) .

الآثار البرزخيّة للأعمال :

عن أمير المؤمنين عليه السّلام : "يا عباد الله، ما بعد الموت لمن
لا يُغفّر له أشدّ من الموت، القبر فاحذروا ضيقه ووضنكه وظلمته
وغرته" (٣) .

عن الإمام زين العابدين عليه السّلام في الدّعاء : "اللّهم صلّ على
محمد وآل محمد، واجعلني وجميع إخواني بك مؤمنين، وعلى الإسلام
ثابتين، ولفرائضك مؤدّين . . . وعند معاينة الموت مستبشرين، وفي
وحشة القبر فرحين، وبلقاء منكر ونكير مسرورين، وعند مساءلتهم

(١) بحار الأنوار ج ٧٢ ص ٢٠ ح ١٦ .

(٢) المصدر السابق ج ٧٢ ص ٢١-٢٢ ح ٢٢ .

(٣) المصدر السابق ج ٦ ص ٢١٨ .

بالصّواب مجيبين . . . " (١) .

عن الإمام الصّادق عليه السّلام : " . . . فإذا دخله (أي القبر) عبد مؤمن قال : مرحبًا وأهلاً، أما والله لقد كنت أحبّك وأنت تمشي على ظهري، فكيف إذا دخلت بطني، فسترى ذلك" . قال : "فَيُفْسَحُ له مدى البصر، وَيُفْتَحُ له باب يرى مقعده من الجنّة" . قال : "ويخرج من ذلك رجل لم ترَ عيناه شيئاً قطّ أحسن منه، فيقول : يا عبد الله، ما رأيت شيئاً قطّ أحسن منك . فيقول : أنا رأيك (أي اعتقادك) الحسن الذي كنت عليه، وعملك الصّالح الذي كنت تعمله . . . " (٢) .

عن رسول الله صلّى الله عليه وآله : "ضغطة القبر للمؤمن كفارة لما كان منه من تضييع النّعم" (٣) .

عن أمير المؤمنين عليه السّلام : "عذاب القبر يكون من التّميمة والبول وعزب الرّجل عن أهله" (٤) .

عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السّلام : قلت : جُعِلْتُ فداك، فأين ضغطة القبر ؟ فقال : "هيهات، ما على المؤمنين منها شيء،

(١) الصّحيفة السّجّاديّة دعاء رقم ٢٠٦ .

(٢) الكافي ج ٣ ص ١٣٠ .

(٣) بحار الأنوار ج ٦ ص ٢٢١ .

(٤) علل الشّرائع للشّيخ الصّدوق ج ١ ص ٣٠٩ . البول : أي عدم الاحتراز منه . عزب الرّجل عن أهله : هجر الرّوجة والابتعاد عنها .

والله إنّ هذه الأرض لتفتخر على هذه، فتقول : وطأ ظهري مؤمن، ولم يطأ على ظهرك مؤمن . وتقول له الأرض : والله كنت أحبك وأنت تمشي على ظهري، فأما إذا وليتك فستعلم ماذا أصنع بك . فتفسح له مدّ بصره" (١) .

إنّ الأعمال لها آثار دنيويّة وآثار برزخيّة وآثار أخرويّة . وهذه الأمور لا بدّ من أن يعرفها المؤمن، لا أن يكون جاهلاً بالدين، فإذا أراد أن يصبح من الأنصار فلا بدّ من أن يقرأ الآيات الكريمة والروايات الشريفة؛ لكي يعرف صفات المؤمن الحقيقيّ وصفات أنصار الإمام عليه السّلام حتّى يحقّق هذه الصّفات في نفسه، والأمور لا تحدث بشكل عشوائيّ بدون تخطيط، والإمام عليه السّلام يختار أنصاره ممّن تتوفّر فيهم صفات معيّنة، ولا يختار عليه السّلام الأنصار بشكل عشوائيّ وبالصدفة .

عميد الدّيوانيّة الحاجّ محمّد يوسف العيسى :

هل في إمام صلاة الجماعة تشترط معرفة اسمه ؟ وإذا كانت قراءته فيها خطأ هل تصح الصلاة خلفه ؟
جواب الشيخ محمّد أشكناني :

ليس من شروط صحّة الصلّاة جماعةً معرفة اسم الإمام، بل يكفي أن تعرف أنّه عادل، ولكن من العيب أن يذهب المؤمن إلى مسجد ويصلّي خلف الإمام وهو لا يعرف اسمه، فمن ناحية شرعيّة لا شيء

(١) الكافي ج ٣ ص ١٣٠ .

عليه فتجوز الصلّاة خلفه، ولكن لو سأله شخص : من هو الإمام
الذي تصليّ خلفه في هذا المسجد ؟
فيقول : لا أدري .

ومعرفة اسم الإمام سهل، أسأل الجالس إلى جنبك عن اسمه، ولكنّ
المشكلة إذا كان الجالس إلى جنبك مثلك لا يعرف اسمه، أو اذهب
إلى الإمام نفسه واسأله عن اسمه .

وكثير من المؤمنين لا يعرفون أسماء علماء بلدهم، وأحد الشّباب
المتدّين قبل عشرين سنة حينما كنّا في الجامعة ذهب في زيارة إلى قم
المقدّسة، فأحد العلماء سأله عن عالم معروف في بلدنا، وهو إمام
مسجد، وفي الثّمانينيات كان العلماء في بلدنا قليلين معدودين، فهذا
الشّابّ قال بأنّه لا يعرفه، فويّحه العالم في قم المقدّسة بأنّه كيف لا
يعرف علماء بلده، مع أنّ هذا العالم عامل وله تأثير على المجتمع،
وبعض الأمور لا يكون الإنسان معذورًا فيها، فمن العيب أن يصليّ
خلف عالم ولا يعرف اسمه، ولم يخطر في ذهنه أن يسأل عن اسمه،
وعليّنا أن لا ننظر فقط بمقدار الرّسالة العمليّة بأنّ العمل يجوز أو لا
يجوز، بل نوسّع نظرنا إلى أكثر من ذلك، والمباح له جانبان : جواز
الفعل وجواز التّرك، وتوجد على المؤمن مسؤوليّة تجاه المباحات بأن
يأتي بها أو لا يأتي بها على أساس ينبغي ولا ينبغي .

نعم إذا كانت قراءة إمام الصلّاة فيها خطأ فلا تصحّ الصلّاة خلفه
حتّى لو كان عادلاً .

ويجب على جميع المؤمنين تعلّم القراءة الصّحيحة للقرآن، وإذا لم يَسْتَطِعْ أن يتعلّم بعد أن بذل أقصى جهده فيكون معذوراً إذا كان قاصراً، وأمّا إذا كان مقصراً فلا يكون معذوراً، مثلاً بعض كبار السنّ لا يستطيعون التعلّم مهما حاولت معهم، فهؤلاء قاصرون ومعذرون، ولكن تجد شاباً صحيح البدن والعقل لا يتعلّم القراءة الصّحيحة فهذا غير معذور، والآن التعلّم عمليّة سهلة، فيدخل إلى أيّ موقع قرآنيّ ويسمع القارئ عدّة مرّات إلى أن يتقن القراءة، وكثير من الشباب لا يستفيدون من الأجهزة النّقالة، ويشغلون أوقاتهم بإرسال الرّسائل الكثيرة، وكثير من صفحات المواقع والإنستغرام لا فائدة فيها، ومن يتابعها يضيّع وقته فيما لا نفع فيه، والمؤمن له حياة هادفة، فالمؤمن إنسان هادف، وكلّ عمل يقوم به يكون على أساس الهدف الذي يريد أن يحقّقه، فإذا أراد أن يصبح من الأنصار فهذا هدف، وجميع الأعمال التي يقوم بها لا بدّ من أن تكون على أساس هذا الهدف، وإذا قام بعمل لا يصبّ في هذا الهدف فمعنى ذلك أنّ هدفه غير واضح عنده أو أنّه غير مقتنع به تماماً، فحدّد هدفك، وعلى أساس الهدف يتحرّك الإنسان المؤمن .

والحمد لله ربّ العالمين وسلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطيّبين الطّاهرين .

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

(٤٩)

فقه العمل الاجتماعي^(١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين .

كان الكلام في مساهمة العمل الاجتماعي في إعداد أنصار الإمام المهدي عليه السلام، وذكرنا سابقاً أنّ العمل الاجتماعي يكون ضمن الأحكام التكاليفيّة الخمسة، فكما أنّه يوجد وجوب للصّلات اليوميّة، واستحباب بعض الصّلات، كذلك في العمل الاجتماعي يوجد وجوب العمل الاجتماعي، واستحباب العمل الاجتماعي، وكراهة العمل الاجتماعي، وحرمة العمل الاجتماعي، وإباحة العمل الاجتماعي، وهذا كلّه ضمن الأحكام التكاليفيّة الخمسة، فتوجد أحكام خمسة في العبادات والمعاملات، وكذلك العمل الاجتماعي يكون ضمن الأحكام الخمسة؛ لأنّه في الدّين لا يوجد عمل بلا

(١) أُلقيت هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في دولة الكويت منطقة

بيان، الجمعة ٨ جمادى الآخرة ١٤٣٤ هـ ، ١٩/٤/٢٠١٣ م .

حكم، فكلّ عمل من الأعمال له حكم شرعيّ فقهيّ عمليّ، وطبعًا له ارتباط بالجانب العقائديّ والجانب الأخلاقيّ أيضًا .

إذن :

في بعض الموارد يوجد وجوب عزلة المؤمن عن العمل، وفي بعض الموارد يوجد حرمة العزلة أو كراهة العزلة أو استحباب العزلة أو إباحة العزلة، وكلّه يرجع لفقّه العمل الاجتماعيّ، فكما أنّه يوجد فقّه للعبادات وفقّه للمعاملات، كذلك يوجد فقّه للعمل الاجتماعيّ، وفقّه للاقتصاد، وفقّه للسياسة، وكلّ جانب من جوانب الحياة له فقّه خاصّ، والمطلوب من العلماء أن يكتبوا عن الفقّه في المجالات المختلفة من الحياة، وباب النكاح والطلاق يدخل في كتاب الفقّه الاجتماعيّ، والعمل الاجتماعيّ له فقّه أيضًا .

مثلاً مؤمن يريد أن يبدأ بدورة شبابيّة مع مجموعة من الشّباب لا بدّ من أن يطلّعوا على فقّه العمل الاجتماعيّ، وإذا لم يكن عندهم اطلاع ودخلوا العمل فمن الممكن أن يضرّوا المجتمع بدل من أن يفيدوه، مع أنّ هدفهم هو التّقرب إلى الله تعالى وخدمة المجتمع، وإذا أرادوا التّقرب إلى الله تعالى فلا بدّ من أن يعرفوا أحكام الله عزّ وجلّ، وقد يبدأ المؤمن بعمل ولا توجد عنده خلفيّة عن الأحكام المتعلّقة بهذا العمل، فمن الممكن أن يبطل عمله ويضرّ المجتمع، وقد يرتكب المحرّمات كما في التّجارة، فيحتاج إلى فقّه التّجارة .

عن الأصبغ بن نباتة قال : سمعت أمير المؤمنين عليه السّلام يقول

على المنبر : "يا معشر التّجّار، الفقه ثمّ المتجر، الفقه ثمّ المتجر، الفقه ثمّ المتجر، الفقه ثمّ المتجر، والله للرّبا في هذه الأّمة أخفى من ديب التّم على الصّفا، شوّبوا أيّمانكم بالصدّق، التّاجر فاجر، والفاجر في النّار إلّا من أخذ الحقّ وأعطى الحقّ" (١) .

عن الإمام الصّادق عليه السّلام : "من أراد التّجارة فليتنفّقه في دينه؛ ليعلم بذلك ما يحلّ له ممّا يحرم عليه، ومن لم يتنفّقه في دينه ثمّ اتّجر تورّط في الشّبّهات" (٢) .

فالفقه قبل التّجارة، كذلك الفقه قبل العمل الاجتماعيّ، وكذلك الفقه قبل العمل الفرديّ، مثلاً إذا أراد أن يصلّي فلا بدّ من أن يتعلّم أحكام الوضوء والصّلاة؛ حتّى يأتي بالصّلاة الصّحيحة، ولا تبطل صلاته، وإذا لم يتعلّم أحكام الصّلاة فإنّه يبدأ بالصّلاة فيقول : "الله أكبر"، ولكنّه يصلّي الظّهر خمس ركعات .

ويقول : زيادة الخير خيرين .

فنقول : يجب أن تلتزم بأربع ركعات في صلاة الظّهر، وإذا صلّيت أقلّ أو أكثر فصلاتك تبطل .

فيوجد حكم شرعيّ بوجوب أربع ركعات لصلاة الظّهر، وكذلك في العمل الاجتماعيّ توجد أمور واجبة وأمور مستحبة وأمور مكروهة وأمور محرّمة وأمور مباحة، ولا بدّ من أن يعرف العامل كلّ هذا قبل

(١) الكافي ج ٥ ص ١٥٠ ح ١ .

(٢) وسائل الشّيعّة للشّيخ الحرّ العامليّ ج ١٢ ص ٢٨٣ ح ٤ .

أن يُقَدِّمَ على العمل .

وفي بعض الحالات يوجد حكم وجوب العزلة، فلا يُقَدِّمُ المؤمن على العمل بسبب وجود ضرر عليه أو على إخوانه المؤمنين، وفي هذه الحالة يتوقّف ولا يعمل علناً، فمع وجوب العزلة لا يجوز أن يُقَدِّمَ على العمل، وهذا هو التّقِيّة في مدرسة أهل البيت عليهم السّلام، فالتّقِيّة هي أن يقف ولا يعمل بشكل علنيّ، فيوجد وجوب العزلة وحرمة العمل العلنيّ، نعم يعمل بالسّرّ بدون أن يُكْتَشَفَ، ويعتزل العمل العلنيّ بسبب وجود المخاطر التي تحيط بالفرد والمجتمع من قِبَلِ الحاكم الظّالم .

وهذه العزلة تكون داخلة ضمن التّخطيط الإلهيّ، ومن أهداف العزلة حفظ الفرد المؤمن لنفسه لعمل أكبر في المستقبل، والعمل الأكبر مطلوب، فيحفظ نفسه للعمل الأكبر، فيوجد حكم وجوب حفظ النّفس، ومن أهداف العزلة إنتاج أنصار للإمام عليه السّلام، ومن أهداف العزلة صبر المؤمن في البلاء، ومن أهداف العزلة عدم إيقاع إخوانه المؤمنين في الخطر والضّرر، وكذلك وجوب العمل يدخل ضمن التّخطيط الإلهيّ في حالات وجوب العمل، لذلك على المؤمن أن يعرف متى يقف ومتى يتحرّك .

والتّقِيّة لا تعني العزلة التّامة بأن يجلس في بيته، ويغلق عليه الباب، ويكون من أحلاس البيوت، ولا تعني الانصراف عن المجتمع، وترك كلّ شيء، بل التّقِيّة تعني العمل الاجتماعيّ الصّالح بالمقدار الممكن

حفظًا لنفسه وغيره من دون أن ينكشف العامل أمام أعوان الحاكم الظالم .

عن الإمام الصادق عليه السلام قال : كان أبي يقول : "وأي شيء أقرُّ لعيني من التقيّة، إنّ التقيّة جنة المؤمن" (١) .

عن الإمام الصادق عليه السلام : "إذا عملت بالتقيّة لم يقدرُوا لك على حيلة، وهو الحصن الحصين، وصار بينك وبين أعداء الله سدًّا لا يستطيعون له نقبًا" (٢) .

فتشريع وجوب التقيّة لأجل أن لا يصل الحاكم الظالم إلى المؤمنين، وإذا لم يأخذ بوجوب التقيّة فأولًا يكون مخالفًا لحكم شرعيّ، وثانيًا عدم الأخذ بالتقيّة يؤدّي إلى بطء وجود العدد الكافي من المخلصين الممخّصين، ووجود الأفراد المخلصين الممخّصين شرط أساس من شروط ظهور الإمام عليه السلام، فشرط الرّسالة العالميّة متوقّف، وشرط القائد العالميّ متوقّف، ومن الشّروط الناقصة في زماننا وجود الأنصار بالكمّ والكيف المطلوبين، فتوجد حاجة إلى عدد معيّن من الأنصار، وهذا هو الكمّ، وأن يكونوا بدرجة إيمانيّة عالية، وهذا هو الكيف، والأنصار هم الذين يتكفلون بنشر العدل في العالم تحت قيادة الإمام المهديّ عليه السلام، ويساعدونه ويساهمون معه على نشر العدل .

(١) بحار الأنوار ج ٧٢ ص ٤٣٢ ح ٩٤ . الجنة : الوقاية والدّرع والحفظ والستّر والحراسة والحماية .

(٢) وسائل الشّيعّة ج ١١ ص ٤٦٧ ح ٣٣ . الثّقب : الثّقب والخرق .

والعاملون في كلّ عصر لا بدّ من أن يكونوا النّخبة من المؤمنين الصّالحين المخلصين الواعين الذين ينجحون في التّمحيص الإلهيّ، وإذا راجعنا حياة النّبّي صلّى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السّلام لوجدنا أنّ المتصدّين للعمل عادةً ما يكونون من النّخبة، وهم الأصحاب المقربون من النّبّي صلّى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السّلام، وتكون لهم صفات من الدّرجة العالية، ونرى أنّهم الذين يتحرّكون ويعملون ويتصدّون، لا أنّ أيّ شخص يتصدّى، وفي زماننا نرى أنّ أيّ شخص يتصدّى مع أنّه لا تتوفر فيه الصّفات المطلوبة، والمتصدّون في زمان النّبّي صلّى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السّلام يكونون دائماً ضمن مواصفات خاصّة عالية، وتكون لهم صفة الدّرجة الإيمانيّة العالية مع الوعي والإخلاص، وعادةً ما يكونون من المقربين من النّبّي صلّى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السّلام، وأبرز مثال للدّرجة الإيمانيّة العالية والوعي والإخلاص العالي هو أنصار الإمام الحسين عليهم السّلام، فالأنصار المتصدّون كانوا خيرة الأُمّة؛ لأنّ تصدّيهم يؤدّي إلى قتلهم، وفي المجتمعات ترى كثيراً من الناس يتصدّون، ولكن مع وجود الخطر من سجن أو قتل أو تعذيب تجد أنّ العدد يقلّ، ويبقى من يكون في درجة عالية من الإيمان والإخلاص، فيقفون في وجه الحاكم الظالم، وقد يؤدّي التّصدّي إلى سجنهم أو قتلهم في حالة وجوب التّصدّي عليهم .

والمؤمنون المتصدّون في حالة وجوب العزلة يجب أن يحافظوا على

أنفسهم، وهم مع عدم وجوب التّقيّة يكونون أوّل المسارعين للعمل والجهاد ممّا يؤدّي إلى القضاء على أكثرهم وبطء توفّر شرط الظهور وهو وجود الأنصار .

والتّقيّة هي العزلة وكفّ اللّسان وعدم التّحرّك، والتّمسك بالتّقيّة الذي يؤدّي إلى إهمال العمل الاجتماعيّ الإسلاميّ في موارد وجوب العمل حجة باطلة، ويكون مخالفاً للحكم الشرعيّ، ففي موارد وجوب العمل تكون التّقيّة انحرافاً عن الشريعة، وفي موارد وجوب التّقيّة يكون العمل والتّصدّي مخالفاً للشريعة، وتحديد الموارد يكون بأيدي العلماء، والعلماء يمكنهم تشخيص هذه الموارد، لذلك يرجع المؤمنون إلى مرجع التّقليد، وتسمع من بعض العاملين أنّه يشخص، نعم إذا كان عنده علم يمكنه تشخيص الموارد، ولكن في القضايا الاجتماعيّة والسياسيّة تشخيص الموارد من الأمور الصّعبة؛ لأنّه توجد عوامل كثيرة تدخل في الحساب، فيحتاج إلى معرفة الحكم الشرعيّ أوّلاً، وثانيًا معرفة مورد التّطبيق، وإذا لم تكن الأحكام الشرعيّة بيده فلا يمكنه التّشخيص، فلا بدّ من أن يعرف الأحكام الشرعيّة حتّى يمكنه تشخيص المورد، فيقول إنّ هذا المورد ضمن ذاك الحكم الشرعيّ، وغير العالم بالأحكام الشرعيّة يخطئ في التّشخيص .

وتجد شاباً عمره ستّ عشرة سنة يقول : أنا أشخص .

ولا يُقبَلُ منه هذا الكلام؛ لأنّنا لا نتوقّع أن يكون عنده العلم الكافي بالأحكام الشرعيّة، فإذا كان يشخص بنفسه فنقول إنّ هذا

غير ممكن، ولا توجد فلتات في زماننا، مثل ابن سينا أو السيّد الشهيد محمّد باقر الصّدر، وإتّما يوجد تدرّج طبيعيّ في اكتساب العلم من درجة إلى درجة أعلى .

إذن :

من المهمّ للعامل معرفة الأحكام الشرعيّة التّكليفيّة الخمسة في العمل الاجتماعيّ، ومعرفة كيفيّة تطبيق الأحكام على الموارد، فيعرف أنّ المورد الأوّل تطبيق لوجوب العمل، والمورد الثّاني تطبيق لحرمة العمل، مثلما أنّه يريد أن يصلّي الظّهر، فيعرف أنّ صلاة الظّهر واجبة شرعاً، وأنّها تجب مع زوال الشّمس، فيعرف أنّ الوقت قد دخل، فيشخص أنّ الآن تجب صلاة الظّهر، فشخص لأنّه يعرف الحكم الشرعيّ، ويعرف متى يطبّق الحكم الشرعيّ، ويعرف شرط فعليّة الحكم الشرعيّ، فيقوم الآن لأداء الصّلاة، وكذلك في العمل الاجتماعيّ لا بدّ من أن يعرف الحكم الشرعيّ، ويعرف كيفيّة تطبيق الحكم، ويعرف شرط فعليّة الحكم، ويعرف شروط العمل وشروط العامل، ويعرف أنّ شرط العمل قد تحقّق، فيُقدّم على العمل، فيعرف أنّ هذا المورد من موارد وجوب العمل، والمورد الثّاني من موارد وجوب العزلة، وهكذا في باقي أحكام العمل وأحكام العزلة، فنحتاج إلى الأحكام الشرعيّة؛ لأجل معرفة الوجوب والحرمة والاستحباب والكره والإباحة، فإذا وُجد وجوب العمل أو استحباب العمل فلا يتّجه إلى التّقية والعزلة، أو بالعكس يكون في وجوب التّقية فلا يتّجه

إلى العمل والتّصدّي، فيشخص أنّ هذا المورد ليس من موارد التّصدّي؛ لأنّ الحكم هو وجوب التّقية والعزلة، وإذا لم يعرف المؤمن التّمييز بين الموارد فيرجع إلى العلماء، والعلماء يحدّدون له الحكم من وجوب العمل أو وجوب التّقية .

وإذا كان الحكم هو وجوب العزلة التّامة وهذا المؤمن تحرك بصورة علميّة فإنّه يسقط في الامتحان الإلهي؛ لأنّه يجب علينا الانقياد للأحكام الإلهيّة في حالة العمل وفي حالة العزلة، وتقول بأنّه قد قدّم حياته، فنقول حتّى لو قدّم حياته، فهو لم يعمل بتكليفه الشرعيّ، وهذا كما في حالة من يعرف وجوب الصّلاة ولا يصلّي، فيكون قد سقط في الامتحان، وكذلك من يتحرك في موارد وجوب العزلة يسقط في التّمحيص الإلهيّ، والتّمحيص موجود لجميع النّاس ضمن الأحكام الشرعيّة، فكما يوجد الانقياد في مسائل العبادات، كذلك لا بدّ من الانقياد في موارد العمل الاجتماعيّ، والقضيّة ليست مزاجيّة، فعندنا "فقه الصّلاة"، وعندنا "فقه العمل الاجتماعيّ"، وفي كلا الموردين يحتاج المؤمنون إلى الأحكام الشرعيّة، والآن كلّ التّركيز على "فقه العبادات"، وقد لا تجد في المكتبة الإسلاميّة كتابًا بعنوان "فقه العمل الاجتماعيّ" إلّا ما ندر، وإذا وُجد الكتاب فلا تجد فيه التّفصيل، وقد تجد بعض المحاضرات عن هذا الموضوع، وهذا يعتبر نقصًا في بيان أنواع الفقه، والآن تجد رسائل عمليّة كثيرة في مسائل العبادات، ونحتاج إلى رسالة عمليّة في مسائل العمل الاجتماعيّ، وتوجد حاجة

أيضًا إلى مسائل الفقه الاقتصاديّ ومسائل الفقه السياسيّ، والآن كم

كتاب عندنا في الفقه الاقتصاديّ والفقه السياسيّ؟!

تجد كتاب "الاقتصاد الإسلاميّ" للشيخ الشهيد مرتضى المطهريّ رضوان الله عليه، وكتابي "اقتصادنا" و "البنك الأربويّ" للسيد الشهيد محمد باقر الصدر رضوان الله عليه، وفي زماننا نحتاج إلى كتب كثيرة في هذه المواضيع، فعندنا مواجهة مع الفكر الغربيّ، وإذا أراد الغربيّون أن يتعرّفوا على الإسلام فيذهبون إلى الكتب، فما هي الكتب التي يمكن للمسلمين تقديمها لهم حتى يعرفوا الإسلام؟ وإذا كانت الكتب باللّغة العربيّة فكيف يستفيدون منها بدون أن تُترجم إلى اللّغات الأخرى؟

والترجمة تحتاج إلى مبالغ كبيرة، وإذا أراد الغربيّون أن يتعرّفوا على

الاقتصاد الإسلاميّ فهل توجد كتب مترجمة إلى لغاتهم؟

والآن العالم عبارة عن قرية صغيرة، فنحتاج إلى ترجمة كتب الفكر

الإسلاميّ إلى اللّغات الرّئيسة على الأقلّ؛ حتى يمكن للشّرق والغرب

أن يطلّعوا على الفكر الإسلاميّ وما يوجد عند المسلمين من علوم .

عن الهرويّ قال : سمعت أبا الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه

السّلام يقول : "رحم الله عبدًا أحيًا أمرنا" . فقلت له : وكيف يحيي

أمركم؟ قال : "يتعلّم علومنا ويعلمها النّاس، فإنّ النّاس لو علموا

محاسن كلامنا لا تبعوننا" . . . (١) .

(١) بحار الأنوار ج ٢ ص ٣٠ ح ١٣ .

ولو تحصل ترجمة للقرآن الكريم ولكلمات النبي صلى الله عليه وآله
وسيدة نساء العالمين والأئمة عليهم السلام، وتكون الترجمة دقيقةً
بحيث تعكس المعاني بدقة، وإذا اطلع الشرق والغرب على الفكر
الموجود عندنا تأكدوا أنّ كثيراً من الغربيين والشرقيين يدخلون إلى
الإسلام، وبالخصوص إذا اطلعوا على فكر مدرسة أهل البيت عليهم
السلام، وسيتبعون هذه المدرسة بكل سهولة .
إذن :

عندنا حالة العزلة، وهذه العزلة من الممكن أن تكون عزلةً تامةً
بحيث لا يتحرك المؤمن ولا يعمل تماماً، أو تكون عزلةً جزئيةً بحيث
يمكنه أن يتحرك بشكل جزئي في بعض الحالات عن طريق العمل
السري، أو أنّ المؤمن يمكنه أن يتحرك ويعمل بكل حرّية، وكلّ
الحالات تكون ضمن الأحكام الشرعية، ودور المؤمن أن يعرف
الأحكام الشرعية المتعلقة والمختصة بالعمل الاجتماعي؛ لكي يحدّد
أنّه الآن ضمن أيّ حالة وأنّ المطلوب منه هو العمل العليّ أو العزلة
التامة أو العزلة الجزئية والعمل السري .

ويختلف تكليف الأفراد في العمل، فقد يكون المطلوب من بعض
الأفراد العمل العليّ، ومن البعض الآخر العزلة التامة، ومن البعض
العزلة الجزئية، فيختلف حكم المورد الواحد من شخص لآخر، وهذا
يرجع إلى ما يمتاز به كلّ فرد من صفات شخصيّة ودرجة إيمانيّة ووعي
كافي، فبحسب صفاته ومؤهلاته يكون المطلوب منه العمل أو العزلة

التامة أو العزلة الجزئية، فإذا كانت صفاته من الدرجة العالية فيكون المطلوب منه العمل العلني، ويكون تكليفه وجوب العمل العلني وحرمة العزلة، وإذا لم تكن عنده الدرجة الإيمانية العالية والوعي الكافي فَيُطَلَّبُ منه العزلة التامة، فيكون تكليفه وجوب العزلة التامة وحرمة العمل العلني، والبعض تجب عليه العزلة الجزئية والعمل السري، ففي المورد الواحد يختلف التكليف بحسب صفات الأفراد، ونوع العمل ليس مثل الصلاة التي تجب على الجميع، فالصلاة تكون من باب الوجوب العيني، أي أنها تجب على كل فرد وفرد، ولا تسقط عن أحد حتى في أحلك الظروف، والعمل الاجتماعي يكون من باب الوجوب الكفائي، فإذا تصدى بعض المؤمنين بالعدد الكافي والمقدار المطلوب يسقط التكليف عن الباقين، وإذا لم يُقْمَ به جميع المؤمنين فجميعهم مَأْتُمُونَ، فمعرفة الأحكام الشرعية بهذا التفصيل يدعو إلى معرفة "فقه العمل الاجتماعي"، وتوجد عناوين مختلفة في الكتاب، وضمن كل عنوان تَرِدُ عدّة مسائل، المسألة الأولى كذا، والمسألة الثانية كذا، والمسألة الثالثة كذا، وهذا يحتاج إلى اجتهاد واستنباط الأحكام الشرعية من العلماء المجتهدين الذين عندهم القدرة على استنباط الأحكام الشرعية من الأدلة .

وقلنا في حالة العزلة الجزئية يعمل المؤمن بالعمل السري، والتقية لا تعني العزلة التامة، بل هي العمل سراً، ويأتي التحرك السري في العمل الاجتماعي والعمل السياسي، وإذا قلنا العمل الاجتماعي فالعمل

السِّيَاسِيَّ يكون داخلاً فيه، لذلك لا نكرّر ذكر العمل السِّيَاسِيَّ بعد العمل الاجتماعيّ، فالعمل السِّيَاسِيَّ متضمّن في العمل الاجتماعيّ . والعمل السَّرِّيَّ يحتاج إلى مميّزات خاصّة في الفرد حتّى يمكنه أن يدخل معترك العمل ولا ينكشف أمام السّلطات الظّلمة، فيظنّون أنّه معتزل، ولكنّه في الواقع يقوم بأعمال غير مكشوفة للسّلطات، كما كان بعض الأئمّة عليهم السّلام، فكان أحد الأئمّة عليهم السّلام محجوزاً في بيته، وأحد أصحابه يدخل عليه متنكّراً بأنّه بائع سمن، ويجعل الحقوق داخل السّمن، فيوصلها للإمام عليه السّلام، والإمام عليه السّلام معزول بالإكراه من السّلطات، ولكنّه عليه السّلام لا يعتزل اعتزلاً تامّاً عن قاعدته الشّعبيّة، فعنده عليه السّلام اتّصال بالمجتمع عن طريق العمل السَّرِّيَّ، وأصحابه يتحرّكون سرّاً بحيث لا ينكشفون أمام السّلطات، فيتظاهر بأنّه يبيع الخيار أو السّمن .

والأمر كلّه يرجع إلى حاجة الإسلام، ويكون ضمن الأحكام الشرعيّة، فإن كان حفظ الإسلام بحاجة إلى العمل العلنيّ فالمؤمنون يهتّون إلى ساحات العمل، وإذا كان حفظ الإسلام بحاجة إلى حفظ المؤمنين لأنفسهم فيتّجهون إلى العزلة التّامة أو الجزئيّة، فالعاملون يدورون مع الإسلام حيثما دار، ومقياسهم هو الدّين وحاجة الدّين إلى العمل أو العزلة، لذلك لا بدّ من معرفة العاملين في السّاحة للأحكام الشرعيّة المتعلّقة بفقّه العمل الاجتماعيّ؛ لأجل أن يعرفوا متى يقومون إلى العمل ومتى يتّجهون إلى العزلة بحسب الظّروف

الموضوعية الزمانية والمكانية المحيطة بهم، فيعرف الظرف المحيطة به، ويعرف ماذا يريد منه الإسلام في الظرف المعين، وفي الظرف الواحد يختلف التكليف من مؤمن لآخر بحسب مواصفات الشخص .

والعمل الاجتماعي الإسلامي لا بدّ من أن يسير مع الأحكام الشرعية بدون زيادة أو نقصان؛ لأجل أن يسير المؤمن ضمن التخطيط والتحميص الإلهيين، فالزيادة والتقصان انحراف عن شريعة الإسلام، والزيادة هي القيام بالعمل في موارد حرمة العمل وفي حالات التقية حيث يؤدي إلى القضاء على المخلصين، والتقصان هو ترك العمل في موارد وجوب العمل أو استحبابه وفي حالات ترك التقية، ويؤدي إلى عدم توقّر المخلصين الواعين، وكلاهما معصية وانحراف ومخالفة للحكم الشرعي، فكما تصلي صلاة الظهر أربع ركعات، ولا تصليها ثلاث أو خمس ركعات، فتأتي بالعمل كما هو محدّد، كذلك في العمل الاجتماعي يوجد أيضًا تحديدات معينة، وهذه التحديدات لا بدّ من أن يعرفها المؤمن قبل أن يتحرّك في العمل الاجتماعي .

عن الإمام الحسن عليه السلام قال لأبي سعيد : "ألست الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله لي ولأخي : الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا؟" . قلت : بلى . قال : "فأنا إذن إمام لو قمت، وأنا إمام إذا قعدت، . . . إذا كنت إمامًا من قبيل الله تعالى ذكره لم يجب أن يُسَقَّه رأبي فيما أتيته من مهادنة أو محاربة، . . ." (١) .

(١) بحار الأنوار ج ٤٤ ص ١-٢ ح ٢ .

الأئمة عليهم السلام كانوا يتحرّكون بحسب الظروف المحيطة بهم، لذلك فللأئمة عليهم السلام تعدّد أدوار ووحدة هدف، وهذا عنوان لكتاب السيّد الشهيد محمّد باقر الصّدر رضوان الله عليه، فأدوارهم متعدّدة وهدفهم واحد، وتحركاتهم المختلفة يمكن الاستفادة منها في تحديد فقه العمل الاجتماعيّ، فيمكن تحديد ظروف العمل وظروف العزلة وشروط العمل وشروط العامل، فالإمام الحسين عليه السلام قام بثورة وحارب، والإمام الحسن عليه السلام صالح وهادئ، فالتحرّك يكون بحسب الظروف التي تحيط بالعمل، وعلى أساسها يتحرّك كلّ عامل بحسب صفاته، فلو كان الإمام الحسن عليه السلام موجوداً في زمان الإمام الحسين عليه السلام لقام بثورة، ولو كان الإمام الحسين عليه السلام في زمان الإمام الحسن عليه السلام لصالح وهادئ، فالظروف المحيطة تفرض على الأئمة عليهم السلام تكليفاً معيّناً، ولو راجعنا حياة كلّ إمام من الأئمة عليهم السلام لرأينا أنّ الظروف الموضوعيّة تفرض على الإمام عليه السلام أن يتحرّك أو يعتزل كليّاً أو جزئياً، والإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليهما السلام سلك سلوك الدّعاء، فالظرف يتطلّب منه أن يتحرّك بهذه الكيفيّة، والإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام كان مسجوناً سنوات طويلة، فكان يتحرّك بالمقدار المتاح له، وكان يعمل على هداية سجّانيه، فيدخل بعضهم إلى مدرسة أهل البيت عليهم السلام ويؤمنون به كإمام مفترض الطّاعة، ولم يمكنه عليه السلام أن يتّصل بالعالم

الخارجي، فالظروف الموضوعية المحيطة بأيّ مؤمن هي التي تفرض عليه تكليفاً معيناً، فنحتاج إلى دراسة الظروف في كلّ منطقة من المناطق، وفي منطقة يمكن للمؤمن أن يتحرّك، وفي منطقة أخرى المطلوب منه التقيّة، ويحدّد تكليفه الشرعيّ بناءً على هذه الظروف، وعلى أساس تكليفه الشرعيّ يحدّد كيفية العمل والتحرّك .

إذن :

بدراسة حياة النبيّ صلّى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السّلام ضمن الظروف التي كانوا يعايشونها يمكن استنباط الأحكام الشرعية المختصة بفقهاء العمل الاجتماعيّ وفقهاء العمل السياسيّ، فالنبيّ صلّى الله عليه وآله أو الإمام عليه السّلام كان يتحرّك في العمل الاجتماعيّ أو العمل السياسيّ، وعلى أساس حركته وحركة أصحابه المقرّبين ضمن الظروف المحيطة به يمكن معرفة الأحكام الشرعية المناسبة لكلّ ظرف، وإذا تكرّرت الظروف في أيّ زمان من الأزمنة وفي أيّ مكان من الأمكنة فالمؤمن يتحرّك ضمن هذه الظروف، ويكون تكليفه ما قام النبيّ صلّى الله عليه وآله أو الإمام عليه السّلام من الحركة أو العزلة الكلّية أو الجزئية .

وكما يستنبط الفقيه الأحكام الشرعية الخاصة بالعبادات، كذلك يستنبط الأحكام الشرعية الخاصة بالعمل الاجتماعيّ والعمل السياسيّ، ونحتاج إلى فقهاء العمل الاجتماعيّ وفقهاء العمل السياسيّ، والمجتهدون والعلماء يقومون بهذا الدور في استنباط الأحكام الشرعية

في أيّ موضوع من المواضيع، والمكتبة الإسلاميّة تفتقد إلى مثل هذه البحوث والدّراسات، فكما أنّه توجد كتب كثيرة في أحكام العبادات والمعاملات نحتاج أيضًا إلى كتب في فقه العمل الاجتماعيّ وفقه العمل السّياسيّ، والعلماء قادرون على إنتاج مثل هذه الكتب، ونرى أنّ العلماء يبحثون في بعض المواضيع لأنّه حان الوقت المناسب لهذا البحث .

مثلاً الاستنساخ والتّزييع الصّناعيّ، طُرِحَ الموضوع فبدأ العلماء في البحث عن الأحكام الشرعيّة المرتبطة بهذين الموضوعين .
وبعض العلماء كتبوا في فقه الفضاء الخارجيّ حيث يفترضون بعض الافتراضات ويطرحون مسائلها، فتكون المواضيع والمسائل افتراضيّة، مثلاً إذا وُجِدَتْ كائنات في كواكب أخرى فهل يجوز الزّواج بهم أو لا، ولكن لم يحن الوقت لمثل هذه المسائل؛ لأنّنا غير مبتلين بها الآن .
وتوجد حاجة إلى البحث في بعض المواضيع الحيويّة المهمّة، ولها فائدة كبيرة جدًّا للمؤمنين، مثلاً لو طرح شخص الآن مسائل الرّقّ والعبيد والإماء، نرى أنّه لا توجد حاجة في زماننا إلى أحكام الرّقّ، ويضيع وقت كثير في البحث فيها، أو في أحكام الآبار، وبدل ذلك يبحث في أحكام المياه في الأنابيب وخزّانات المياه، وهذه هي المسائل المتبلاة بها في زماننا الحاليّ .

وكما أنّنا نحتاج إلى فقه العبادات نحتاج أيضًا إلى فقه العمل الاجتماعيّ وفقه العمل السّياسيّ وفقه الاقتصاد وفقه العلاقات

الدوليّة وغيرها؛ لأنّ عملنا الآن عمل عالميّ، ولا بدّ من وجود كتب كثيرة تتناول العناوين السّابقة وغيرها من العناوين والمواضيع المرتبطة بها وبغيرها .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيبين الطّاهرين .

أسئلة وتعليقات الحاضرين :

الحاجّ فالح غزال :

مراجع التقليد يجيبون على الأسئلة التي تصل إليهم في أيّ مجال من مجالات الفقه، والمفروض أن تكون المبادرة في السّؤال عن الفقه الاجتماعيّ من المؤمنين، ونجمع الأسئلة والأجوبة في كتاب، ويمكن توسعتها أكثر، إذا كان كذا فالحكم كذا، ويمكن للمؤمنين التفصيل فيها .

تعليق الشّيخ محمّد أشكناني :

هذا الكلام صحيح، المؤمنون يرسلون أسئلتهم إلى المراجع وهم يجيبون، وأظنّ أنّ المؤمنين يرسلون بعض الأسئلة عن العمل الاجتماعيّ، وهذه الاستفتاءات يمكن أن تُجمَع في كتاب كما تُجمَع استفتاءات الصّلاة، ويمكن مراجعة استفتاءات المراجع وجمع أجوبتهم في كتاب واحد، ويمكن لبعض العلماء أن يتصدّوا للكتابة في "العمل الاجتماعيّ"، والعملية متبادلة بين المؤمنين الذين يستفتون بحسب حاجتهم وبين العلماء الذين يجدون نقصاً في المكتبة الإسلاميّة،

ويكتبون في المسائل المتعلقة بهذا الموضوع من أحكام وغيرها، ونرى أنّ عالماً يتصدّى للكتابة في مجال وعالماً آخر يتصدّى للكتابة في مجال آخر، مثلاً السيّد الشهيد محمّد باقر الصّدر رضوان الله عليه كتب في مجالات لم يكتب فيها باقي العلماء، والشّيخ الشهيد مرتضى المطهريّ رضوان الله عليه طرح بعض المواضيع التي لم يتعرّض لها سائر العلماء، والعلماء يتخصّصون في مجالات مختلفة، فعالم يتخصّص في علم العقائد، وعالم آخر يتخصّص في علم الأخلاق، وعالم ثالث يتخصّص في الفقه العمليّ، والعلماء يكملون بعضهم البعض، ويمكن الاستفادة من كلّ عالم بحسب تخصصه، مثلاً عالم يتخصّص في المسائل الخلافية فيكتب في هذا الموضوع، وهذا التنوع موجود بين علمائنا، فكما أنّ الأئمة عليهم السّلام تعدّد أدوار ووحدة هدف، كذلك علماء مدرسة أهل البيت عليهم السّلام، هدفهم واحد وهو خدمة الدّين، وكيفية خدمة الدّين تختلف من عالم وآخر بحسب مجاله التّخصّصيّ في علوم الدّين، والعلماء غير مقصّرين، فكلّ عالم يبذل جهده في مجال معيّن، ولكن أحياناً يوجد نقص في بعض الجوانب التي نحتاج فيها إلى بحوث أكثر؛ لكي تكتمل المكتبة الإسلاميّة، والعلماء يعيشون في المجتمع، وعندهم اطلاع على النّواقص، ويحاولون تكملة هذا النّقص، وكلّ عالم بحسب علمه وطاقته، والمراجع والعلماء من المتصدّين اجتماعياً، وليسوا خارج القضايا الاجتماعيّة، والعالم لا يقول بأن لا شأن له بالمجتمع، فكلّهم متصدّون في أمور الأُمّة، ولكن كلّ عالم في

مجال تخصّصه، وتصل الاستفتاءات إلى المراجع عن القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والطبية والمسائل المستحدثة وغيرها، ويجب المراجع عليها، ولا يوجد مرجع أو عالم غير متصدّي، وعالم ضمن ظرف معيّن يمارس التقيّة، هو متصدّي بالقوّة، والظروف تجبره على عدم التصدّي، فإذا تحسّنت الظروف فإنّه يرجع إلى التصدّي الفعليّ، وكلّه ضمن الأحكام الشرعيّة، والمراجع والعلماء متصدّون لقضايا الأُمَّة، ويحملون همومها .

الحاجّ فالخ غزال :

نحن غير مختلفين بأنّ المراجع والعلماء متصدّون، ولكنّ المطلوب إنشاء جيل متصدّي .

تعليق الشيخ محمّد أشكناني :

الجيل المتصدّي موجود في كلّ زمان ومكان، فهناك علماء يتصدّون، وهناك أفراد من المؤمنین يتصدّون، والمفروض أن يكون الأفراد المتصدّون ضمن مواصفات خاصّة وفي درجة إيمانيّة عالية، كما هو حال الأصحاب المقرّبين للأئمّة عليهم السّلام، ولا بدّ من أن يحيط الأفراد المتحرّكون بأحد العلماء المتصدّين، فعندنا المراجع المتصدّون، ويحيط بهم العلماء المتصدّون في دائرة متوسّطة، وفي دائرة أكبر يوجد المؤمنون المتصدّون المحيطون بالعلماء المتصدّين، ولا بدّ من أن يكون المؤمنون العاملون تحت مظلة أحد العلماء المتصدّين في المجتمع، والعلاقات تكون مثل الشجرة، فالتبّي صلّى الله عليه وآله

وسيدة نساء العالمين عليها السلام والأئمة عليهم السلام يشكّون
الجذور، والمراجع يشكّون الجذوع، والعلماء يشكّون الأغصان،
والمؤمنون هم الأوراق، وهي الطريقة الشجرية في العمل الاجتماعي .
والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد
 وآله الطيبين الطاهرين .

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

(٥٠)

الحركة القلبية في العمل الاجتماعي^(١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين .

كان الكلام في العمل الاجتماعي وأنه يوجد في بعض الموارد وجوب العزلة، وفي بعضها حرمة العزلة، وتكون العزلة ضمن الأحكام التكليفية الخمسة من وجوب واستحباب وحرمة وكراهة وإباحة .

وهناك من يتحرك اجتماعياً أو سياسياً، والحاكم الظالم يعتبر العمل الاجتماعي عملاً سياسياً فيطارد المؤمنين ويسجنهم أو يعدّهم أو يقتلهم .

ودور المؤمنين هو الرجوع إلى الأحكام الشرعية لتحديد تكليف كل فرد منهم، وعلى أساس التكليف يتحرك المؤمن أو يقف، ومع وجود الحاكم الظالم هل التكليف هو التصدي المباشر أو التصدي غير

(١) أُلقيت هذه المحاضرة في الدبواتية الأسبوعية في دولة الكويت منطقة

بيان، الجمعة ١٥ جمادى الآخرة ١٤٣٤ هـ ، ٢٦/٤/٢٠١٣ م .

المباشر أو العزلة التامة بلا أي عمل مباشر أو العزلة الجزئية والعمل سرًا بدون انكشافه من السلطة الظالمة ؟

ويرجع المؤمن إلى الأحكام الشرعية لتحديد التكليف بالضبط .
ولنفرض أنه في مورد معين كان الحكم الشرعي هو وجوب العزلة فيكون التكليف هو عدم تحرك المؤمنين أي تحرك، وظروف أي منطقة تتغير من زمن إلى آخر، وفي كل ظرف يحدد المؤمن تكليفه .
وفي الأحكام الشرعية لا ننظر فقط إلى أنّ العمل الخارجي يجب أو لا يجب، فحينما تطبق الحكم الشرعي يكون نظرك أيضًا إلى الله تعالى وإلى عملك القلبي الباطني، فإذا اعتزل هل معنى ذلك أنّ القضية انتهت ؟

القضية لا تنتهي، بل لا بدّ من أن ينظر إلى الأثر القلبي الباطني الناتج من العمل أو العزلة، والعمل القلبي الباطني هو المهم، فإذا عمل في دورة شبابية أو خرج في مخيم ربيعي أو شارك في أي عمل آخر نسمع منه قوله : الحمد لله أنّ عدد المشاركين كان مائة شخص، وكان عندنا برنامج ممتاز من أول الصباح إلى آخر الليل، وكنا في العمل عدّة أيام أو أسابيع أو أشهر، ونجح برنامجنا .

نقول إنّ كلّ هذا عبارة عن آثار خارجية فقط، والسؤال المهمّ الذي لا بدّ من أن يطرحه كلّ فرد على نفسه بعد أن ينتهي من العمل :

ما هو التأثير الذي حصلت عليه من ناحية قلبية باطنية ؟

والنّجاح يكون مرتباً بالعمل القلبيّ الباطنيّ لا بالأثر الخارجيّ فقط، فإذا تكامل جميع المشاركون في العمل أي انتقلوا من درجة إيمانيّة أقلّ إلى درجة إيمانيّة أعلى واقتربوا من الله تعالى أكثر - فنجاح العمل يكمن في هذا التّكامل والتّأثر القلبيّ الباطنيّ .

نعم يمكن أن تجمع الشّباب للمشاركة في عمل، ولكن إذا حدثت مشكلة وحدث خلاف بين المشاركين وانتهى العمل وكلّ شخص حمل على أخيه المؤمن ضعينة في قلبه - فهذه الحالة ليست حالة قلبيّة باطنيّة تكامليّة، فقد يعملون لسنوات طويلة في الدّورات الشّبابيّة وينتجون إنتاجاً خارجياً جيّداً، ولكنهم وصلوا إلى مرحلة تسافلوا فيها في درجتهم الإيمانيّة ولم يتكاملوا من خلال العمل، فالنتيجة الخارجيّة لوحدها لا تكفي في تقييم أيّ عمل من الأعمال سواء في العمل الفرديّ كأن تصلّي لوحدك في بيتك أم في العمل الجماعيّ أم في العمل الاجتماعيّ، فنجاح العمل يحصل بتكامل الأفراد المشاركين في هذا العمل، ولا يكون نظرنا إلى النتيجة الخارجيّة فقط إذا صار عندنا مناهج دراسيّة ووصل عدد المشاركين إلى مائتي شخص وكادر العمل تكوّن من ثلاثين شخصاً، فهذا المقدار من الأثر الخارجيّ لا يكفي لتقييم العمل، بل لا بدّ من أن يرجع كلّ شخص إلى باطنه ليرى التّأثر القلبيّ الباطنيّ الذي استفاده من العمل .

هل حصل عنده تكامل وارتبط بالله عزّ وجلّ أكثر أو حصل عنده نزول في الدّرجة الإيمانيّة وضعف ارتباطه بالله تعالى ؟

وهنا يكمن سرّ النّجاح، فمن ارتبط بالله أكثر وتكامل يكون قد نجح في العمل، ومن قلّ ارتباطه بالله ولم يتكامل يكون قد رسب في العمل، ونجاح الفرد يكون بقدر اقترابه من الله وتكامله القلبيّ الباطنيّ، والأفراد المشاركون في العمل البعض منهم يتكامل فينجح، والبعض منهم لا يتكامل فلا يكون ناجحًا .

إنّ تقييم العمل يكون بنظرتين : تارةً يكون بالنّظر إلى الأثر الخارجيّ فقط، فنقول بأنّ العمل كان ناجحًا، ونجح جميع الأفراد في العمل، هنا يكون النّظر إلى النّتيجة الخارجيّة فقط، وتارةً أخرى يكون تقييم العمل بالنّظر إلى كلّ فرد فرد، فالبعض قد ينجح والبعض قد لا ينجح، وهنا يكون النّظر إلى النّتيجة القلبيّة الباطنيّة لكلّ فرد فرد، فهذا ينجح، وذاك لا ينجح، وكلّ فرد يقوم بتقييم نفسه بعد الانتهاء من العمل، ولا تعلم عن أخيك المشارك أنّه نجح أو لا، نعم هناك بعض الآثار الخارجيّة تظهر عليه فتدلّ على نجاحه أو عدم نجاحه، ومن الآثار أنّه صار متديّنًا أكثر، ولكنّ التّقييم النّهائيّ لنفسك يكون بيدك؛ لأنّك أعرف بنفسك .

يقول القرآن الكريم :

"بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ . . ." (١) .

ولا يصحّ أن يقول الشّخص عن نفسه : لا أعلم أنّي الآن متديّن أو غير متديّن .

(١) القيامة : ١٤ .

لا يُقْبَلُ منه هذا القول، فهو يعرف نفسه بأنّه يلتزم بالأحكام الشرعيّة أو لا يلتزم، وأنّ عنده اهتماماً بالعبادات وخاصّةً الصلّاة في أوّل وقتها أو لا، وعنده اهتمام بالدّين بشكل عامّ أو لا .
والبعض يقول : لا أعرف أنّ صلاتي صحيحة أو باطلة .
نقول : إذا كان متديّناً فعليه أن يتعلّم المسائل الشرعيّة الفقهيّة العمليّة ويطبّقها فيعرف أنّ صلاته صحيحة إذا التزم بأحكام صحّة الصلّاة أو باطلة إذا لم يلتزم .
وبعد أن ينتهي من الصلّاة يقول : لا أدري أنّ صلاتي مقبولة أو غير مقبولة .

نقول : مثلما توجد أحكام وشروط لصحّة الصلّاة توجد أيضاً أحكام وشروط لقبول الصلّاة من الله تعالى .
فقبول العمل يكون ضمن شروط معيّنة، وإذا طبّق هذه الشّروط فإنّ عمله يكون مقبولاً، وأوّل شرط هو أن يكون عمله خالصاً لله تعالى .

"إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ" (١) .

وهذا مقياس لقبول أيّ عمل، فحينما أدّى العمل هل كان نظره إلى الله عزّ وجلّ أو كان نظره إلى النّاس حتّى يصفّقوا له ؟
والإنسان يعرف نفسه وما يوجد في باطنه، مثل ذاك الشّخص الجالس في المسجد يقول : لا أدري أنّي أدّيت صلاتي رياءً أو لا .

(١) المائدة : ٢٧ .

نقول : أنت أعرف بنفسك، والإنسان عنده بصيرة على نفسه،
اسأل نفسك : لماذا أدّيت العمل ؟
هو يعرف أنه لماذا أتى بهذا العمل من صلاة أو غيرها، هل أتيت
به لله تعالى أو للناس ؟

والمقياس موجود بيده الآن، ولا يُقبَلُ منه أن يقول : لا أدري .
أنت أدّيت العمل وأتيت بشروط الصّحة وشروط القبول فالله تعالى
يتقبّل منك العمل إلّا إذا كان غافلاً عن بعض الشّروط والعوامل .
ولعلّ الله تعالى يوقّنا إلى طرح موضوع "شروط قبول الأعمال" في
محاضرات مستقبلية؛ حتّى نعرف هذه الشّروط، وبمكنا معرفة أنّ
العمل مقبول من الله تعالى، فتعرف أحكام الفقه العمليّ التي تبيّن لك
صحة العمل، وأحكام الفقه العقائديّ وأحكام الفقه الأخلاقيّ التي
تبيّن لك قبول العمل .

إذن :

يوجد حكم وجوب العمل ووجوب العزلة التامة ووجوب العزلة
الجزئية بحسب الظروف المحيطة بالمؤمن، ولا تنظر إلى الأثر الخارجي
فقط، وإمّا انظر إلى الأثر على قلبك وباطنك أيضاً؛ حتّى تستفيد من
العمل والعزلة، فأيّ عمل فرديّ أو جماعيّ تقوم به ليكون عندك هذا
المقياس : بعد أن تنتهي من العمل اسأل نفسك : ماذا تغيّر في قلبي
وباطني أو أنّني دخلت إلى العمل وخرجت منه كما كنت سابقاً ؟
إذا خرج كما كان فمعناه أنّه لم يَسْتَفِدْ شيئاً من ناحية قلبية باطنية،

ولم يحدث عنده أيّ تغيرٍ باطنيّ، ولكن إذا شعر بعلاقة مع الله عزّ وجلّ أفضل من السّابق فمعناه أنّه استفاد من العمل والعزلة، وحصل على الأثر العمليّ المترتب على العمل .
يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

" . . . إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ . . ." (١) .

انظر إلى نفسك هل تنتهي عن الفحشاء والمنكر أو لا ؟
إذا كان ينتهي عن الفحشاء والمنكر فمعنى ذلك أنّه استفاد من الصّلاة، فيكون بأيدينا مقياس للصّلاة، وبهذا المقياس يعرف أنّ صلاته مقبولة من الله أو لا .

ويوجد مقياس للصيام وهو التّقوى، ويفهم من قوله تعالى :
" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ " (٢) .

حينما صام في شهر رمضان هل حصل على التّقوى أو لا ؟
إذا حصل على حالة التّقوى فمعنى ذلك أنّ صيامه مقبول من الله تعالى، وهو قد تكامل باطنيّاً، وإذا لم يحصل على التّقوى فهو امتنع عن المفطرات من ناحية خارجيّة، ولكنّه لم يستفد من الصيام قلبيّاً، فقبول العمل وعدم قبول العمل متوقّفان على باطن الإنسان لا على العمل الخارجيّ فقط، فإذا حصل على التّغير القلبيّ فمعنى ذلك أنّ

(١) العنكبوت : ٤٥ .

(٢) البقرة : ١٨٣ .

عمله مقبول، فالآن بأيدينا مقاييس لقبول أيّ عمل من الأعمال، وقبول العمل متوقّف على مقدار التغيّر القلبيّ، فإذا تغيّر قلبياً بمقدار ١٠% فعمله مقبول بنفس النسبة، وإذا رأى أنّ نفسه تغيّرت بنسبة ٩٠% فمعنى ذلك أنّ عمله مقبول بهذه النسبة، ونظر المؤمن لا بدّ من أن يكون دائماً إلى باطنه ليرى أنّه استفاد من العمل الذي يقوم به أو لم يستفد .

مقارنة بين العزلة التامة وبين العمل :

نسأل السؤال التالي :

أيّهما أكثر تأثيراً من ناحية قلبيّة باطنيّة العزلة التامة أو العمل ؟
وأيّهما الأفضل في إيجاد التكامل عند المؤمن بحيث إنّ باطنه يتغيّر بشكل أسرع ؟

الجواب :

العمل له الأثر القلبيّ الباطنيّ الأكبر، وإذا دخل المؤمن في العمل فلاستفادة تكون أكبر من الاستفادة من العزلة، ويقترّب من الله تعالى ويتكامل بشكل أسرع، مثل الإنسان الجالس والإنسان المتحرّك، قطعاً الشّخص المتحرّك يستفيد أكثر من الشّخص الجالس .

والعزلة التامة تعني السلبية أي أنّه لا يقوم بأيّ عمل، والعزلة التامة مطلوبة في حالة وجوبها، وأثر العزلة ليس كأثر العمل، وأكثر ما يستفيد منه المؤمن يكون في حالة استحباب العمل، فهل يُقدّم على العمل أو يترك العمل ؟

نرى أنّ الذين يتحرّكون في المجتمع عادةً عددهم قليل جدًا نسبةً إلى عدد المؤمنين، ونظر الذين لا يتحرّكون إلى أنّ العمل إذا كان على نحو الاستحباب أو الجواز فيمكن تركه، وطريقته في التعامل مع الأحكام الشرعيّة تسير معه حتّى في الأعمال الفرديّة، فإذا قلنا له إنّ هذا العمل مستحبّ أو مكروه أو مباح فإنّه يتركه، نعم يلتزم بالواجب والحرام، فيسأل : هل هذا العمل واجب أو غير واجب ؟

فإذا قيل إنّّه واجب يأتي به، وإذا قيل له إنّّه غير واجب فلا يعمل به، فنظره فقط يكون إلى الفقه العمليّ، ولا بدّ من أن يصعد أكثر من هذا، فالنظرة الشموليّة للدين لا تقتصر على الفقه العمليّ، فأيّ عمل يقوم به المؤمن لا بدّ من أن ينظر إلى قلبه وباطنه .

إذا كان العمل مستحبًّا بحسب الفقه العمليّ فنسأل : متى يكون

العمل مستحبًّا ؟

الجواب :

يكون العمل مستحبًّا إذا اقترن بنية التّقرب إلى الله تعالى، فالعمل المستحبّ مشروط بنية التّقرب إلى الله عزّ وجلّ، فيقول : أقوم بهذا العمل قربةً إلى الله تعالى .

وإذا أدّى المستحبّ بدون نية التّقرب إلى الله تعالى فما قام به من العمل يكون مباحًا لا مستحبًّا، فيشترط في الاستحباب نية التّقرب إلى الله تعالى، وإذا شارك في عمل اجتماعيّ - كالدورات الشبّابيّة - لسنوات طويلة وهو غافل عن الله تعالى ولم يتقرب إلى الله عزّ وجلّ

بهذا العمل فعمله طوال هذه السّنوات كان مباحًا لا مستحبًا لعدم إتيانه بالشّرط، والمشروط لا يتحقّق عند عدم الإتيان بالشّرط، فالمشروط عدم عند عدم شرطه، والعمل المستحبّ مشروط بنية التّقرب، فإذا لم يأت بنية القربى فالعمل لا يكون مستحبًا، ويكون العمل بالنّسبة له مباحًا لا مستحبًا، وإذا تقرب إلى الله تعالى بهذا العمل فالمفروض أن يظهر أثر العمل عليه، فيصبح متديّنًا أكثر، وإذا لم يتغيّر وضعه الإيمانيّ إلى الأفضل من خلال عمله لسنوات طويلة في الدّورات الشّبائبيّة ويكون نسخة كربون لما كان عليه وضعه الإيماني قبل دخوله إلى الدّورة - فمعنى ذلك أنّه لم يستفد شيئًا من مشاركته في الدّورة، وكلّما تقرب المؤمن إلى الله تعالى أكثر فالأثر يظهر عليه .

وبعض الأعمال المباحة لمن يكون من المتصدّين في المجتمع هذه الأعمال لا ينبغي أن يأتي بها، وفي بعض الأحيان قد يجب عليه أن يتركها؛ لأنّه متصدّي، وسيؤثّر على غيره تأثيرًا سلبيًا .

ويوجد قول مأثور بأنّ حسنات الأبرار سيئات المقرّبين، فعمل حسن لمن يكون في الدّرجة الدّانية، وإذا صعد إلى الدّرجة العالية فهذا العمل بالنّسبة له يكون عملاً سيئًا وإن كان مباحًا .

مثلاً النّبّي صلّى الله عليه وآله الذي هو في قمّة الكمال إذا صدرت منه بعض الأعمال قد تؤدّي إلى تشويه الدّين، وهذا العمل بالنّسبة للنّاس عمل مباح، ولكنّ النّبّي صلّى الله عليه وآله لا يفعله؛ لأنّ هذا العمل سيؤثّر على الآخرين سلبيًا، فلو فرضنا أنّ النّبّي صلّى الله عليه

وآله يدخن، هل تتقبل أنّ النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يدخن على فرض
أنّ التدخين جائز؟

لا يُقبلُ أن يدخن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، أو يمشي صَلَّى اللهُ
عليه وآله وهو يأكل .

وكلّما صعد المؤمن في الدّرجات الإيمانيّة أو تبوّأ منصبًا دينيًّا فعليه
مسؤوليّات معيّنة، ويكون العمل مباحًا بحسب الفقه العمليّ، ولكن
هذا العمل المباح بالنسبة لمن يكون في هذا المنصب الدّينيّ ممّا لا
ينبغي أو ممّا ينبغي، فإذا أتى بهذا العمل المباح فمن الممكن أن يؤثّر
على دين الآخرين سلبيًّا إذا كان ممّا لا ينبغي فعله، أو إذا ترك هذا
العمل المباح فيؤدّي إلى تخريب دين الآخرين إذا كان ممّا ينبغي فعله .
مثلاً أستاذ في دورة شبابيّة يُدرّس مادّة الأخلاق في موضوع "جهاد
النفس"، وبعد أن ينتهي من الدّرس مباشرةً يخرج علبه السّجائر ويبدأ
بالتدخين أمام الطّلبة .

ما هو تأثير عمله على الطّلبة؟

هذا الأستاذ لو سئل عن مسألة التدخين - على فرض جوازه -
يقول بأنّه مباح، ولكنّه يعطي درسًا عن جهاد النفس، وأحد الطّلبة
لو كان جريئًا لسأله : قبل قليل أعطيتنا درسًا عن جهاد النفس فلماذا
لا تجاهد نفسك وتترك التدخين!؟

سيكون هناك أثر عكسيّ على الطّلبة .

يقولون : أستاذنا يقول جاهدوا أنفسكم، وهو لا يجاهد نفسه .

فبدل أن يستفيد الطلبة من الدّرس فإنّ عمل الأستاذ أدّى إلى تخريب الدّرس، والطلّبة قد يحملون فكرة سيئة لا فقط عن هذا الأستاذ، بل يحملون فكرة سيئة عن جميع الأساتذة في جميع الدّورات، وخاصةً إذا كان الطّالب من صغار السنّ .

الأستاذ قام بعمل مباح ، ولكن له تأثير عكسيّ على الطّلبة المشاركين في الدّورة، لذلك فإنّ أيّ شخص يريد أن يكون من المتصدّين لا بدّ من أن يلتفت من أنّه توجد مباحات لا بدّ من أن يتركها، وهناك مباحات لا بدّ من أن يفعلها، وهذه قاعدة يجعلها بيده؛ حتّى يصدق عليه أنّه متصدّي حقيقةً، وإذا لم يُرَد أن يلتزم بهذه القاعدة فعليه أن لا يتصدّي؛ لأنّه إذا تصدّى فإنّه يؤدّي إلى تخريب شغل باقي المتصدّين وتشويه صورة الدّين في أعين النّاس، فبدل أن يساهم مساهمةً إيجابيّةً في تدبّر النّاس فإنّه سيؤدّي إلى أثر عكسيّ على النّاس، فهذا الشابّ قد يترك الدّين بسبب فعل هذا المتصدّي؛ لأنّه سنّ سنة سيئةً، وبعض المتصدّين يسُنّون سننًا حسنّةً، والعمل المباح قد يتحوّل إلى سنة سيئة أو إلى سنة حسنة عند النّاس .

نسأل : هل تريد أن تكون من المتصدّين لأيّ عمل من الأعمال

الاجتماعيّة أو السياسيّة ؟

- إذا قال : نعم - فعليه أن يقول : نعم لجميع شروط التّصدّي .
- وإذا قال : لا أقبل شروط التّصدّي - فعليه أن لا يتصدّي .
- فمن يريد أن يتصدّي لا بدّ من أن يكون مؤهلاً للتّصدّي .

وإذا رأيتم متصدّيًا يقوم ببعض الأعمال على أساس أنّها مباحة فقط فمعنى ذلك أنّه لا يعلم بشروط التّصدّي، وحال المتصدّي حال طالب الحوزة، فطلب العلم معناه المسؤوليّة، ففي السنّة الأولى من الدّراسة توجد على طالب الحوزة مسؤوليّات معيّنة، وإذا صعد إلى السنّة الثّانية فإنّ المسؤوليّات تزداد عليه، وكلّما صعد في درجات العلم كلّما كانت المسؤوليّة أكبر وأكبر، ويكون المطلوب منه ترك بعض المباحات والإتيان ببعض المباحات الأخرى، وهذا أمر ضروريّ لكلّ مؤمن متصدّي وخاصّةً إذا كان من علماء الدّين، والعالم عليه شروط أكثر من غيره، والمؤمن بمجرد ما يدخل الحوزة تبدأ مسؤوليّته، ولا بدّ من أن يقبل جميع المسؤوليّات، وإذا من البداية لا يريد أن يتحمّل المسؤوليّة فعليه أن لا يضع رجله على عتبة باب الحوزة لأجل طلب العلم، وتكليف كلّ مؤمن أن يطلب العلم، ولكن مع الموافقة على شروط طلب العلم، وتكليف كلّ مؤمن أن يتصدّي، ولكن مع توفير مقدّمات التّصدّي، وإذا وقرّ المقدمات فيمكنه أن يتصدّي، وإذا كان لا يريد أن يأخذ بالمقدمات فلا يدخل عالم التّصدّي .

وإذا أردنا أن نغربل المتصدّين في المجتمعات فكثير منهم ليسوا أهلاً للتّصدّي، ومن خلال العشرة ستجد أنّه غير مؤهل للتّصدّي، فكثير منهم لا يملك علمًا كافيًا، فيمكن أن يفتي بلا علم، وتصدر منه بعض التّصرّفات التي لا تتناسب مع كونه متصدّيًا، وعليه أن يراعي أنّه متصدّي حتّى في خلواته حينما يكون لوحده، فالمتصدّي لا يتصنّع

أمام النَّاسِ حتَّى يظهر بمظهر معيّن، والمهمّ هو أنّه أمام الله تعالى كيف يظهر؟ وحينما يكون لوحده كيف يكون؟ وهل يتصرّف بشكل مختلف عن تصرّفه حينما يكون أمام النَّاسِ أو هو نفسه أمام النَّاسِ وخلف النَّاسِ؟

وشروط التّصدّي ليست شروطًا أمام النَّاسِ فقط، بل هي شروط تدخل معه في غرفته حينما يكون لوحده، وشروط تكون معه حينما يكون مع زوجته وأولاده، وهذا الأمر مهمّ جدًّا، وعليه أن يراقب تصرّفاته، فهل يعمل على موجة واحدة أو على موجات متعدّدة؟ وهل أعماله تكون ضمن أفق واحد وبطريقة واحدة أو على أفق وطرق مختلفة؟ وهل هو أمام فلان عنده طريقة وأمام علّان عنده طريقة أخرى؟

وفي الدّعاء الذي علّمه أمير المؤمنين عليه السّلام كميل بن زياد :
" . . . حتّى تكون أعمايي وأورادي كلّها وردًا واحدًا . . . " .

عنده طريق واحد، فأمام النَّاسِ وخلف النَّاسِ هو واحد، ولا توجد عنده شخصيّتان، ولا يعيش الازدواجيّة في الشّخصيّة، بل عنده شخصيّة واحدة، فحينما يكون لوحده يعمل بهذه الشّخصيّة، وحينما يكون أمام النَّاسِ يعمل بالشّخصية نفسها، والمؤمن لا يكون عنده وجهان، مثلًا أمام زوجته وأولاده يقوم بتصرّفات معيّنة، وأمام النَّاسِ يقوم بتصرّفات أخرى، فداخل البيت وخارج البيت له شخصيّة واحدة، فإذا كان متديّنًا أمام النَّاسِ فالمفروض أن يكون بنفس التّديّن

أمام زوجته وأولاده، والزوجة تعرف حقيقة زوجها، والأولاد يعرفون حقيقة أبيهم، ولا يمكن أن يكذب عليهم بالشخصية الأخرى التي يمارسها أمام الناس، فوجهه في البيت هو حقيقته، وأمام الناس يلبس قناعًا ويتصنع الوجه الآخر، ولا يمكن أن يخدع زوجته وأولاده بالقناع المزيف الذي يلبسه، ومن الضروري أن تكون عنده رقابة على نفسه وخاصةً في الخلوات التي يكون الشيطان فيها شاطرًا .

يقول : لا أحد يراقبني .

نقول : كما أنه أمام الناس توجد مراقبة من الله عزّ وجلّ، كذلك حينما تكون لوحدهم توجد مراقبة من الله تعالى، فعين الله سبحانه لا تنام، والرقابة دائمة ومستمرة في الحالتين : أمام الناس وفي الخلوات، والأحكام الشرعية التي تجري أمام الناس هي نفسها التي تجري في الخلوات، والمقصود من الأحكام الشرعية هو الأحكام الفقهية العقائدية والأحكام الفقهية الأخلاقية والأحكام الفقهية العملية، وهذه الأحكام تسير مع الإنسان في كلّ حركة يتحركها في المجال الفرديّ والمجال الجماعيّ والمجال الاجتماعيّ والمجال السياسيّ وغيرها .

عن أمير المؤمنين عليه السلام : " . . . ، يا كميل، ما من حركةٍ إلا وأنت محتاج فيها إلى معرفة، . . . " (١) .

إذن :

حالة العزلة تسبب تكاملًا قليلًا عند المؤمن بعكس الحال في الحركة

(١) بحار الأنوار ج ٧٤ ص ٤١٢ ح ٣٨ .

والعمل، وأفضل حركة هي الحركة الاختيارية التي تكون باختيار الإنسان، وبعض الأشخاص تطلب منهم عملاً، ويقومون بالعمل حياءً منك، وهذا يحدث في العمل الاجتماعي كالدورات الشبائية، فشاب لا يرغب بالمشاركة، ولكن مع إصرار صاحبه عليه يأتي إلى العمل حياءً من صاحبه، ومن يعمل بدون رغبة وبدون اختياره يغفل عن أنّ عمله مرتبط بالله تعالى، ولكن لأنّ صاحبه طلب منه ولا يريد أن يرده فيعمل معه، نعم إذا ربط العمل بالله تعالى وقال بأنه يريد أن يساعدهم قربةً إلى الله تعالى - فإنّ هذا لا يكون غافلاً وإن دخل العمل في البداية حياءً، ولكن إذا كان بسبب الحياء فقط بدون التفات إلى نية القربة إلى الله تعالى وحتى لا تتشوّه صورته أمام أصدقائه - فهذه النية وبدون نية القربة لا يتكامل من العمل، والفرق شعرة بين الأمرين، فالعمل إمّا لله تعالى وإمّا لغير الله تعالى .

والعمل إذا كان اختيارياً بحيث هو بنفسه يختار العمل فإنه يتكامل من خلاله، مثلاً هو موجود في مكان ولا يوجد فيه مؤمنون يعملون ويسمع أنّه يوجد في منطقة أخرى مؤمنون عاملون فينتقل إلى ذلك المكان ويقطع المسافات؛ لأجل أن يشاركهم في العمل، فهو باختياره ينتقل، وفيه تضحية، ويمكنه أن يجلس في بيته ولا يعمل، والعمل الاختياري يساهم في تكامل الإنسان بدرجة أكبر من العمل المكره عليه أو العمل الإجباري أو العمل الحياتي، والإنسان كائن مختار، فيكون ملتفتاً إلى الله تعالى، ويتحرك باختياره؛ لأنّه يريد أن يتكامل

ويقترَب إلى الله عزَّ وجلَّ، والأعمال الاختيارية تؤدِّي إلى تكامل أكبر من التَّكامل الحاصل من الأعمال الواجبة، فالمؤمن تكون الصَّلوات الخمسة مفروضة عليه، وإذا صَلَّى النوافل باختياره لتكامل أكثر من تكامله في الصَّلوات الواجبة، فيصلِّي لأنَّ ترك الصَّلاة الواجبة عليه عقاب، أو يرغب في الثَّواب فيصلِّي، ومن الممكن أن يشعر بأنَّه مجبور، فإذا لم يفعل فإنَّه يُعاقَب، ولكن في العمل الاختياريِّ هو باختياره يؤدِّي النوافل، ويمكنه أن يتركها ولا يصلِّيها، فيُقدِّم عليها باختياره، ويقرأ القرآن باختياره، ويدعو باختياره، ويدخل في العمل الاجتماعيِّ أو العمل السِّياسيِّ باختياره، والعمل الاختياريِّ يساهم في تكامله والاقتراب من الله تعالى أكثر .

وإذا ذهب المؤمن باختياره إلى الحوزة العلميَّة وكان يعلم أنَّه لا بدَّ من أن يقدِّم التَّضحيات، فلا يوجد عنده معاش، وهو متوكِّل على الله تعالى، ويعلم بأنَّه توجد عليه مسؤوليَّات لكونه طالب علم، ويعلم أنَّه لا يحصل على أموال كثيرة، ويحصل على قدر حاجته، وهو يذهب باختياره ويعرف جميع هذه الأمور، ولكن لنفرض أنَّه بعد دراسة سنوات طويلة رجع إلى بلده وسبَّب بعض المشاكل بين المؤمنين بدل أن يفيد المجتمع - فهذا معناه أنَّه حينما ذهب لم تكن الصَّورة واضحةً أمامه، ولم يعرف شروط طلب العلم، ولم يعرف الهدف من دراسته، وهو خدمة الدِّين والمؤمنين، فأوَّلاً لا بدَّ من أن يستفيد هو من طلب العلم، ويقترَب من الله تعالى ويتكامل، وبعد ذلك يفيد المجتمع .

والبعض يذهب إلى الحوزة، وإذا سألناه : ما هو هدفك من
ذهابك إلى الحوزة ؟

يقول : هديني أن أفيد الآخرين .

وهذا خطأ، فالهدف الأول هو أن يهدي نفسه، فإذا اهتدى
يمكنه أن يهدي الآخرين .

وبعض الأشخاص تصرفاتهم لا تتناسب مع طالب العلم ومع
العمامة التي يلبسها، وعنده استعداد أن يعطيك محاضرةً أخلاقيةً، بل
من أفضل المحاضرات، ولكن وضعه الديني ليس مضبوطاً .

إذن :

العمل الاختياري يساهم في تكامل المؤمن أكثر، فحينما يعمل
ويتحرك باختياره يمكنه أن يقترب من الله تعالى أكثر، والعمل يساهم
في التكامل أكثر .

وإذا أُجبرَ المؤمن على العزلة نتيجةً للظروف المحيطة به، كوجود
الحاكم الظالم، ووجود الأعين على المؤمنين - فوجوده في حالة العزلة
لا يعني أن يترك دينه، فيستفيد من العزلة حتى يصبح متهيئاً لما بعد
العزلة، والجندي يكون بكامل استعداداته قبل أن يحارب، وأفراد
الجيش يتمرنون مختلف التمارين، فإذا وقعت الحرب كانوا مستعدين،
لا أنهم يبدأون بالاستعداد بعد وقوع الحرب، والعزلة لا تعني أنه يترك
كل شيء، فالمؤمن إذا أُجبرَ على العزلة فإنه يستعد لفترة ما بعد
العزلة، ففي حالة وجوب العزلة التامة لا بدّ من أن يعدّ الفرد نفسه

للعمل لا أن يترك كلَّ شيء، ويترك الاستعداد لما بعد العزلة، والعزلة أثرها قليل في إيجاد الإخلاص والوعي عند المعتزل؛ لأنَّ العزلة تعني السَّليبيَّة، والفرد لا يتكامل إخلاصه ووعيه إلاَّ بالعمل والتَّضحية ومواجهة الصعوبات، والعزلة تساهم في تربية الفرد فقط لعدم اتِّصاله بالآخرين إلاَّ في نطاق ضيق، وأمَّا العمل فيساهم في تربية الفرد العامل والأفراد الآخرين لوجود الاتِّصال بينهم .

وفي عصر الغيبة الكبرى لا يقول المؤمن : ليظهر الإمام عليه السَّلام، وبعد ذلك أبدأ العمل، والله كريم .

نقول : أنت موجود في عصر الغيبة الكبرى، ومعنى ذلك أن تبدأ بالاستعداد قبل ظهور الإمام عليه السَّلام، فإذا ظهر الإمام عليه السَّلام فتكون مستعدًّا كامل الاستعداد لما بعد الظَّهور .

والإمام عليه السَّلام حينما يظهر لا ينتظر أن تتكامل حتَّى بعد ذلك يشارك لتكون من أنصاره، بل لا بدَّ من أن تكون مستعدًّا قبل الظَّهور حتَّى يشارك الإمام عليه السَّلام، فالإمام عليه السَّلام يختار أنصاره قبل أن يظهر، فيختار هذا المؤمن ولا يختار المؤمن الآخر؛ لأنَّ المؤمن الأوَّل استعدَّ للظَّهور، والمؤمن الآخر لم يستعدَّ، وعذره أنَّ الإمام عليه السَّلام إذا ظهر فهو عليه السَّلام يعلمه؛ لكي يكون مستعدًّا، ولكنَّ الإمام عليه السَّلام لا يعلم النَّاس ألف باء الإسلام، وألف باء الإسلام لا بدَّ من أن تتعلَّمه قبل الظَّهور، فحينما يظهر الإمام عليه السَّلام يبدأ عصر العمل لا عصر الكسل، فإذا كان

الشخص متعوّداً قبل الظهور على الكسل والنوم إلى الظهر أو العصر أو المغرب وظهر الإمام عليه السلام وطلب منه أن يعمل - فلا يمكنه ذلك؛ لأنه تعوّد على الكسل، ويستيقظ العصر ويريد أن يصلّي الظهرين، فيقول بأنّه يصلّي وبعد ذلك يذهب إلى الإمام عليه السلام، والمؤمن لا بدّ من أن يعوّد نفسه على النشاط، والحالة الموجودة في بلدنا حالة غير طبيعيّة، ففي العطل ينامون إلى الظهر، وهذا الوضع غير طبيعيّ، هناك من ينام إلى الظهر، وهناك من يسهر إلى الصّبح ويصلّي صلاة الفجر، وبعد ذلك ينام، ولا يوجد عنده وقت معيّن للاستيقاظ، ولا يضع المنبّه، وهذه الحالة غير إيمانيّة؛ لأنّه كما توجد صلاة ضمن الأحكام الشرعيّة، كذلك النوم والاستيقاظ لهما حكم شرعيّ، مثلاً المستحبّ بعد صلاة الصّبح البقاء مستيقظاً إلى شروق الشّمس، وهذا مطلوب كتكليف على المؤمن، وهو عمل اختياريّ، يمكنه أن يصلّي وينام قبل شروق الشمس، ولكنّه يلتزم بهذا التّكليف وإن كان مستحبّاً، وينام بعد شروق الشّمس، ولكنّه لا ينام إلى وقت أذان الظهر، وكأنّه لا يُطلّب منه شيء من شروق الشّمس إلى أذان الظهر، وحالة الكسل عند الشّباب بشكل عامّ ليست حالة صحيّة إيمانيّة، والمفروض أن يغيّر الشّباب هذه العادة، فأنت الآن في عصر الغيبة الكبرى، ومعنى ذلك أنّك في عصر العمل والاستعداد والتّمهيد لظهور إمام زمانك عليه السلام، ومن ينام ستّ عشرة ساعة في اليوم يكون غافلاً عن المهمّة العظيمة الملقاة على عاتقه، ويقال

بأنّ الشّخص يحتاج إلى ثماني ساعات نوم، فنقول ثماني ساعات نوم يعتبر كثيراً بالنسبة للمؤمن، ومعنى ذلك أنّ ثلث عمر الإنسان يذهب في النّوم، فإذا مات وعمره ستون سنة فمعنى ذلك أنّه عاش أربعين سنة؛ لأنّه قضى عشرين سنة في النّوم، وعشرون سنة أخرى يضيّع وقته فيما لا ينفع، وعشر سنوات قضاها في المرض، وخمس سنوات عاش في حالة الكسل، وآخر شيء يبقى له خمس سنوات وهو في حالة النّشاط، فحصيلته عمره هي خمس سنوات فقط .

والمؤمن عبارة عن كتلة من النّشاط والحيويّة؛ لأنّ المؤمن إنسان عالم عامل، لا أنّه إنسان لا عالم ولا عامل، فيكون إنساناً جاهلاً كسولاً، ومعنى كون الإنسان مؤمناً هو أنّه يصعد في درجات العلم وفي مراتب العمل، ولا يوجد عند المؤمن الجهل، ولا يوجد عنده كسل، ولا يوجد عنده إهمال .

وُلنأت إلى طلبة المدارس، توجد عند الطّلبة بشكل عامّ حالة الإهمال، فالطّالب لا يدرس، وتكليفه أن يدرس قربةً إلى الله تعالى وخدمةً للدّين، والأمر ليس بمزاجه، فإذا أراد أن يكون مؤمناً متديّناً فعليه أن يقبل بجميع المسؤوليّات والتّكاليف، والمطلوب من المؤمن أن يتقن عمله في أيّ مجال كان، كان في الحوزة أو في المدرسة أو في الوظيفة، فكما يتقن عمله وهو في الدّورة الشّبابيّة التي يشارك فيها، فنفس الإتيقان مطلوب منه حينما يكون في الحوزة أو المدرسة أو الوظيفة، ولا بدّ من أن يكون أفضل طالب في المدرسة إذا كان ذهنه

يساعده على بلوغ ذلك، وعلى كلّ طالب أن يسعى إلى بلوغ أفضل ما يمكن أن يكون وأن يبذل أقصى طاقته بحسب إمكانياته الذهنيّة، وتوجد فروق طبيعيّة بين أذهان البشر، فتوجد أذهان لا تحفظ بسرعة ولا تفهم كثيراً، والمطلوب من هذا الشخص أن ينتهي من الصّفّ الرابع المتوسّط وأن يذهب إلى أحد المعاهد حتّى يمكنه الحصول على عمل فيما بعد، ولكنّ أصحاب الدّهن الممتاز إذا درس في أحد المعاهد فهذا لم يعمل بتكليفه؛ لأنّ ذهنه يؤهّله للدّهاب إلى الحوزة أو للدّخول إلى كليّة الطّبّ أو الهندسة؛ حتّى يساهم بعد ذلك في خدمة الدّين وخدمة النّاس، والمطلوب منه أن يبذل أكبر طاقة موجودة عنده، والله عزّ وجلّ إذا أعطاه موهبةً وأعطاه ميزةً فإنّه في مقابل هذه الميزة توجد مسؤوليّة، يعطيه عزّ وجلّ صوتاً جميلاً، فالمطلوب منه أن يسير في طريق معيّن جازز أو مستحبّ كقراءة القرآن، ولا يستعمله في طريق محرّم كالغناء، ويعطيه تعالى ذهنًا ذكيًّا، فالله عزّ وجلّ يريد منه تكليفاً معيّنًا، والله عزّ وجلّ لا يوزّع المواهب والأذهان على النّاس بلا مسؤوليّات مترتّبة عليها، والله عزّ وجلّ يريد علماء لهذا الدّين، وبعض الطّلبة الذين يذهبون إلى الحوزة هم فاشلون في المدارس، ويظنّ بأنّ الدّراسة الحوزويّة سهلة، ويظنّ بأنّ الحوزة مكان للفاشلين، وأوّل ما يبدأ يكون بدراسة المنطق والنّحو، فماذا يفعل ؟

لا يستطيع أن يستوعب هاتين المادّتين؛ لأنّ الدّراسة لها فنّيّة معيّنة، وإذا في المدرسة لم يتعلّم كيفيّة الدّراسة فلا يستطيع أن يواصل الدّراسة

الحوزويّة، وإذا جعل دراسة الكتاب في ليلة الامتحان فلا يمكن أن يدرس كلّ الكتاب، مثلما يفعل الآن كثير من طلبة المدارس، والصّحيح أنّه في ليلة الامتحان على الطالب أن يراجع المادّة لا أن يدرس المادّة، فهو قد درس المادّة عدّة مرّات خلال الفصل أو السّنة، فالدراسة تكون خلال الفصل أو السّنة، وفي ليلة الامتحان يراجع النّقاط الرّئيسة في المادّة بحسب الخلاصات الّتي كتبها، والمراجعة تستغرق من ساعة إلى ساعتين فقط .

وفي الاجتماعات نقول للشّباب : أقدم لك طريقة للدراسة - سواء كنت طالبًا في المدرسة أم المعهد أم الكليّة أم الجامعة أم الحوزة -، وذلك بأن تدرس في كلّ يوم شيئًا قليلًا من كلّ مادّة دراسيّة بدل أن تتراكم المادّة إلى ليلة الامتحان، ويمكنك أن تصبح الأوّل في أيّ مجال تكون فيه، بل تكون الأوّل في العالم .

ولا أحد عنده طموح ورغبة بأن يكون من الأوائل إلّا القليل النّادر، والطّالب الّذي يكون الأوّل في الثّانوية عنده جدول معيّن يسير عليه، والبعض يقول بأنّه يدرس ستّ عشرة ساعة في اليوم، والبعض يدرس ثماني عشرة ساعة في اليوم، ويدرس حتّى وهو يأكل .
والبعض يرى صورة الأوّل في الجرائد فيقول عنه : ما شاء الله هذا عبقريّ وفتنة .

نقول له : أنت أيضا عبقريّ وفتنة، ولكن عليك أن تبذل جهدك مثلما بذل جهده، وتكون الأوّل مثله، فالله عزّ وجلّ أعطاك ذهنا

مثل ذهنه .

والبعض عندهم أذهان وقّادة، ولكنّهم لا يستفيدون منها، وعندهم من الطّاقات الكامنة الكثيرة، ولكنّهم لا يحوّلون طاقتهم الكامنة إلى طاقات فعّالة، ويمكنك أن تكون صورتك في الجرائد وأبوك واقف إلى جانبك مفتخرًا بك، وهكذا يفتخر الآباء بأبنائهم حينما يحقّقون المراكز الأولى، وأتباع أهل البيت عليهم السّلام لا بدّ من أن يحرزوا المراكز الأولى في أيّ مجال يكونون فيه، وحينما تُنشر صورته في الجريدة يقال بأنّ أهل البيت عليهم السّلام لهم دخل في نجاحه، فأنت لا تمثّل نفسك فقط، بل تمثل المدرسة التي تنتمي لها، وما دام أنّك تعتبر نفسك من أتباع أهل البيت عليهم السّلام فعليك مسؤوليّة كبيرة، وإذا قلت بأنك مسلم - فعليك مسؤوليّة، وكلّ من يدعي انتماءه إلى مذهب أو مدرسة فلا بدّ من أن يقبل المسؤوليّات المترتبة؛ لكي يثبت ادّعاءه .

ولا يمكن أن يقول : أريد أن أكون مؤمنًا، ولكن بلا أيّ مسؤوليّة .
نقول : لا يمكن ذلك؛ لأنّ الدّين يحدّد على المسلم والمؤمن مسؤوليّات معيّنة .

عن الإمام الباقر عليه السّلام قال لجابر بن عبد الله الأنصاريّ : .
. . فوالله ما شيعتنا إلّا من اتقى الله وأطاعه، . . . حسب الرجل أن يقول : أحبّ عليًا وأتولّاه، ثمّ لا يكون مع ذلك فعّالاً" (١) .

(١) الكافي ج ٢ ص ٧٤ .

إذا قلت : أنا شيعي - فالمفروض أن تتوفر فيك صفات التقوى
وطاعة الله تعالى وكثرة الفعل والعمل والحركة .

عن رسول الله صلى الله عليه وآله : "إذا عمل أحدكم عملاً
فَلْيُتَّقِنْ" (١) .

ومن صفات المسلم والمؤمن إتقان العمل، فإذا أردت أن تكون
مسلمًا ومؤمنًا فعليك أن تتقن عملك سواء كنت طالبًا أم موظفًا .
واعمل بقاعدة : لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد، وهو "التسويق" .
عن رسول الله صلى الله عليه وآله : " . . . يا أبا ذرّ، إياك والتسويق
بأملك، فإنّك بيومك ولست بما بعده، فإن يكن غد لك فكن في الغد
كما كنت في اليوم، وإن لم يكن غد لك لم تندم على ما فرطت في
اليوم . . ." (٢) .

عن أمير المؤمنين عليه السلام : " . . . فتدارك ما بقي من عمرك،
ولا تقل غدًا وبعد غد، فإنما هلك من قبلك بإقامتهم على الأمانيّ
والتسويق حتى أتاهم أمر الله بغتة وهم غافلون . . ." (٣) .

عن الإمام الباقر عليه السلام : " . . . إياك والتسويق، فإنه بحر
يغرق فيه الهلكى . . ." (٤) .

(١) بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٢٦٤ ح ٥ .

(٢) المصدر السابق ج ٧٤ ص ٧٥ .

(٣) المصدر السابق ج ٧٠ ص ٧٥-٧٦ .

(٤) المصدر السابق ج ٧٥ ص ١٦٤ .

فلا تجعل دراستك في ليلة الامتحان، ومن شروط نجاح العمل أن تنجزه يومًا بيوم، ولا تؤجل عمل اليوم الأول إلى اليوم الثاني، ولا عمل اليوم الثاني إلى اليوم الثالث، بل تنجز كل عمل في موعده المحدد، وإذا أراد الشخص أن يكون من الناجحين فعليه أن يلتزم بشروط النجاح، فإذا حقق الشروط يكون قد حقق النجاح بلا شك، ويمكن تحقيق النجاح بكل سهولة، ويكون من الناجحين في الأمور الدنيوية وفي الأمور الدينية .

وخذا قاعدة : إذا كان الإنسان مهملاً في القضايا الدنيوية فإنه يكون مهملاً في تحقيق القضايا الدينية، وإذا كان مهتمًا بالأمور الدينية فإنه يهتم بإنجاز الأمور الدنيوية، فيريد أن يكون ناجحًا في المجالين، والقواعد يطبقها في أي مجال يكون فيه، فالدين يدعو إلى العلم والعمل في جميع المجالات، والطالب الذي لا يدرس جيدًا مع أن دنياه مترتب على دراسته حتى يحصل على معاش جيد فيما بعد مع أن المعاش أمر دنيوي ظاهر أمامه وعاجل في الدنيا هذا الطالب لا يمكن أن يلتزم بصلاة الصبح مع أن الثواب أمر غيبي مؤجل، والإهمال يجري في جميع أموره، ولا يمكن أن يكون مهتمًا بدنيه إذا كان مهملاً في أموره الدنيوية .

وأحد الشُّباب كان يقول بأنَّ الدين لا يدعو إلى الاهتمام بالدنيا، فلماذا أدرس وأذهب إلى الجامعة؟! وهذه فكرة بعض الناس من أنَّ الدين لا يدعو إلى الاهتمام بالدنيا .

نقول : نعم الدّين لا يدعو إلى الانكباب على الدّنيا والغرق في شهواتها، ولكنّ الدّين يدعو إلى إتقان العمل، ويتقن العمل قربةً إلى الله تعالى لا طلباً للدّنيا .

شخص يتخرّج ويتوظّف ويكون معاشه الشّهريّ ٥٠٠ دينار، وبالكاد يكفيه إلى آخر الشّهر، وشخص آخر معاشه الشّهريّ ٣٠٠٠ دينار، من الذي يمكنه أن يخدم الدّين بأمواله ؟
قطعاً صاحب الدّخل العالي .

وصاحب الدّخل القليل يقول : يا ليت كانت عندي أموال أكثر حتى أخدم الدّين .

نقول له : كان الطّريق مفتوحاً أمامك حتى تحصل على دخل عالي، وأنت لم تدرس جيّداً حينما كنت في المدرسة الثّانويّة، ولم تحصل على نسبة عالية تؤهّلك للدّخول إلى الجامعة، فدخلت إلى أحد المعاهد وتخرّجت وتوظّفت، وهذه الوظيفة تعطيك ٥٠٠ دينار شهريّاً، أنت أهملت ولم تدرس جيّداً، فخسرت أموالاً كثيرة، ولا نقل أتمّتي، فالدّنيا لا تؤخذ بالتمّتي، ولا حتى الجنّة يحصل عليها الإنسان بالتمّتي، والأمايي لا توصله إلى الجنّة .

يقول القرآن الكريم :

"وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ

... " (١) .

(١) البقرة : ١١١ .

إذن :

وجود المؤمنين داخل المدارس هو كوجودهم داخل المجتمع ضمن العمل الإسلامي، فعنده عمل إسلامي في دورة شبابية، وعنده عمل إسلامي في المدرسة أيضاً، ولا ينظر إلى أنّ دينه يكون خارج المدرسة، وأنّ الدين يقتصر على العمل الإسلامي في دورة شبابية فقط، فكما توجد أحكام شرعية للعمل الاجتماعي توجد أيضاً أحكام شرعية لدراسته في المدرسة، فنرجو من شبابنا أن لا يهملوا دراستهم، والدين يعتمد أيضاً على نجاحك في دنياك، ويمكنك خدمة الدين أكثر، وقد لا تذهب إلى الحوزة بسبب ظروفك، ولكن بواسطة معاشك الشهري يمكنك أن تتكفل بمصاريف أحد طلبة الحوزة، وإذا كان معاشك قليلاً فلا يمكنك المساهمة بمساعدة طلبة الحوزة، فالمعاش الشهري الكثير مطلوب لخدمة الدين وخدمة المؤمنين، ولا تطلب الأموال لأجل الصّرف على دنياك فقط، فحينما تكون طبيباً أو مهندساً توجد أموال بيدك، ويمكنك خدمة الدين، فتخدم دنياك وآخرتك، وتقضي حوائج المؤمنين .

عن الإمام الصادق عليه السلام : "أما مؤمن نفس عن مؤمن كربةً نفس الله عنه سبعين كربةً من كرب الدنيا وكرب يوم القيامة" . وقال : "ومن يستر على مؤمن وهو معسر يستر الله له حوائجه في الدنيا والآخرة" . قال : "ومن ستر على مؤمن عورةً يخافها ستر الله عليه سبعين عورةً من عوراته التي يخافها في الدنيا والآخرة" . قال : "وإنّ

الله عزّ وجلّ في عون المؤمن ما كان المؤمن في عون أخيه المؤمن،
فانفعوا بالعظة، وارغبوا في الخير" (١) .

والمردود الدنيوي والأخرويّ يكون لمن يقضي حاجة مؤمن، فهو
يستفيد دنيويّاً وأخرويّاً، ولا تقل بأنّ الاهتمام بالدنيا غير مهمّ .
وأحد الأشخاص قبل كم يوم قال : الدّين لا يدعو إلى الصناعات
ولا الاهتمام بالصناعة .

قلت له : إذا ممكن تشرح أكثر .

قال : لا بدّ من أن نعيش كما كان يعيش رسول الله صلّى الله عليه
وآله، في بيوت من طين، ونطبخ بواسطة النّار النّاتجة من الخشب .
قلت له : الدّين يدعو إلى قوّة المسلمين، ويدعو إلى الاستقلال
الاقتصاديّ في مقابل الدّول التي تحارب المسلمين، وإذا لم يصبح
المسلمون مستقلّين اقتصاديّاً وتكون عندهم قوّة اقتصاديّة وقوّة سياسيّة
فإنّهم سيكونون تابعين للدّول الغربيّة المستكبرة، والغرب سيسيّط على
المسلمين، ويكون المسلمون ضعفاء مستضعفين في الأرض .

وهذه الفكرة وُجِدَتْ عنده؛ لأنّه لم يجد روايات تدعو إلى الصناعات،
فنقول إنّّه حتّى لو لم توجد روايات تدعو إلى الصناعات، ولكن عندنا
القرآن الكريم الذي يقول : "وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ
رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ" (٢) .

(١) بحار الأنوار ج ٧٢ ص ٢٠ ح ١٦ .

(٢) الأنفال : ٦٠ .

فيجب أن تكون عند المسلمين قوّة لأجل مواجهة الأعداء، وإذا لم يدرس طلبة المدارس جيّدًا فلا يمكن أن يحصل المسلمون على القوة .
وأحد الشّبَاب لم يكن يهتمّ بدراسته، ونجح في الثّانوية بنسبة قليلة،
وذهب إلى معهد من المعاهد، ونجح واشتغل في وظيفة بسيطة ومعاش
شهريّ قليل، قال : نرى أنّ حالة المسلمين ضعيفة، ومعنى ذلك أنّ
الإسلام لا يدعو إلى تحصيل القوّة، فلماذا لا يوجد عند المسلمين
مخترعون ومكتشفون وصناعات كما في الغرب ؟

قلت له : ما دام أنّه يوجد في الأُمّة الإسلاميّة أنت وأمثالك
فيستحيل أن يتطوّر المسلمون، وأنت مهمل في دراستك، وإذا أردت
أن تكون من المخترعين فلا بدّ من أن تعرف الرّياضيّات والفيزياء
والكيمياء بإتقان، وخاصة قوانين التّكامل والتّفاضل في الرّياضيّات،
وإذا لم تتقن الرّياضيّات فلا يمكن أن تدخل إلى أيّ تخصص علميّ،
فالفيزياء والكيمياء والفلك وبقية العلوم قائمة على الرّياضيّات، مثلاً
اكتشفوا وجود كواكب أخرى في المجموعة الشمسيّة غير الكواكب
التّسعة التي نعرفها، وهم لم يروا باقي الكواكب، واكتشفوها عن طريق
الحسابات؛ لأنّهم درسوا وأتقنوا قوانين العلوم . انتهى الجواب .

وإذا أراد المسلمون أن يتطوّروا فأولاً على طلبة المدارس أن يهتمّوا
بدراستهم ويتقنوا جميع العلوم التي يدرسونها، وبعد ذلك يمكن للأُمّة
الإسلاميّة أن تتطوّر وتتقدّم علمياً وصناعياً، وأن تحصل على القوّة في
مقابل الأمم الأخرى، ويكون للمسلمين استقلال اقتصاديّ، ويمكنهم

أن يخترعوا ويكتشفوا، وحينذاك يكون المسلمون أقوياء، ويمكنهم أن يجلسوا مع أتباع الشيطان الأكبر على طاولة واحدة ويفاوضوهم مفاوضة الند للند، ولا توجد تبعية لهم، ويمكنهم أن يرفضوا لا أن تُفرض عليهم القرارات، ويقولون سمعًا وطاعة، فأنت في مركز قوة ولا يمكنهم أن يفرضوا عليك شيئًا، وإذا كان المسلمون في موضع قوة فيمكنهم أن يصنعوا المفاعلات النووية، ولا يمكن لأحد في العالم أن يعترض، ويمكن صناعة المفاعل النووي إذا كان عندهم علماء في الذرة أي علماء في الفيزياء، وصناعة القنبلة الذرية تحتاج إلى معرفة الكتلة الحرجة لليورانيوم، وهي كتلة معينة لو عرفها عالم الفيزياء فإنه يمكن أن يصنعوا القنبلة الذرية، والغرب يخاف أن يعرف علماء المسلمين هذه الكتلة الحرجة، لذلك يخافون من وجود المفاعلات النووية في بلاد المسلمين حتى لا يصنعوا القنابل الذرية، مع أنّ الغرب يملك آلاف القنابل الذرية والنيوترونية وغيرها، ولكن صناعة القنابل الذرية محرمة شرعًا؛ لأنها تسبب فناء البشرية، ويستحيل أن يساهم المؤمن في فناء آلاف أو ملايين البشر، نعم توجد عند المؤمنين أسلحة مختلفة، ولكن أسلحة الدمار الشامل المحرمة شرعًا لا يصنعونها، ونلتفت إلى أننا نحتاج - وخاصةً في زماننا - إلى المؤمنين الأقوياء، ويمكن تحصيل القوة من بدايات الدراسة في المدارس بأن يتقن الطلبة جميع العلوم؛ حتى فيما بعد يمكنهم أن يكملوا دراستهم وينتجوا شيئًا نافعًا للأمة الإسلامية، وأمّا إذا ظلّ الطلبة على إهمالهم، وكانوا يبحثون عن

النّجاح فقط، ونسبهم تكون ٦٠% أو أقلّ أو أكثر بقليل، وإذا سألته عن أمر دَرَسَهُ في المدرسة فيقول بأنّه لم يسمع عنه ولا يعرفه، وقلنا قبل قليل عن الكتلة الحرجة، والبعض مستغرب من ماهيّتها؛ لأنّهم لم يدرسوا الفيزياء بشكل جيّد - فإنّ الأُمَّة الإسلاميّة يستحيل أن تتطوّر وتتقدّم .

وأدعو طلبة المدارس وخاصّة المتصدّون في المجتمع، ومنهم المتصدّون في الدّورات الشّبائيّة إلى أنّه لا بدّ من أن يكونوا من أوائل الطّلبة لا من الطّلبة المهملين، وإذا أردت أن تكون ناجحًا في الدّورة فلا بدّ من أن تكون ناجحًا في المدرسة؛ لأنّ المؤمن في أيّ مجال كان فإنّه يكون من الأوائل، فإذا دخلت في أيّ مجال فليكن نظرك إلى أن تصبح الأوّل في هذا المجال، وحقّق المركز الأوّل، وهذا يفيدك أيضًا في دينك، والإسلام يدعو المؤمن إلى إتقان العمل والاهتمام بما يقوم به من أعمال، كان عملاً فرديًا أو عملاً اجتماعيًا، فالقاعدة عند المؤمن هي "إتقان العمل"، وكتبها على ورقة وعلّقها على الحائط أمام سريرك بحيث تراها كلّما استيقظت من النّوم، وتبدأ يومك بهذه القاعدة، وكتب قاعدة "لا تؤجّل عمل اليوم إلى الغد"، وقاعدة "أريد أن أكون من النّاجحين الأوائل"، وكلّ يوم انظر إلى هذه الورقة والقواعد الّتي كتبتها اقرأها قبل النّوم وبعد النّوم، وشجّع نفسك يوميًا على النّجاح في حياتك في جميع المجالات الّتي تدخلها، وأعضاء الدّورات الشّبائيّة شجّعوا الطّلبة على الدّراسة، واعملوا حفلاً لتكريم أوائل الطّلبة؛ لأجل

تشجيع باقي الطلبة على الاهتمام بدراستهم، وتكون الدورة متميزةً بطلبتها الأوائل، وهذا مطلوب من جميع المتصدّين، فلا بدّ من أن يكون كلّ فرد ناجحًا في دراسته؛ لكي لا يقال بأنّ أعضاء هذه الدورة من الفاشلين دراسيًا ويريد أن يكون من المتصدّين في المجتمع، فليكن من شروط العامل في العمل الاجتماعيّ أن يكون من النّاجحين في أيّ مجال يدخله، ويحصل على النّجاح الخارجيّ للعمل، وأن يكون ناجحًا كزوج أو أب أو ابن أو أخ، ويحصل على النّجاح القلبيّ الباطنيّ كمؤمن، واجعل أمامك النّجاح كقاعدة، وادخل إلى الإنترنت وابحث تحت عنوان "أسباب النّجاح" و"عوامل النّجاح" و"سرّ النّجاح"، وقرأوا هذه المواضيع، وخذ بهذه الأسباب؛ لأجل أن تحصل على النّجاح في حياتك، واعلم بأنّ النّجاح من الله تعالى، ولكن مقدمات النّجاح بيدك .

وهذه المواضيع أرسلتها لبعض الشّباب، وحينما رأيتهم سألتهم :

هل قرأتم الموضوع ؟

قالوا : لم نقرأه .

وهو لا يقرأ الموضوع؛ لأنّه يعلم بأنني سأطلب منه الخطوة التّالية، وهي أن يبذل جهده، فمن البداية لا يقرأ الموضوع حتّى لا أطلبه بالخطوة التّالية .

وليكن هدفنا النّجاح في أيّ مجال ندخله، وهذا مطلوب من الجميع بشكل عامّ، ومن المتصدّين في العمل الاجتماعيّ بشكل خاصّ، وأن

يكونوا من النَّاجحين في كلّ مجال من مجالات الحياة، ويكون أفضل عامل، ويتقرَّب إلى الله تعالى بذلك، وحتى غير المتصدّي المطلوب منه ذلك، وعلى المستوى الفردي وعلى المستوى الجماعي المطلوب من جميع المؤمنين النَّجاح، لا أن تقتصر على النَّجاح في البوفيهات والولائم، ولا يكون تفكيرنا منحصرًا في الطَّعام والشُّراب والماركات، والمسؤولية أكبر على المؤمن المتصدّي، فإذا كنت متصدّيًا في الجامعة فمسؤوليتك أن تكون من أوائل الطُّلبة، وإذا كنت متصدّيًا في المدرسة فلا بدَّ من أن تكون من النَّاجحين الأوائل، وفي وظيفتك تكون من أفضل الموظَّفين .

والحمد لله ربَّ العالمين وصلَّى الله على سيِّدنا أبي القاسم محمَّد وآله الطَّيِّبين الطَّاهرين .

تعليقات وأسئلة الحاضرين :

الأستاذ عبدالله كاظمي :

بالنسبة للمباحات إذا رأينا عالما يدخن أو خطيئًا عنده معلومات ويعطي مواعظ أو إمام مسجد يشترى سيارةً غاليةً .

ويتساءل النَّاس : لماذا ؟

فيقال : لديه أموال .

فهل يمكن أن نقبل هذا العذر ؟

جواب الشيخ محمَّد أشكناني :

عالم الدِّين المطلوب منه أكثر من غيره، وينظر النَّاس إلى عالم الدِّين

كأنه الإمام عليه السلام؛ لأنه أخذ بالمنصب الديني، وهذا المنصب له شروط، وقلنا إن العالم وطالب الحوزة توجد لهما شروط معينة، ومجرد وضع العمامة على الرأس لا يكفي، فالعمامة لازمها المسؤولية .

مثلاً العالم يقول إن هذا العمل جائز، حتى الإنسان العادي يقول بأنّ عنده استفتاء بأنّ هذا العمل جائز، وهذا المقدار لا يكفي، نعم في الجواز وعدم الجواز يكون نظرنا إلى الرسالة العملية والفقهاء العمليين، ولكنّ الدين أوسع من الفقهاء العمليين، فالدين يشمل الفقهاء العقائديين والفقهاء الأخلاقيين والفقهاء العمليين، ومن فطرة الإنسان أنه يبحث عن الكمال، والبحث عن الكمال يُطرح في الفقهاء الأخلاقيين، وله ارتباط بالفقهاء العقائديين، وانطلاقاً من الإنسان تكون من معرفة الله تعالى .

عن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له : " . . . أول الدين معرفته، . . . " (١) .

أي معرفة الله عزّ وجلّ .

وحثي في المباحات يتقرب المؤمن إلى الله تعالى، وكلّما صعد المؤمن في المناصب الدينية انقسم المباح بالنسبة له إلى قسمين: ما ينبغي وما لا ينبغي، ومن يلبس العمامة قد يقوم بالأعمال المباحة التي لا ينبغي له أن يأتي بها، بل قد يصدّ الناس عن تقبل الدين ببعض التصرفات التي تصدر منه .

عن الإمام الصادق عليه السلام : "قطع ظهري اثنان : عالم متهتك

(١) نهج البلاغة شرح الشيخ محمد عبده ج ١ ص ١٤ ح ١ .

وجاهل متنسك، هذا يصدّ النَّاس عن علمه بتهتكه، وهذا يصدّ النَّاس عن نسكه بجهله" (١) .

المؤمن لا يتعامل مع الأعمال على مستوى الرّسالة العمليّة فقط، فالمطلوب منه أكثر من ذلك، المطلوب منه الجانب العقائديّ والجانب الأخلاقيّ، فقد يكون عالماً، ولكنّه يغفل عن الفقه العقائديّ والفقه الأخلاقيّ حينما ينظر إلى الأشياء، والنّظر إلى الرّسالة العمليّة فقط يكون للعوام أي غير العلماء، والمطلوب من العلماء وطلبة الحوزة الرّسالة العمليّة التي فيها المستحبات والمكروهات والاحتياطات الوجوبيّة والاحتياطات الاستحبابيّة، وبعض المسائل فيها كلمة "ينبغي" أو "لا ينبغي"، بالإضافة إلى الواجبات والمحرمات، وهذه المسائل نجمها وتكون هي الرّسالة العمليّة للعلماء وطلبة الحوزة والمتصدّين للعمل الاجتماعيّ والعمل السّياسيّ أو غيرهما من الأعمال التي فيها التّصدّي، والرّسالة العمليّة التي فيها "يجوز ولا يجوز" هي للعوام، والرّسالة العمليّة الخاصّة تكون لغير العوام، وقطعاً الرّسالة الخاصّة تكون أصعب، ومن يريد أن يكون عالماً أو طالب حوزة أو متصدّيّاً لا بدّ من أن يعمل بالرّسالة العمليّة الخاصّة حتّى يكون مؤهّلاً لدخول الدّائرة .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيبين الطّاهرين .

(١) بحار الأنوار ج ١ ص ٢٠٨ ح ٨ .

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

(٥١)

(١) أهميّة التّربية في العمل الاجتماعيّ

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيبين الطّاهرين .

ما زال الكلام في دور العمل الاجتماعيّ في إعداد أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام، وأذكر بعض الملاحظات المهمّة للمشاركين في المؤسّسات الدّينيّة بشكل عامّ، ومنهم المشاركون في الدّورات الشّبابيّة، والموضوع نافع أيضًا للآباء والأمّهات في بيوتهم، وينفع أيضًا الأساتذة في المدارس حتّى يكون عندهم إنتاج .

إنّ دور المؤسّسات الدّينيّة والاجتماعيّة هو تربية الأفراد الموجودين معهم، وحتّى الأب والأمّ دورهما أن يرّبوا أولادهم، والجماعات والدّورات والمؤسّسات الدّينية يوجد عندهم أفراد كثيرون مشاركون معهم .

(١) أُلقيت هذه المحاضرة في الدّيواليّة الأسبوعيّة في دولة الكويت منطقة بيان، الجمعة ٢٢ جمادى الآخرة ١٤٣٤ هـ ، ٣/٥/٢٠١٣ م .

فيأتي السؤال التالي :

كيف تتعامل المؤسسات الدينية مع الأفراد المشاركين فيها ؟

الجواب :

يوجد عمل، ويريدون أن ينجزوا العمل، والمهم هو أن يتم إنجاز العمل الخارجي، ولكن بدون النظر إلى أنّ الأفراد يستفيدون من هذا العمل أو لا يستفيدون، فيوجد رئيس أو قائد أو مدير، وهو الوحيد الذي يصدر الأوامر، وباقي الأفراد عليهم التنفيذ .

وحيثما ندرس حياة رسول الله صلى الله عليه وآله لم يكن دوره إعطاء الأوامر فقط، وعلى باقي المسلمين أن ينفذوا، بل كان النبي صلى الله عليه وآله يستشيرهم ويرى آراءهم، مع أنّ الرأي الأخير هو للنبي صلى الله عليه وآله .

" . . . وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ " (١) .

فلماذا كان النبي صلى الله عليه وآله يستشير المسلمين ؟

كان صلى الله عليه وآله يستشيرهم؛ لكي يربّيهم على التفكير .

إنّ للتربية دور مهمّ في العمل الاجتماعيّ من جهة المؤسسات الدينية، وكذلك من جهة العائلة .

ومن يريد أن يربّي الآخرين لا بدّ من أن يعرف معنى التربية؛ حتّى

يبدأ بالعمل على تربيتهم .

(١) آل عمران : ١٥٩ .

فيأتي السؤال التالي :

ما معنى التربية ؟

الجواب :

حينما يراقب الرئيس والقائد والمدير الأفراد يرى بأن صفاتهم مختلفة، ويجد أن بعض الأفراد عندهم طاقات، مثلاً شخص يكتب شعراً، وآخر صوته جميل، وثالث يتقن الرسم، ومواهب الأشخاص مختلفة، وكل شخص في العالم عنده موهبة، ولكن المشكلة أن بعض الأفراد لا يكتشفون مواهبهم، وإذا اكتشفوا مواهبهم فإنهم لا يطوّرونها، فالمسؤول عن العمل يرى عند الأفراد طاقات ومواهب مختلفة، وبعض هذه الطاقات والمواهب كامنة في الأفراد، ودور المرئي هو أن يحول الطاقات الكامنة إلى طاقات فعّالة، ويخرجها من القوّة إلى الفعل، وهذا دور الآباء والأمّهات أيضاً حيث يرون أن أبناءهم عندهم صفات معيّنة ومميّزات خاصّة، فيحوّلون هذه الطاقات والصفات والمميّزات الكامنة إلى طاقات فعّالة، ويجعلونها في خدمة الدين، وفي إعداد أنصار الإمام عليه السّلام، وما دام أننا نعيش في عصر الغيبة الكبرى فلا بدّ من أن يكون نظرنا إلى إمام زماننا وإلى ظهوره عليه السّلام، ونعلم أن إمامنا ينظر إلينا، وتُعرضُ عليه صحائف الأعمال، وهذا أمر مهمّ لكلّ من يعيش في عصرنا، وفي العصور السّابقة نفس الأمر كان يقع أيضاً للمؤمنين مع النبيّ صلى الله عليه وآله وأئمّة أزمانهم حيث كانت صحائف أعمالهم تُعرضُ عليهم .

عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام : "تُعْرَضُ الأَعْمَالُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، أَعْمَالُ الْعِبَادِ، كُلِّ صَبَاحٍ، أَبْرَاهِمًا وَفَجَّارَهَا، فَاحْذَرُوهَا، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : "اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ" (١) " (٢) .

عن يعقوب بن شعيب قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله : "اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ" (٣) . قال عليه السلام : "هم الأئمة" (٤) .

عن سماعة عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سمعته يقول : "ما لكم تسوؤون رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ؟" . فقال رجل : كيف نسوؤه ؟ فقال عليه السلام : "أما تعلمون أن أعمالكم تُعْرَضُ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَى فِيهَا مَعْصِيَةً سَاءَ ذَلِكَ، فَلَا تَسُوؤُوا رَسُولَ اللَّهِ وَسُرُوءَهُ" (٥) .

عن عبد الله بن أبان الزيات قال : قلت للرضا عليه السلام : ادعُ الله لي ولأهل بيتي . فقال : "أَوْلَسْتُ أَفْعَلُ ؟، وَاللَّهِ إِنَّ أَعْمَالَكُمْ لَتُعْرَضُ عَلَيَّ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ" . قال : فاستعظمت ذلك . فقال عليه السلام لي : "أما تقرأ كتاب الله عز وجل" : "وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ

(١) التوبة : ١٠٥ .

(٢) الكافي ج ١ ص ٢١٩ ح ١ . فاحذروها : احذروا الأعمال .

(٣) التوبة : ١٠٥ .

(٤) الكافي ج ١ ص ٢١٩ ح ٢ .

(٥) المصدر السابق ح ٣ .

عَمَلِكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ" (١) ؟ . قال عليه السّلام : " هو والله عليّ بن أبي طالب " (٢) .

فمن المهمّ أن تعلم أنّك تحت نظر إمامك عليه السّلام . إنّ الله تعالى أعطى لكلّ شخص في العالم موهبة أو مواهب معيّنة، فالمرّيّ دوره أن يحوّل الطّاقات الكامنة إلى طاقات فعّالة بحيث يكون لها تأثير خارجيّ في خدمة الدّين، وإذا جعل المؤمن طاقاته في خدمة الدّين فهو يتكامل تدريجيّاً حتّى يصل إلى درجة أنصار الإمام عليه السّلام، فدور المؤسسات الدّينيّة والآباء والأئمّهات دور عظيم، ويستفيد المشاركون والأولاد إذا أخذوا بكلام المرّيّين، وإذا لم يسمعوا كلام المرّيّين فلا فائدة منهم، فعندهم طاقات والأب يحاول أن ينمي طاقاته، ولكنّ الولد قد لا يأخذ بكلام أبيه، ففي هذه الحالة إذا لم يَسْتَجِبِ الولد للأب فطاقاته تظلّ كامنة عنده ولا يستفيد منها، ولا يجعلها في خدمة الدّين، ويغفل عن إمام زمانه عليه السّلام، ولا يلتفت إلى أنّ هدف المؤمن أن يكون من أنصار الإمام عليه السّلام . والله تعالى حينما يعطي للإنسان موهبةً فالموهبة لازمها المسؤوليّة، مثلاً الله تعالى يعطي شخصاً الذكاء حتّى يستفيد من ذكائه في التّكامل والتّقرب إليه تعالى، وحينما يجعل ذكائه في صنع قبلة ذرّيّة فهو لن يتكامل بل يتسافل ويكتسب الذّنوب، ويساهم في قتل

(١) التّوبة : ١٠٥ .

(٢) الكافي ج ١ ص ٢١٩-٢٢٠ ح ٤ .

آلاف أو ملايين الأشخاص، وآثار عمله تبقى، ولحد الآن آثار القنبلة الذريّة التي أُلقيت على اليابان آثارها باقية، وينجبون أولادًا مشوّهين، مع أنّ صانع القنبلة قد مات، ولكن آثار عمله باقية، ويحاسب عليها وهو في عالم البرزخ ويوم القيامة، وتبعات عمله تُكْتَبُ عليه .

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

"إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ" (١) .

الإنسان يفعل فعلاً ويقدم شيئاً، فإذا كان للفعل أثر ففي عالم البرزخ يأخذ نتيجة عمله، فإذا كان الأثر حسناً طيباً فيحصل على الثواب وَيُوسَّعُ عليه في عالم البرزخ، وإذا كان الأثر سيئاً فيكتسب الذنوب وَيُضَيِّقُ عليه في عالم البرزخ، لذلك لا بد لكل إنسان من أن يترك له أعمالاً في الدّنيا تكون لها آثار طيّبة، فإذا انتقل إلى رحمة الله تعالى فإن الآثار الطيّبة لأعماله تأتي ثمارها في عالم البرزخ والآخرة، ويبقى له رصيد دائم .

مثلاً من بيني مسجداً قريباً إلى الله تعالى يستفيد من عمله في عالم البرزخ، وإذا ربّي أولاده ليكونوا مؤمنين صالحين فيبقى له هذا الأثر الحسن، وإذا ألّف كتاباً نافعاً للناس فإنّ هذا الكتاب ينفعه في عالم البرزخ، ويكون له حرز عن النار يوم القيامة، فكل أعماله وآثارها

(١) يس : ١٢ .

تنتقل معه إلى عالم البرزخ والقيامة، ويحصل على الثَّاج والثَّمار في العالمين : عالم البرزخ وعالم القيامة .

عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : "إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ : عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ صَدَقَةٌ تُجْرَى لَهُ، أَوْ وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ" (١) .

والإنسان الذي عنده موهبة إذا جعل هذه الموهبة في خدمة الدين وخدمة المؤمنين وخدمة النَّاسِ فَإِنَّ آثَارَ هَذِهِ الْمَوْهَبَةِ تَنْتَقِلُ مَعَهُ إِلَى الْعَالَمِ الْآخِرِ، فَالْثَّوَابُ مَحْفُوظٌ لِصَاحِبِ الْمَوْهَبَةِ وَلَمَنْ سَاهَمَ فِي إِخْرَاجِ هَذِهِ الْمَوْهَبَةِ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ، فَكُلٌّ مِنْ يَسَاهِمُ فِي عَمَلِ الْفَاعِلِ يَبْقَى مَحْفُوظًا لَهُ، وَمَنْ يَكُونُ لَهُ دَوْرُ التَّرْبِيَةِ لَا بَدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ قَدْ تَرَبَّى فِي مَرْتَبَةٍ سَابِقَةٍ؛ حَتَّى يُمْكِنَهُ أَنْ يَكْتَشِفَ مَوَاهِبَ الْأَشْخَاصِ مِنْ أَوْلَادِهِ وَغَيْرِهِمْ، وَكَذَلِكَ الْمُرَبِّيُّ فِي أَيِّ مَوْسَمٍ دِينِيَّةٍ، وَلَا بَدَّ مِنْ أَنْ تَكُونَ عِنْدَهُ الْخَلْفِيَّةُ عَنْ كَيْفِيَّةِ الْاسْتِفَادَةِ مِنَ الْمَوَاهِبِ، وَالشَّخْصُ إِذَا كَانَتْ عِنْدَهُ مَوْهَبَةٌ وَطَاقَةٌ كَامِنَةٌ وَلَمْ يَحْوِهَا إِلَى مَوْهَبَةٍ وَطَاقَةٌ فَعَّالَةٌ فَهَذَا غَيْرُ مَوْهَلٍ لَا كِتْشَافَ مَوَاهِبٍ وَطَاقَاتٍ الْآخِرِينَ وَتَحْوِيلَهَا إِلَى مَوَاهِبٍ وَطَاقَاتٍ فَعَّالَةٍ، فَمَنْ لَا يَرَبِّي نَفْسَهُ لَا يَكُونُ مَوْهَلًا لِأَنْ يَرَبِّي غَيْرَهُ، لِذَلِكَ مَدْرَأُ الْمَوْسَمَاتِ الدِّينِيَّةِ وَالْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ لَا بَدَّ مِنْ أَنْ يَكُونُوا مَوْهَلِينَ لِتَرْبِيَةِ الْآخِرِينَ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مَوْهَلًا لِلتَّرْبِيَةِ فَلَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَرَبِّي بِالطَّرِيقَةِ الَّتِي يَرِيدُهَا اللهُ تَعَالَى، فَلَا بَدَّ مِنْ أَنْ تَوْجَدَ عِنْدَهُ الْخَلْفِيَّةُ

(١) بحار الأنوار ج ٢ ص ٢٣ ح ٧٠ .

العلمية النظرية الفكرية التي بينها الدين؛ حتى يمكنه أن يربّي بناءً على
توجهات الدين .

إذن :

قضية تحويل الطاقات الكامنة عند الأفراد إلى طاقات فعّالة تكون
في خدمة الدين قضية مهمّة جدًّا؛ لأجل أن نساهم في إعداد أنصار
الإمام عليه السّلام، والعمل ليس هيئنا، فمن يدخل إلى المؤسّسات
الدينيّة لا بدّ من أن ينظر إلى أنّ عمله ليس عملاً عادياً، وإذا لم
يلتفت إلى أنّه تحت نظر الإمام عليه السّلام فمن الممكن أن يفسد
بدل أن يصلح، وبدل أن تكون المؤسّسة منبعاً للخير تصبح منبعاً
للشرّ، وقد تكون منبعاً للتفرقة بين المؤمنين، فبدل أن توحد المؤمنين
تبثّ الفرقة بينهم، وآثار الفرقة بين المؤمنين تبقى لسنوات طويلة، مع
أنّ الذي فرّق بين المؤمنين ينتقل إلى عالم البرزخ، ولكن هذا الأثر
يبقى مستمراً وينتقل إلى ذاك العالم، فهو أحدث خلافاً مستمراً بين
المؤمنين، واجعل لأعمالك آثاراً طيبةً حسنةً، وإذا رأى الإنسان أنّه
غير مؤهّل فعليه أن يتعد عن العمل إلى أن يصبح مؤهّلاً للعمل،
ومن يدخل إلى العمل الاجتماعي لا بدّ من أن يكون مؤهّلاً، وإذا لم
يكن مؤهّلاً فإنّه يفسد أكثر ممّا يصلح .

عن رسول الله صلّى الله عليه وآله : "من عمل على غير علم كان

ما يفسده أكثر ممّا يصلح" (١) .

(١) بحار الأنوار ج ١ ص ٢٠٨ ح ٧ .

فاترك لنفسك في الدنيا آثارًا طيبةً حسنةً، وبذلك تبني بيتك في عالم البرزخ والآخرة، ولا يكون شخصًا وُلِدَ وعاش في الدنيا ومات وانتقل إلى عالم البرزخ وانتهت القضية، بل لا بد من أن يترك له آثارًا طيبةً في الدنيا، ويكون له ذكر حسن بين الناس، فيترك ولدًا صالحًا أو يؤلف كتابًا نافعًا أو يبني مؤسسةً خيريةً، بحيث يؤثر على الناس تأثيرًا حسنًا، ويصبح بفضل عمله أناس متديّتون، وهؤلاء المتديّتون ينقلون التديّن إلى أولادهم وأصدقائهم، فعمل جميع هؤلاء الأشخاص يدخل في حساب الشخص الأوّل الذي كان له التأثير الحسن، ويكون مثل الشجرة، هو شخص واحد، وأثر على شخصين، وهذان يؤثّران على أشخاص آخرين، ويكون مثل المتسلسلة الرياضية، ويبقى الأثر إلى يوم القيامة، لذلك يأتي شخص يوم القيامة وله ثواب بحجم جبل أحد، فيتساءل بأنّه لم يقدّم بهذا الحجم من العمل، فيقال له : أنت تصدّقت بتمرة، وهذا الصّدقة نمت ونمت عبر الزّمان إلى أن صارت بهذا الحجم، فالتمرة أثّرت بالشخص الذي أخذ هذه الصّدقة، فكان يدعو له، وهذا الدّعاء يثمر، ووصّى أولاده بأن يدعوا لفلان، ويبقى الأثر، والأولاد يوصون أولادهم بالدّعاء، ويقولون لهم بأن شخصًا كان يساعد جدّنا، ويدعون له، ويستمرّ الدّعاء له، وبفضل الله تعالى أدعية هؤلاء تحوّل التمرة في يوم القيامة إلى حجم الجبل .

عن أمير المؤمنين عليه السّلام عن النّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : " كَلِّمْ مَعْرُوفٌ صَدَقَةٌ إِلَى غَنِيِّ أَوْ فَقِيرٍ، فَتَصَدَّقُوا وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، وَاتَّقُوا النَّارَ

ولو بشقّ التّمرّة، فإنّ الله عزّ وجلّ يربّيها لصاحبها كما يربي أحدكم
فلوّهُ أو فصيلهُ حتّى يوفّيه إيّاها يوم القيامة، حتّى يكون أعظم من
الجبل العظيم" (١) .

عن الإمام الصّادق عليه السلام قال : قال الله تعالى : "إنّ من
عبادي من يتصدّق بشقّ تمرّة فأربّيها له كما يربي أحدكم فلوّهُ حتّى
أجعلها له مثل جبل أحد" (٢) .

إذن :

التّربية أمر مهمّ جدّاً، لا أنّنا فقط نشارك في المؤسّسات الدّينيّة
والدّورات الشّبابيّة ونشاطاتها الصّيفيّة والشتويّة والرّبيعيّة، بل ننظر
أيضاً إلى الآثار التي تنتج من العمل، والمشاركون لا بدّ من أن تكون
عندهم هذه النّظرة، فحينما يدخلون إلى العمل يعرفون لماذا يعملون
وما هو الهدف من عملهم لا أن يعمل فقط، وحينما تسأله عن
هدفه يقول : لا أدري .

نعم المطلوب هو العمل الإسلاميّ، وهذا عنوان عامّ، ولا بدّ من
معرفة التّفصيل، فلا بدّ من معرفة شروط العمل وشروط العامل،
والمشاركون في الدّورات لو قدّمنا لهم سؤالاً عن شروط العمل وشروط

(١) بحار الأنوار ج ٩٣ ص ١٢٢ ح ٢٩ . يُرَبِّي : يُنَمِّي . الفلّو : المُهْر
من ولد الفرس إذا فُطِمَ أو بلغ سنة . الفصيل : ولد النّاقة أو البقرة بعد
فطامه وفصله عن أمّه .

(٢) المصدر السابق ج ٤٧ ص ٣٣٧ ح ١٢ .

العامل والمبادئ الفكرية التي يحتاجها العامل في العمل تتوقعون كم شخص يمكنه أن يجيب، والأجوبة لا بد من أن تكون أجوبة تفصيلية لا أجوبة عامة موجزة، والأجوبة العامة المختصرة قد تكون موجودة عند جميع العاملين، ولكنّ المشارك في العمل الإسلامي لا بد من أن تكون عنده أجوبة تفصيلية قبل أن يُقدّم على العمل، وحينما ينتقل إلى عالم البرزخ يحتاج السؤال هناك إلى جواب تفصيلي، فالملائكة يحاسبون على كلّ فكرة فكرة وعلى كلّ عمل عمل، وتحتاج إلى جواب تفصيلي لكلّ سؤال، ومن الضروري معرفة كلّ إنسان للأجوبة التفصيلية؛ لكي يكون مستعداً للانتقال إلى عالم البرزخ .

ونرى في الدورات الشبابية أو أيّ مؤسسة دينية أفراداً عندهم طاقات ومواهب مختلفة، ودور المرّي أن يستفيد من هذه الطاقات والمواهب، والمؤسسات الدينية والدورات الشبابية يقومون بجزء من هذا الدور، فينتجون قراءاً للقرآن ورواديد ومحاضرين، ولكن يحتاجون إلى دقة أكبر في العمل، وهناك أفراد يدخلون إلى العمل، ولكنهم لا ينتجون، ويكونون فقط منقّذين للقرارات، أو يسيرون على الطريقة التقليدية بدون إبداع، ونحتاج إلى الإبداع في جميع أعمالنا، والإبداع مطلوب من جميع الناس .

مثلاً قارئ القرآن يمكنه أن يبدع، فيستفيد من خبرات السابقين، ويضيف شيئاً من عنده على ما استفاده ممّن سبقوه، لا فقط أنّه يسير على الطريقة التقليدية، وطرق تدريس القرآن طرق معينة، فيجلس

ويلقن الطلبة كما في السابق، فيقرأ ويكرّرون، ولكن في تحفيظ القرآن يمكن الاستفادة من الوسائل الحديثة، بحيث إنّ الناس أولاً يحبّون القرآن، وللأسف أنّه لحدّ الآن المسلمون يحبّون القرآن نظريّاً، ولكن عمليّاً لا يقرّون القرآن إلّا القليل منهم، وعدد المشاركين في دورات تعليم القرآن قليل، وليس المطلوب القراءة فقط، فالخارج كانوا يقرّون القرآن، ولا يجاوز تراقيهم كما في الرواية، ولكنهم لم يفهموا القرآن، فالمطلوب القراءة والحفظ مع الفهم، ونحتاج إلى ثقافة قرآنية على أساس أنّ الآيات الكريمة فيها قابليّة التحويل إلى عمل، فحينما يقرأ آية هدفه أن يطبّقها لا أن يحفظها عن ظهر قلب فقط، نعم يحفظها قراءةً وحفظاً وعلماً وعملاً، فنحتاج إلى الحفظ العلميّ النظريّ والحفظ العمليّ، والقرآن يأتي في جميع مجالات الحياة وفي كلّ ما تحتاجه في حياتك من الهداية والعلم والعمل، والقرآن تبيان لكلّ شيء، فإذا كان تبياناً لكلّ شيء فمعناه أنّ كلّ شيء تحتاجه موجود في القرآن الكريم .

عن المعلّى بن خنيس قال : قال أبو عبدالله عليه السّلام : " ما من أمر يختلف فيه اثنان إلّا وله أصل في كتاب الله عزّ وجلّ ، ولكن لا تبلغه عقول الرّجال " (١) .

لذلك نحتاج إلى النّبّيّ صلّى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السّلام فيما لا تبلغه العقول وفي توضيح معاني القرآن، نعم بعض معاني

(١) الكافي ج ١ ص ٦٠ ح ٦ .

الآيات الكريمة واضحة، ولكن في التفاصيل نحتاج إلى المعصوم عليه السلام حتى يبينها، فكلّ شيء نحتاجه موجود في القرآن الكريم .
مثلاً في بيتك وعلاقتك الزوجية نحتاج إلى القرآن .
يقول القرآن الكريم :

"وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" (١) .

وهذا مبدأ قرآنيّ وأساس من أسس الحياة الزوجية، فالزوجة سكن للزوج، والزوج سكن للزوجة، وجعل الله تعالى بينهما مودةً ورحمةً .
ويقول القرآن الكريم :

"الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ" (٢) .

مبدأ من مبادئ القرآن في إدارة الحياة الزوجية، فالرجل له القوامة على زوجته وبناته بمعنى أنه مسؤول عنهم وعن حفظهم ورعايتهم لا بمعنى الديكتاتورية، فإدارة البيت بيد الزوج، نعم يستشير زوجته وأولاده، ولكن القرار النهائي للزوج والأب، والزوجة مشاركة لزوجها في الحياة الزوجية .

ومن يدير البيت لا بدّ من أن يكون عاقلاً، والسفيه لا تُعطى بيده الإدارة، والعقل هو الذي يتخذ القرارات المناسبة، كما أنّ المرئي في المؤسسات الدينية لا بدّ من أن تتوفر فيه صفات معينة، كذلك المرئي

(١) الرّوم : ٢١ .

(٢) النّساء : ٣٤ .

في البيت يحتاج إلى مواصفات معينة؛ لكي يكون مؤهلاً لاتخاذ القرارات وتربية الآخرين تربيةً صحيحةً .

إذن :

نحتاج في أعمالنا في المؤسسات الدينية والدورات الشبابية إلى إبداع، وفي الإبداع نحتاج إلى طاقات المشاركين ومواهبهم وتحويلها من كامنة إلى فعالة، ونستفيد من طاقة كل فرد وموهبته الخاصة في خدمة الدين لأجل إعداد أنصار الإمام عليه السلام .

ومن الأمور التي نحتاجها في التربية أن نربي الفرد على الحرية الفكرية، في البداية نأخذ بيده ويكون منقداً للقرارات، ولكن تدريجياً لا بد من أن يتعود على اتخاذ القرارات، فالرئيس والقائد والمسؤول ليس موجوداً دائماً على رأس العمل وإلى الأبد، ويحتاج العمل إلى من يأخذ محلّ الرئيس في المستقبل، وهذا أمر عقليّ، فكلّ عمل يحتاج إلى نائب للرئيس وخليفة للقائد، والاستدلال على الإمامة والخلافة استدلال عقليّ في المقام الأول .

والمسؤول يربي الأفراد على التفكير، ويستشير المشاركين ويطلب آراءهم، ويثير النقاشات حتى يتعود الأفراد على النقاش واتخاذ القرارات، وليس بالضرورة أنّ رأي المسؤول يكون هو النافذ دائماً، فقد يكون رأي أحد المشاركين أفضل من رأي المسؤول، فالمسؤول يقدم رأي هذا الفرد على رأيه إذا كان أفضل وأنسب، وبذلك يعطي قيمة للرأي الأفضل لا لرأيه فقط، وهذا يساهم في تفكير المشاركين

والبحث عن الأفضل من حيث العلم ومن حيث العمل، فدور
المسؤول أن يربي الأفراد على التفكير .

عن أمير المؤمنين عليه السلام : "فكر ساعة قصيرة خير من عبادة
طويلة" (١) .

عن الإمام الصادق عليه السلام : "تفكر ساعة خير من عبادة
سنة" (٢) .

وأحياناً التفكير أفضل من عبادة سنوات؛ لأنّ التفكير يقلب حياة
هذا الإنسان رأساً على عقب، وقد يسمع شخص محاضرة أو درساً،
وهذه المحاضرة تغيّر كيانه، وذاك الدرس يؤثّر عليه .

وعلى المسؤول أن يعوّدهم على التفكير والتفكير في جميع أمورهم،
والآن المشكلة أنه حينما يحضرون إلى الاجتماعات لا أحد يكون قد
فكر في المواضيع التي سيناقشونها بحسب جدول الأعمال، وفي الجلسة
نفسها يبدأون بالتفكير، والمفروض أن يكون التفكير مسبقاً، والجلسة
هي لنقاش النتائج واتخاذ القرارات المناسبة، والنقاش يحتاج إلى
أشخاص قد فكروا مسبقاً لا أن يبدأوا التفكير أثناء الجلسة، لذلك
لأجل تطوير العمل تحتاج المؤسسات الدنيّة والدورات الشبّابية إلى
مشاركين مفكرين مبدعين لا فقط منقذين للقرارات، ومع الأشخاص
المفكرين المبدعين يتطوّر العمل ويتكامل تدريجياً .

(١) ميزان الحكمة للشيخ محمد الرّيشهريّ ج ٣ ص ٢٤٦٥ .

(٢) بحار الأنوار ج ٧١ ص ٣٢٧ ح ٢٢ .

بعض أساسيات العمل الاجتماعي :

ذكرت في المحاضرات السابقة نقاطاً عن العمل الاجتماعي، وهنا أكرّر بعضها بسبب أهميتها، وأضيف إليها نقاطاً أخرى .

سؤال : الشخص الذي يدخل إلى العمل الاجتماعي ما هو هدفه ؟

الجواب :

يُقال إنّ الهدف هو أن يخدم الدين ويساهم في تربية الآخرين .

نقول إنّ الهدف الأوّل هو أن يتقرّب إلى الله تعالى ويربّي نفسه ويهديها ويتكامل، وإذا ربّي نفسه واهتدى يمكنه أن يخدم الدين ويربّي الآخرين ويهديهم، فأنت تريد أن تكون مهتدياً وأن تتكامل من خلال العمل، وأيّ عمل يدخله الإنسان فالهدف أن ينمو العامل، فإذا نما يمكنه أن ينمّي الآخرين معه، وإذا اهتدى يمكنه أن يهدي الآخرين، فالهدف الأوّل هو أن يكون مهتدياً حتّى يمكنه أن يهدي .

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

" . . . أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ" (١) .

فالهدف الأوّل هو هداية النفس ثمّ هداية الآخرين، والكثيرون يدخلون إلى العمل الاجتماعي وينسون أنفسهم، ولا يلتفتون إليها، وكأنّ الهدف هو خدمة الدين والمجتمع وهداية الآخرين فقط، ويغفل عن نفسه، لذلك قد يعمل سنوات، ويسأل نفسه : أنا أين وصلت ؟

(١) يونس : ٣٥ .

قد يجد نفسه في نفس النقطة التي بدأ منها، ولم يحصل على أيّ تكامل، وكان يراوح في مكانه .

أولاً هداية الإنسان لنفسه، وبعد ذلك المساهمة في هداية الآخرين، فالهدف الأول هو صلاح العامل نفسه والتزامه بالدين، ثمّ العمل على صلاح الآخرين، وليس الهدف هو هداية الآخرين والغفلة عن نفسه ونسيان نفسه، والإنتاج النفسيّ أهمّ من الإنتاج الخارجيّ، والإنتاج الخارجيّ أثر من آثار الإنتاج النفسيّ .

"أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ" (١) .

يأمر الناس بالبرّ وهو لا يعمل بالبرّ، ويهدي الآخرين وهو لا يهتدي؛ لأنّه نسي نفسه، ونسيان الإنسان لنفسه بمعنى الغفلة عن نفسه، مع أنّ الإنسان ونفسه شيء واحد .
تقول : أنا ملتفت إلى نفسي .

يعني أنّك ملتفت إلى ذاتك التي هي أنت، ولكن يمكن أن يغفل الإنسان عن ذاته، وإذا نسي نفسه غفل عن الله تعالى، وإذا نسي الله نساه الله أي تركه إلى نفسه، ولا يكون تحت رعاية الله تعالى .
يقول القرآن الكريم :

" . . . نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ . . . " (٢) .

(١) البقرة : ٤٤ .

(٢) التوبة : ٦٧ .

"اَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ . . ." (١) .

"وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ . . ." (٢) .

وإذا نسي الإنسان نفسه في لحظة فإنه ينسى الله تعالى في نفس اللحظة .

عن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله : "من عرف نفسه فقد عرف ربه، . . ." (٣) .

ومفهومه هو : من لم يعرف نفسه لم يعرف ربه، وكذلك من نسي نفسه نسي ربه، ومن غفل عن نفسه غفل عن ربه .
والنفس لا بدّ من أن تكون تحت مراقبتك الدائمة، ولا تغفل عن نفسك أبداً .

ويقوم الإنسان بعمل، وبعد أن ينتهي من العمل إذا سُئِلَ : لماذا قمت بهذا العمل ؟

يقول : لا أدري، كانت غلطة .

وقع في غلطة؛ لأنه أثناء العمل كان قد نسي نفسه ولم يلتفت إلى نفسه، والإنسان الهادف قد يعصي الله تعالى؛ لأنه في وقت ارتكاب المعصية ينسى جميع الأمور النظرية الموجودة عنده أو يغفل عنها أو يتناساها .

(١) المجادلة : ١٩ .

(٢) الحشر : ١٩ .

(٣) بحار الأنوار ج ٢ ص ٣٢ ح ٢٢ .

عن الإمام الصادق عليه السلام : "لا يزني الزاني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق وهو مؤمن، وإنما أعني ما دام على بطنها، فإذا توضأ وتاب كان في حال غير ذلك" (١) .

الزنا والسرقه من باب المثال، فالإنسان الذي يعصي أيّ معصية حينما يرتكب المعصية لا يتذكر الله أو يغفل عن الله تعالى؛ لأنه غفل عن نفسه، فينجرّ إلى المعصية، وبعد أن ينتهي من ارتكاب المعصية قد يتذكر الله تعالى، فيتوب إليه عزّ وجلّ توبةً حقيقيّة، والالتفات إلى الله تعالى وتذكره حالة إيمانيّة، ومن لا يتذكر الله عزّ وجلّ ينجرّ من معصية إلى معصية، وبدل النَّفس اللّوامة الّتي تلومه على ارتكابه المعصية بدل هذه النَّفس تصبح عنده النَّفس الّتي تتلذّد بارتكاب المحرّمات، وقد يصل إلى مرحلة ختم القلب، فيلتذّد بارتكاب المعصية، وقد يلتذّد بقتل الآخرين وتعذيبهم .

وكذلك في البيت، الأب يريد أن يكون مهتدياً، ويحصل على التّكامل يوماً بعد يوم، لا أن يكون ثابتاً في محلّه خلال السّنوات الطّويلة الّتي يعيشها، والزّوجة والأولاد يلاحظون من خلال تصرّفاته أنّه ثابت في مكانه أو أنّه يتكامل ويتغيّر إلى الأحسن، فالأب يهدي نفسه أوّلاً، وإذا اهتدى يمكنه أن يساهم في هداية زوجته وأولاده، وكذلك الأمّ تهدي نفسها أوّلاً، وإذا اهتدت يمكنها أن تساهم في هداية زوجها وأولادها، وجميع أفراد العائلة يسعون إلى الهداية لأنفسهم

(١) بحار الأنوار ج ٦٦ ص ١٧٨-١٧٩ ح ١ .

ولمن معهم في نفس البيت، ويتعاونون على السير في طريق الهداية والصّلاح .

وإذا أراد الإنسان أن يكون ملتزمًا بالدين فلا بدّ من أن يعرف كيف يمكنه أن يلتزم به، فيحتاج إلى نظريّة كفيّة الالتزام بالدين، وأوّل خطوة للالتزام بالدين هو العلم بأحكام الدين، فلا بدّ من أن يكون طالبًا للعلم، ولا يقتصر على القليل من العلم، والإنسان لا يكتفي ببعض العلم، فالعلم لا يوجد فيه كفاية وحدّ للوقوف عنده .
عن رسول الله صلّى الله عليه وآله : " اطلبوا العلم من المههد إلى اللحد " (١) .

الإنسان في حركة دائمة، وفي كلّ خطوة يحتاج إلى العلم والمعرفة، ونرى أنّ الإنسان لا يكتفي بجمع المال، وطلب العلم أوجب من طلب المال، وإذا كان لا يكتفي بطلب المال فبطريق أولى لا يكتفي بطلب العلم، وبدون العلم لا يمكن للإنسان أن يتكامل، وفي كلّ درجة إيمانيّة يوجد مقدار من العلم، ففي الدّرجة الأولى يحتاج إلى مقدار من العلم؛ لأجل أن يصعد إلى الدّرجة الثانية، وإذا صعد إلى الدّرجة الثانية فإنّه يحتاج إلى مقدار أكبر؛ لأجل أن يصعد إلى الدّرجة الثالثة، وهكذا يكون الصّعود من درجة إيمانيّة إلى درجة إيمانيّة أعلى عن طريق اكتساب العلم، وإذا لم يكتسب علمًا جديدًا فإنّه يظلّ ثابتًا في درجته طوال عمره ولا يتكامل، فمع كلّ درجة إيمانيّة يوجد مقدار

(١) موسوعة العقائد الإسلاميّة للشيخ محمّد الرّيشهريّ ج ٢ ص ٢٢٠ .

معين من الإيمان والعلم والعمل الصالح ومجاهدة النفس؛ لكي يتأهل
للصعود إلى الدرجة الإيمانية الأعلى .

وهذا مثل صعود السلم المادي حيث يبذل الإنسان جهداً عضلياً
للصعود إلى الدرجة التالية، وللانتقال إلى الدرجة الأولى يحتاج إلى
بذل جهد عضلي، والانتقال إلى الدرجة الثانية يتطلب بذل جهد
عضلي آخر، والجهد العضلي يحتاجه في الحركة المادية؛ لأجل أن
يصعد، وفي الحركة المعنوية يحتاج إلى مجاهدة النفس؛ لأجل أن يتكامل
ويصعد .

وتغيّر النفس أمر مهم جداً بالنسبة لمن يكون عاملاً في المجتمع،
وتغيّر النفس يأتي في العمل الاجتماعي والعمل الجماعي والعمل
الفردى، فحتى في العمل الفردي - كمن يصلي في البيت لوحده -
المطلوب منه أن يتكامل ويغيّر نفسه .

سؤال : كيف يمكن للإنسان أن يعرف أنه تكامل أو لم يتكامل ؟
الجواب :

يعرف أنه تكامل وصعد من درجة إيمانية إلى درجة إيمانية أعلى
يعرف ذلك إذا نظر إلى أفعاله وراقب أعماله وتقييماته للأشياء، فإذا
كانت نظرته للأشياء مختلفة الآن عن نظرته السابقة ونظرته للأعمال
التي يقوم بها مختلفة عن السابق - فمعنى ذلك أنه قد تكامل، فيدخل
إلى جميع الأعمال بطعم جديد، فيلتذ بالصلاة، وتصبح عنده حالة
إيمانية جديدة .

وإذا كان يدخل إلى الصلّاة بنفس نظرة أمس فمعناه أنّه ثابت،
وبعد أن ينتهي من الصلّاة يسأل نفسه : ماذا استفدت من الصلّاة ؟
إذا كانت الفائدة كما كانت أمس وأوّل أمس والسنة الماضية فهو
لم يَسْتَفِدْ من العمل الذي قام به، نعم عمله صحيح، ولكنّ مقدار
القبول يكون بمقدار إقبال القلب على العمل، والإنسان يبحث عن
قبول العمل، وإذا قبل الله تعالى العمل فإنّ الإنسان يصعد في
الدرجات الإيمانيّة .

والطفّل الصّغير إذا أجبره الأب على الصلّاة فإنّه يصلّي مع عدم
وجود الرّغبة بها، والأربع ركعات تصبح ركعةً واحدةً فيتشّهّد ويسلّم،
والطفّل لا يشعر بلذّة في الصلّاة، وإنّما يشعر بأنّها حمل ثقيل عليه،
ونرى أنّ شخصاً عمره ستون سنة وهو لحدّ الآن يصلّي صلاةً سريعةً
كنقر الغراب، ويتعامل مع الصلّاة كما يتعامل الطّفّل الصّغير، فيقرأ
الفاتحة والسّورة بشكل سريع بحيث لا تكون الكلمات واضحةً، أو
أنّه في التّسبيحات في الرّكعتين الثّالثة والرّابعة يقرأها بشكل سريع
جدّاً، وتكون الكلمات متداخلةً غير مفهومة، ويظلّ سنوات طويلة
وهو يصلّي بنفس الطّريقة السّريعة، وفي تسبيح الرّهراء عليها السّلام
بعد الانتهاء من الصلّاة لا بدّ من أن يقول الله أكبر ٣٤ مرّة، والحمد
لله ٣٣ مرّة، وسبحان الله ٣٣ مرّة، وتكون الكلمات واضحةً، وإذا
كانت الكلمات متداخلةً فهذه ليست تسبيح الرّهراء عليها السّلام،
وفي المسجد تصلّي وأنت لم تَنْتَه بَعْدُ من الفاتحة وشخص بجانبك

يكون قد دخل في الركعة الثانية، وقد تكون في الركعة الأولى وهو قد وصل إلى الركعة الرابعة، ماذا كان يقول حتى وصل إلى الركعة الرابعة بهذه السرعة!؟

نعم الطفل الصغير يصلّي بهذه الطريقة، ولكن لا يُقبَلُ أنّ شخصاً عمره خمسون سنة وهو يصلّي بنفس طريقة الطفل الصغير، وينظر إلى الأشياء بالنظرة الطفوليّة، فالمطلوب منه أن يتكامل ويصعد يوماً بعد يوم، ولازم ذلك أنّ صلاته تتكامل أيضاً مع تكامله، وتختلف صلاته وصيامه وحجّه عن السّابق، ويشعر بشعور جديد مع كلّ عمل يؤدّيه، وقد يذهب الإنسان إلى الحجّ مرّة واحدةً وتنقلب حياته رأساً على عقب، وتظلّ عليه آثار الحجّ إلى آخر عمره، وقد يذهب إلى الحجّ في كلّ سنة وترى أنّ حياته ثابتة لا تتغيّر، فكلامه نفس كلامه السّابق، وأفعاله نفس أفعاله السّابقة، وتسير حياته على نفس المنوال، ولا يلتفت إلى أنّه لا بدّ من أن يغيّر تصرّفاته وسلوكه أثناء أدائه لمناسك الحجّ، مثلاً لا رفث ولا فسوق في الحجّ، وقد يكون شخصاً عصبيّاً، وأثناء الحجّ يكون عصبيّاً أيضاً مع الحجاج، والبعض يدخل في مشاكل من أجل الأيسكريم، وهذا ما سمعته من مسؤول عن حملة من حملات الحجّ، ولا يلتفت هذا الحاجّ إلى معنى الحجّ، فالحجّ وفادة إلى الله تعالى وفي ضيافة الله عزّ وجلّ، فهو وافد إلى الله تعالى ويحزن أنّه لم تحصل على هذا النوع الخاصّ من الأيسكريم، أو يقول اليوم "بوفيه" الطعام ليس جيّداً، فيذهب إلى الحجّ وتفكيره لا يتعدّى

جسده وأموره المادّية، والمطلوب من الحاجّ أنّه بمجرد ما يغيّر لباسه إلى لباس الإحرام أن يعرف أنّه قد طلق الدنيا، والآن يدخل إلى عوالم جديدة وهي عالم البرزخ وعالم الآخرة .

ولا بدّ من أن يقول كما قال أمير المؤمنين عليه السّلام : " يا دنيا إليك عني، أي تعرّضت أم إليّ تشوّقت؟، لا حان حينك، هيهات غرّي غيري، لا حاجة لي فيك، قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة فيها، فعيشك قصير، وخطرك يسير، وأملك حقير، آه من قلة الزّاد وطول الطّريق وبعد السّفَر وعظم المورد وخشونة المضجع" (١) .

وفي بعض أعمال الحجّ يوجد ربط بينها وبين يوم القيامة، مثلاً ازدحام النّاس يذكرّ بازدحام يوم القيامة ووقت الحساب، فيوجد ربط بين مناسك الحجّ وبين الآخرة، والحاجّ يعيش في الدنيا، ولكن نفسه تنتقل إلى يوم القيامة .

في خطبة المتّقين لأمر المؤمنين عليه السّلام : " . . . عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم، فهم والجنّة كمن قد رآها، فهم فيها مُنعمون، وهم والنّار كمن قد رآها، فهم فيها مُعذبون، . . . " (٢) .

والإنسان في يوم القيامة لا يفكّر بطعام وشراب، ولا يلتفت إلى جسده، ويعيش هول المطّلع، والمطلوب أن تعيش في الدنيا، ولكن تكون إنساناً أخروياً، لا أن يكون كلّ تفكير الإنسان في دنياه فقط،

(١) بحار الأنوار ج ٤٠ ص ٣٤٥ ح ٢٨ .

(٢) المصدر السابق ج ٦٤ ص ٣١٥ ح ٥٠ .

فيستيقظ في الصّباح ويذهب إلى وظيفته ويرجع إلى البيت ويتغدّى ويناام ويشترى ويلبس ويأكل، وتنتهي هذه الحياة الرّوتينيّة، وفي آخر المطاف يُدفنُ تحت التّراب ويقال رحمة الله عليه، ويقام العزاء ثلاثة أيّام، ولا يتذكّرون له أعمالاً قام بها، وتنتهي قصّته في الدّنيا، وتبدأ رحلته الحقيقيّة في عالم البرزخ الذي كان غافلاً عنه، وينتهي به المطاف في يوم القيامة وهو لم يكن ملتفتاً إلى هذا اليوم .

وعلى الإنسان أن يترك له أثراً طيّباً في الدّنيا، وكلّما رأى النّاس هذا الأثر ترخّموا عليه حتّى لو لم يعرفوه، فإذا بنى مسجداً قرّباً إلى الله تعالى فإنّ النّاس يترخّمون عليه مع أنّهم لا يعرفونه، وعلى من يريد أن يبني مسجداً أن يرى مناطق العالم التي لا يوجد فيها مساجد فيبني هناك، فيصبح ذكره أكثر وأكثر .

إذن :

دور المرّيّ دور كبير، أوّلاً لا بدّ من أن يلتفت إلى نفسه، وبعد ذلك يساهم في تربية الآخرين، والتّربية هي عبارة عن تحويل الطّاقات الكامنة عند الأفراد إلى طاقات فعّالة قرّباً إلى الله تعالى وفي خدمة الدّين؛ لأجل إعداد الإنسان لنفسه وللآخرين حتّى يصبحوا من أنصار الإمام عليه السّلام، وعمل المؤمنين عمل عظيم، ولا ينظر إلى أنّه عمل بسيط حينما يقوم بتدريس مجموعة من الأطفال، ف وراء هذا العمل البسيط أمر عظيم، ولا يستهين الشّخص بهذا العمل البسيط؛ لأنّ هذا العمل البسيط يساهم في تخريج أنصار للإمام عليه السّلام،

وهذا العمل البسيط يصبح عملاً عظيماً بهذه النظرة عند العاملين في السّاحة، ويتعاونون مع بعضهم البعض حتّى يصلوا إلى مرتبة الأنصار، ويذكّرون بعضهم البعض بأنهم يريدون أن يصبحوا من الأنصار .
يقول القرآن الكريم :

"وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ" (١) .

حالة التّواصي بين المؤمنين مطلوبة، فيتعاون المؤمنون حتّى يتكاملوا ويصعدوا في الدّرجات، ويحتاج المؤمن دائماً إلى إخوان؛ لكي يعينه في طريقه، وأصل الأمور الدّينيّة هو العمل الجماعيّ، لذلك تقول في الصّلاة حينما تقرأ سورة الفاتحة :

"إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ" (٢) .

وفي القنوت تدعو دعاءً باسم جماعة المؤمنين، والأصل في الدّين هو اجتماع المؤمنين والتّجمّع لا العمل الفرديّ، وفي الأدعية حينما تقرأ تجد أنّها بصيغة الجمع غالباً، لا تقول : أنا، بل تقول : نحن .
ويكون الدّعاء دعاءً جماعياً، والله تعالى يستجيب للدّعاء الجماعيّ، لا يقول المؤمن : يا ربّي، أنا فقط ارزقني، بل يقول : يا ربّي، ارزقنا واشفنا وعافنا .

ولتكن أدعيتنا بصيغة الجمع دائماً، والأصل في القضايا الدّينيّة هو

(١) العصر : ١-٣ .

(٢) الفاتحة : ٥-٦ .

جماعة المؤمنين .

والحمد لله رب العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد
وآله الطّيبين الطّاهرين .

أسئلة وتعليقات الحاضرين :

الحاجّ فالخ غزال :

بعض الدّعوات تكون دعوات جماعيّة، ولكن بعض الدّعوات
تكون دعوات خاصّة بموضوع معيّن، فهل تكون بصيغة جماعيّة ؟
جواب الشّيخ محمّد أشكناني :

حتّى في الموضوع المعيّن يمكن أن يكون الدّعاء عامّاً لجميع المؤمنين
والمؤمنات؛ لأنّ هذا الموضوع المعيّن ليس لمؤمن واحد فقط، فهذا
الموضوع قطعاً يشمل جميع المؤمنين .

مثلاً مؤمن مريض يدعو لنفسه فقط، ولكن هذا الدّعاء يمكن أن
يكون دعاءً عامّاً شاملاً لجميع المرضى، بدل ما يقول : يا ربّي،
اشفني، يقول : يا ربّي، اشف جميع مرضى المؤمنين والمؤمنين
والصّالحين والصّالحات .

مؤمن يقع في مشكلة، وغيره من المؤمنين يقعون في مثل مشكلته،
فيدعو بأنّ يحلّ الله تعالى هذه المشكلة لجميع المؤمنين والمؤمنات،
والدّعاء يكون جماعيّاً حتّى يستجيب الله تعالى للجميع، لا هو فقط .
وهذه النّظرة نظرة أنائيّة حينما ينظر الإنسان لنفسه فقط، فالمهم
هو أن تنحلّ مشكلته ولا شأن له بمشاكل غيره .

نقول : بل يدعو لنفسه ولغيره من المؤمنين والمؤمنات .
عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : "إِذَا دَعَا أَحَدَكُمْ فَلْيَعْمَ فَإِنَّهُ
أَوْجِبَ لِلدَّعَاءِ" (١) .

عن الإمام الصّادق عليه السّلام : "من قدّم أربعين رجلاً من إخوانه
فدعاهم لهم ثمّ دعا لنفسه استُجِيبَ له فيهم وفي نفسه" (٢) .

عن عليّ عن أبيه قال : رأيت عبد الله بن جندب بالموقف، فلم أرَ
موقفاً أحسن من موقفه، ما زال مادّاً يديه إلى السّماء ودموعه تسيل
على خديّه حتّى تبلغ الأرض، فلمّا صدر النّاس قلت له : يا أبا
محمّد، ما رأيت موقفاً أحسن من موقفك . قال : والله ما دعوت إلّا
لإخواني، وذلك أنّ أبا الحسن موسى بن جعفر عليهما السّلام أخبرني
أنّه من دعا لأخيه بظهر الغيب نُودِيَ من العرش : ولك مائة ألف
ضعف، فكرهت أن أدع مائة ألف ضعف مضمونة لواحدة لا أدري
يُستجاب أم لا (٣) .

والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد
وآله الطيّبين الطّاهرين .

(١) بحار الأنوار ج ٩٠ ص ٣٨٦ ح ١٦ .

(٢) المصدر السّابق ج ٩٠ ص ٣٨٣ ح ٢ .

(٣) المصدر السّابق ج ٩٠ ص ٣٨٤-٣٨٥ ح ٨ .

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

(٥٢)

توقع المؤمن لظهور الإمام عليه السلام^(١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين .

من تكاليف المؤمن في عصر الغيبة الكبرى توقع الفرج في أي لحظة وتوقع الظهور المفاجئ للإمام المهدي عليه السلام .

عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث عن غيبة المهدي عليه السلام : " . . . فعندها توقعوا الفرج صباحا ومساءً . . . " ^(٢) .

لا يمكن توقيت الظهور، ولكن هناك بعض العلامات التي تبين أنه بين العلامة وظهور الإمام عليه السلام عدة أشهر أو أسابيع، ولكن هناك بعض العلامات المحتملة كظهور السفياي، فإذا ظهر السفياي فبينه وبين ظهور الإمام عليه السلام مدة حمل المرأة تسعة أشهر .

(١) أُلْفِيَتْ هذه المحاضرة في الديوانية الأسبوعية في دولة الكويت منطقة

بيان، الجمعة ٢٩ جمادى الآخرة ١٤٣٤ هـ ، ١٠/٥/٢٠١٣ م .

(٢) الغيبة للشيخ محمد بن إبراهيم النعماني ج ١ ص ١٦٣ ح ١ .

عن محمد بن مسلم قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام : "إنّ السّفيانيّ يملك بعد ظهوره على الكور الخمس حمل امرأة" . ثمّ قال عليه السلام : -أستغفر الله حمل جمل- "وهو من الأمر المحتوم الذي لا بدّ منه" (١) .

قول الإمام عليه السلام هو "حمل امرأة"، وقول "أستغفر الله حمل جمل" هو كلام للزّاوي، والتّرديد بين حمل امرأة وحمل الجمل من الزّاوي وليس من الإمام عليه السلام، وأمّا "وهو من الأمر المحتوم الذي لا بدّ منه" فهو قول الإمام عليه السلام، لذلك جعلت قول الزّاوي بين شرطتين، ولم أدخله في كلام الإمام عليه السلام .
ويظهر الإمام عليه السلام بعد خمس عشرة ليلة من قتل النّفس الزّكيّة .

عن الإمام الصّادق عليه السلام : "ليس بين قيام قائم آل محمد وبين قتل النّفس الزّكيّة إلاّ خمسة عشر ليلة" (٢) .
وتكليف المؤمن في عصر الغيبة أن يتوقّع الظّهور في أيّ وقت، لذلك يجب عليه أن يكون مستعدّاً للظّهور في كلّ لحظة، فتكليف المؤمن هو انتظار الفرج .

وليس معنى علامة الظّهور أنّ المؤمن لا يقوم بأيّ عمل إلى أن تقع العلامة، كأن يظهر السّفيانيّ مثلاً، فإذا ظهر السّفيانيّ فإنّه يبدأ

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢١٥ ح ٧١ .

(٢) المصدر السابق ج ٥٢ ص ٢٠٣ ح ٣٠ .

العمل أو أنه لا يعمل إلى أن يظهر الإمام عليه السلام .
نقول إنّ المؤمن لا بدّ من أن يكون مستعدًّا للظهور في كلّ لحظة،
فتكليفه الاستعداد اللحظي، ولنفرض أنّ الإمام عليه السلام تأخّر
ظهوره، ولكن تبقى التكاليف على المؤمن ولا تسقط بسبب تأخّر
الظهور، فتكليفه أن يستعدّ للظهور، فهو يريد أن يكون جنديًّا من
جنود الإمام المهديّ عليه السلام، والجنديّ قبل أن ينزل إلى ساحة
المعركة لا بدّ من أن يكون مستعدًّا في رتبة سابقة، والاستعداد النفسيّ
لا بدّ من أن يكون موجودًا عند المؤمن قبل الظهور .

وانتظار الفرج تكليف من تكاليف المؤمن في عصر الغيبة، ولكن
انتظار الفرج ليس انتظارًا سلبيًّا بأن يجلس ولا يفعل أيّ شيء، وتوجد
بعض الرسوم فيها شخص جالس ويده سيف وهو يضع رأسه على
يديه وواضع رأسه بين ركبتيه، والرّسام يريد أن يبيّن انتظار المؤمن
لظهور الإمام عليه السلام، وهذه الرّسمة لا تعبّر عن انتظار الإمام عليه
السلام، وهذا انتظار سلبيّ بأن لا يفعل شيئًا إلى أن يظهر الإمام عليه
السلام، وإذا ظهر الإمام عليه السلام فإنه يبدأ العمل .

نقول إنّ هذه الرّسمة لا تعبّر عن الانتظار الحقيقيّ للظهور، ففي
عصر الغيبة توجد أعمال وتكاليف وانتظار إيجابيّ على جميع المؤمنين،
ونفس انتظار الفرج هو تكليف من تكاليف المؤمن في عصر الغيبة،
ولكنّ الانتظار ليس انتظارًا سلبيًّا، وإمّا هو انتظار إيجابيّ، والعمل
مطلوب لنفسك ولغيرك، والميدان الأوّل للعمل هو نفسك، فتنظر إلى

نفسك حتى تتكامل وتكون مستعداً للظهور، وبالإضافة إلى ذلك أنت تساعد الآخرين في الاستعداد للظهور، فدور المؤمن هو العمل، ومن يريد أن يرسم رسمةً تعبّر عن انتظار الظهور فعليه أن يرسم المؤمن وهو يتحرّك ويعمل وينتج ويستعدّ ويتهيأ للظهور، وهذا هو الانتظار الإيجابي للظهور، فعصر الغيبة الكبرى هو عصر العمل على المستوى الفردي وعلى المستوى الجماعي، وفي المجال الاجتماعي والمجال السياسي وجميع المجالات الأخرى، وعلى المستوى المحلي والمستوى الإقليمي والمستوى العالمي، والإسلام دين عالمي، وعالمية الإسلام تتطلب أن يكون عمل المسلمين عملاً عالمياً على جميع المستويات وفي جميع المجالات، وكلّ مسلم يتحرّك بالمقدار المتاح أمامه وحسب إمكانياته، وهذا من ناحية عملية، ومن ناحية نظرية لا بدّ من أن يكون عملنا على مستوى العالم، نعم من حيث العمل قد لا تكون عندك إمكانيات تساعدك للعمل على مستوى العالم، فتعمل بالمقدار الممكن .

يقول القرآن الكريم :

"لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا" (١) .

هذا من ناحية عملية بأن تعمل بمقدار وسعك، ولكن من ناحية نظرية المطلوب منك العمل مطلقاً، ولكنّ الموانع تمنعك من العمل المطلق، فتعمل بمقدار وسعك، ولكن نظرك يكون إلى العالم كلّه .

(١) البقرة : ٢٨٦ .

مثلاً في الدورات الشبابية تنشئ محيماً للمشاركين، وهذا المحيّم محدود ضمن بلدك، ولكن فكّر بمحيّم عالمي يضم جميع شباب العالم، محيّمك يضمّ مائة مشارك، فكّر بمحيّم يضمّ مليون شخص، نعم من ناحية العمل لا يمكنك أن تطبّق الفكرة الآن، ولكنّ الفكرة العالمية تكون حاضرةً عندك، وحينما نتحدّث نتحدّث مع العالم، وحينما نكتب نكتب للعالم، والآن الوسائل الحديثة متاحة للجميع، ويمكن في لحظات أن تغطّي الرسالة التي ترسلها مساحةً كبيرةً من العالم، فدورنا دور عالمي، ومنتظر الفرج مع العمل على المستوى العالمي، وهذا هو تكليف المسلمين اليوم، ويتمّ العمل الآن على نحو ضيق بسبب الظروف المحيطة، ولكن فكرة العالمية لا بدّ من أن تكون في أذهاننا حينما نقوم بأيّ عمل .

في رسالة للإمام المهديّ عليه السّلام إلى الشّيخ المفيد محمّد ابن النّعمان رضوان الله عليه : " . . . فليعمل كلّ امرئ منكم بما يُقربُ به من محبّتنا، ويتجنّب ما يدينه من كراهتنا وسخطنا، فإنّ أمرنا بغتة فجأة حين لا تنفعه توبة . . . " (١) .

الإمام عليه السّلام يبيّن تكليف المؤمنين، نعم تنتظر الفرج، ولكن في عصر الغيبة الكبرى يجب أن تقوم بالأعمال التي تقربك من محبّة الإمام عليه السّلام، وتجنّب الأعمال التي تبعدك من الإمام عليه السّلام، وهذا تكليف أثناء انتظار ظهور الإمام عليه السّلام، فيجب

(١) الاحتجاج للشّيخ الطّبرسيّ ج ٢ ص ٣٢٣-٣٢٤ .

التقرب من محبة الإمام عليه السلام، واجتناب سخط الإمام عليه السلام .

والتكاليف على قسمين : تكاليف عامة في كل عصر من عصور الأئمة عليهم السلام، فالصلاة والصيام والحج تكاليف عامة في كل زمان ومكان، وتكاليف خاصة في عصر كل إمام عليه السلام، فتوجد تكاليف خاصة في عصر الغيبة الكبرى باعتبار غيبة الإمام عليه السلام، والعمل على كسب محبة الإمام المهدي عليه السلام لا بالأعمال العامة فقط، فلا بد من أن نعرف التكاليف الخاصة على المؤمنين في عصر الغيبة الكبرى، والتكاليف الخاصة ذكرنا كثيراً منها في المحاضرات السابقة، وسنشير إلى بعض منها في المحاضرات القادمة إن شاء الله تعالى .

ونحاول أن نكسب محبة الإمام عليه السلام، ونبتعد عن سخط الإمام عليه السلام، فدور المؤمنين أن يتقربوا إلى محبة الإمام عليه السلام، وذلك بأن يعرفوا الأعمال التي يريد الإمام عليه السلام منهم أن يقوموا بها، والقيام بهذه الأعمال تجلب محبة الإمام عليه السلام، وأن يبتعدوا عن سخط الإمام عليه السلام، وذلك بأن يعرفوا الأعمال التي يريد الإمام عليه السلام منهم أن يبتعدوا عنها، والإتيان بهذه الأعمال تجلب سخط الإمام عليه السلام، والأعمال من كلا النوعين لا تندرج تحت التكاليف العامة، نعم التكاليف العامة مطلوبة في كل زمان، ولكن لا بد من أن نعرف الأعمال الخاصة التي يريد الإمام

المهديّ عليه السّلام والتي لا يريدّها، ونحدّدها تفصيلاً لا بعنوان عامّ،
فحينما نقول بأننا نقوم بأعمال تقربنا إلى محبّة الإمام عليه السّلام ولا
نأتي بأعمال تعرّضنا لسخط الإمام عليه السّلام - فهذا عنوان عامّ،
ونريد تفاصيل ومصاديق هذا العنوان العامّ، ونريد الجواب التفصيليّ
للسؤال عن مصاديق الأعمال التي تقربنا إليه عليه السّلام ومصاديق
الأعمال التي تبعدنا عنه عليه السّلام، فنريد معرفة التكاليف الخاصّة
في عصر الغيبة الكبرى تفصيلاً لا بالعناوين العامّة؛ فنعرّف أنّه
بواسطة القيام بالعمل الأوّل نكسب رضا الإمام عليه السّلام،
والإتيان بالعمل الثّاني يسبّب سخط الإمام عليه السّلام، فلا بدّ من
أن نعرّف مصاديق الأعمال تفصيلاً على جميع المستويات الفرديّ
والجماعيّ والاجتماعيّ والسياسيّ والمحليّ والإقليميّ والعالميّ وغيرها
من المستويات، فمن يريد أن يكون من أنصار الإمام عليه السّلام وأن
يكتسب محبّته ويتعدّد عن سخطه فعلاقاته مع جميع النّاس وحتىّ في
بيته مع زوجته وأولاده كيف تكون، وهذه العلاقات يمكن من خلالها
كسب محبّته والابتعاد عن سخطه، وهذه كلّها ضمن الأعمال التي
يأتي بها المؤمن أو يتركها في عصر الغيبة الكبرى، وحتىّ في الأعمال
العامّة لكلّ زمان يكتسب المؤمن بها محبة الإمام عليه السّلام، والمؤمن
في المجتمع وفي البيت مع زوجته وأولاده وفي المدرسة والجامعة والكلّيّة
والمعهد والوظيفة يكون بطريقة معيّنة، وتكون ضمن التكاليف العامّة،
وبالنسبة للأعزب مع والده ووالدته وإخوانه وأخواته عليه تكاليف

عامّة، لا أن يتصرّف الإنسان في بيته بتصرّفات جافّة وأخلاق سيّئة مع أهله، ولكن خارج البيت يكون بتصرّفات أخرى فيتعامل بأخلاق عالية وتعامل حسن، وهذا الشخص لا يمكن أن يكسب محبة الإمام عليه السّلام؛ لأنّ المؤمن يتحرّك بطريقة واحدة ووجه واحد، وفي السّر والعلن يعمل بطريقة واحدة، لا أنّه في العلن أمام الناس يظهر أنّه إنسان مؤمن متديّن؛ لأنّ النّاس يرونه، ولكن في السّر يرتكب المحرّمات؛ لأنّ النّاس لا يطلّعون على أعماله .

والإنسان في السّر والعلن يكون تحت رقابة الله تعالى وتحت نظر الإمام عليه السّلام، وملفّ كلّ شخص يُعرضُ على الإمام عليه السّلام في كلّ يوم وليلة، فلا بدّ من أن تلتفت إلى الله تعالى وإلى إمام زمانك عليه السّلام، ولا يفرق الحال بين أن تكون في العلن أو في السّر، ورقابة الله تعالى للإنسان مستمرة دائمة خلال اليوم، وإمام زمانك عليه السّلام يعرف أعمالك كلّها، لا أن يظهر الإنسان أمام النّاس بصورة حسنة، وفي السّر حينما يكون لوحده يتصرّف بتصرّفات أخرى، فالمؤمن له طريقة واحدة وكيفيّة واحدة ووجه واحد في العمل، والإنسان لا يكون ذا وجهين، وإذا كانت حالة الإنسان مختلفة في السّر والعلن فهو يعيش التّفاق؛ لأنّه يظهر خلاف ما يبطن، ودور المؤمن أن يعيش في السّر والعلن بطريقة واحدة، وأمّام الأهل والنّاس يكون بطريقة واحدة، وعادةً أهل الإنسان من والده ووالدته وإخوانه وأخواته وزوجته وأولاده يعرفون من أنّه يتصرّف بنفس الطّريقة أمام

النّاس أو أنّه يتصرّف بطريقة أخرى، ففي باطنهم يقولون بأنّ قريبتهم منافق له وجهان، وتسقط عدالته عندهم، ولا يصلّون خلفه في صلاة الجماعة، فمن المهمّ أنّ الإنسان كتكليف عليه في كلّ عصر أن يكون ذا وجه واحد ويعمل بطريقة واحدة في السّرّ والعلن؛ لأنّه تحت الرّقابة الدائمة من الله عزّ وجلّ .

وفي دعاء كميل بن زياد : " . . . حتى تكون أعمالي وأورادي كلّها وردًا واحدًا . . . " .

لا يوجد عمل أمام النّاس وعمل آخر في البيت، فجميع الأعمال تصبّ في نفس الاتجاه، ولا توجد عند المؤمن اتّجاهات مختلفة، فجميع أعماله موجهة إلى الله تعالى وفي طريق الله عزّ وجلّ، وهذا الأمر مهمّ لمن يريد أن يصبح من أنصار الإمام عليه السّلام، فعليه أن يكون ذا وجه واحد واتّجاه واحد، والإمام عليه السّلام يراقبنا حينما يختار أنصاره، فيختار من هؤلاء المؤمنين الذين لهم وجه واحد وطريق واحد، والشخص الذي عنده شيء من النّفاق بالمعنى الذي طرحناه فلا يختاره الإمام عليه السّلام ليكون من الأنصار؛ لأنّه عليه السّلام يريد أن ينشر العدل في العالم، ومن يساهم في نشر العدل لا بدّ من أن يكون عادلاً في السّرّ والعلن، لا أنّه عادل في العلق فقط والنّاس يصلّون خلفه بناءً على عدالته الظاهرية، وفي السّرّ هو ليس عادلاً، وهو يعلم من نفسه أنّه غير عادل، نعم يُقالُ بجواز تقدّمه إلى إمامة الصّلاة إذا كان المأمومون يظنون بعدالته، ولكن إذا كان يعرف من

نفسه أنه ليس عادلاً فالمفروض أن لا يتقدّم لإمامة الصّلاة؛ لأنّه يعرف نفسه جيّداً، ومن يتقدّم إلى إمامة الصّلاة المفروض أن يكون أفضل المصلّين من حيث العدالة، والإنسان يعلم من نفسه أنه يفعل الواجبات ويترك المحرّمات أو لا، نعم قطعاً يوجد بعض المأمومين يفعلون الواجبات ولا يرتكبون المحرّمات، فهؤلاء المأمومون يكونون أفضل منه إذا كان يرتكب المحرّمات، وأحد هؤلاء العدول لا بدّ من أن يقدّمه المأمومون إلى إمامة الصّلاة، وإمام الصّلاة لا بدّ من أن يحقّق العدالة في نفسه حتّى يتقدّم إلى إمامة صلاة الجماعة، والمفروض أن لا يتقدّم وهو يعلم أنّه حينما يصليّ فإنّه يخدع من يعتقدون بعدالته، نعم صلاتهم صحيحة، ولكن بالنسبة له فإنّ هذا المحلّ ليس له، ولا يصحّ له أن يتقدّم على صفوف المأمومين؛ لأنّه يعلم بعدم عدالته .

عن أمير المؤمنين عليه السّلام أنّ النّبّي صلّى الله عليه وآله قيل له : يا رسول الله، متى يخرج القائم من ذريّتك ؟ فقال : "مثله مثل الساعة لا يجليها لوقتها إلا هو، ثقلت في السّماوات والأرض، لا تأتيكم إلا بغتة" (١) .

ظهور الإمام المهديّ عليه السّلام مثل يوم القيامة، لا يمكن أن نعيّن وقت القيامة، وكذلك بالنسبة لظهور الإمام عليه السلام لا يمكن أن نحدّد وقت الظهور .

(١) بحار الأنوار ج ٤٩ ص ٢٣٧-٢٣٨ ح ٦ .

عن الفضيل قال : سألت أبا جعفر عليه السّلام : هل لهذا الأمر وقت ؟ فقال : "كذب الوقتون كذب الوقتون كذب الوقتون" (١) .
نعم من خلال الأحداث يبدو أن الظهور قريب إن شاء الله تعالى، والمؤمنون في عصور الأئمة عليهم السّلام كانوا يقولون أيضاً بأنّ الظهور قريب بسبب الظلم الواقع على المؤمنين، فكان المؤمنون ينتظرون القائم من آل محمّد صلّى الله عليه وآله، والمؤمنون اليوم ينتظرون الفرج أيضاً، ونقول بأنّ الأحداث التي تقع الآن تدلّ على قرب الظهور، ولكن متى الظهور ؟

لا نعلم، قد يكون بعد عشر سنوات أو مائة سنة أو ألف سنة، ولكن نستبشر خيراً من الأحداث الواقعة، وقد لا يكون هو السّفيانيّ المتوقّع، وقد تنتهي هذه الأحداث وبعد ألف سنة تقع أحداث مشابهة ويظهر السّفيانيّ، فلا يمكننا أن نوقّت ونحدّد وقتاً للظهور، ولكن دور المؤمنين أن يعرفوا تكاليفهم ظهر الإمام عليه السّلام أو لم يظهر، فالمؤمن عليه تكاليف، فقبل الظهور عليه تكاليف، وبعد الظهور عليه تكاليف، والمؤمن دوره أن يقوم بتكاليفه في زمن غيبة الإمام عليه السّلام وفي زمن حضوره عليه السّلام، فيعرف تكاليفه ويطبّقها ويعمل بها، وإذا ظهر الإمام عليه السّلام تكون عليه تكاليف أخرى، وعليه أن يقوم بها ويطبّقها، فالمبدأ عند الإنسان المؤمن أنّه يقوم بتكاليفه، كان في زمان الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام أو في

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ١٠٣ ح ٦ .

زمان الإمام الحسين عليه السّلام أو الإمام الصادق عليه السّلام أو أيّ إمام آخر، ففي كلّ عصر من عصور الأئمّة عليهم السّلام يوجد على المؤمن تكاليف، والله أوجدك في عصر الغيبة الكبرى، فحدّد تكاليفك وقم بأدائها، وهذا هو المطلوب من المؤمن في أيّ زمان ومكان كان .

سؤال : كون ظهور الإمام عليه السّلام فجأة هل يغيّر شيئاً في الإنسان المؤمن ؟

الجواب :

لو كان ظهور الإمام عليه السّلام معيّناً في سنة معيّنة مثلاً ٢٠١٤ م فالشّخص ينتظر إلى تلك السنة ولا يقوم بأيّ عمل، وقبل الظّهور بشهر يصبح مؤمناً صالحاً ويبدأ بالصّلاة ويقوم بتكاليفه، ولكن حينما يقال بأنّ ظهور الإمام عليه السّلام يكون فجأة فإنّ عدم العلم بوقت الظّهور يعطي المؤمن دافعاً لأن يكون مستعدّاً في كلّ لحظة، ويشعر بمسؤوليّة الاستعداد للظّهور في كلّ وقت، وهذه المسؤوليّة المطلوبة تحتم عليه أن ينجح في كلّ ابتلاء وتمحيص إلهيّ، فحينما يُبتلى في أيّ لحظة فالمطلوب منه أن ينجح في الامتحان حتّى يكون مستعدّاً للظّهور، ففشل الإنسان في أيّ امتحان معناه الفشل في الانتظار، سواء كان ابتلاءً عامّاً شاملاً لجميع النّاس أم كان خاصّاً له فقط، وبعض الأشخاص قد يصابون بالمرض الخبيث والعياذ بالله تعالى، والله سبحانه أصابه بهذا البلاء، فما هو دور الإنسان ؟

المطلوب منه الصبر، وبعض التكاليف التي كانت عليه تسقط عنه بسبب مرضه، فهو الآن على سرير المرض، والمطلوب منه التكاليف التي تكون على الإنسان العاجز، فعلى المستوى الفردي بدل أن يصلي من قيام يصلي من جلوس، وهذا تكليفه، ولا يستطيع الخروج من البيت حتى يساهم في الأعمال الجماعية أو الاجتماعية أو السياسية، فهذه الأعمال تسقط عنه، ولكن من الممكن له وهو على فراش المرض أن يوجه الآخرين في العمل، فمقدار من الأعمال الاجتماعية يمكنه أن يساهم فيها ولو بالكلام والتصحح والإرشاد والتوجيه، ومن يُصاب بالمرض الخبيث فليس تكليفه فقط انتظار الموت وعدم القيام بأي عمل .

وشخص قد يسخط على الله سبحانه ويلوم الله على المرض الذي أصيب به، والمطلوب منه الرضا بالقضاء والقدر، والرضا بالقضاء والقدر من تكاليف المؤمن، نعم يحاول الحصول على العلاج، وقد يأخذ العلاج ويشفيه الله تعالى، وقد يتوفاه الله تعالى، فالعلاج يفيد أحد المرضى ولا يفيد المريض الثاني، فيحدّد تكليفه حتى في وقت المرض .

وعلى المريض أن يسأل نفسه : ما هي التكاليف المطلوبة مني ؟

وما هي التكاليف الساقطة عني ؟

وبالنسبة للتكاليف المطلوبة منه بعضها يأتي بها كاملة، وبعضها يمكنه أن يساهم بإنجازها ولو بالكلام والتوجيه، فيكون تكليفه الكلام

والتّوجيه فقط .

وليس تكليف المريض أن يعيش حالة اليأس، بل ينتظر الفرج وظهور الإمام عليه السّلام، ويقوم بتكاليفه؛ لأنّه من الممكن أن يظهر الإمام عليه السّلام وهذا الشّخص يظلّ مريضاً إلى زمن الظّهور .
وتوجد روايات تبين أنّه إذا ظهر الإمام المهديّ عليه السّلام فإنّ المؤمنين المرضى يشفون من أمراضهم، وأنّ المؤمن يُعطى قوّة أربعين رجلاً .

عن أمير المؤمنين عليه السّلام : "يخرج رجل من ولدي في آخر الزّمان . . . ووضعه على رؤوس العباد، فلا يبقى مؤمن إلّا صار قلبه أشدّ من زبر الحديد، وأعطاه الله قوّة أربعين رجلاً، . . ." (١) .

عن الإمام الحسين عليه السّلام : ". . . ولا يبقى رجل من شيعتنا إلّا أنزل الله إليه ملكاً يمسح عن وجهه التراب، ويعرفه أزواجه ومنازله في الجنّة، ولا يبقى على وجه الأرض أعمى ولا مقعد ولا مبتلى إلّا كشف الله عنه بلاءه بنا أهل البيت . . ." (٢) .

عن الإمام زين العابدين عليه السّلام : "إذا قام القائم أذهب الله عن كلّ مؤمن العاهة، وردّ إليه قوّته" (٣) .

عن الإمام الباقر عليه السّلام : "من أدرك قائم أهل بيتي من ذي

(١) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٣٥ ح ٤ .

(٢) المصدر السابق ج ٥٣ ص ٦١-٦٢ ح ٥٢ .

(٣) الغيبة للشيخ النعمانيّ ج ١ ص ٣٣٠ ح ٢ .

عاهة برأ، ومن ذي ضعف قوي" (١) .

والمؤمن المنتهئ لظهور إمامه عليه السّلام يعطيه الله تعالى قوة؛ لأجل إنجاز المهمّات التي تكون على عاتقه أثناء الظهور وبعده، وأمّامهم جهاد طويل فيحتاجون إلى القوّة، والمؤمن المستعدّ الذي يكون من الأنصار يعطيه الإمام عليه السّلام الوسائل التي تساعد على نشر العدل وتحقيقه في العالم، والإمام عليه السّلام يحتاج إلى أنصار أقوياء، والشّخص المريض قد يكون من الأنصار، ويستفيد الإمام عليه السّلام منه في نشر العدل، فيشفيه عليه السّلام بإذن الله تعالى بالولاية التكوينيّة التي نعتقد بها أو أنّ الإمام عليه السّلام يدعو له والله تعالى يستجيب دعوة الإمام عليه السّلام، وولاية النّبّي صلّى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السّلام هي نفس الولاية التكوينيّة التي كانت عند المسيح عيسى بن مريم عليهما السّلام حينما كان يشفي الأكمه والأبرص ويجيي الموتى بإذن الله تعالى، أو بالولاية التكوينيّة الموجودة عند الملائكة، والولاية التكوينيّة ليست هي التفويض، والتّفويض مستحيل، وذلك بأن يكون للمخلوق الإدارة الكاملة للخلق بدون أيّ إرادة من الله سبحانه، وهذا مستحيل .

وأمّام الأنصار مهمّة عظيمة، وانتظار الفرج يعطي المؤمن إحساساً وشعوراً بالمسؤولية، فأمامنا مهمّة عالميّة، ونريد القيام بهذه المهمّة العالميّة، وعلينا تكاليف كثيرة، ويجب أن نقوم بهذه التكاليف، ولا بدّ

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٣٥ ح ٦٨ .

من أن ننجح بجميع الابتلاءات التي تصيبننا؛ لكي نصبح متهيئين لظهور الإمام عليه السلام، وهذه مسؤولية عظيمة أمام المؤمنين .

وفي بعض الامتحانات والابتلاءات قد يضعف الإنسان، وما دام أنه بكامل صحته وبيده الأموال فإنه لا يحسّ بشيء، ولكن حينما يمرض قد يضعف، وإذا أثناء الرّخاء قوّى علاقته بالله تعالى فإنه أثناء الابتلاء ينجح، وأما إذا كانت علاقته بالله تعالى أثناء الرّخاء ضعيفةً فضعفه يظهر حينما يصاب بابتلاء، وإذا لم يكن الإنسان مستعداً قبل وقوع البلاء فإنه لا ينجح أثناء البلاء، مثل الطالب الذي لا يدرس قبل الامتحان يكون مضمون السّقوط، ويقول بأنه قد ينجح بالصدفة، ولكن في الابتلاء لا يوجد نجاح بالصدفة، بل لا بدّ من أن يكون مستعداً قبل وقوع البلاء، فالاستعداد يكون مسبقاً وفي رتبة سابقة، مثل الجنديّ الذي يتدرّب عدّة سنوات قبل أن ينزل إلى ساحة المعركة، وكذلك الشّخص الرّياضيّ يتمرنّ مدّة طويلة حتّى يكون مستعداً للمباراة، وقد يستمرّ التّمرين عدّة سنوات حتّى يراه المدرّب مؤهّلاً للمشاركة في المباريات، والإنسان لا بدّ من أن يبذل جهده ويقوّى نفسه حتّى يكون مستعداً للبلاء، وقد يصاب الإنسان بمرض بسيط كالزّكام ويستمرّ معه مدّة أسبوع ومع أنّه يأخذ العلاج يرى نفسه أنّه يضجر، ويدعو كثيراً للحصول على الشّفاء من الله تعالى، وإذا لم يشفهِ الله سريعاً فإنه يبدأ بإلقاء اللّوم على الله سبحانه، وذلك لأنّه لم يستعدّ مسبقاً للبلاءات، ولو كان مستعداً مسبقاً لما

ضجر وملّ من تأخّر الشّفاء، بل يستمرّ بالدّعاء ويقوّي علاقته بالله تعالى أكثر وأكثر، فيستفيد من مرضه في تقوية علاقته بالله تعالى، وكيف يكون حاله لو جاءت ابتلاءات أصعب؟!

وفي بلدنا الأمان موجود والله الحمد، ولكن في بعض البلدان الأمان مفقود، يخرج من بيته ولا يدري أنّه يرجع أو لا يرجع، والأموال قليلة بأيديهم ويعيشون صعوبة الحياة، ونحن كمؤمنين تكليفنا أن نشعر بهؤلاء الذين يعيشون في البلدان الأخرى، وأنصار الإمام عليه السّلام يشعرون بمشاعر الآخرين، ومن الأمور المهمّة لأيّ إنسان أن يشعر بمشاعر غيره، وهذا دور من يريد أن يكون من الأنصار، ولولا إحساسه بمشاعر الآخرين لما كان يسعى لنشر العدل في العالم، وبدل ذلك لقال : لا شأن لي بالنّاس الموجودين في أفريقيا أو أمريكا الجنوبيّة أو في أيّ بقعة أخرى في العالم .

وفي عصر الغيبة من يريد أن يكون من الأنصار لا بدّ من أن يشعر بهؤلاء حتّى لو لم يكونوا مسلمين، ودور المؤمن أن ينصر كلّ مظلوم سواء كان مسلمًا أم غير مسلم، لا أنّه ينصر من يكون من طائفته أو قبيلته أو عشيرته أو عائلته فقط، فالمؤمن يكون نصيرًا لكلّ مظلوم، ولو كان يعبد البقرة أو يقدّسها وهو مظلوم فلا بدّ من أن يشعر المؤمن بالظلم الواقع عليه، ويحاول نصرته بما يستطيع، وقضيّة المظلوميّة ليست خاصّةً باتباع نفس الدّين والمذهب، وإحساس المؤمن بوقوع الظلم على الآخرين يهيئه لأن يصبح من الأنصار، ويسعى لنشر

العدل في العالم؛ لأنّ عنده هذا الإحساس، ولو كان يعيش الأنانيّة ويشعر بالظلم الواقع عليه فقط ولا يهتمّ بمظلوميّة الآخرين فلا يمكنه أن يصل إلى مقام الأنصار، ومن يهتمّ بنفسه وبيته وزوجته وأولاده فقط يستحيل أن يصبح من الأنصار، ومن يعيش الأنانيّة في حياته ويريد أن يصبح من الأنصار لا بدّ من أن يراجع نفسه ويعيد حساباته، ومن يعيش بهذه الطّريقة يستحيل أن يصبح من الأنصار، وشعوره بالنّاس لا بدّ من أن يكون شعورًا عالميًا، وإحساسه بالآخرين يكون إحساساً عالميًا، ويشعر بالضّيق لكلّ من وقع عليه الظلم، وهذا الضّيق يهيّئه لأنّ يصبح من الأنصار، ويساهم فيما بعد لنشر العدل في العالم .

إذن :

على المؤمنين مسؤوليّة كبيرة في عصر الغيبة الكبرى، وانتظار الفرج بظهور الإمام عليه السّلام أمر مهمّ جدًّا، وانتظار الفرج لا يعني الكسل والخمول، بل يعني العمل بكلّ جهده وبأقصى طاقته على المستوى الفرديّ وعلى المستوى الاجتماعيّ من الأمور العباديّة وغير العباديّة، وحتى في الأمور الدنيويّة لا يكون المؤمن مهملاً، وإنّما يوجّهه إلى الله تعالى، والطّالب في المدرسة أو المعهد أو الكليّة أو الجامعة لا يكون مهملاً، فضمن تكاليفه في عصر الغيبة أن يهتمّ بدراسته، والدّين له حكم في كلّ شيء، وأنت موجود في المدرسة أو المعهد أو الكليّة أو الجامعة تكليفك أن تكون أفضل طالب، وفي العمل تكون

أفضل موظّف، وفي المجتمع تكون أفضل شخص .

عن الإمام الصادق عليه السّلام : " ليس منّا - ولا كرامة - من كان في مصر فيه مائة ألف أو يزيدون وكان في ذلك المصر أروع منه " (١) .
عن أبي الحسن الأوّل - أي الإمام الكاظم - عليه السّلام قال :
كثيراً ما كنت أسمع أبي يقول : " ليس من شيعتنا من لا يتحدّث
المخدّرات بورعه في خدورهنّ، وليس من أوليائنا من هو في قرية فيها
عشرة آلاف رجل فيهم من خلق الله أروع منه " (٢) .

عن الإمام الصادق عليه السّلام : . . . فوالله لحدّثني أبي عليه
السّلام : " إنّ الرّجل كان يكون في القبيلة من شيعة عليّ عليه السّلام
فيكون زينها، آدامهم للأمانة وأقضاهم للحقوق وأصدقهم للحديث،
إليه وصاياهم وودائعهم، تسأل العشيرة عنه فتقول : من مثل فلان،
إنّه لأدانا للأمانة وأصدقنا للحديث " (٣) .

وهذه الأعمال أمثلة للإنسان المؤمن، والمؤمن لا بدّ من أن يكون
أفضل شخص في المجتمع، وحتى أنّ النّساء المؤمنات اللّاتي لا يخرجن
خارج البيت يصل إليهنّ الخبر بأنّه إنسان متديّن وورع، فيحصل له
الصّيّة والسمعة الطّيبة بأنّه ورع متّقي حتّى بين النّساء، فيعرفه النّاس
بإيمانه وتقواه وورعه .

(١) بحار الأنوار ج ٦٧ ص ٣٠٠ ح ٩ .

(٢) المصدر السابق ج ٦٧ ص ٣٠٣ ح ١٤ .

(٣) الكافي ج ٢ ص ٦٣٦ ح ٥ .

المؤمن تكليفه في عصر الغيبة الكبرى أن يكون أفضل شخص في أيّ مجال كان، مثلاً إذا كان في مجال الرياضة فإنّه يسعى لأن يكون أفضل رياضيّ، وفي مجال العمل يكون أفضل موظّف، ويشار إليه بالبنان، ويعرف الباكون بأنّه أفضلهم، فيلتزم بأوقات العمل ويؤدّي وظيفته ويقوم بمهامّ وظيفته على أكمل وجه، ولا يكون مهملاً في أداء أعماله الوظيفيّة، لا أنّه يوقّع ويخرج من الدوام، فعليه تكليف بسبب وجود عقد العمل بينه وبين صاحب العمل، ويجب عليه أن يلتزم بنود العقد، وأوّل ما تتعيّن في أيّ وظيفة يوجد عقد عمل توقّعه مع صاحب العمل، وبنود العقد يجب الالتزام بها، ولا تتحدّج بأنّ الموظّفين الآخرين لا يلتزمون بأوقات العمل، فمسؤوليتك وتكليفك أن تلتزم بنود العقد حتّى لو خالفه الآخرون، ويلتزم المؤمن في أيّ مجال يكون فيه، ويسعى دائماً لأن يكون أفضل شخص، وحتّى المعتمّ تكليفه أن يكون أفضل معتمّ قريةً إلى الله تعالى لا بحثاً عن الشّهرة والسّمعة، وإذا اشتهر بين النّاس يجعل شهرته في سبيل الله تعالى، فتكليفه أن يبذل جهده في درسه وبحثه وخطاباته ومحاضراته، ووظيفته أن يعظ النّاس ويرشدهم إلى الله تعالى ويساهم في حلّ المشاكل التي تحدث بين النّاس من المؤمنين وغيرهم، وشهرته تساعد في التّدخّل في حلّ المشاكل حيث يتقبّله النّاس، فيكون أفضل شخص في مجال عمله، وغير المعتمّ يكون أفضل شخص في مجاله، وهذا تكليف على المؤمنين بل تكليف على جميع النّاس، وهو تكليف

عامّ في كلّ زمان ومكان من أنّ المؤمن يتقن عمله، أيّ عمل دراسيّاً كان أو وظيفيّاً، وإتقان العمل تكليف على جميع النّاس حتّى الإنسان غير المسلم، ونقول النّاس؛ لأنّ الإسلام دين عالميّ جاء لجميع النّاس في العالم .

والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيبين الطّاهرين .

أسئلة وتعليقات الحاضرين :

الحاجّ أبو مصطفى سلامة :

ذكرت الروايات أنّ ظهور الإمام عليه السّلام يكون في يوم الجمعة، فكيف ننتظر الظّهور في كلّ لحظة ؟

جواب الشيخ محمّد أشكناني :

إذا حدّدت الروايات يوم الظّهور فنأخذ بهذه الروايات، ولكنّ انتظار الفرج يكون في كلّ لحظة، فالانتظار يكون في كلّ لحظة، وتتوقّع الظّهور في أيّ لحظة، فإذا صار يوم الجمعة فيكون المؤمن متهيّئاً من السّابق، وقضيّة الانتظار والعمل بالتكاليف غير محدّد بيوم معيّن، نعم الظّهور يكون في يوم الجمعة، ولكنّ العمل بالتكليف يكون قبل يوم الجمعة .

والروايات قالت يوم الجمعة ولم تحدّد السنة، فأنّت في كلّ جمعة تتوقّع الظّهور، ولكنّ البدء موجود بيد الله تعالى، فمن الممكن أنّ الله عزّ وجلّ يغيّر يوم الظّهور إلى يوم آخر إلّا إذا كان يوم الجمعة من

الأمر المحتومة غير القابلة للتغيير، وتوجد علامات حتمية كالسفياي،
وتوجد علامات غير حتمية يمكن أن يغيرها الله تعالى، والتوقع
والانتظار يكونان في كل لحظة، والتوقع والانتظار يؤديان إلى العمل
بالتكاليف في كل لحظة حتى يكون مستعداً لظهور الإمام عليه
السلام، فيكون الانتظار انتظاراً لحظياً .

الأستاذ علي إسحاق :

عدالة إمام الجماعة تكون في فعل الواجبات وترك المحرمات، وإذا
عمل إمام الجماعة بالمباحات كلعب الكرة، فهل هذا يخلّ بعدالته ؟
جواب الشيخ محمد أشكناني :

يوجد تعريفان للعدالة، تارة يُنظرُ إلى العدالة على أساس العمل
الخارجي، فيقال إنّ العدالة هي العمل بالواجبات وترك المحرمات،
وهي المرتبة الأدنى للعدالة حينما ننظر إلى العمل الخارجي، وتوجد
مرتبة متوسطة وهي العمل بالمستحبات وترك المكروهات، وتوجد مرتبة
أعلى وهي تكون في كيفية التعامل مع المباحات بحيث يعمل بما ينبغي
فيتقرب إلى الله بالعمل، ويترك ما لا ينبغي فيتقرب إلى الله بالترك،
وهنا يُنظرُ إلى الفقه العملي .

وتارة أخرى يُنظرُ إلى العدالة على أساس الصفة النفسانية القلبية
الباطنية التي تكون على نحو الملكة، وهنا يُنظرُ إلى الفقه الأخلاقي،
فالإنسان العادل هو الذي يمتلك ملكة العدالة، ونتيجة هذه الملكة
القلبية أنه يأتي بالأعمال الخارجية التي هي المراتب الثلاثة من الفقه

العمليّ : المرتبة الأولى هي فعل الواجبات وترك المحرّمات، والمرتبة الثانية هي فعل المستحبّات وترك المكروهات، والمرتبة الثالثة هي فعل المباحات التي تنبغي وترك المباحات التي لا تنبغي .
وهذان تعريفان للعدالة، والعدالة هي صفة قلبية، فتكون هي الملكة التي تُنتجُ الأعمال الخارجيّة .

مثلاً من يلعب كرة القدم، نسأله : لماذا تلعب الكرة ؟
يقول : لأنّه مباح .

نقول : قد يأتي شخص بهذا المباح؛ لأجل أن يضيّع وقته، وتضييع الوقت ليس أمرًا جيّدًا، والجواب بتضييع الوقت لا يُقبَلُ من المؤمن المسؤول عن وقته .

وشخص يلعب الكرة؛ لأجل أن يصبح قويًّا نشيطًا، وهذا الجواب مقبول، والشخص الرياضيّ يقوم لصلاة الصّبح بنشاط، والشخص الكسول يقوم متعبًا، ويحتاج إلى الجلوس على الفراش لعدّة دقائق، والشباب الرياضيّون يشعرون بهذا الفرق عن حالتهم قبل ممارستهم للرياضة، فتوجد فائدة عباديّة مرتّبة على ممارسة الرياضة، ولا نجعل الرياضة مضيعةً للوقت، فتوجد فوائد دينيّة من الرياضة، فإذا كان يمكن التّقرب بهذا المباح إلى الله تعالى فهذا المباح ينقلب إلى مستحبّ، وهذا المباح فيه قابليّة الانقلاب إلى مستحبّ حينما يعمل به بنية التّقرب إلى الله تعالى .

وقبل ممارسة الرياضة قل : أَلعب كرة القدم قرْبَةً إلى الله تعالى .

ويمكن توجيه المباحات التي تنبغي إلى الله عزّ وجلّ، ولكن أوّلاً حدّد أهدافك من جميع أعمالك، ويمكنك الحصول على الثّواب من المباح، والمباح يقوّى ارتباطك بالله وتتكامل أكثر، والمباحات تنقسم إلى قسمين : مباحات فيها قابليّة التّحويل إلى مستحبّ، ومباحات لا توجد فيها قابليّة التّحويل إلى مستحبّ، والقسم الأوّل هو المباحات التي ينبغي للمؤمن أن يأتي بها، والقسم الثّاني هو المباحات التي لا ينبغي للمؤمن أن يعمل بها .

شخص يريد أن يعمل ريجيم، فيقوم بمشاهدة أشخاص يلعبون الرّياضة في التلفزيون، ومجرّد المشاهدة بدون ممارسة الرّياضة لا يفيد به بإنقاص وزنه، ويتابع مباريات كأس العالم ولا يستفيد شيئاً إلّا مضيعة الوقت، نعم إذا مارس الرّياضة يستفيد منها .

وإذا سألنا من يتابع مباريات كأس العالم : الآن عرفت نتائج المباريات وعرفت من حصل على الكاس أنت ماذا تستفيد ؟ هل يمكنك أن تقول : أتابع مباريات كأس العالم قرينةً إلى الله ؟ لا يمكن؛ لأنّ هذا المباح لا توجد فيه قابليّة التّقرّب إلى الله تعالى والتّحويل إلى مستحبّ .

أوّلاً حدّد المباحات التي تنبغي والتي فيها قابليّة التّقرّب إلى الله والتّحويل إلى مستحبّات، وهذه المباحات اعمل بها .

وتوجد مباحات لا توجد فيها هذه القابليّة، فهذه المباحات اتركها؛ لأنّك لا تحصل على فائدة وثواب منها، ويكون قد ضيّع وقته في أمر

مباح، وكان يمكنه أن يضع هذا الوقت في أمر مستحب .
وإذا قيل لمن يتابع مباريات كأس العالم : اقرأ قليلاً من القرآن .
يقول : ما عندي وقت .

وحينما يشاهد المباريات فكلّ الوقت لمتابعتها، ويفرّغ نفسه ويترك
جميع مشاغله، ولا يقول : ما عندي وقت .
وفي المثل : الوقت كالسيف، إن لم تقطعه قطعك .
إذن :

نتبه إلى أن لا نضيّع أوقاتنا، فوقتك في هذه الدّنيا محدود بسنوات
معدودة .

عن رسول الله صلّى الله عليه وآله : " لا تزول قدما عبد يوم القيامة
حتىّ يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه، وشبابه فيما أبلاه، وعن
ماله من أين كسبه وفيما أنفقه، وعن حبّنا أهل البيت " (١) .

أنت مسؤول عن وقتك، وحينما ينتقل الإنسان إلى عالم البرزخ
تسأله الملائكة أسئلة تفصيليّة : الدّقيقة الأولى أين ضيّعتها ؟ والدّقيقة
الثّانية أين جعلتها ؟

وهكذا بالنّسبة لباقي الأوقات، والحساب دقيق وتفصيليّ، فلا بدّ
من أن تكون عندك أجوبة تفصيليّة، وتكون مستعدّاً في الدّنيا للإجابة
عن الأسئلة قبل الانتقال إلى عالم البرزخ .

وإذا أجاب بأنّه ظلّ يتابع مباريات كأس العالم ساعات وأيّام،

(١) بحار الأنوار ج ٦٨ ص ١٨٠ ح ٣٢ .

فالسؤال الذي قد يوجّه إليه : ما هو الهدف من متابعتك لهذه المباريات ؟ ولم أفنيت عمرك فيما لا ينفع ؟
ولا بدّ من أن يجهّز الأجوبة مسبقاً قبل النزول إلى عالم البرزخ، وكلّ عمل تقوم به في الدّنيا يوجد عليه حساب في عالم البرزخ .
وقبل القيام بأيّ عمل توقّف قليلاً واسأل نفسك : لو أنّي انتقلت الآن إلى عالم البرزخ وسألوني : لماذا قمت بهذا العمل ؟ بماذا أجيب ؟
لا بدّ من أن تجهّز الجواب من الآن، وإذا لا يوجد عندك جواب مقبول فلا تُقدّم بهذا العمل، والأجوبة لا بدّ من أن تكون مسبقاً حتى تكون جاهزاً .

عن النّبّي صلّى الله عليه وآله : "حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبوا، وَزِنُوا قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا، وَتَجَهَّزُوا لِلْعَرَضِ الْأَكْبَرِ" (١) .

عن أبي الحسن موسى الكاظم عليه السّلام : "ليس مِنّا من لم يحاسب نفسه في كلّ يوم، فإن عمل خيراً استزاد الله منه وحمد الله عليه، وإن عمل شراً استغفر الله منه وتاب إليه" (٢) .

والمؤمن الذي يحاسب نفسه في الدّنيا فإنّه في يوم القيامة يدخل الجنّة بلا حساب؛ لأنّه قد حاسب نفسه مسبقاً .

ويقال بأنّ الإنسان يحاسب نفسه في آخر الليل قبل أن ينام .
نقول : حساب المؤمن لنفسه يكون في كلّ لحظة لحظة، فالحساب

(١) بحار الأنوار ج ٦٧ ص ٧٣ ح ٢٦ .

(٢) المصدر السابق ج ٦٧ ص ٧٢ ح ٢٤ .

لحظي، فقبل الإقدام على أي عمل اسأل نفسك وحاسبها حتى لا تقع في المحرّمات، ومن يحاسب نفسه في الدّنيا يدخل الجنّة بلا حساب .

فيسأل نفسه : لماذا أريد أن أقوم بهذا العمل ؟

ويجهّز الجواب من الآن، ويقوم بالعمل على أساس محاسبة نفسه، والجواب يكون جاهزاً عنده من الآن، ولا يحتاج في عالم البرزخ إلى التّفكير؛ لأجل إعداد الجواب، فهناك لا وقت للتّفكير ولا للكذب؛ لأنّ الله تعالى وملائكته مطّلعون على حقيقة الإنسان وواقعه، فلا يمكنه الكذب، ولا يوجد لسان في عالم البرزخ حتى يمكنه الكذب، فنفسه هي التي تتكلّم، ولا يمكنها أن تتكلّم إلّا بالحقيقة .

فعلى كلّ إنسان أن يعدّ نفسه بالجواب :

عن الإمام زين العابدين عليه السّلام : " . . . ابن آدم، إنّ أجلك أسرع شيء إليك، قد أقبل نحوك حثيثاً يطلبك، وبوشك أن يدركك، وكأنّ قد أوفيت أجلك، وقبض الملك روحك، وصرت إلى منزل وحيداً فردّ إليك فيه روحك، واقتحم عليك فيه ملكان : منكر ونكير؛ لمساءلتك وشديد امتحانك، ألا وإنّ أوّل ما يسألانك عن ربّك الذي كنت تعبدّه، وعن نبيّك الذي أرسل إليك، وعن دينك الذي كنت تدين به، وعن كتابك الذي كنت تتلوه، وعن إمامك الذي كنت تتولّاه، ثمّ عن عمرك فيما أفنيتّه، ومالك من أين اكتسبته وفيما أتلفته، فخذ حذرک، وانظر لنفسك، وأعدّ الجواب قبل الامتحان

والمسألة والاختبار، . . . " (١) .

ونقرأ بعض الروايات عن أهميّة الصلّاة :

عن النّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : "ليكن أكثر همك الصلّاة؛ فإنّها رأس الإسلام بعد الإقرار بالدين" (٢) .

عن النّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : "حافظوا على الصلّوات الخمس؛ فإنّ الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة يدعو بالعبد، فأول شيء يسأل عنه الصلّاة، فإن جاء بها تامّاً وإلا نُزِحَ في النار" (٣) .

عن أمير المؤمنين عليه السّلام : "ليس عمل أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من الصلّاة، فلا يشغلنكم عن أوقاتها شيء من أمور الدّنيا؛ فإنّ الله عزّ وجلّ ذمّ أقواماً فقال : "الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ" (٤) يعني أنّهم غافلون استهانوا بأوقاتها" (٥) .

عن الإمام الصادق عليه السّلام : "من صلّى الصلّوات المفروضات في أوّل وقتها فأقام حدودها رفعها الملك إلى السّماء بيضاء نقيّة وهي تهتف به : حفظك الله كما حفظتني، واستودعك الله كما استودعتني ملكاً كريماً .

(١) بحار الأنوار ج ٦ ص ٢٢٣ ح ٢٤ .

(٢) المصدر السابق ج ٧٧ ص ١٢٧ ح ٣٣ .

(٣) المصدر السابق ج ١٠ ص ٣٦٩ ح ٢٢ .

(٤) الماعون : ٥ .

(٥) بحار الأنوار ج ٨٠ ص ١٣ ح ٢١ .

ومن صلاتها بعد وقتها من غير علة فلم يُقَمِّ حدودها رفعها المَلَك
سوداء مظلمة وهي تهتف به : ضيِّعني ضيِّعك الله كما ضيِّعني، ولا
رعاك الله كما لم ترعني" (١) .

وإذا سألته الملائكة ولم يعرف الجواب تدخل عليه صورة حسنة
المظهر، فيقول الميت : من أنت ؟
فتقول الصورة : أنا صلاتك التي اهتمت بها .

فالصلاة التي اهتم بها تأتي إليه في عالم البرزخ وتدافع عنه، وإذا لم
يهتم بصلاته فإنها لا تأتي إليه في عالم البرزخ، فبقدر ما يهتم المؤمن
بعباداته وأعماله الصالحة فإنها تأتي للدفاع عنه في عالم البرزخ .

وإذا اعتقد بولاية أهل البيت عليهم السلام وكان اعتقاده اعتقاداً
حقيقياً راسخاً مع ترتيب الأعمال المطلوبة كأثار لاعتقاده بالولاية
فالولاية تأتي في عالم البرزخ لتدافع عنه، وتكون في أفضل صورة .

وإذا كان الشخص شيعياً بالاسم فقط، ويقول بأنه يكفي أن
عندي الولاية، وهو يترك الواجبات ويرتكب المحرمات، ويعتمد على
الولاية فقط، ويقول بأن أمير المؤمنين عليه السلام لن يقصر مع
شيئته، وسيأتي عليه السلام وقت الموت؛ لكي ينجيني من الحساب .

نقول : إن الولاية لا تكون بهذه الكيفية التي يعتقد بها، فيجب
على من يعتقد بالولاية أن يرتب آثار الولاية، ومن آثار الولاية أنه
يحاسب نفسه، ومن الآثار أن يأتي بالواجبات ويترك المحرمات .

(١) بحار الأنوار ج ٨٠ ص ١٠ ح ٧ .

عن الإمام الباقر عليه السلام : " . . . فوالله ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه . . . " (١) .

سؤال : كيف يعرف أنه رتب آثار الولاية ؟ مثلاً كيف يعرف أن صلاته مقبولة أو غير مقبولة ؟

يقول : لا أدري أنّ صلاتي مقبولة أو غير مقبولة .
نعطي له مقياساً لقبول الصلاة .

في الآية الكريمة :

" . . . إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ . . . " (٢) .

نسأله : كم تتعد عن الفحشاء والمنكر ؟ من بعد أن صليت كم النسبة ؟

يقول : نسبة ابتعادي عن الفحشاء والمنكر هي ٥٠% .
نقول له : نسبة قبول صلاتك بنفس النسبة .
الآن المقياس موجود بيدك .

والأعمال المطلوبة منك عبادية كانت أو غير عبادية كلّها لها آثار، انظر إلى آثار العمل، فإذا كانت جميع الآثار موجودةً عندك فكلّ العمل يكون مقبولاً، وإذا كانت نسبة من الآثار عندك فيكون عملك مقبولاً بنفس النسبة .

وبمعرفة المقياس لا يمكن للمؤمن أن يقول : لا أدري أنّ عملي

(١) الكافي ج ٢ ص ٧٤ .

(٢) العنكبوت : ٤٥ .

مقبول أو غير مقبول .

ويمكنك أن تعرف أنك من أهل الجنة أو لا، اعرض أعمالك على القرآن الكريم فيمكنك أن تعرف أنك من أهل الجنة إذا كنت تطبق أحكام القرآن في حياتك من الأحكام العقائدية والأحكام الأخلاقية والأحكام العملية، ومن يلتزم بالأحكام الشرعية يكون من أهل الجنة، فقم بما هو مطلوب منك تكون من أهل الجنة، مثل الطالب الذي يدرس جيّدًا إذا دخل إلى الامتحان يدخل مطمئنًا؛ لأنّه مستعدّ للامتحان مسبقًا، وإذا قدّم الامتحان وسئل فإنّه لا يقول : لا أدري كيف أجبت .

بل يعرف أنّه أجاب على جميع الأسئلة إجابةً صحيحةً، وأنّه سيحصل على الدرجة الكاملة .

والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيّدنا أبي القاسم محمد وآله الطيّبين الطاهرين .

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

(٥٣)

تابع أفضليّة

أنصار المهديّ عليه السّلام ؟ (١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين .

سؤال : مَنْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُ : مَنْ يَعِيشُ فِي عَصْرِ الْغَيْبَةِ أَوْ مَنْ يَكُونُ فِي عَصْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَوْ فِي عَصْرِ الْأُئِمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَوْ فِي عَصْرِ مَا بَعْدَ الظُّهُورِ ؟
وإذا قلنا "من هو الأفضل؟" فنحتاج إلى مقياس، وهذا المقياس يحدّد لنا من هو الأفضل .

هل وجود المؤمنين الآن في عصر الغيبة الكبرى يعطيهم ميزة على غيرهم من المؤمنين في زمان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَوْ أزمانة الأئمة عليهم السّلام أَوْ عَلَى الْبَعْضِ عَلَى الْأَقْلِ أَوْ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ فِي عَصْرِ النَّبِيِّ

(١) أُلْفِيَتْ هَذِهِ الْمَحَاضِرَةُ فِي الدِّيَوَانِيَّةِ الْأَسْبُوعِيَّةِ فِي دَوْلَةِ الْكُوَيْتِ مَنْطِقَةً
بِإِنِّانِ، الْجُمُعَةَ ٦ رَجَبِ ١٤٣٤ هـ ، ١٧/٥/٢٠١٣ م .

صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام أفضل من المؤمنين في عصر
الغيبة الكبرى؟

المؤمن العالم العامل في عصر الغيبة الكبرى يقوم بمهام إسلامية
كبيرة، ويتحرك لأجل نشر الدين، ويكون سبباً في المدد الشيعي، ونشر
مدرسة أهل البيت عليهم السلام .

إنّ نشر المعتقد أمر طبيعي لكلّ إنسان، فكلّ من يعتقد بأمر معيّن
أو فكرة معيّنة - حتى لو لم يكن أمراً دينياً وفكرة دينية - فإنه يقوم
بنشر معتقده، كما أنّ الشيعي ينشر معتقده، والرأسمالي يحاول نشر
نظريته، والسنيّ ينشر مذهبه، كذلك الشيعي الذي يعتقد بالنبيّ صلى
الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام يحاول أن ينشر اعتقاداته، وكلّ
إنسان يعتقد أنّ الحقّ معه، فينشر ويعرض على الآخرين ما عنده من
معتقدات وأفكار وآراء، والنشر لا يعني إجبار الآخرين على الأخذ بما
يعتقد، فهو يعرض معتقاداته كما أنّ الآخرين يعرضون معتقداتهم،
والناس عندهم الحرّية في اختيار عقائدهم، والأمر ليس بيد أحد؛ لأنّ
هذا معتقد، والإنسان عنده الحرّية العقائدية، فمن حقّه أن يعتقد بما
يريد، نعم توجد عقائد حقّة وعقائد باطلة، ونحن نعتقد بأنّ الإسلام
هو دين الحقّ، والله يوم القيامة يحاسب الناس على اعتقاداتهم، وإذا
أراد الإنسان أن يعتقد بشيء فلا بدّ من أن يقتنع به، والعقيدة مبنية
على الاقتناع لا على الإكراه والإجبار، والمعتقد أمر قلبي لا فعل
خارجي، ولا يمكن لأحد أن يقف أمام الأمر القلبي، وخاصةً في

زماننا الحاضر زمان الفضائيات والإنترنت، وإذا اعتقد شخص باعتقاد معين فليس من حق أحد أن يجبره على تغيير عقيدته والأخذ بعقيدة أخرى بواسطة السيف والسلاح، والاعتقاد مبني على الاقتناع، نعم يوجد الحق لكل طرف في أن يعرض اعتقاداته بواسطة الأدلة، والطرف الآخر قبل أو لم يقبل عقيدته فهذا من حقه وشأنه، فكما أن من حقه أن تعتقد بما تريد فمن حق الطرف الآخر أن يعتقد بما يراه، وكما أن من حقه أن تعرض اعتقاداتك بالدليل فمن حق الطرف الآخر أن يعرض اعتقاداته بالدليل، فالحرية الفكرية والحرية الاعتقادية مكفولتان لجميع الناس .

والشيعة لا يقولون بوجود المدّ السنيّ في المناطق الشيعية إذا كان السنّة ينشرون عقائدهم، وإذا أراد الشيعي أن يصبح سنّيًا فهذا شأنه، ولنفرض أنّ شيعيًا يريد أن يصبح بوذيًا فهو حرّ في ذلك، وأنت لست مسؤولًا عن اعتقادات الناس، نعم المقدر المسموح للجميع أن يناقش الآخرين في اعتقاداتهم، فإذا اقتنع أو لم يقتنع فهذا شأنه، وإذا أراد أيّ شخص أن يعبد بقرة فهو حرّ في عبادته، ولا يحقّ لأحد أن يرفع السيف عليه ويهدّده بالقتل أو التفجير؛ لأجل أن يغيّر اعتقاده، نعم يمكنك أن تناقش اعتقاداته وتطرح الأدلة على خلافها وتثبت اعتقاداتك، فعرض العقائد أمر مسموح به، وبعض من يعرض اعتقاداته يعترض على الآخرين الذين يعرضون اعتقاداتهم، فلماذا لك الحقّ في عرض عقائدك وليس لهم الحقّ في عرض عقائدهم؟!

وأنت كمسلم من أيّ مدرسة أو مذهب كنت لك الحقّ في عرض
اعتقاداتك، وأتباع المذاهب الأخرى من المسلمين وأتباع الأديان
الأخرى لهم الحقّ أيضاً كما لك الحقّ، فالمسيحيّ عنده قنوات فضائيّة
ويعرض دينه، واليهوديّ يعرض دينه، ومن يعبد البقرة أو يقُدّسها
يرجو أنّ العالم كلّه يكون مثله في عبادته وتقديسه، ونشر الاعتقادات
وعرضها أمام الآخرين أمر طبيعيّ عند كل إنسان .

وإذا قال أيّ شخص بأنّه يريد أن يقف أمام اعتقادات الآخرين
فنسأله : كيف تريد أن تقف أمامه ؟

العقائد ليست كموج البحر حتّى تبني سدّاً أمامه فيقف الماء خلف
السّدّ، وخاصّةً في زماننا مع توفّر وسائل الاتّصالات الحديثة التي تعبر
القارات وتدخل إلى كلّ بيت .

ولنفرض سنّة صاروا شيعة، وبعض الشّيعة أصبحوا سنّة، كيف تقف
أمامهم ؟ هل تهدّدهم بالقتل إذا لم يرجعوا إلى عقيدتهم السابقة ؟
هذا ليس من حقّك، والمقدار المسموح هو النقاش وطرح الأدلّة
على نقض اعتقادات الطّرف الآخر وإثبات اعتقاداتك .

وبعض المسلمين يدعون إلى حوار الأديان، ولكن قبل هذا لا بدّ
من أن يدعوا إلى الحوار بين مذاهب المسلمين ومدارسهم، فقبل حوار
الأديان نحتاج إلى حوار المذاهب في الدّين الواحد، وقضيّة الوحدة بين
المسلمين والتّقريب بين المذاهب أمر مهمّ جدّاً، ومعنى التّقريب ليس
هو أن تتنازل عن عقيدتك ولا الطّرف الآخر يتنازل عن عقيدته، وإمّا

تعرض ما عندك بالدليل وهو يعرض ما عنده بالدليل، بدون أن يطعن كل طرف بالطرف الآخر، وبدون تكفير الطرف الآخر، فتوجد مساحة كبيرة مشتركة بين جميع مذاهب المسلمين، فالاعتقاد بالله تعالى والنبي صلى الله عليه وآله ويوم القيامة من الاعتقادات المشتركة بين جميع المسلمين، والصلاة والصيام والحج من العبادات المشتركة، وبعض الاعتقادات والأعمال خاصة بكل مذهب، فالشيعة يعتقدون بالأئمة عليهم السلام وعصمتهم، وأهل السنة يعتقدون بالصحابة وعدالتهم، وعدالة الصحابة هي إمامة بوجه ما، فلا يقبلون أن أحد الصحابة يخطئ، وعندهم سنة الصحابي حجة، فالإمامة أمر مشترك بين المسلمين، بل بين جميع الناس، فالإمامة أمر فطري عند كل إنسان، والإنسان يبحث دائماً عن إمام له، ولكن يقع الاختلاف في تعيين مصداق الإمام، من هو الإمام؟

فيقال : بعد النبي صلى الله عليه وآله فلان أو فلان .

ونحن الشيعة نعتقد أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هو الإمام بعد النبي صلى الله عليه وآله، والإمام ليس بمعنى الحاكم والخليفة فقط، فالإمام هو من يتولى شؤون الدين بعد النبي صلى الله عليه وآله، ويشترط أن يكون له صفات معينة كالعلم والعصمة، ومن تحققت فيه هذه الصفات هو علي بن أبي طالب عليه السلام، ومن بعده الأئمة عليهم السلام، وهذا هو اعتقاد الشيعة الإمامية الجعفرية الاثني عشرية .

وإذا أراد شخص إجبارنا على عدم الاعتقاد بإمامة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام فنقول بأنّ الاعتقاد أمر قلبيّ، ولا يمكن الدّخول إلى قلوب النّاس وتغيير اعتقادهم، وقد يرفع السّيف عليه ويقول بلسانه ما تريد، مثل عمّار بن ياسر حينما عمل بالتّقية، وقال بعض الكلمات بخلاف ما يعتقد، وحينما جاء عمّار إلى النّبّي صلّى الله عليه وآله قال له : **إِنْ عَادُوا فَعُدْ .**

والتّقية لا تغيّر باطن الإنسان واعتقاداته، فالتّقية تكون باللسان بخلاف ما يعتقد، أو تكون بالعمل على خلاف ما كان يعمله بحسب اعتقاده، وباطن الإنسان لا يمكن تغييره بالإكراه، والاعتقاد أمر باطنيّ، والأمر الباطنيّ أمر مخفيّ غير ظاهر للنّاس، وهو يكون بينك وبين الله تعالى، ولا يمكن لأحد معرفته إلّا إذا صرّح به الشّخص بلسانه أو جاء بفعل يدلّ عليه، والمهمّ عند الله تعالى هو واقع الإنسان، وباطن الإنسان ليس بيد أيّ شخص آخر إلّا إذا اقتنع بفكرة الشّخص الآخر، وبناءً على اقتناعه يغيّر باطنه، وإذا اقتنع بعقيدة الشّخص الآخر فإنّه يغيّر عقيدته، وهذا يجري في الأمور الدّينية والأمور الدّنيويّة .

مثلاً إذا كنت تحبّ طعاماً معيّنًا، وشخص آخر يقول لك إنّ الطّعام الثّاني أطيب، ويطلب منك أن تتذوّقه، فتغيّر رأيك وتحبّ الطّعام الثّاني، ويصبح الطّعام الثّاني هو الطّعام المفضّل عندك، وإذا لم تحبّه فلا يمكن للشّخص الآخر أن يجبرك على تقبّله، وإذا أكلت

إرضاءً له فإنّك تأكل خلاف رأيك في الطّعام المفضل عندك، فعملت
بخلاف رأيك ورغبتك .

وفي العقائد تجري نفس الطّريقة، فأنت تعتقد بشيء، والطرف
الأخر إذا عرض عليك الدليل واقتنعت بدليله فإنّك تغيّر عقيدتك،
وإذا لم تقتنع بدليله فلا تأخذ بعقيدته .

مثلاً تعتقد بأنّ عليّاً عليه السّلام هو الإمام بعد النّبىّ صلّى الله
عليه وآله، ودورك أن تبحث في الأدلّة، فتذهب إلى كتب أهل السنّة
وترى تفسيرهم في الآيات القرآنيّة وشرحهم للروايات، وتجد في مسند
أحمد بن حنبل قول النّبىّ صلّى الله عليه وآله : "إنيّ تارك فيكم
خليفتين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي .

عن زيد بن ثابت قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله
وسلم : "إنيّ تارك فيكم خليفتين : كتاب الله حبل ممدود ما بين
السّماء والأرض - أو ما بين السّماء إلى الأرض - وعترتي أهل بيتي،
وإنّهما لن يتفرّقا حتّى يردّا عليّ الحوض" (١) .

والشّخص السنّيّ قد يسمع هذه الرواية لأوّل مرة، وهو قد تعود
على سماع رواية : كتاب الله وسنتي .

ويتفاجأ بوجود هذه الرواية في كتبه، ويبدأ بالبحث، ويجد رواية
"كتاب الله وعترتي" في مصادر أهل السنّة، وهو بين أن يبقى على
عقيدته ويفرض الروايات الصّحيحة أو يقتنع بهذه الروايات الصّحيحة

(١) مسند أحمد بن حنبل ج ٥ ص ١٨٢ .

ويغيّر عقيدته، والسنة الذين تشيّعوا اقتنعوا بالأدلة، وبعضهم بدأ بقراءة كتاب المراجعات للسيد عبدالحسين شرف الدين رضوان الله عليه، وهو كتاب مبارك، ولا يوجد شخص تشييع إلا وقد قرأ هذا الكتاب، ويرى الأدلة الكثيرة التي تدل على إمامة علي بن أبي طالب عليه السلام، ويقتنع بها فيعتقد بإمامته، ويبدأ بالبحث فيجد أنه لم يكن مطلعاً على كل الحقيقة من الموروث الديني الموجود عنده، فذكروا بعض الحقائق وأخفوا بعضها، والآن انتبه إلى العقائد فاقنع واعتقد بها، وبعد الاقتناع والاعتقاد كيف يمكن تغييره بالإكراه والسيف؟ وهو يقول بأنه من خلال البحث اقتنع واعتقد .

ولنفرض أنّ شخصاً شيعياً بحث، وبعد البحث اكتشف أنّ علياً ليس هو الإمام بعد النبي صلى الله عليه وآله، وهذه مجرد فرضية يستحيل وقوعها، فدورك أن تناقشه وتراجع معه الأدلة التي وصل إليها، وإذا لم يقتنع وقال بأنه يريد أن يصبح سنياً فيقال له إنّ هذا شأنك إذا أردت أن تصبح سنياً، والشّيعية لا يقولون بالوقوف أمام المدّ السنّي، فمن يريد أن يكون شيعياً فهو حرّ، ومن يريد أن يكون سنياً فهو حرّ، فالحرية الاعتقادية والحرية الفكرية مكفولتان لكل إنسان، فمثلما تريد أن تكون حرّاً من ناحية فكرية وناحية اعتقادية، كذلك الطرف الآخر يريد هاتين الحرّيتين له، وليس من حقّ أحد التّهجم على الطرف الآخر بسبب فكره واعتقاده، ولكل طرف رموز مقدّسة، وأنت لا تقبل بأن يطعن أحد برموزك، كذلك لا تطعن

برموز الآخرين، نعم يمكنك فتح باب الحوار والنقاش والبحث العلمي مع جميع الأطراف الذين يخالفونك في اعتقاداتك وأفكارك، ويكون النقاش باحترام كل طرف للطرف الآخر مع عدم الافتراء عليه بشيء، فتأتي إلى مصادر الأطراف الأخرى وتنقل الصحيح مما يقولون عن أنفسهم، مثلاً وقعت معركة في التاريخ تسمى معركة النهروان بين أمير المؤمنين عليه السلام وشيعته وبين الخوارج وأتباعهم، وتأتي بالأدلة التي تثبت ما وقع من أحداث في هذه المعركة، وهذا بحث علمي، والبحث العلمي لا يعني الطعن، فالبحث العلمي مكفول للجميع بشرط عدم التدليس والكذب والافتراء، فتأتي بالأدلة وتناقشها، وإذا لم يقتنع الطرف الآخر بأدلتك فهو حرّ في فكره وقناعاته واعتقاداته .

وتوجد مساحة مشتركة بين مدارس ومذاهب المسلمين، وهذه المساحة المشتركة لا بدّ من المحافظة عليها، وتوجد مختلفات بين المدارس والمذاهب، والأمور المختلف فيها نجعلها ضمن البحث العلمي، فإذا وجدت مسألة مختلف فيها بين هذا المذهب وذاك المذهب تُطرح على بساط البحث العلمي، وكلّ مذهب يبيّن ما عنده من الأدلة، وينفتح باب الحوار والنقاش والبحث العلمي بين المذاهب، وحينذاك يستمع كلّ شخص إلى أدلة كلّ مذهب فيقتنع ويعتقد ويعتقد بالمذهب الذي يراه صحيحًا بحسب وجهة نظره، ويكون حرًّا في اختيار أيّ مذهب يريد .

وتوجد الآن فجوة بين المذاهب، ويحتاج المسلمون إلى التقارب بين

بعضهم البعض، وذلك بأن يلتقي العلماء من كل مدرسة ويبحثون المسائل بحثًا علميًا، ويبينون النتائج التي وصلوا إليها، قد يقتنعون أو لا يقتنعون، ولكن المهم أن هذه البحوث العلمية تُطرح على الناس، وإذا تصدّى العلماء للبحوث العلمية فإنّ هذه الفجوة تقلّ بين المسلمين، وبعض الأفكار عند الناس قد تكون خاطئة، ونحتاج إلى طرح الأفكار الصحيحة مع أدلّتها .

ونحن الشيعة مطّلعون على كتب ومصادر أهل السنّة، وعلماء المساجد وخطباء المجالس عند الشيعة يطرحون الحقائق من روايات أهل السنّة وأقوال علمائهم من مصادرهم التي يعتمدون عليها، ولكنّ الطّرف الآخر من أتباع مذاهب المسلمين لا يعرف ما يوجد عند الشيعة .

مثلاً يتّهمون الشيعة بتحريف القرآن، وفي كلّ مرّة يبيّن الشيعة أنّهم لا يقولون بتحريف القرآن، وأنّ المصدر الأوّل لاستنباط الأحكام الشرعيّة هو القرآن الكريم، وقراء القرآن الشّيعية موجودون في كلّ بلد، ولكن مع ذلك يكرّر السنّة هذه التّهمة على الشيعة، ويأتون بروايات يقولون بأنّها تدلّ على تحريف القرآن، وبعض علماء الشيعة المعدودين قالوا بنقص القرآن الكريم، منهم الشيخ المحدث الثّوريّ في كتابه فصل الخطاب، وكان عنده اشتباه في فهم الروايات، فهذه الروايات من باب تفسير القرآن لا من باب تحريف أو نقص القرآن، ويوجد عند السنّة والشيعة في بعض الروايات تعبير "هكذا نزل" أو "هكذا أنزل" أو

"هكذا تنزّلها" أو "هكذا نزلت" أو "هكذا أنزلت" أو "هكذا قرأها" أو "هكذا في قراءتنا" أو "هكذا قرأها"، والمقصود هو هكذا نزل تفسيره، وهذه القراءة تفسير للقرآن .

المصادر السنّية :

عن علقمة عن عبد الله قال : بينا أنا أمشي مع النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي خَرْبِ الْمَدِينَةِ وَهُوَ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَسِيبٍ مَعَهُ، فَمَرَّ بِنَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَا تَسْأَلُوهُ لَا يَجِيءُ فِيهِ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ : لِنَسْأَلَنَّهُ . فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَالَ : يَا أَبَا الْقَاسِمِ، مَا الرُّوحُ ؟ فَسَكَتَ فَقُلْتُ : إِنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ . فَقُمْتُ فَلَمَّا انْجَلَى عَنْهُ فَقَالَ : "وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتُوا مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا" . قَالَ الْأَعْمَشُ : هَكَذَا فِي قِرَاءَتِنَا (١) .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقاً في الجاهليّة، فلمّا كان الإسلام فكأثمّ تأمّموا فيه، فنزلت "ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربّكم في مواسم الحجّ" . قرأها ابن عبّاس (٢) .

(١) صحيح البخاريّ ج ١ ص ٤٠ كتاب العلم باب قول الله تعالى "وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا" .

(٢) صحيح البخاريّ ج ٣ ص ٣-٤ كتاب البيوع باب ما جاء في قول الله تعالى "فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ" .

أخرج ابن شبة عن ميمون بن مهران أنه قال : قرأ أبيّ "والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات غير ما اكتسبوا" . فقال عمر : هكذا تقرأها يا أبيّ ؟ ثم أعاد عليه، فقال : وهكذا أنزلها الله ؟، حتى غضب أبيّ فقال : نعم هكذا أنزلها، لم يُستأمر فيها عمر ولا ابنه .

فقال عمر : اللهم غفرًا، إني رجل قد دخل الناس مني هيبة (١) .
وفي تفسير الثعلبيّ : قال حبيب بن أبي ثابت قال : أعطاني ابن عباس مصحفًا، فقال : هذا على قراءة أبيّ . فرأيت في المصحف "فما استمتعتم به منهنّ إلى أجل مسمّى" .

وروى داود عن أبي نضرة قال : سألت ابن عباس عن المتعة . فقال : أما قرأت سورة النساء ؟ فقلت : بلى . فقال : فما تقرأ "فما استمتعتم به منهنّ إلى أجل مسمّى" ؟ قلت : لا أقرأها هكذا . قال ابن عباس : والله لهكذا أنزله الله عزّ وجلّ - ثلاث مرّات - (٢) .

المصادر الشيعيّة :

عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السّلام في قول الله عزّ وجلّ :
"ومن يطع الله ورسوله (في ولاية علي [وولاية] الأئمّة من بعده) فقد فاز فوزًا عظيمًا" : "هكذا نزلت" .

وفي هامش الكتاب : "هكذا نزلت" أي بهذا المعنى نزلت (٣) .

(١) عمر بن الخطّاب لعبد الرحمن أحمد البكريّ ص ٣٥٧ .

(٢) تفسير الثعلبيّ ج ٣ ص ٢٨٦ .

(٣) الكافي ج ١ ص ٤١٤ ح ٨ .

عن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله : " ولقد عهدنا إلى آدم من قبل (كلمات في محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام من ذريتهم) فنسي " : " هكذا والله نزلت على محمد صلى الله عليه وآله " (١) .

يقول الشيخ صالح المازندراني في شرحه للكافي : قوله : " هكذا والله نزلت " - لعل المراد هكذا نزلت لفظاً في القرآن أو نزلت معنى بتفسير جبرئيل عليه السلام بأمر ربه، وهو على التقديرين تنزيل لا تأويل (٢) .

نقول : لا يمكن الأخذ بالتقدير الأول وهو النزول لفظاً في القرآن؛ لأنه يستلزم القول بتحريف القرآن، فنأخذ بالتقدير الثاني وهو النزول بالمعنى .

عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : هكذا نزلت هذه الآية : " ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به (في علي) لكان خيراً لهم " (٣) .
عن علي بن الحسن بن علي بن فضال عن أبيه عن الرضا علي بن موسى عليهما السلام، قال : سألته عن قول الله عز وجل : " هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة "، قال : يقول : " (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله بالملائكة في ظلل من الغمام)، "

(١) الكافي ج ١ ص ٤١٤ ح ٢٣ .

(٢) شرح المازندراني للكافي ج ٧ ص ٦٤ .

(٣) الكافي ج ١ ص ٤٢٤ ح ٦٠ .

وهكذا نَزَلَتْ" (١) .

في رواية أنّ الحارث قال : اللهم إن كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارةً . فأُنزل الله تعالى : " ما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم " . فقال النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِلْحَارِثِ : " إِمَّا أَنْ تَتُوبَ أَوْ تَرْحَلَ عَنَّا " . فرحل فرماه الله بحجر على هامته فأخرج من دبره، وأنزل الله تعالى : " سأل سائل بعذاب واقع للكافرين (بولاية عليّ) ليس له دافع " . قال الإمام الصّادق عليه السّلام في رواية أبي بصير : " هكذا نَزَلَتْ " (٢) .

عن عيسى بن داود عن موسى بن جعفر عن أبيه عليهما السّلام في قوله تعالى : " وقد خاب من حمل ظلماً (لآل محمّد) " : " هكذا نَزَلَتْ " (٣) .

عن الإمام الصّادق عليه السّلام : " والَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نَزَّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ (في عليّ) وهو الحقّ من ربّهم كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالِهِمْ " : " هكذا نَزَلَتْ " (٤) .

عن الهيثم بن عروة التّميميّ قال : سألت أبا عبد الله عليه السّلام عن قول الله عزّ وجلّ : " فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق " ،

(١) التّوحيد للشيخ الصّدوق ص ١٦٣ ح ١ .

(٢) الصّراط المستقيم لعليّ بن يونس العامليّ ج ٢ ص ٦٠ .

(٣) بحار الأنوار ج ٢٤ ص ٢٢٢ ح ٥ .

(٤) تفسير القميّ لعليّ بن إبراهيم ج ٢ ص ٣٠١ .

فقلت : هكذا . ومسحت من ظهر كفى إلى المرفق . فقال : "ليس هكذا تنزِيلها، إِنَّمَا هي (فاغسلوا وجوهكم وأيديكم من المرافق)" . ثمَّ أمرَّ يده من مرفقه إلى أصابعه (١) .

عن الثَّمَالِيّ عن أبي جعفر عليه السَّلَام قال : قوله تعالى : "إِنَّمَا تواعدون لصادق (في عليّ)" : "وهكذا نَزَلَتْ" (٢) .

قال الشَّيْخ المفيد :

وفي جميع المواضع التي قال عليه السَّلَام : "هكذا نَزَلَتْ" أي بذلك التَّأويل نَزَلَتْ كما هو الظَّاهر لمن تدبَّر أو تتبَّع أخبار التَّحريف (٣) .
قال السَّيِّد هاشم معروف الحسيني :

وعلى تقدير صحَّة الرواية فلا بدَّ وأن يكون المراد من قوله عليه السَّلَام : "هكذا نَزَلَتْ"، أنَّها نزلت بهذا المعنى لا بهذه الألفاظ (٤) .
وفي مصادر أهل السُّنَّة ورد عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : "أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ" (٥) .

أوتى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْقُرْآنَ وتفسيره معه، فنزل القرآن

(١) تفسير نور الثَّقَلين للشَّيْخ الحويزي ج ١ ص ٥٩٨ ح ٧٦ .

(٢) بحار الأنوار ج ٣٦ ص ١٦٢ ح ١٤٣ .

(٣) الاختصاص ص ١٣٠ .

(٤) دراسات في الحديث والمحدِّثين ص ٣١٣ .

(٥) سنن أبي داود رقم ٤٦٠٤، سنن التِّرْمِذِيّ رقم ٢٦٦٤، مسند أحمد

بن حنبل رقم ١٧١٧٤ .

على النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَنَزَلَ مَعَهُ تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ، وَالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ يَمْلِي عَلَى الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْآيَاتِ، وَيَمْلِي مَعَ الْآيَةِ تَفْسِيرَ الْآيَةِ .

وَالْقُرْآنُ الَّذِي نَعْتَقِدُ بِأَنَّهُ مَوْجُودٌ مَعَ الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ بِإِمْلَاءِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَخَطِّ الْإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ - هُوَ الْقُرْآنُ مَعَ تَفْسِيرِهِ، وَهُوَ مَرْتَّبٌ عَلَى أَسَاسِ النَّزُولِ، فَكَلَّمَا نَزَلَتْ آيَةٌ أَوْ آيَاتٌ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقْرَأُهَا عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيَذَكُرُ تَفْسِيرَهَا فَيَكْتُبُهَا الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ تَفْسِيرِهَا، وَهَذَا هُوَ الْقُرْآنُ الْمَوْجُودُ مَعَ الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ الْقُرْآنُ الرَّسْمِيُّ بَعْدَ ظَهْوَرِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ نَفْسُ الْقُرْآنِ الْمَوْجُودِ الْيَوْمَ بَيْنَ أَيْدِينَا، وَلَكِنْ مَا يَكُونُ مِضَافًا إِلَيْهِ هُوَ تَفْسِيرُهُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَهُوَ التَّفْسِيرُ الْوَاقِعِيُّ لِلْقُرْآنِ، وَالْإِمَامُ الْمَهْدِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَيَأْتِي بِالْأَحْكَامِ الدِّينِيَّةِ الْوَاقِعِيَّةِ، وَكَثِيرٌ مِنَ الْأَحْكَامِ الْمَوْجُودَةِ الْيَوْمَ هِيَ أَحْكَامٌ ظَاهِرِيَّةٌ، وَلَكِنَّ الْإِمَامَ الْمَهْدِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَيَبِينُ لَنَا الْأَحْكَامَ الْوَاقِعِيَّةَ .

وَالِاخْتِلَافُ الْوَاقِعِ بَيْنَ آرَاءِ الْفُقَهَاءِ هُوَ بِسَبَبِ أَنَّ الْأَحْكَامَ أَحْكَامَ ظَاهِرِيَّةً اعْتِمَادًا عَلَى فَهْمِ الْفَقِيهِ فِي اسْتِظْهَارِ مَعَانِي الْآيَاتِ وَالرَّوَايَاتِ، وَالْأَحْكَامَ الْوَاقِعِيَّةَ قَلِيلَةً، مِثْلًا أَصْلَ الصَّلَاةِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَنَعْلَمُ أَنَّ صَلَاةَ الظُّهْرِ وَاجِبَةٌ، وَلَكِنْ يَوْجَدُ اخْتِلَافٌ بَيْنَ الْفُقَهَاءِ فِي تَفَاصِيلِ الصَّلَاةِ، مِثْلًا التَّسْبِيحَاتِ فِي الرَّكْعَةِ الثَّلَاثَةِ وَالرَّابِعَةِ تَقْرَأُ مَرَّةً وَاحِدَةً أَوْ

ثلاث مرّات، وحينما يظهر الإمام المهديّ عليه السّلام سيظهر جميع الأحكام الدّينيّة الواقعيّة، ويبيّن لنا الأحكام الواقعيّة في تفاصيل الصّلاة، وهذا هو الأمر الجديد لا أنّه عليه السّلام يأتي بدين جديد .
عن أبي عبدالله عليه السّلام : "إذا قام القائم عليه السّلام دعا النّاس إلى الإسلام جديدًا، وهداهم إلى أمر قد دُثِرَ . . ." (١) .

عن أبي عبدالله عليه السّلام : "إذا قام القائم عليه السّلام جاء بأمر جديد كما دعا رسول الله صلّى الله عليه وآله في بدو الإسلام إلى أمر جديد" (٢) .

عن أبي جعفر عليه السّلام : "يقوم بأمر جديد، وسنّة جديدة، وقضاء جديد، . . ." (٣) .

عن أبي عبدالله عليه السّلام : "إذا قام القائم عليه السّلام جاء بأمر غير الذي كان" (٤) .

وليس المقصود أنّه عليه السّلام يأتي بدين غير الإسلام، وإنّما يأتي بنفس الدّين الإسلاميّ، ولكنّه يأتي بالأحكام الواقعيّة للدّين، فيُظنُّ بأنّه عليه السّلام قد أتى بدين جديد، والأحكام التي يذكرها الفقهاء قد تطابق الواقع وقد لا تطابقه، ولكنّ الإمام عليه السّلام يأتي بجميع

(١) الإرشاد للشيخ المفيد ج ٢ ص ٣٨٣ . دُثِرَ : بُلِيَ وانحى وتلاشى .

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٨٤ .

(٣) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٤٨-٣٤٩ ح ٩٩ .

(٤) الغيبة للشيخ الطّوسيّ ج ١ ص ٤٩٣ ح ٤٩٤ .

الأحكام التي تطابق الواقع .

وعلماء الشيعة يقولون بأنّ القرآن الموجود بأيدينا كامل لا يوجد فيه نقص ولا تحريف، ولا يوجد فيه لا حرف زائد ولا حرف ناقص، وهو نفس القرآن الذي نزل على رسول الله صلّى الله عليه وآله، نعم يوجد اختلاف في القراءات بين المسلمين، ولكنّ القرآن نزل بطريقة واحدة، وهذا اختلاف بين قرّاء المسلمين لا اختلاف في القرآن نفسه .

وتوجد روايات صحيحة في مصادر أهل السنّة تدلّ على نقص القرآن أو تحريفه، وأمس كنت أسمع أحد الأشخاص فقال بأنّ ٨٠% من علماء الشيعة يقولون بتحريف القرآن، وهذا افتراء على الشيعة، وقلنا بأنّه لا بدّ من وجود البحث العلميّ في كلّ مسألة، ولو طالبناه بأسماء هؤلاء العلماء لعجز عن ذكرهم .

إذن :

التقريب بين المذاهب والحفاظ على الوحدة بين المسلمين أمر ضروريّ، ولعلّ الله تعالى يوفّقني لتناول هذا الموضوع بشكل تفصيليّ، ونبيّن المساحة المشتركة بين مذاهب المسلمين، ويكون ذلك بالأدلة من كتبهم، مثلاً التّكبيرات الثلاثة في آخر الصّلاة عند الشيعة، والتّكبير في نهاية الصّلاة مذكور في كتب أهل السنّة .

عن ابن عباس : "كنت أعرف انقضاء صلاة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بالتّكبير" (١) .

(١) صحيح البخاريّ رقم ٨٤٢ .

عن ابن عباس : " ما كنّا نعرف انقضاء صلاة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلا بالتكبير " (١) .

وهذا أمر مشترك بين السنّة والشّيعيّة، ولكنّ السنّة لا يفعلونه، وعلماء أهل السنّة لا يبينونه في كلامهم .

وأخذ الأحكام من القرآن والنّبّي صلّى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السّلام من المساحات المشتركة بين السنّة والشّيعيّة، والشّيعيّة متمسّكون بعترّة النّبّي صلّى الله عليه وآله واعتقادًا وعملاً، وأهل السنّة يقولون بأنّ المطلوب هو محبّة أهل البيت عليهم السّلام ومودّتهم، فيوجد اتّفاق بين السنّة والشّيعيّة في أهل البيت عليهم السّلام، ولكن يختلفون في دائرة التّمسّك بأهل البيت عليهم السّلام، هي دائرة واسعة أو ضيّقة، ونعتقد بهم كأئمّة معصومين ونعمل بما يبيّنوه من أحكام أو نحبّهم ونودّهم فقط وهم أناس عاديّون ونأخذ الأحكام من غيرهم .

ومن المساحات المشتركة بين السنّة والشّيعيّة قول "حيّ على خير العمل في الأذان"، وأهل السنّة لا يأتون به الآن .

قال ابن حزم : (وروي عن ابن عمر وعن أبي أمامة بن سهل ابن حنيف قولهما في الأذان : حيّ على خير العمل) (٢) .

وذكر ابن حزم الرّواية، وقد صحّحها ابن حزم والشّوكاني .

(١) صحيح مسلم رقم ٥٨٣ .

(٢) الإحكام في أصول الأحكام ج ٤ ص ٥٩٣ .

قال ابن حزم : (وقد صحَّ عن ابن عمر وأبي أمامة بن سهل ابن حنيف أنَّهم كانوا يقولون في أذانهم : "حيَّ على خير العمل") (١) .
قال الشوكاني : (أخرج البيهقي في سننه الكبرى بإسناد صحيح عن عبدالله بن عمر أنَّه كان يؤدِّن بـ "حيَّ على خير العمل" أحياناً) (٢) .
ولو بحثنا لوجدنا أنَّ هناك كثيراً من الأمور المشتركة بين السنَّة والشَّيعة .

الرجوع إلى موضوعنا :

الَّذين يعيشون في عصر الغيبة الكبرى من الممكن أن يكونوا أفضل من بعض المعاصرين للنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وأفضل من بعض أصحاب الأئمَّة عليهم السَّلام، والإمكانية مفتوحة للمؤمن في عصر الغيبة بأن يكون أفضل من بعضهم، ولا نقول كلَّهم؛ لأنَّ بعض الصَّحابة والأصحاب هم من الدَّرَجَة الأولى بحيث إنَّ المؤمنين في عصر الغيبة لا يمكنهم الوصول إلى درجتهم، مثل أبي ذرِّ وسلمان المحمَّديِّ والمقداد بن الأسود، فلا يمكن الوصول إلى مراتبهم، ولكن بالنَّسبة لبعض الصَّحابة والأصحاب يمكن الوصول إلى درجة أعلى من درجتهم، حيث يقوم المؤمن في عصر الغيبة بمهامَّ إسلامية عظيمة ممَّا قد يعطيه درجةً أعلى منهم وممَّن يعيش في عصر ظهور الإمام المهديِّ عليه السَّلام .

(١) المحلَّى ج ٣ ص ١٦٠ .

(٢) نيل الأوطار ج ٢ ص ١٨ .

إنّ من الأمور التي تميّز من يعيش في عصر الغيبة الكبرى هو الإيمان بالغيب، فمن يعيش مع النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَوْ أَحَدِ الْأئِمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ حَتَّى بَعْدَ الظُّهُورِ فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالْأئِمَّةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يَكُونُونَ مَعَهُ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ فِي عَصْرِ الْغَيْبَةِ يَعْتَقِدُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالْأئِمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَرِهِمْ وَلَمْ يَلْتَقِ بِهِمْ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي زَمَانِهِ كَانَ يَتَلَقَّى الْوَحْيَ الْإِلَهِيَّ وَيُنْقَلِ الْوَحْيَ إِلَى النَّاسِ مَبَاشَرَةً، وَحِينَمَا يَسْتَمَعُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَوْ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَبَاشَرَةً فَلَا يَقَعُ فِي نَفْسِهِ الشَّكُّ فِيمَا يَنْقُلُهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَوْ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَكِنَّ الْفَقِيهَ حِينَمَا يَعْطِيكَ الْأَحْكَامَ يَظَلُّ الشَّكُّ مَوْجُودًا فِي نَفْسِكَ بِسَبَبِ اخْتِلَافِ آرَاءِ الْفُقَهَاءِ، فَتَشْكُ أَنْ هَذَا هُوَ الْحُكْمُ الْوَاقِعِيُّ أَوْ الْحُكْمُ الظَّاهِرِيُّ، فَإِذَا رَجَعَ الْفَقِيهَ إِلَى رِوَايَةِ وَاحِدَةٍ فَقَطْ مَرْوِيَّةٌ عَنِ ثِقَةٍ وَاسْتَنْبَطَ الْحُكْمَ الشَّرْعِيَّ مِنْهَا فَإِنَّ رِوَايَةَ الْوَاحِدِ الثَّقَّةِ لَا تَعْطِي الْيَقِينَ بِالْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ بَلْ تَعْطِي الظَّنَّ بِالْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ، نَعَمْ هَذَا الظَّنُّ مَعْتَبَرٌ شَرْعًا، وَالرَّوَايَةُ الثَّقَّةُ قَالَ سَمِعْتُ الْإِمَامَ الصَّادِقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ كَذَا، وَلَا يَمَكُنُكَ أَنْ تَقْسِمَ بِأَنَّ الْأَلْفَاظَ الْمَوْجُودَةَ فِي الرِّوَايَةِ هِيَ عَيْنُ الْأَلْفَاظِ الَّتِي نَطَقَ بِهَا الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَمِنْ الْمَمْكَنِ أَنَّ الرَّوَايَةَ اشْتَبَهَ فِي النِّقْلِ، وَهَذَا الْإِحْتِمَالُ مَوْجُودٌ، وَمَعَ وُجُودِ هَذَا الْإِحْتِمَالِ فَلَا يَمَكُنُ أَنْ تَقُولَ بِأَنَّ هَذَا هُوَ الْحُكْمُ قِطْعًا، وَأَنَّ هَذِهِ هِيَ الْأَلْفَاظُ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قِطْعًا، نَعَمْ كَلَامُ الرَّوَايَةِ الثَّقَّةِ حِجَّةٌ، وَالْفَقِيهَ

يستنبط الحكم الشرعيّ، وهذا الحكم الشرعيّ هو حكم ظاهريّ لا واقعيّ، وهو حكم ظاهريّ؛ لأنّ الفقيه اعتمد على خبر الثقة، وخبر الثقة يعطي الظنّ، ولا يعطي القطع، والثقة يمكن أن يخطئ في النقل، مثلاً سمع الإمام عليه السّلام يقول : لا يجوز، ولم يسمع كلمة "لا"، ونقل أنّه سمع الإمام عليه السّلام يقول : يجوز .

الفقيه يستنبط من الرواية الجواز، وقد يكون الحكم الواقعيّ هو عدم الجواز، نعم الجواز حكم ظاهريّ، وهو حجة على المكلف، ويعمل على أساس فتوى الفقيه، فالمطلوب منه فتوى الفقيه لا الحكم الواقعيّ، فالناقل الثقة يمكن أن يشتهه، وهذا موجود بين الناس، مثلاً شخص ثقة يذهب إلى المسجد ويستمع إلى خطبة إمام الصّلاة وينقل شيئاً لم يقله الإمام، وصاحبه ثقة أيضاً يقول إنّ الشّيخ لم يقل هذا الكلام، فكلاهما ثقة، فنقل أحدهما خاطئ، ويقع التعارض بين قوليّ ثقتين، فماذا يفعل الفقيه ؟

أنت كإنسان عاديّ حينما يقع التعارض بين قوليّ ثقتين من أصدقائك ماذا تفعل ؟

تحاول أن ترجّح بين القولين حينما توجد مرجّحات بيدك، مثلاً الشّخص الأوّل كان في الصّف الأوّل والشّخص الثّاني كان في الصّف الأخير، فترجّح قول الجالس في الصّف الأوّل؛ لأنّه يسمع أفضل من الشّخص الثّاني، أو تعلم أنّ صاحبك الأوّل عنده حافظة ممتازة ويحفظ الكلام بسرعة ويحصل دائماً على المراكز الأولى، وصاحبك

الثاني تعلم أنه في المدارس يحرز دائماً المراكز الأخيرة، فتقدّم قول الأول على الثاني؛ لأنك تثق بنقله أكثر، فتوجد عندك مرجّحات لتقديم قول صاحبك الأول على صاحبك الثاني، وإذا لم توجد عندك مرجّحات فلا تأخذ لا بقول الأول ولا بقول الثاني .

والفقيه يقوم بنفس عملك، فإذا استطاع أن يرجّح رواية على رواية أخرى فيأخذ بالمرجّح، فيقدّم قول أحدهما على الآخر، وإذا لم توجد مرجّحات فلا يأخذ لا بالرواية الأولى ولا بالرواية الثانية، فإذا تعارض القولان تساقطا، وقد يقال في بعض الحالات بالتّخيير، وتوجد طرق يطبّقها الفقيه في حال تعارض الروايات، وهذه الطّرق المذكورة في كتب أصول الفقه بالتّفصيل .

وما يقوم به الإنسان العاديّ مع أصحابه في حال تعارض أقوالهم هو نفس ما يقوم به الفقيه في حال تعارض الروايات، فالطّريقة المتّبعة عند الفقيه هي نفس الطّريقة التي يتّبعها الإنسان العاديّ، لا أنّها طريقة جديدة مخترعة خاصّة بالفقهاء، ولكنّ التّدقيق الموجود عند الفقهاء في تقييم الروايات أكثر من تدقيق الإنسان العاديّ في تقييم أقوال أصحابه .

ودور العلماء يكمن في البحث في الروايات، مثلاً نفرض رواية تقول بأنّه يوجد قرآن مع الإمام المهديّ عليه السّلام، واعتماداً على هذه الرواية أنت تقول بوجود قرآن مع الإمام عليه السّلام، فهل يمكنك أن تقسم على صحّة قولك ؟

الجواب :

لا يمكنك القسم؛ لأنّ الرواية قالت، والثقة يمكن أن يخطئ، فتقول إنّ الرواية تعطيني اطمئناناً بنسبة ٩٠%، ويظلّ الشكّ بنسبة ١٠%، فيوجد احتمال أنّ هذا الراوي أخطأ بهذه النسبة، والفقير يتعامل مع الروايات، فالفقيه لم يكونوا مع النبيّ صلى الله عليه وآله ولا مع الأئمة عليهم السلام، وما وصل إليهم هو روايات الثقات من أصحابهم، فما تقوله الرواية يحكم به الفقيه، وهذا حكم ظاهريّ، والفقيه لا يعرف الحكم الواقعيّ أنّه نفس الحكم الذي فهمه من الرواية أو حكم آخر، والحكم الظاهريّ قد يطابق الواقع وقد لا يطابق الواقع، وقول الثقة قد يطابق الواقع وقد يخالف الواقع .

إذن :

دور الفقيه مع الروايات أنّه يستنبط منها الأحكام الشرعيّة، وإذا طلبت من الفقيه أن يقسم بالله تعالى أنّ هذا هو الحكم الواقعيّ فإنّه لا يقسم؛ لأنّه لا يعرف الحكم الواقعيّ حتّى يمكنه أن يقول بمطابقة ما استنبطه مع الواقع، نعم ما استنبطه الفقيه من أحكام حجّة على الفقيه نفسه وعلى المكلفين، فيعملون به ولا يدرون أنّه مطابق للواقع أو مخالف للواقع .

والثقة حينما ينقل أيّ كلام فإنّه يُصدّق ويؤخذ بكلامه إلا إذا قامت قرينة على أنّ كلامه مخالف للواقع، مثلاً يستنبط الفقيه من الروايات أنّ أكل لحم الأرنب حرام، ولا توجد آية قرآنيّة تدلّ على

حرمة أكل لحم الأرنب، فالأحكام الشرعية تُسَنَّبُ من القرآن الكريم
وسنة المعصومين من النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام،
ولا يُعْتَمَدُ على القرآن الكريم لوحده ولا على السنة الشريفة لوحدها،
فمصادر الاستنباط القرآن الكريم والنبي صلى الله عليه وآله وعترته
الطاهرة عليهم السلام بدلالة حديث الثقلين .

عن زيد بن أرقم قال : . . . ثم قال : قام رسول الله صلى الله
عليه (وآله) وسلّم يوماً فينا خطيباً بماء يُدعى حُمًّا بين مكة والمدينة،
فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكّر، ثم قال : "أما بعد، ألا أيها
الناس، فإنّما أنا بشر يُوشكُ أن يأتي رسول ربّي فأجيب، وأنا تارك
فيكم ثقلين : أولهما كتاب الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله
واستمسكوا به، فحثّ على كتاب الله ورغب فيه، ثمّ قال : وأهل
بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في
أهل بيتي . . . " (١) .

عن الإمام عليّ عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وآله : "إني امرؤ مقبوض، وأوشك أن أدعى فأجيب، وقد تركت فيكم
الثقلين، أحدهما أفضل من الآخر، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنّهما
لن يفترقا حتّى يردّ عليّ الحوض" (٢) .

عن جابر قال : قال أبو جعفر عليه السلام : دعا رسول الله صلى

(١) صحيح مسلم ج ٧ ص ١٢٣ .

(٢) بحار الأنوار ج ٢٣ ص ١٣٢ ح ٦٨ .

الله عليه وآله أصحابه بمنى فقال : "يا أيها الناس، إني تارك فيكم الثقلين، أما إن تمسكنم بهما لن تضلّوا : كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنّهما لن يفترقا حتّى يردّا عليّ الحوض" . . . (١) .
يقولون : لماذا لم يُذكر اسم عليّ بن أبي طالب عليه السّلام في القرآن الكريم ؟

الجواب :

أصل الإمامة مذكور في القرآن الكريم، والتّجّيّ صلى الله عليه وآله يعيّن مصاديق الأئمّة، فالروايات الشّريفة تبين أسماء الأئمّة عليهم السّلام، ونجد أنّ أصل الصّلاة مذكور في القرآن، وتفاصيل الصّلاة بيّنها التّجّيّ صلى الله عليه وآله في الروايات .

ويقولون إنّ البعوضة والتمّلة والهدهد ذكّرت في القرآن، ولم يذكر القرآن اسم عليّ عليه السّلام، فهل عليّ بن أبي طالب عليه السّلام أقلّ شأنًا من هذه الحشرات والطّيور ؟

الجواب :

أولاً نزول القرآن ليس بأيدينا حتّى نقول : يا ربّي، لا بدّ من أن تذكر اسم عليّ عليه السّلام في القرآن .

وثانيًا أصل الإمامة مذكور في القرآن الكريم :

"وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ" (٢) .

(١) بحار الأنوار ج ٢٣ ص ١٤٠-١٤١ ح ٩١ .

(٢) السّجدة : ٢٤ .

"وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ" (١) .

"وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ" (٢) .
"يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ . . ." (٣) .

والإمام يكون بجعل من الله تعالى لا باختيار الناس، ونأتي إلى السنّة ونرى أنّ النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَيْنَ الْأُمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بأسمائهم بوحى من الله عزّ وجلّ، فنتمسك بالقرآن وبالنبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَبِالْأُمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ .

والقرآن الكريم لا يذكر تفاصيل المسائل، كالصلاة والصيام والحجّ وغيرها، ويترك التفاصيل للنبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؛ لكي يبينها للناس، وهذا واضح في القرآن الكريم، فالقرآن لا يذكر جميع التفاصيل، فيذكر أصل المسألة ويوكل التفصيل إلى النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، سواء كانت المسائل اعتقاديّة أم أخلاقيّة أم عمليّة أم غيرها من المسائل .
". . . وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ . . ." (٤) .

ولو طلبنا جميع تفاصيل الأعمال من القرآن الكريم لصار القرآن

(١) الأنبياء : ٧٣ .

(٢) البقرة : ١٢٤ .

(٣) الإسراء : ٧١ .

(٤) النحل : ٤٤ .

مجلّدات كثيرة .

إذن :

"الإيمان بالغيب" يميّز المؤمن الذي يعيش في عصر الغيبة الكبرى، فهو يعتقد بأمر غيبيّ، وهو الاعتقاد بإمام غائب، وأمّا من كان يعيش مع النّبّيّ صلّى الله عليه وآله فيراه ويعتقد به، ومن يكون في عصر الغيبة يعتقد بالنّبّيّ صلّى الله عليه وآله وبالإمام عليه السلام مع أنه لا يراهما، وقد يكون أفضل من بعض المؤمنين الذين عاصروا النّبّيّ صلّى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام، ونقول البعض، ولا نقول الكلّ أو الأغلب، وعلى أقلّ التقادير يكون أفضل من واحد من المعاصرين للنّبّيّ صلّى الله عليه وآله أو واحد من أصحاب الأئمّة عليهم السلام، والإيمان بالغيب أمر مهمّ جدًّا، فالمؤمن الآن يعتقد بالغيب، وذاك كان يعيش مع النّبّيّ صلّى الله عليه وآله أو الإمام عليه السلام، وهذه ميزة لمن يعيش في عصر الغيبة الكبرى، وأترك التفاصيل إلى المحاضرة القادمة إن شاء الله تعالى؛ لكي نتكلّم في المسألة أكثر، ودخلنا في بعض المواضيع الجانبية المهمة .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد

وآله الطّيبين الطّاهرين .

أسئلة وتعليقات الحاضرين :

الأستاذ بدر الشّطيّ :

بالنسبة لعصر ظهور الإمام المهديّ عليه السلام لم نصل إليه حدّ

الآن هل ستذكرونه مستقبلاً ؟

والوضع يكون مختلفاً بسبب وجود الإمام عليه السلام .

وبالنسبة للقرآن الكريم بعد الظهور ما هو ؟

وبالنسبة لمرجع التقليد يكون جوابه جواباً ظنياً لا واقعياً، والإمام

عليه السلام في زمانه يبيّن الأحكام الواقعية .

جواب الشيخ محمد أشكناني :

سأذكر المقاييس، وهذه المقاييس يمكننا أن نجريها في كلّ زمان حتى في زمان ما بعد الظهور، ويكون الوضع بعد الظهور مثل زمان النبي صلى الله عليه وآله، والإيمان بالغيب ميزة للمؤمن في عصر الغيبة .

ونعتقد أنّ القرآن الذي بأيدينا اليوم هو القرآن الكامل، والقرآن الآن ليس على أساس ترتيب نزول الآيات، والقرآنان متطابقان، والاختلاف في الترتيب فقط، والقرآن الموجود عند الإمام المهدي عليه السلام يكون على أساس ترتيب النزول بالإضافة إلى التفسير، والتفسير هو المهمّ، وهو تفسير بإملاء النبي صلى الله عليه وآله وخطّ الإمام علي عليه السلام، وفيه التفسير الواقعي والأحكام الواقعية، وعند الأئمة عليهم السلام كتب أخرى .

عن أمير المؤمنين عليه السلام : "إنّ كلّ آية أنزلها الله جلّ وعلا على محمد صلى الله عليه وآله عندي بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخطّ يدي، وتأويل كلّ آية أنزلها الله على محمد صلى الله عليه وآله، وكلّ حلال وحرام أو حدّ أو حكم أو شيء تحتاج إليه الأمة إلى

يوم القيامة مكتوب بإملاء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَخَطَّ يَدِي
حَتَّى أَرَشَ الْخَدَشَ" (١) .

وسئل أمير المؤمنين عليه السَّلَام عن وقت إظهار القرآن المكتوب
بإملاء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَخَطَّ يَدِهِ، فقال عليه السَّلَام :
"نعم إذا أقام القائم من ولدي يظهره ويحمل الناس عليه فتجري السَّنَّة
عليه" (٢) .

عن الإمام الحسن عليه السَّلَام : "إِنَّ الْعِلْمَ فِينَا وَنَحْنُ أَهْلُهُ، وَهُوَ
عِنْدَنَا مَجْمُوعٌ كُلُّهُ بِحِذَافِيرِهِ، وَإِنَّهُ لَا يَحْدُثُ شَيْءٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ حَتَّى
أَرَشَ الْخَدَشَ إِلَّا وَهُوَ عِنْدَنَا مَكْتُوبٌ بِإِمْلَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَآلِهِ وَخَطَّ عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِيَدِهِ" (٣) .

عن الإمام الباقر عليه السَّلَام : "فِي كِتَابِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ كُلِّ
شَيْءٍ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ حَتَّى أَرَشَ الْخَدَشَ" (٤) .

قال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَام : "أَكْتُبُ مَا أُمْلِي
عَلَيْكَ" . قال عليه السَّلَام : "يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَتَخَافُ عَلَيَّ النَّسِيَانَ؟" .
قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : "لَسْتُ أَخَافُ عَلَيْكَ النَّسِيَانَ، وَقَدْ دَعَوْتُ
اللَّهَ أَنْ يَحْفَظَكَ وَلَا يَنْسِيَكَ، وَلَكِنْ أَكْتُبُ لَشُرَكَائِكَ" . قال عليه

(١) بحار الأنوار ج ٨٩ ص ٤١ .

(٢) المصدر السابق ج ٨٩ ص ٤٣ .

(٣) الاحتجاج للشيخ أحمد بن علي الطبرسي ج ٢ ص ٦٣ ح ١٥٥ .

(٤) بصائر الدرجات للشيخ محمد بن الحسن الصِّقَّار ص ١٦٨ ح ٦٤ .

السَّلَام : "ومن شركائي يا نبي الله؟" . قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ :
"الأئمة من ولدك، بهم تُسقى أمتي الغيث، وبهم يُسْتَجَابُ دَعَاؤُهُمْ،
وبهم يَصْرِفُ اللهُ عَنْهُمْ الْبَلَاءَ، وبهم تَنْزِلُ الرَّحْمَةُ مِنَ السَّمَاءِ" . وأوماً
إلى الحسن عليه السَّلَام، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : "هذا أولهم" .
وأوماً إلى الحسين عليه السَّلَام، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : "الأئمة من
ولده" (١) .

عن مُحَمَّد بن مسلم : أقراني أبو جعفر عليه السَّلَام صحيفة كتاب
الفرائض التي هي إملاء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَخَطَّ عَلَيَّ عَلَيْهِ
السَّلَام بيده . . . (٢) .

عن الإمام الصادق عليه السَّلَام : "إنَّ عندنا ما لا نحتاج معه إلى
النَّاس، وإنَّ النَّاسَ لِيحتاجون إلينا، وإنَّ عندنا كتاباً إملاء رسول الله
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَخَطَّ عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلَام، صحيفة فيها كلَّ حلال
وحرام" (٣) .

عن أبي بصير حينما ذُكِرَ ابن شبرمة : قال أبو عبد الله عليه السَّلَام :
"أين هو من الجامعة إملاء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَخَطَّ عَلَيَّ

(١) الأمالي للشيخ محمد بن الحسن الطوسي ص ٤٤١ المجلس الخامس
عشر ح ٩٨٩ .

(٢) تهذيب الأحكام للشيخ محمد بن الحسن الطوسي ج ٩ ص ٢٤٧
ح ٩٥٩ .

(٣) الكافي للشيخ الكليني ج ١ ص ٢٤١ ح ٦ .

عليه السّلام بيده فيها الحلال والحرام حتّى أُرش الخدش؟" (١) .
عن الإمام الباقر عليه السّلام : "عندنا كتاب عليّ سبعون ذراعاً ما
على الأرض شيء يُتّاج إليه إلا وهو فيه حتّى أُرش الخدش" (٢) .
عن الإمام الباقر عليه السّلام : "إنّ عندي لصحيفة فيها تسع
عشرة صحيفة قد حباها رسول الله صلّى الله عليه وآله" (٣) .
ومصادر أهل السنّة يذكرون صحيفة وكتاب أمير المؤمنين عليه
السّلام :

عن أبي جحيفة قال : قلت لعليّ بن أبي طالب : هل عندكم
كتاب ؟ قال : "لا، إلا كتاب الله أو فهم أعطيه رجل مسلم أو ما في
هذه الصّحيفة" . قال : قلت : فما في هذه الصّحيفة ؟ قال :
"العقل وفكاك الأسير ولا يقتل مسلم بكافر" (٤) .

عن قيس بن عبّاد قال : انطلقت أنا والأشتر إلى عليّ رضي الله
عنه فقلنا : هل عهد إليك نبي الله صلّى الله عليه (وآله) وسلّم شيئاً
لم يعهده إلى التّاس عامّة ؟ قال : "لا، إلا ما كان في كتابي هذا" .
فأخرج كتاباً من قراب سيفه . . . (٥) .

(١) بصائر الدّرجات ص ١٦٥ ح ١٥ .

(٢) المصدر السّابق ١٦٧ ح ١ .

(٣) المصدر السّابق ص ١٦٤ ح ١٢ .

(٤) صحيح البخاريّ رقم ١١١ . العقل : الدّية .

(٥) سنن التّسائيّ ج ٨ ص ٢٠ .

عن عبدالرحمن بن أبي ليلي : سألت الحسن بن عليّ عن قول عليّ في الخيار، فدعا برُبْعَةٍ فأخرج منها صحيفة صفراء مكتوب فيها قول عليّ في الخيار (١) .

ووجود كتاب أو صحيفة لأمر المؤمنين عليه السّلام من المشتركات بين السنّة والشّيعَة، ولكن يقولون أخرج الكتاب أو الصّحيفة وقرأ فيه حكماً أو ثلاثة أحكام فقط، وليس من المعقول أنّ كتاباً أو صحيفةً فيه حكم أو ثلاثة أحكام فقط .

وهذا الكتاب أو الصّحيفة كان موجوداً عند أمير المؤمنين عليه السّلام، وانتقل إلى الأئمّة عليهم السّلام، بالإضافة إلى الكتب الأخرى، ومن الكتب كتاب فيه جميع تفاصيل الأحكام الشرعيّة الواقعيّة .

والنّبّي صلّى الله عليه وآله أو الإمام عليه السّلام حينما يُسأل يعطي الحكم الواقعيّ، وليس حكماً مستنبطاً كما يستنبط الفقيه، فالنّبّي صلّى الله عليه وآله يبيّن الأحكام عن طريق الوحي، والأئمّة عليهم السّلام يبيّنون بتعليم من النّبّي صلّى الله عليه وآله ومن الكتب التي ورثوها، بالإضافة إلى الإلهام، والإلهام ليس وحيّاً بالمعنى الاصطلاحيّ، ولكنّه وحي بالمعنى اللغويّ، كما أوحى الله تعالى إلى أمّ موسى عليه السّلام وإلى النحل .

"وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا

(١) العلل لأحمد بن حنبل ج ١ ص ٣٤٦ ح ٦٣٩ . الرّبعة : الصّدوق .

تَخَافِي وَلَا تَحْزِنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ" (١) .

"وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ
وَمِمَّا يَعْرِشُونَ" (٢) .

وبعض الأشخاص العاديين يحصل لهم الإلهام، فتجد أنه يخطر في ذهنك شيء فجأةً بدون علم سابق، شخص يسألك سؤالاً في موضوع ولا توجد عندك فكرة مسبقة عن الموضوع، وفجأةً تجد أنّ الجواب يخطر في ذهنك، وهذا هو الإلهام، والإلهام موجود عند الإمام عليه السّلام بدرجة أعلى من الإنسان العاديّ، فالله عزّ وجلّ يلهم الإمام عليه السّلام الجواب، ويحدث أحياناً مع الإنسان العاديّ، والإمام عليه السّلام إذا احتاج إلى مسألة فالله تعالى يلهمه الجواب؛ لأنّه عليه السّلام معصوم عالم، فيعطيه الله الجواب، وأنت كإنسان عاديّ عندك الإلهام بدرجة ضعيفة ودائرته ضيّقة، والإمام عليه السّلام عنده الإلهام بدرجة قويّة ودائرته واسعة .

والإمامة أمر فطريّ عند كلّ إنسان، وحتىّ تفاصيل الإمامة أمر فطريّ، ولكنّ الدّرجة عند الإمام عليه السّلام واسعة، مثلاً دائرة العلم عندك ضيّقة، ويوجد عندك مقدار من العلم، والعلم الموجود عند النّبيّ صلّى الله عليه وآله والإمام عليه السّلام دائرته واسعة .

وأعطي مثلاً للولاية التكوينيّة التي تقع النّقاشات فيها .

(١) القصص : ٧ .

(٢) النحل : ٦٨ .

سؤال : أنت كإنسان عادي هل عندك ولاية تكوينية أو لا ؟

الجواب :

نعم كل إنسان عنده ولاية تكوينية، مثلاً إذا طلبت منك أن ترفع يدك فأنت ترفعها، فكل إنسان عنده ولاية تكوينية على جسمه، فأنت مسيطر على يدك، ترفعها وتنزلها كما تريد، وهذه ولاية الإنسان التكوينية على أعضاء جسده، والولاية التكوينية عند كل إنسان دائرته ضيقة، والولاية التكوينية عند النبي صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام دائرته واسعة، فعندهم الولاية التكوينية على أجسادهم وعلى الأمور الخارجية، فالنتيجة أن كل إنسان عنده ولاية تكوينية، ولكن تختلف الدائرة سعةً وضيقاً، ودائرة العلم عند النبي صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام واسعة، ودائرة العصمة أيضاً عندهم واسعة، وأنت كإنسان عادي تكون معصوماً في بعض الأمور، فالإنسان المؤمن يستحيل أن يشرب الخمر، فهو معصوم من هذه الجهة، وهو معصوم من جهة المحرم الثاني والثالث والرابع و...، فالعصمة عند المؤمن دائرتها ضيقة، ولكن دائرة العصمة عند النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام دائرة واسعة، فهم عليهم السلام لا يعصون الله أبداً، وهكذا يمكن إثبات الأمور الموجودة عند المعصوم عليه السلام عن طريق إثبات أن الدائرة ضيقة عند الإنسان العادي، ولكن الدائرة واسعة عند المعصوم عليه السلام، وبهذه الطريقة يمكن لكل أحد تقبل الصفات الموجودة عند المعصوم عليه السلام، وأنت معصوم

في دائرة ضيقة، فعندك عصمة جزئية، وعصمة المعصوم عليه السلام دائرتها واسعة، فعندهم عليهم السلام عصمة كلية، فصفات المعصوم عليه السلام أمور طبيعية عند كل إنسان، ولكنها عند الإمام دائرتها أوسع .

ويتم الاعتراض على الولاية التكوينية مثلاً؛ لأن طريقة العرض خاطئة، فيتم عرض الصفة على أنها معجزة، ولكن إذا عرضنا صفات المعصوم عليه السلام على أنها أمور طبيعية عند كل إنسان، ولكن الدائرة تختلف سعةً وضيقةً - فالصفة الموجودة عند المعصوم عليه السلام تصبح مقبولة .

ويأتي هذا العرض أيضاً في مباحث الإمامة وفي مباحث النبوة، وثبتت صفات الأنبياء عليهم السلام على أنها أمور طبيعية عند كل إنسان، ولكن في النبوة أوسع دائرة، فتصبح النبوة والإمامة أمرين طبيعيين، ويتقبل الناس النبوة والإمامة حتى الإنسان الملحد، ومن الممكن أن يجري هذا العرض في جميع العقائد .

ويمكن إثبات العقائد عن طريق الفطرة والعقل بحيث إن الملحد يقبلها، مثلاً إذا قيل للملحد بأنك قد ظلمت في الدنيا، والظالم والمظلوم ماتا، ألا يقول العقل بوجود يوم آخر بحيث إن المظلوم يأخذ حقه من الظالم ؟

وهذه الفكرة تصبح مقبولة حتى عند الملحد بأنه إذا ظلم فإنه يأخذ حقه من الظالم في يوم آخر بعد الموت، وسيعجب بهذه الفكرة؛ لأنها

فكرة فطرية عند كل إنسان، ويمكن إثباتها عن طريق العقل أيضاً، وبهذه الطريقة يمكن إثبات جميع الأفكار التي طرحها الإسلام، فطريقة العرض لا بدّ من أن تكون بطريقة فنيّة بحيث إنّ الفكرة تصبح مقبولةً من الإنسان الغربيّ والشرقيّ، ولا تكون الأفكار المطروحة على خلاف فطرة الإنسان وعقله، وإذا طرحنا أفكاراً لا تتناسب مع فطرة الإنسان أو عقله فمن الطبيعيّ أنّ الطرف الآخر لا يقبل هذه الأفكار، ولكن إذا وضحنا أنّ الفكرة فطرية أو عقلية فالفكرة تكون مقبولةً، وجميع الأحكام الإلهية لا بدّ من أن تكون متناسبةً مع فطرة الإنسان أو عقله، وبدل فطرة يمكن أن نقول طبيعة الإنسان .

وفي بعض المحاضرات مستقبلاً سنبيّن بالتفصيل ما هي الفطرة، ولنقل الأشياء الطبيعيّة التي أوجدها الله عزّ وجلّ في الإنسان، والفطرة موجودة عند كلّ إنسان في كلّ زمان ومكان، وإذا قدّمنا الدّين على أساس أنّه يتناسب مع طبيعة الإنسان وفطرته وعقله فالدّين يصبح مقبولاً عند جميع النّاس، وجميع الأحكام الشرعيّة من صلاة وصيام وحجّ وغيرها من العبادات وغير العبادات ستصبح مقبولةً من كلّ إنسان .

وبعض الكتاب والمؤلّفين يطرحون أفكاراً، ولا بدّ من عرض هذه الأفكار على الفطرة والعقل لأجل تقبلها، طبعاً الفطرة الصّافية؛ لأنّ بعض الأمور التي نظرتُ بأنّها فطرية هي عبارة عن موروثات أو عادات، والأمور الفطرية تكون عند كلّ إنسان في كلّ زمان ومكان، وهي غير

قابلة للتغيير، وجميع الأحكام الشرعية تتناسب مع فطرة الإنسان أو عقله، ويمكن أن نناقش فكرةً فكرةً؛ لأجل أن نرى أنها تتناسب مع طبيعة الإنسان وعقله أو لا، ومثل هذا البحث ليس مطروحًا بالتفصيل، ويمكن مناقشة كلِّ حكم طرحه العلماء من الأحكام الشرعية العقائدية والأخلاقية والعملية مناقشتها على أساس الفطرة والعقل، وإذا كانت تتناسب مع الفطرة والعقل فإنَّ جميع أحكام الإسلام تصبح مقبولةً من قِبَلِ النَّاسِ فِي الشَّرْقِ وَالغَرْبِ .

والأفكار الدينية لا تنتشر في العالم لعدم ترجمتها إلى اللغات المختلفة، والمفروض أنَّ أحكام الدين تُترجمُ إلى جميع اللغات بحيث يعرف جميع النَّاسِ ما يوجد في الإسلام .

عن الهرويِّ قال : سمعت أبا الحسن عليَّ بن موسى الرضا عليه السلام يقول : "رحم الله عبدًا أحيًا أمرنا" . فقلت له : وكيف يحيي أمركم ؟ قال : "يتعلَّم علومنا ويعلمها النَّاسُ، فإنَّ النَّاسَ لو علموا محاسن كلامنا لا يتبعونا" . . . (١) .

وإذا تمَّ عرض كلمات أهل البيت عليهم السلام على النَّاسِ فإنَّهم سيَتَّبِعُونَ أهل البيت عليهم السلام، وينتشر المدَّ الشيعيِّ باختيار النَّاسِ لا بإجبار ولا إكراه ولا أموال، وإمَّا يَتَّبِعُونَ مدرسة أهل البيت عليهم السلام؛ لأنَّهم يرون محاسن كلامهم، ويتعرَّفون على الأحكام الشرعية التي تتناسب مع فطرتهم وعقولهم، وكلمات الأئمة عليهم

(١) بحار الأنوار ج ٢ ص ٣٠ ح ١٣ .

السّلام لا تجدها في المدارس الأخرى للمسلمين، والروايات الموجودة عندنا أضعاف أضعاف ما توجد عند المدارس الأخرى؛ لأننا نعتقد باستمرار خطّ الإمامة بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله، وإذا سمع أحد كلمات أمير المؤمنين عليه السّلام في نهج البلاغة لوجد شيئاً آخر لكلماته حيث لا يشابهه أيّ كلام لأحد من المخلوقين إلاّ كلام رسول الله صلى الله عليه وآله .

والبعض يرسل بعض الأقوال وينسبها لأمير المؤمنين عليه السّلام وهي ليست له، مثلاً : القلق كالكرسيّ الهزّاز، وكلمات أخرى، مع أنّ الكرسيّ الهزّاز من الأمور الحديثة، وينقلون كلمات أخرى لا تتناسب مع أقوال أمير المؤمنين عليه السّلام، ومن يتعوّد على ألفاظ نهج البلاغة حينما يسمع هذه الكلمات يعرف أنّها ليست لأمير المؤمنين عليه السّلام، والمشكلة أنّ بعض المؤمنين حينما تصل إليهم أيّ رسالة ينشرونها بدون قراءتها أو التّدقيق فيها، مع أنّ الكلمات بدون مصدر، وهم لم يتعوّدوا على قراءة أقوال أمير المؤمنين عليه السّلام، والآن مع توقّف الأجهزة الحديثة افتتح في البحث نهج البلاغة وقرأ أقوال أمير المؤمنين عليه السّلام، ويمكنك أن تعرف طريقته عليه السّلام في الكلام البليغ، وأيّ كلام تسمعه وهو منسوب إلى النّبِيِّ صلّى الله عليه وآله أو أحد الأئمّة عليهم السّلام إذا لم يتناسب مع كلامهم فلا تعتمد عليه ولا تنشره، والأمر سهل، مثلاً لو نقل شخص عن أحد العلماء أنّه قال كذا، فأنت تقول بأنّه ليس من

المعقول أنّ هذا العالم قال هذا الكلام؛ لأنّ أسلوبه لا يتناسب مع أقوال هذا العالم، ويمكنك أن تعرف عدم صحّة هذا القول أو هذا الفعل المنسوب إليهم عليهم السّلام، ويصبح عند من يطّلع بكثرة على روايات أهل البيت عليهم السّلام ذوقًا وحاسّةً خاصّةً في معرفة وتمييز كلامهم عليهم السّلام .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيبين الطّاهرين .

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

(٥٤)

النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْمِثْلَ الْأَعْلَى

الْكَمَالَ الْفِكْرِيَّ فِي اسْتِنْبَاطِ الْأَحْكَامِ الدِّينِيَّةِ

وَتَنَاسُبِهَا مَعَ الْفِطْرَةِ وَالْعَقْلِ (١)

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ سَيِّدِنَا أَبِي الْقَاسِمِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ
الطَّاهِرِينَ .

كان الكلام في أنّ بعض الأشخاص الذين يعيشون في عصر الغيبة
الكبرى يكونون أفضل من بعض من عاصروا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَالْأئِمَّةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، والمؤمن الذي يعيش في عصر الغيبة من أهمّ
الأُمُور التي تخصّه هو "الإيمان بالغيب"، فمن عاصر النبي صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ موجودًا بنفسه معهم ويتلقّى
الوحي، وهم يأخذون من الوحي بواسطة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ،

(١) أُلْفِيَتْ هَذِهِ الْمَحَاضِرَةُ فِي الدِّيَوَاتِيَّةِ الْأَسْبُوعِيَّةِ فِي دَوْلَةِ الْكُوَيْتِ مَنْطِقَةً

بِإِنِّانِ، الْجُمُعَةَ ٢٠ رَجَبِ ١٤٣٤ هـ ، ٣١/٥/٢٠١٣ م .

وكان النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَطَّبِقُ أَحْكَامَ الدِّينِ عَلَى حَيَاتِهِ وَحَيَاةِ الْمُسْلِمِينَ، وَهَذَا لَهُ تَأْثِيرٌ قَوِيٌّ عَلَى النَّاسِ حَيْثُ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِنَفْسِهِ طَبَّقَ أَحْكَامَ الدِّينِ، وَكَانَ الْفَرْدُ يَحْسَبُ بِأَثَرِ تَعَالِيمِ الْوَحْيِ فِي حَيَاتِهِ الْعَمَلِيَّةِ وَتَطْبِيقِهَا فِي مَجْتَمَعِهِ، وَالْأَحْكَامُ الَّتِي يَبْلُغُهَا الْمَعْصُومُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيَطَّبِقُهَا هِيَ الْأَحْكَامُ الْوَاقِعِيَّةُ لَا الْأَحْكَامُ الظَّاهِرِيَّةُ الَّتِي يَسْتَنْبِطُهَا الْفَقِيهَ مِنَ الْأَدَلَّةِ .

وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ يَتَابَعُ الْمُسْتَجِدَّاتِ وَيُعْطِي أَحْكَامَهَا، وَالْمُعَاصِرُونَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانُوا يَتَابِعُونَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي أَحْكَامِ الْمُسْتَجِدَّاتِ وَمَا يَبْلُغُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ تَعَالِيمِ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُؤَزَّرًا بِالنَّصْرِ مِنْ قِبَلِ اللهِ تَعَالَى، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يَنْتَصِرُونَ بِقِيَادَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .

وَمِنْ الْمَوَاصِفَاتِ الْخَاصَّةِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ يَطَّبِقُ الْعَدْلَ بِنَفْسِهِ، وَتَطْبِيقَ الْعَدْلِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ يُعْطِينَا تَجْرِبَةً نَاجِحَةً، وَهِيَ التَّجْرِبَةُ الذَّهْبِيَّةُ الَّتِي يُمْكِنُ اسْتِفَادَتُهَا مِنْ حَيَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْمُقَرَّبِينَ، وَانْتِشَارَ الْعَدْلِ فِي زَمَانِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أُثْبِتَ نَجَاحَ التَّجْرِبَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي الْحُكْمِ، فَتِلْكَ الْفِتْرَةُ لَهَا مِيزَةٌ خَاصَّةٌ .

وَلِحَدِّ الْآنَ لَمْ نَدْرُسْ حَيَاةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَثْنَاءَ وَجُودِهِ مَعَ أَصْحَابِهِ، وَهَذَا يَحْتَاجُ إِلَى دَرَسَاتٍ كَثِيرَةٍ حَتَّى نَسْتَفِيدَ مِنْ تِلْكَ الْمَرْحَلَةِ الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَوْجُودًا فِيهَا بِنَفْسِهِ، وَالذَّرَاسَاتِ

الموجودة عن تلك الفترة من حياة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَيْسَتْ كَافِيَةً، وَالْمَقْدَارُ الَّذِي يُطْرَحُ هُوَ سِيرَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَأَمَّا الِاسْتِفَادَةُ مِنْ تِلْكَ الْمَرْحَلَةِ فَلَمْ تُطْرَحْ بِمَحْثِ كَافِيَةٍ عَنْهَا لِحَدِّ الْآنَ، وَكَذَلِكَ وَاقِعَةُ الطَّفِّ وَقِضِيَّةُ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ نَسْتَفِدْ مِنْهَا الِاسْتِفَادَةَ الْمَطْلُوبَةَ لِحَدِّ الْآنَ، فَنَحْتَاجُ إِلَى دَرَسَاتٍ كَثِيرَةٍ حَتَّى يُمْكِنَنَا الِاسْتِفَادَةَ مِنَ الْمُعْصَمِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بِمَحْثِ نَجَسِدِ حَيَاتِهِمْ فِي حَيَاتِنَا الْيَوْمِيَّةِ .

وَمِنَ الْمُمَيِّزَاتِ الَّتِي كَانَتْ أَيْضًا فِي زَمَانِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ انْتِصَارُ الْمُسْلِمِينَ فِي مَعَارِكِهِمْ بِشَكْلِ عَامٍّ، نَعَمْ فِي بَعْضِ الْمَعَارِكِ انْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ، وَلَكِنْ بِسَبَبِهِمْ لَا بِسَبَبِ قِيَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَنْتَصِرُ فِي الْمَعَارِكِ الَّتِي يَخُوضُهَا مَعَ قَلَّةٍ الْعَدَدِ وَالْعُدَدِ، وَنَحْتَاجُ إِلَى دَرَسَةِ أَسْبَابِ انْتِصَارِ الْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ مَعَ قَلَّةِ أَتْبَاعِ الْحَقِّ وَكَثْرَةِ أَنْصَارِ الْبَاطِلِ، وَلَوْ عَرَفْنَا أَسْبَابَ وَعَوَامِلِ الْانْتِصَارِ فَيُمْكِنُ أَنْ يَنْتَصِرَ الْحَقُّ عَلَى الْبَاطِلِ، وَيَنْتَصِرَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ، وَالْمُسْلِمُونَ الْيَوْمَ لَيْسَ لَهُمْ اعْتِبَارٌ فِي الْعَالَمِ مَعَ أَنَّ الْمَفْرُوضَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يُعْطِيهِمُ الْقُوَّةَ وَالْعِزَّةَ وَالثَّقَلَ وَالْاعْتِبَارَ، وَلَكِنَّ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَأْخُذُوا بِأَسْبَابِ الْقُوَّةِ مَعَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ :

"وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ" (١) .

(١) الأنفال : ٦٠ .

وأعداء الدّين حينما يتحرّكون لا يحسبون للمسلمين أيّ حساب
إلاّ المسلمين الأقوياء الذين أثبتوا أنفسهم أمام الأعداء .
ومن مميّزات النّبّي صلّى الله عليه وآله أنّه يمثّل القدوة في زمانه وما
بعد زمانه إلى يوم القيامة .

يقول الله تعالى في كتابه الكريم مخاطبًا النّبّي صلّى الله عليه وآله :
"وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ" (١) .

وكان المسلمون يرون العقائد والأخلاق والفقہ العمليّ متجسّدةً
أمامهم في النّبّي صلّى الله عليه وآله، وكانت شخصيّة النّبّي صلّى الله
عليه وآله تمثّل المثل الأعلى للمسلمين في جميع أحكام الدّين، وهذا
مهمّ جدًّا للإنسان المسلم بأن يرى المعصوم عليه السّلام يجسّد الدّين
أمامه، فيمكنه أن يستفيد منه عليه السّلام مباشرةً، وكلّما احتاج إلى
مسألة يسأل المعصوم عليه السّلام ويحصل على الجواب القطعيّ
والحكم الواقعيّ للمسألة، وهذه المميّزات كان لها أثر كبير في إيمان
الفرد في ذلك الزّمان؛ لأنّه كان يرى العقائد والأخلاق والعمل
والمفاهيم حسّيّة واضحةً أمامه .

والمميّزات التي كانت في زمان النّبّي صلّى الله عليه وآله والأئمّة
عليهم السّلام مفقودة في زمان غيبة الإمام المهديّ عليه السّلام،
والوضع الآن يختلف؛ لأنّ أخذ الأحكام والمفاهيم الدّينيّة يحتاج إلى
جهد فكريّ ذهنيّ بسبب عدم وجود المعصوم عليه السّلام، فعالم

(١) القلم : ٤ .

الدِّين يبحث في الأدلّة من القرآن والسّنّة وغيرهما؛ لأجل أن يبيّن للمسلمين العقائد الصّحيحة والجوانب الأخلاقيّة والأُمور العمليّة والمفاهيم الإسلاميّة، ومن خلال بذل الجهد الفكريّ يصل العالم إلى النّتائج .

والعناء الفكريّ في استنباط الأحكام الدّينيّة هو نوع من أنواع تربية أفراد البشريّة، وفيه كمال للإنسان، والعلماء هم الذين يستنبطون الأحكام والمفاهيم الإسلاميّة وينقلونها إلى النّاس من أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السّلام وغيرهم من أتباع المذاهب الأخرى، وكذلك أتباع الأديان الأخرى الذين تصل إليهم هذه الأحكام والمفاهيم، وهذه الأحكام والمفاهيم الدّينيّة تساهم في تكاملهم .

وتوجد مدارس مختلفة في العالم، وهذه المدارس تطرح إشكالاتها على المدارس الأخرى، وعلماء الدّين في كلّ زمان يجيبون على هذه الإشكالات، ويتكامل النّاس في الجانب الفكريّ والثّقافيّ، وهكذا تتكامل البشريّة، والعناء الفكريّ في أخذ العقيدة واستنباط الأحكام والمفاهيم فيه تربية وكمال للبشريّة بصورة عامّة .

والمؤمن في زماننا الذي غاب فيه المعصوم عليه السّلام يعيش الغيب في أموره الدّينيّة، فهو يؤمن بوجود الإمام عليه السّلام، ويأخذ العقائد والأحكام والتّعاليم من علماء مدرسة أهل البيت عليهم السّلام، ويطبّق أحكام الدّين مع أنّ إمامه عليه السّلام غائب، ولا يمكنه الوصول إليه، وبالتالي يكون المؤمنون مصاديق لقوله تعالى :

"الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ" (١) .

فَعندهم إيمان بالمعصومين عليهم السّلام مع أنّهم لم يلتقوا بهم،
والتّصوص الشّرعيّة تنقل لنا بأنّه يوجد أربعة عشر معصوماً، فيؤمن
بهم، ويعتقد بنبوّة سيّدنا محمّد صلّى الله عليه وآله، ويعتقد بسيّدتنا
فاطمة الزّهراء عليها السّلام وبولاية ساداتنا الأئمّة عليهم السّلام،
وهذه ميزة للمؤمنين الذين يعيشون في عصر الغيبة الكبرى، وهذه
الميزة لم تكن للذين عاصروا المعصومين عليهم السّلام .

والمميّزات التي كانت موجودةً في زمان النّبّي صلّى الله عليه وآله لا
توجد في عصر الغيبة الكبرى، وعصرنا هو عصر الفتن، والفتن الداخليّة
داخل البيت الشّيعيّ، مثل أن يدّعي شخص المرجعيّة، فهذه فتنة
على الشيعة، وهناك أشخاص يقلّدونه، ومدّعي المرجعيّة وأتباعه
يمتثلون خطأً ضالّاً منحرفاً عن الخطّ الصّحيح المتمثّل في المرجعيّة
الرّشيدة، وهذه مشكلة من المشاكل الموجودة ضمن البيت الشّيعيّ،
وهناك فتن خارجيّة خارج البيت الشّيعيّ، ويكون لها تأثير على البيت
الشّيعيّ .

والإيمان بالعقائد في يومنا إيمان غيبيّ، وهو إيمان بعيد عن الحسّ؛
بسبب عدم وجود المعصوم عليه السّلام، فيحتاج إلى تعب فكريّ
وجهد ذهنيّ حتّى يمكن للمؤمن أن يصل إلى العقائد الصّحيحة، مثلاً
هل توجد شفاعة أو لا توجد؟ وهل يجوز التّوسّل بالنّبّي صلّى الله

(١) البقرة : ٣ .

عليه وآله وأهل بيته عليهم السّلام وبالصّالحين أو لا يجوز ؟ وهل يوجد بداء عند الله تعالى أو لا يوجد ؟

والجواب على هذه الأسئلة يحتاج إلى طرح الأدلّة التي تثبت هذه المسائل الاعتقاديّة، ويأتي شخص ويقول بأننا لا نحتاج إلى التّوسّل بالصّالحين، بل نتوجّه إلى الله مباشرةً دون الحاجة إلى وساطة ووسيلة، وعلماء مدرسة أهل البيت عليهم السّلام يناقشون هذه المسألة، ويبيّنون الأدلّة من المصادر الشّيعيّة والمصادر السّنية لإثبات جواز التّوسّل وغيره من المسائل الاعتقاديّة .

وتوجد عندنا مسألة تقول بعدم جواز التّقليد في العقائد، فإذا لم يجزِ التّقليد في العقائد فمعنى ذلك أنّ كلّ مؤمن يجب عليه البحث بنفسه حتّى يصل إلى الاعتقادات، وهذا أمر صعب لأغلب المؤمنين، وقد يكون مستحيلاً لبعضهم، ولكنّ المقصود هو أنّه لا يجوز التّقليد في أصول العقائد كالتّوحيد والنّبوة والإمامة والمعاد وغيرها، فإثبات وجود خالق للكون لا يصحّ فيه التّقليد، فالإنسان حينما ينظر إلى الكون يعلم بأنّه يوجد خالق له، فيعتقد بوجود إله خالق للكون، وكذلك الاعتقاد بالنّبوة لا يوجد فيه تقليد، ولا يجوز التّقليد في بعض صفات الخالق كالعدل والقدرة المطلقة والعلم المطلق وغيرها، ويجوز التّقليد في العقائد الفرعيّة وفي تفاصيل العقائد .

وأصول العقائد تتناسب مع فطرة الإنسان، ويمكن إثباتها عن طريق الأدلّة العقليّة أيضًا، فتارةً نعرض العقيدة على فطرة الإنسان، والفطرة

تتقبّل هذه العقائد، وعلى فرض أنّ هناك شخصاً يعبد بقرةً، فهو يعبد بقرةً؛ لأنّه يعتقد بوجود إله، ويتوهم أنّ هذا الإله عبارة عن بقرة، فأصل العقيدة موجود في فطرته، وهو الاعتقاد بوجود الإله، ولكنّه أخطأ في تشخيص مصداق الإله، وحتّى الملحد الذي ينكر وجود خالق للكون عنده اعتقاد، وهذا الاعتقاد موجود ضمن فطرته، لذلك حينما تصادفه مشكلة صعبة أو يصاب بمرض خبيث يحاول الوصول إلى حلّها أو علاجه، وفي قرارة نفسه يرجو وجود قوّة خفيّة تحلّ له المشكلة أو تشفيه من المرض، وهذه القوّة الخفيّة هي مصداق الإله، فهو يعتقد في فطرته بوجود إله، ولكن يسمّيه القوّة الخفيّة، فهو بلسانه ينكر وجود الإله، ولكن في واقعه يعتقد بوجود الإله .

والنّفس مجبولة بفطرتها على الاعتقاد بوجود الإله الخالق للكون، لذلك فإنّ أصول الدّين تتناسب مع فطرة الإنسان، بل جميع الأحكام الإسلاميّة تتناسب مع فطرة الإنسان أو عقله، وهذا يحتاج إلى موضوع مستقلّ حتّى نبيّن أنّ الأحكام الدّينيّة تتناسب مع فطرة الإنسان أو عقله، فتارةً نعرض العقيدة على فطرة الإنسان، وتارةً أخرى نعرض العقيدة على عقل الإنسان، ويمكن الاستدلال بالأدلة العقليّة لإثبات العقائد .

إنّ أصول الاعتقادات لا يصح التّقليد فيها؛ لأنّه بواسطة فطرته أو عقله يمكنه الوصول إلى هذه الاعتقادات، ويحتاج الإنسان إلى التّقليد في العقائد الفرعيّة وفي تفصيلات العقائد التي لا يمكن أن

يصل إليها الفرد بنفسه إلا عن طريق العلماء، مثلاً لو سألنا : ما هو شكل الجنة ؟

نحن نعتقد بوجود يوم القيامة كعقيدة أصليّة، ونعتقد بوجود الجنة والنار، وهذا أصل في العقائد، ولكن شكل الجنة من الاعتقادات الفرعيّة، نعم توجد نعم في الجنة، ولكن ما هي هذه النعم ؟

تختلف الأقوال في أنواع النعم، وترجع إلى أقوال العلماء في معرفة شكل الجنة وأنواع النعم فيها، وهل هي نعم حسنيّة أو معنويّة أو كليهما، ويبحث العلماء في الآيات والروايات ويبيّنون لك شكل الجنة ونعمها، ويبيّنون تفاصيل الجنة، والرجوع إلى العلماء والأخذ بأقوالهم هو معنى التقليد، فيصحّ التقليد في الاعتقادات الفرعيّة وتفصيل الاعتقادات؛ لأنك لا يمكن أن تصل إليها بنفسك، فتبتغي رأي أحد العلماء فيها؛ لأنّ العلماء تختلف آراؤهم فيها، وكما أنّه توجد عندنا رسالة عمليّة في الفقه العمليّ كمنهاج الصّالحين، نحتاج أيضاً إلى رسالة عقائديّة في الفقه العقائديّ، وهذه الرّسالة تبين المسائل الاعتقاديّة، ونحتاج أيضاً إلى رسالة أخلاقيّة في الفقه الأخلاقيّ، وهي تبين المسائل الأخلاقيّة، وتوجد فيهما المسألة الأولى كذا، والمسألة الثانية كذا، والمسألة الثالثة كذا، وهكذا .

وأما في أصول العقائد فلا يصحّ التقليد، بل لا بدّ من أن تصل إلى الاعتقادات الأصليّة بنفسك عن طريق الأدلّة لا اعتماداً على أقوال العلماء، نعم يمكن الرجوع إلى العلماء للاطلاع على الأدلّة، وأنت

بنفسك تفكر بهذه الأدلة وتقتنع بها، فالعلماء يدلونك على الطريق،
وعليك أن تسلك الطريق بنفسك .

ومعرفة العقائد تحتاج إلى جهد ذهني وفكري حتى يمكن للإنسان
أن يقتنع بها، ولا بدّ من أن يأخذ الفرد بالعقائد بوعي واقتناع حتى
تترسخ العقائد في قلبه، وتكون الأفكار والأعمال التي يقوم بها مبنيةً
على هذه العقائد .

وبشكل عامّ أغلب الأحكام الإلهية نحتاج في معرفتها إلى
الاستنباط، وهذا الجهد الفكريّ - وخصوصاً في معرفة العقائد -
يساهم في تكامل المؤمن والقرب الإلهي في عصر الغيبة، فالجهد
الذهني في بحثك عن الحكم الإلهي يساهم في تكاملك، ومن يريد أن
يكون من أنصار الإمام المهدي عليه السلام لا بدّ من أن يسعى
لمعرفة أحكام الدين، ويكون جاداً في طلبها، ويهتم بالعمل بها، ومن
لا يسعى إلى المعرفة ولا يتّصف بالجدية في الطلب ولا يهتم بالعمل بها
فمن المستحيل أن يصبح من الأنصار، والاهتمام بالدين من مميزات
أنصار الإمام عليه السلام، ومن لا يهتم بمعرفة الأحكام وتطبيقها
والعمل بها فلا يمكنه أن يصل إلى مرتبة الأنصار إلا بعد أن يغيّر
اهتماماته وتطبيقاته وأعماله، وكما أنّ الإنسان الذي لا يحصل على
طعام في يومه يحسّ بهمّ وغمّ، كذلك من لا يحصل على علم ومعرفة
بحكم إلهي في يومه يشعر بالهمّ والغمّ، ويحسّ بأنّه قد فقد شيئاً في
يومه، ومن لا يشعر بالهمّ والاهتمام فلا يكون مؤهلاً لأن يصبح من

الأنصار، وعلى كلِّ شخص أن يراجع نفسه ليرى أنّ لديه اهتمامًا بالدين أو لا، ويرى أنّه يسعى لمعرفة أحكام الدين أو لا، ويرى أنّه يطبّق أحكام الدين أو لا، ويرى أنّ لديه اهتمامًا بنشر أحكام الدين أو لا، ويرى أنّ لديه اهتمامًا بانتشار العدل في العالم أو لا، وإذا كان لديه كلُّ هذا فهو مؤهّل لأن يكون من الأنصار، ومن لا يوجد عنده هذه الاهتمامات فعليه أن يبدأ من الآن إذا كانت عنده الرغبة في أن يصبح من الأنصار .

وعالم الدين من خلال بحوثه يصل إلى معرفة الأحكام وينشرها بين الناس، والمؤمنون الذين يهتمون بالحصول على الأحكام يسعون إلى معرفتها وتطبيقها في حياتهم، ويوجد تكامل لعالم الدين وتكامل للمؤمنين المهتمين، بل تكامل البشريّة بشكل عام؛ لأنّ أحكام الدين ومفاهيمه تنتشر في العالم وخاصّةً في زماننا زمان القنوات الفضائية ومواقع الإنترنت ووسائل التواصل الأخرى، ومن ينشئ له موقعًا لا يعرف من يدخل إلى موقعه، فقد يبحث شخص عن بعض المعلومات ويدخل إلى هذا الموقع صدفةً، ويجد أنّ هناك معلومات تفيده، ويهتدي وتتغيّر حياته، والآن ينتشر الإسلام بواسطة الفضائيات والمواقع، وهذا انتشار عالميٍّ للدين الإسلاميّ وخاصّةً مدرسة أهل البيت عليهم السّلام .

وأحد الإخوة قال بأنّه زار إحدى دول المغرب العربيّ، فأخذونا إلى قرية من القرى، ورأيت أنّ أحد البيوت عليه صحن التقاط إشارات

القنوات الفضائية، ودعانا صاحب البيت إلى داخل بيته، وكان شخصاً متبّعاً لمدرسة أهل البيت عليه السلام، وقال بأنّه أوّل مرّة يلتقي بشيوعيّ، وأنّه تشيّع بواسطة الفضائيات .

والقنوات الفضائية ومواقع الإنترنت تقوم بدور كبير في نشر الإسلام ونشر فكر أهل البيت عليهم السلام، ويشعر البعض بالخوف من انتشار مدرسة أهل البيت عليهم السلام في العالم، وعلينا أن ندرس ما هي العوامل التي تساهم في انتشار مدرسة أهل البيت عليهم السلام في العالم .

ومن العوامل المهمة أنّ مدرسة أهل البيت عليهم السلام تعتمد على العقل، فالعقل من مصادر استنباط الأحكام الدينيّة، وعلمائنا حينما يطرحون المسائل -وخاصّةً في العقائد- يبدؤون بالأدلة العقليّة، وبعد ذلك يطرحون الأدلة التّقليّة من القرآن والرّوايات، والاستدلال العقليّ يتناسب مع جميع البشر، وحينما تستدلّ بالأدلة الفطريّة قد يعترض عليك شخص بأنّه لا يعرف أنّ هذا من الفطرة أو ليس من الفطرة، وسيأتي بحث عن "فطرة الإنسان" في محاضرات مقبلة إن شاء الله تعالى، ولكن حينما نستدلّ بالدليل العقليّ القطعيّ فلا يمكن لأيّ أحد أن يعترض؛ لأنّ الدليل العقليّ القطعيّ موجود عند جميع النّاس، فحينما نستدلّ على وجود خالق للكون بدليل عقليّ وهو أنّ وجود الكائنات تدلّ على وجود خالق لها - لا يمكن لأحد أن ينكر هذا الدليل العقليّ إلاّ المعاند والمجادل، فكلّ مخلوق يدلّ على وجود خالق

له، وهذا قبل أن نصل إلى من هو الخالق الله تعالى أو مصداق آخر، فأصل وجود خالق للكون نصل إليه عن طريق الدليل العقلي، وجميع الناس يتقبلون الأدلة العقلية القطعية .

وبالإضافة إلى الاعتماد على العقل في مدرسة أهل البيت عليهم السلام لا توجد خطوط حمراء، فأى سؤال له جواب، ولا يقال لك بأن لا تفكر في هذا الموضوع ولا تسأل عن ذلك الموضوع، ولسنا مثل المدارس الأخرى التي تقول لأتباعهم بأن لا تفكروا ولا تسألوا في بعض المواضيع، ففي مدرسة أهل البيت عليهم السلام كل موضوع مفتوح للبحث والسؤال والتفكير، ولا توجد خطوط حمراء لا يجوز تعديها، وباب الحرية الفكرية مفتوح لجميع الناس، ويسألون العلماء في جميع المواضيع، والعلماء يجيبون على أي سؤال يصلهم من الناس في العالم من أي مذهب أو دين كان السائل، وإذا العالم الأول لا يعرف الجواب فالعالم الثاني تجد عنده الجواب، وكل سؤال له جواب، وقد لا نصل إلى الجواب، ولكن له جواب، والحرية الفكرية من مميزات مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وهي من الأسباب التي أدت إلى انتشار مدرسة أهل البيت عليهم السلام في العالم، فالاستدلالات العقلية والحرية الفكرية واستقبال العلماء لأي سؤال وعدم وجود الخطوط الحمراء في أي موضوع من مميزات مدرسة أهل البيت عليهم السلام .

وعلمائنا لا يقولون لأحد : لا تسأل ولا تفكر .

والمؤمن الذي يتبني عقائد الإسلام ويطبق أحكام الدين سيؤدّي به ذلك إلى مجموعة من التّضحيات، ومن أوّل ما بدأت مدرسة أهل البيت عليهم السّلام وإلى يومنا هذا فإنّ أتباع أهل البيت عليهم السّلام هم الذين يقدّمون التّضحيات ويتحمّلون المشاقّ، وهذا ثابت عبر التاريخ .

والمؤمن الذي يعتقد بأهل البيت عليهم السّلام يدخل في خدمة الدّين تطوُّعًا واختيارًا، فتارةً يضحي الإنسان وهو مكره مجبور على التّضحية، وتارةً يضحي الإنسان اختيارًا، ومن سيرة النّبّي صلّى الله عليه وآله وصحابه الكرام والأئمّة عليهم السّلام وأصحابهم المقرّبين أنّهم كانوا يُقدّمون على التّضحيات باختيارهم؛ لأنّهم اعتقدوا بالدّين وكانوا يسعون إلى نشره، والطّرف الآخر لا يقبل انتشار هذه الاعتقادات والأحكام الدّينيّة، والمؤمن يواجه ويضحي اختيارًا، وقد لا يُقدّم المؤمن على شيء ولا يختار التّضحية، ولكنّه يُكره على التّضحية بسبب اعتقاده بأهل البيت عليهم السّلام، فيُعذّب أو يُعذّم مع أنّه لم يساهم في نشر الدّين ولا أنّه من المتصدّين اجتماعيًا أو سياسيًا .

وفي زمان الأئمّة عليهم السّلام كان أصحابهم متصدّين لنشر هذه العقائد والأحكام، ومعظم أتباع أهل البيت عليهم السّلام لم يكونوا من المتصدّين، وفي كلّ زمان يوجد بعض المتصدّين، ولكنّ الأغلب لا يكونون من المتصدّين، وأكثر الناس يبحثون عن الرّاحة والاستقرار، والأغليّة من غير المتصدّين تصيبهم أيضًا بعض المتاعب بسبب

اعتقادهم بأهل البيت عليهم السّلام، والتّهمة هي حبّ أهل البيت عليهم السّلام .

عن ابن نباته قال : كنت جالسًا عند أمير المؤمنين عليه السّلام فأتاه رجل فقال : والله يا أمير المؤمنين إنّني لأحبّك في السّرّ كما أحبّك في العلانية . قال : فنكت بعوده ذلك في الأرض طويلاً ثمّ رفع رأسه فقال : " صدقت، إنّ طينتنا طينة مرحومة، أخذ الله ميثاقها يوم أخذ الميثاق، فلا يشدّ منها شاذّ ولا يدخل فيها داخل إلى يوم القيامة، أما إنّّه فاتخذُ للفقر جلبابًا، فإني سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول : الفاقة إلى محبّيك أسرع من السّيل من أعلى الوادي إلى أسفله" (١) .

لا الفقر فقط، بل اتّخذ للمتاعب والتّعذيب والسّجن والإعدام جلبابًا، فمن يعتقد بأهل البيت عليهم السّلام فإنّه يحارب في عقيدته وإيمانه، ولكن عبر التّاريخ المؤمن سواء كان متصدّيًا أم لم يكن متصدّيًا كان متمسّكًا بعقيدته بأهل البيت عليهم السّلام ولا يتنازل عنها .

والتّضحيات والمشاقّ بالحجم الموجود في زماننا لم تكن موجودةً في زمان النّبّي صلّى الله عليه وآله، ونحن نعيش الآن في عصر الفتن، والشّيعي محارب في عقيدته، وكم من الفضائيات والمواقع التي تحاول تشويه مدرسة أهل البيت عليهم السّلام، وشيعة أهل البيت عليهم

(١) بحار الأنوار ج ٦٤ ص ٢٢٧ ح ٣٦ .

السَّلام يُكْفَرُونَ بسبب ما يحملون من عقائد، مع أنّ الإنسان حرّ فيما يعتقد، وحرّيّة الاعتقاد مكفولة لجميع الناس، فلماذا تكفير أتباع أهل البيت عليهم السَّلام!؟

ولم يقتصروا على التَّكفير، بل التَّكفير طريق إلى القتل، فيتبنّون أنّ الشَّيعة كفّار ويستحقّون القتل، والواقع العمليّ يدلّ على هذا الأمر، فالشَّيعيّ كان يُقتل على الهويّة، وفي زماننا نعيش عصر المشاقّ والفتن والتّضحيات بأضعاف مضاعفة، والحرب على الشَّيعة حرب عقائديّة وحرب مادّيّة، وشيعة أهل البيت عليهم السَّلام طوال التَّاريخ لم يكونوا يعيشون في راحة واستقرار، والتَّاريخ يثبت ذلك .

والمؤمن الذي يحمل هذه العقائد لا بدّ من أن يكون مستعدّاً للتّضحية، والتّضحية يحتاجها المؤمن حتّى يصل إلى مرتبة أنصار الإمام عليه السَّلام، ولولا التّضحيات لما استطاع المؤمن أن يتكامل وأن يصعد في درجات الإيمان .

والتّمحيص الذي يعيشه المؤمن في زماننا أكثر من الأزمنة السَّابقة، والتّمحيص على قسمين : تمحيص إجباريّ وتمحيص اختياريّ، فالمؤمن باختياره يسعى إلى التّمحيص، ويتكامل من خلال البلاءات التي يقع فيها باختياره، فالمؤمن المتصدّي للدِّفاع عن مدرسة أهل البيت عليهم السَّلام يواجه الكثير من المصائب والتّحدّيات والتّضحيات والابتلاءات، وهذا كلّه يقع ضمن التّخطيط الإلهيّ لتربية الأفراد المخلصين الواعين في عصر الفتن والانحراف والضَّلال، ويساهم

في وصول المؤمن إلى مرتبة أنصار الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه
الشريف .

والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد
 وآله الطيّبين الطّاهرين .

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

(٥٥)

التمحيص الاختياري والتمحيص الإجباري

الظلم الإعلامي

إغراءات المصالح الشخصية

الإحساس بمشاعر المظلومين

الرقابة الدائمة على النفس (١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين .

طرحنا في المحاضرات السابقة أنّ بعض المؤمنين في عصر الغيبة الكبرى من الممكن أن يصلوا إلى مرتبة أفضل من بعض صحابة النبي صلى الله عليه وآله وبعض أصحاب الأئمة عليهم السلام بسبب وجود بعض المواصفات في عصر الغيبة بحيث يمكن لهؤلاء أن يصلوا

(١) أُلقيت هذه المحاضرة في الديوانية الأسبوعية في دولة الكويت منطقة

بيان، الجمعة ٢٧ رجب ١٤٣٤ هـ ، ٦/٧/٢٠١٣ م .

إلى تلك المرتبة العالية .

والمؤمن حينما يتمسك بعقيدته فإنه يتعرض للمصاعب كما قال
أمير المؤمنين عليه السلام : " اتَّخَذَ لِلْفَقْرِ جَلْبَابًا " (١) .

ومن يريد أن يكون مؤمنًا صالحًا متمسكًا بالدين عليه أن يستعدَّ
للتضحيات، وخلال عصور الأئمة عليهم السلام كانوا هم وأصحابهم
يضحون في سبيل الدين، وفي زماننا التضحيات أكبر من السابق،
والمؤمن لا بد من أن يكون متهيئًا للتضحية، والمؤمنون يعرفون ذلك
حينما يتمسكون بعقائدهم التي أخذوها من النبي صلى الله عليه وآله
وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام، ويتحملون المشاق والمصاعب
بسبب عقائدهم .

والتَّمحيص تارة يكون اختياريًا وتارة يكون إجباريًا، فمؤمن لا
يدخل في العمل الاجتماعي أو السياسي بل قد يتعد عن العمل،
ولكن مع ذلك يتعرض للمصاعب لمجرد أنه من أتباع أهل البيت
عليهم السلام، وبعض المؤمنين الذين يكونون من المتصددين يقعون في
مشاق ومصاعب أكبر؛ لأنه باختياره يدخل في العمل الاجتماعي أو
السياسي، فيتعرض لكثير من المصاعب إذا كان متمسكًا بعقيدته ولا
يتنازل عنها، وأما إذا تنازل فإنه يحصل على مناصب وأموال، وكلامنا
عن المؤمن الملتزم بدينه الذي لا يتنازل عن عقيدته، ومن يدخل في
خدمة الدين تطوعًا باختياره يتعرض للتَّمحيص والابتلاء، وتعرضه

(١) بحار الأنوار ج ٦٤ ص ٢٢٧ ح ٣٦ .

للابتلاءات يساهم في تكامله وصعوده في درجات الإيمان، فالإنسان حينما يُقدِّم على شيء باختياره مع علمه بالتّضحيات فإنّه يتكامل بشكل أسرع ممّن يقع عليه البلاء بدون اختيار منه .
وهذا مثل المؤمن الذي يصلّي الصلوات الواجبة فقط والمؤمن الذي يضيف بعض الصلوات المستحبّة من التّوافل أو التّطوع بصلاة ركعتين اختياريًا، والصلوات المستحبّة تسبّب حركةً وتكاملاً أكثر للمؤمن؛ لأنّه أتى بها باختياره، والتّكامل من خلال العمل الاختياريّ أكبر من التّكامل من خلال العمل الإجماليّ، والصلاة الاختياريّة تساهم في التّكامل أكثر من الصلوة الواجبة .

والمؤمن يتكامل من التّمحيص الاختياريّ أكثر من تكامله من التّمحيص الإجماليّ، ومن الممكن أنّ هذا المؤمن لا يتدخّل في العمل الاجتماعيّ أو السياسيّ، ولكنّه يتعرّض لمشاكل بسبب تمسّكه باعتقاده، ويستفيد من المشاكل في التّكامل، ومن يختار بنفسه أن يدخل العمل الاجتماعيّ أو السياسيّ وهو يدرك حجم المصاعب التي ستصادفه فإنّه يدخل التّمحيص الاختياريّ ويتكامل أكثر، والصّحابة المقرّبون للنبيّ صلّى الله عليه وآله مثل أبي ذرّ وسلمان وعمّار بن ياسر والمقداد كانوا يتصدّون باختيارهم، فيحصل عندهم التّكامل أكثر ممّن يتعرّض للمصاعب إيجاباً واضطراراً، نعم يستفيد المؤمن المحبّر المضطرّ بسبب المصاعب في التّكامل أيضاً، مثلاً إذا حُكِم عليه بالسّجن مع أنّه لم يدخل في العمل الاجتماعيّ أو السياسيّ فيستفيد من وجوده

في السجن ويتكامل، ولكن من يدخل باختياره في التّصدي ويُحْكَم عليه بالسّجن ويعلم أنّ عمله يؤدّي به إلى السّجن فإنّه يتكامل إذا استفاد من وجوده هناك، لا أن يحصل عنده تراجع ويندم من أنّه تصدّى، وإمّا يستفيد من وضعه ويتكامل ويتقرّب إلى الله تعالى أكثر ممّن دخل إلى السّجن مُجْبَرًا .

ومن يتمسّك بدينه ويختار أن يكون من أتباع أهل البيت عليهم السّلام يتعرّض للظّلم، وهذا الظّلم الواقع بعد زمان النّبّي صلّى الله عليه وآله أكثر من الظّلم الموجود في زمانه صلّى الله عليه وآله، وفي زمان النّبّي صلّى الله عليه وآله كان المؤمنون يتعرّضون للظّلم، ولكن بعد استشهاد النّبّي صلّى الله عليه وآله تعرّض المؤمنون لظلم أكبر بسبب اتّباعهم لأهل البيت عليهم السّلام، واستمرّ الظّلم عليهم إلى زماننا الحاليّ، وسيستمرّ عليهم إلى ظهور الإمام عليه السّلام .

والبعض إذا امتلك بعض الأموال وكان يعيش في راحة فإنّه يظنّ بأنّه غير مظلوم، نقول له إنّ مظلوم، والظّلم لا يُقاسُ بامتلاك الأموال وعدم امتلاكها، وإمّا يُقاسُ بالحرب العقائديّة عليك، وخاصّةً باعتقادك بأهل البيت عليهم السّلام، فمن يكون من أتباع أهل البيت عليهم السّلام فإنّه محارب في عقيدته، وهذا هو الظّلم الحقيقيّ، والإنسان حرّ فيما يعتقد، ويقع عليه الظّلم حينما يُقتلُ أو يُسجنُ أو يُعذّبُ بسبب اعتقاداته، وهو من أشدّ أنواع الظّلم حتّى لو كان يملك الأموال الكثيرة، والمؤمن الغنيّ الذي يكون متمسّكًا بعقيدته يتعرّض

لمصاعب ومشاكل من الآخرين، ويتعرض للظلم حتى لو كان يملك الملايين والمليارات، فالظلم العقائدي من أشد أنواع الظلم، بالإضافة إلى الأنواع الأخرى من الظلم .

والآن بشكل عامّ البشر مظلومون، مثلاً وسائل الإعلام والقنوات الفضائية التي تنشر الأخبار الكاذبة تظلم الناس، وهذا هو الظلم الإعلامي، وهو نوع من أنواع الظلم، فالظلم إعلامياً هو من ينشر الأكاذيب ويخفي الحقائق عن الناس ويدلس ويفتري، والمظلوم إعلامياً هو من لا يستطيع الوصول إلى الحقائق، هو يريد أن يعرف الحقائق، ولكنّه لا يستطيع الوصول إليها، ويصدق عليه "المستضعف الإعلامي"، والإنسان المخدوع حينما يكشف الحقائق تتغير نظرتّه إلى من خدعوه، ويتغير تقييمه للأمور، فهو كان يظنّ بأنهم صادقون فيما يطرحون، والظالم يعلم بأنّه يكذب، وهو يساهم في ظلم الناس، والآن الظلم الإعلامي منتشر في العالم، فالإنسان الغربيّ أو الشّرقيّ حينما يريد أن يقيّم الإسلام مقياسه هو الإرهابيون، فهذا الإرهابيّ الذي يدّعي الإسلام يساهم في الظلم الواقع على المسلمين، والغرب يستغلّ هذا الموضوع، وإعلام الغرب سيبدأ بالعمل على تشويه صورة الإسلام، ويظهر أنّ الإسلام دين الإرهاب وأنّ جميع المسلمين إرهابيون، فبدأ تشويه الإسلام من هذا الإرهابيّ، وبدأت وسائل الإعلام الغربيّ في تضخيم ما وقع من الإرهابيين، وإعلام المستكبرين يستغلّ الأحداث العالميّة بما يصبّ في مصالح الدّول المستكبرة .

وأتباع أهل البيت عليهم السّلام يُظلمُونَ، والفضائيات التي تطرح الأكاذيب عن أتباع أهل البيت عليهم السّلام ينخدع بها كثير من المسلمين، وحينما يتوجّه الإرهابيون إلى الحرب على بعض الأنظمة يظنون بأنهم قد ذهبوا إلى فلسطين المحتلة أو أنّ هذه الحرب طريق إلى تحرير فلسطين .

ولو كانت وسائل الإعلام تطرح الحقائق لما وصلت البشرية إلى ما وصلت إليه اليوم من ظلم بحيث إنّ الإنسان يظلم أخاه الإنسان ويقتله ويذبحه ويفجّره، ولو أراد الإنسان أن يصل إلى الحقيقة فلا يمكنه ذلك، وقد يصل القليل جدًّا من الناس إلى الحقائق؛ لأنهم لا ينخدعون بوسائل الإعلام، والظلم الإعلامي نوع من أنواع الظلم .

إذن :

الفرد المؤمن يتحمّل التّضحيات والمشاقّ والابتلاءات والمصاعب في سبيل التّمسك بالإسلام بما يبذله في التّمحيص الاختياريّ من جهود في خدمة الدّين تطوُّعًا واختيارًا، ويدخل في العمل الاجتماعيّ والسياسيّ باختياره، فيقع عليه من أعدائه القهر والمخاربة والسّجن والإعدام والظلم بسبب إيمانه وعقيدته، والمشاقّ بالحجم الموجود اليوم لم تكن موجودةً في عصر النّبيّ صلّى الله عليه وآله .

الإغراءات التي تقع في طريق المؤمنين :

المؤمن الذي يتمسك بعقيدته تكون أمامه الكثير من الإغراءات النَّاتجة من المصالح والرّغبات الشّخصيّة، وخاصّةً في زماننا حيث توجد

إغراءات كثيرة لم تكن موجودةً من قبل، فقبل خمسين سنة لم تكن الإغراءات بالحجم الموجود اليوم، فلا بدّ من أن يقف أمامها بحيث لا ينجرّ خلفها ويقع في المصيدة، والحكّام الظالمون يتبعون سياسة التّريغيب والتّرهيب، ويقدمون للمعارضين إمّا السّجن والإعدام وإمّا المال، والمتمسّك بعقيدته أمامه خياران : السّجن أو المال، وإذا كان متمسّكاً بعقيدته حقّاً فإنّه يقبل السّجن، ولا يسير خلف الحاكم الظّالم .

يقول القرآن الكريم عن يوسف عليه السّلام :

" قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ . . . " (١) .

وهذا نوع من الامتحان للإنسان المؤمن المتمسّك باعتقاده بأهل البيت عليهم السّلام، وأمّا الشّخص غير المتمسّك بعقيدته فيحصل على الشّهرة بحيث إنّ الجرائد تنشر صورته كثيراً، ويحصل على الأموال والمناصب والقوّة والرّاحة، والمؤمن المتمسّك بعقيدته لا يحصل على شيء إلاّ السّجن أو الإعدام أو المصاعب في حياته إلاّ أن يتنازل عن عقيدته، فإذا تنازل فإنّه يحصل على الكثير من الدّنيا، وهذا كلّه يقع ضمن التّمحيص والابتلاء والامتحان الإلهيّ للبشريّة بشكل عامّ وللمؤمنين بشكل خاصّ .

وهذا التّمحيص مطلوب لإنتاج أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام، وكلّ ما يقع من أحداث فإنّه يساهم في إنتاج الأنصار، وهذه قاعدة

(١) يوسف : ٣٣ .

اجعلها بيدك، فكلّ ما يقع من أحداث يظن أعداء الدّين من أنّه سيقضي على المؤمنين، وهم يقومون بتشويه سمعة المؤمنين، ولكن كلّ عمل يقوم به أعداء الدّين يساهم في تمسّك المؤمنين بعقيدتهم أكثر، وحينما تنكشف الأكاذيب أمام النّاس فالبعض سيقفون مع المؤمنين ويدخلون معهم في معارضة الحاكم الظّالم، ونرى الآن انتشار اتّباع أهل البيت عليهم السّلام في العالم، والطّرف الآخر يشتكي من أنّهم بدأوا يتشيّعون، ويحاولون أن يقفوا أمام هذا التّيّار، ويطلقون عليه المدّ الشّيعيّ والهلّال الشّيعيّ وأسماء أخرى .

وتوجد عوامل قوّة في مدرسة أهل البيت عليهم السّلام، فوجود المرجعيّة الرّشيّدة يمثّل عامل قوّة، والمدارس الأخرى تفتقد هذا العامل، ووجود الخمس والاستقلال الاقتصاديّ يشكّل عامل قوّة أيضًا، والاعتماد على العقل عامل قوّة أيضًا، ولا توجد أحكام دينيّة تتعارض مع العقل، وأعداء مدرسة أهل البيت عليهم السّلام يحاولون تشويه عوامل القوّة، فيقومون بالطّعن في المرجعيّة، ويشوّهون مسألة الخمس، ويدخلون في مناقشة بعض المسائل الفرعيّة حتّى لا يلتفت النّاس إلى المسائل الرّئيسة، وعوامل القوّة في مدرسة أهل البيت عليهم السّلام لا توجد في أيّ دين أو مذهب أو مدرسة أخرى، ونعتقد أنّ أهل البيت عليهم السّلام يمثّلون الإسلام، فلا بدّ من أن تشتمل مدرستهم على عوامل قوّة، وأن يكون الدّين قويًّا، والدّين الضّعيف ينتهي مع مرور الوقت .

ومع المصاعب التي مرّت على أهل البيت عليهم السّلام وأتباعهم كان المفروض أن تنتهي هذه المدرسة، ولكن لحدّ الآن هذه المدرسة تسير بقوة بسبب العوامل الدّاتيّة الموجودة فيها، والأديان والمذاهب الأخرى تفتقد هذه العوامل، ونحن نتمسّك بهذه العوامل بقوة، فتمسّك بخطّ المرجعيّة الرّشيدة ومراجعنا العظام، ونصرّ على الاستقلال الاقتصاديّ عن طريق الأخماس وغيرها من الحقوق الشرعيّة، والاستقلال الاقتصاديّ لأتباع مدرسة أهل البيت عليهم السّلام هو الذي حفظهم عبر التاريخ، فلا نحتاج إلى أحد نأخذ منه الأموال، فالتمويل ذاتيّ، ولا نحتاج إلى التمويل الخارجيّ من أحد، وداخل البيت الشّيوعيّ يجب على المؤمنين الالتزام بحكم وجوب الخمس، وهذا الآن موجود بين المؤمنين بحيث لا نحتاج إلى أحد من خارج البيت الشّيوعيّ ليمدّنا بالأموال .

شعور المؤمن في عصر الغيبة بالمسؤوليّة :

من يعتقد بالإمام المهديّ عليه السّلام لا بدّ من أن يكون مستعدّاً للتّضحيات؛ حتّى يمكنه أن يصل إلى مرتبة الأنصار، والحياة ليست سهلة، ومن يريد أن يكون من الأنصار لا بدّ من أن يعيش المرّ والعناء، وإذا كانت حياته سهلةً ويعيش براحةً ولا يشعر بأيّ ضيق ولا يشعر بالظلم العقائديّ والظلم الإعلاميّ الواقعيّ عليه ولا يشعر بأنّه محارب مثل هذا الشخص لا يمكن أن يصبح من الأنصار، فليس المهمّ فقط أن تعيش مرتاحًا، فهناك مؤمنون في أماكن أخرى غير

مرتاحين، فلا بدّ من أن تشعر بمشاعرهم، وتهتمّ بأحوالهم، وتسعى في قضاء حوائجهم .

عن النبيّ صلى الله عليه وآله : "من أصبح لا يهتمّ بأمور المسلمين فليس بمسلم" (١) .

والإنسان لا يعيش الأنايّة بحيث إنّه إذا كان مرتاحًا فلا يهتمّه أن يعيش الآخرون في راحة أو لا يعيشون في راحة، وإذا كان يعيش هذه الحالة فلا بدّ من أن يراجع نفسه إذا أراد أن يصبح من الأنصار، والعيش في راحة لا يؤهل المؤمن لأن يصل إلى درجة الأنصار، ولا يمكن للمؤمن قبل الظهور أن يكون مرتاحًا، فراحة المؤمن تكون في ظهور إمامه عليه السّلام .

والمؤمن عنده إحساس بالآخرين، وهذا الشعور مهمّ للإنسان المؤمن، فيشعر بمشاعر المظلومين وإن لم يكونوا مسلمين، مثلاً شخص بوذيّ مظلوم، المؤمن يشعر به؛ لأنّ المؤمن لا يقبل بوقوع الظلم على أيّ إنسان، بل لا يقبل بوقوع الظلم حتّى على الحيوان وعلى الأرض، والأرض التي تزرع بالمخدرات يقع الظلم عليها من هذا الزارع، والله تعالى جعل الأرض لإنتاج المحاصيل الزراعيّة النّافعة للبشر، فإذا زرع شخص هذه الأرض بالمخدرات فإنّه يكون قد ظلمها وظلم الناس الذين يمكن أن يستفيدوا من إنتاجها النّافع، فوظيفة الأرض ليست إنتاج المخدرات، فالظلم لا يقتصر في وقوعه على الإنسان، بل يقع

(١) الكافي ج ٢ ص ١٦٣ ح ١ .

على الحيوان والجماد والأرض، والمؤمن لا بدّ من أن يشعر بوقوع الظلم على أيّ شيء، فالأرض تشعر، وهي كائن حيّ، ولكن لا نفقه تسييحها .

"تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا" (١) .
والمؤمن إذا صَلَّى في بقعة فإنّ الأرض التي صَلَّى عليها تشهد له يوم القيامة .

عن أبي ذر الغفاريّ في حديث وصيّة النبيّ صَلَّى الله عليه وآله :
"يا أبا ذرّ، ما من رجل يجعل جبهته في بقعة من بقاع الأرض إلا شهدت له بها يوم القيامة، يا أبا ذرّ، ما من صباح ولا رواح إلا وبقاع الأرض ينادي بعضها بعضا : يا جارة، هل مرّ بك اليوم ذاكر لله عزّ وجلّ أو عبد وضع جبهته عليك ساجدًا لله تعالى ؟، فمن قائلة : لا، ومن قائلة : نعم، فإذا قالت : نعم - اهتزت وانشرفت، وترى أنّ لها الفضل على جارّتها" (٢) .

عن الإمام الصادق عليه السّلام : "صلّوا في المساجد في بقاع مختلفة؛ فإنّ كلّ بقعة تشهد للمصلّي عليها يوم القيامة" (٣) .

الأرض ليست جمادًا بلا شعور وإحساس، بل لها نوع خاصّ من

(١) الإسراء : ٤٤ .

(٢) بحار الأنوار ج ٧٩ ص ٢٣٤ .

(٣) وسائل الشّيعّة ج ٣ ص ٤٧٤ ح ٧ .

الإحساس بكيفية خاصّة وطريقة معيّنة يختلف عن إحساس الإنسان والحيوان، وبعد الظهور أنصار الإمام عليه السّلام حينما يمشون على الأرض فالأرض تشعر بسعادة من مشي هؤلاء عليها، وتفخر بمشيهم عليها، وتضجّ من مشي الظّالمين والفاستدين والفاستقين عليها .

عن الإمام الباقر عليه السّلام : " كَأَنِّي بِأَصْحَابِ الْقَائِمِ وَقَدْ أَحَاطُوا بِمَا بَيْنَ الْخَافِقِينَ، لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَهُوَ مُطِيعٌ لَهُمْ، حَتَّى سَبَّحَ الْأَرْضَ وَسَبَّحَ الطَّيْرُ تَطَلُّبَ رِضَاهُمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى تَفْخَرَ الْأَرْضُ عَلَى الْأَرْضِ وَتَقُولَ : مَرَّ بِي الْيَوْمَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ الْقَائِمِ " (١) .

فالأرض لها كيفية خاصّة من الإحساس، وكلّ شيء في الكون له إحساس بما فيه الجمادات، بل عندها نوع من التّعقل الخاصّ بها .
يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

"إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا . . ." (٢) .

كيف يعرض الله تعالى الأمانة على السّماوات والأرض والجبال إذا لم يكن لها إحساس وتعقل !؟

وكيف ترفض هذه الأمانة إذا لم يكن عندها شعور وإدراك وفهم !؟
وقد عرفت عظم وكبر هذه الأمانة، لذلك رفضت، والقبول والرفض يكونان من العاقل، ولا تُعرضُ الأمانة على من لا عقل له، ولا

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٢٧ ح ٤٣ .

(٢) الأحزاب : ٧٢ .

تُعْرَضُ على من لا يكون عنده شعور وإحساس، فالجمادات لها نوع من الإحساس والتعقل الخاص بها .

إنّ من يعتقد بالإمام عليه السّلام يتعرّض للمصاعب والمشاقّ والتّضحيات، وهو يؤمن بأمر غيبيّ؛ لأنّه لم يرَ الإمام عليه السّلام، ويؤمن بطول الغيبة، وطول غيبة الإمام عليه السّلام يؤثّر على البعض بسبب التّشكيكات بطول عمره عليه السّلام، وتُذكّر بعض الأدلّة لإثبات طول العمر، منها أنّ نوحًا عليه السّلام عاش ٢٥٠٠ سنة، ويوجد غيره من الذين طالت أعمارهم؛ لكي تقنع الآخرين بأنّ طول العمر ممكن غير مستحيل، ومن الطّبيعي أن يأتي هذا التّساؤل إلى الأذهان، وهذا التّساؤل له جواب مقنع .

والمؤمن يعتقد أنّ الإمام عليه السّلام يطّلع على صحائف أعمال جميع النّاس، وأنّ صحائف أعماله تُعرّض على الإمام عليه السّلام، لذلك يشعر المؤمن بالمسؤوليّة المضاعفة؛ لأنّ صحيفة أعماله تُعرّض على إمامه عليه السّلام، ويريد أن يكون ملقّه ملقًا أبيض خاليًا من المعاصي، وهذا يعطيه رقابة دائمة على أعماله بحيث يراقب تصرّفاته طوال اليوم حتّى لا يرتكب أيّ معصية، وإذا عاش المؤمن هذا الشّعور وهذه الرّقابة فإنّه يصل تدريجيًّا إلى مرتبة الأنصار، ولكن إذا لم يهتمّ بعرض أعماله على الإمام عليه السّلام فإنّه من الممكن أن يرتكب المعاصي ولا يشعر بالمسؤوليّة، ومثل هذا الشّخص لا يمكن أن يصل إلى درجة الأنصار، فالرقابة الدّائيّة الدّائمة مطلوبة من المؤمن، وعليه

أن يحاسب نفسه حساباً لحظياً في كل لحظة لحظة، فعنده رقابة ذاتية دائمة ومحاسبة نفسه حساباً لحظياً، ويتكامل من خلال المراقبة والمحاسبة، فالمؤمن يكون مراقباً لنفسه ومحاسباً لها دائماً، ففي كل لحظة قبل الإقدام على أي عمل يفكر هل أن هذا هو تكليفه الشرعي أو لا، فإذا كان تكليفه فيُقدّم عليه، وإذا لم يكن تكليفه يتركه .

ويسأل نفسه : هل هذا العمل يقربني إلى الله تعالى أو لا يقربني ؟

وهل هذا العمل يساهم في تكاملي أو لا يساهم ؟

وهكذا يكون المؤمن تحت المراقبة الذاتية والمحاسبة اللحظية، ولا بد من أن يلتفت إلى التقرب إلى الله تعالى والتكامل والصعود في درجات الإيمان، ومثل هذا المؤمن من الممكن أن يصل إلى مرتبة الأنصار؛ لأنه يعيش المسؤولية أثناء غيبة إمامه عليه السلام .

ومن يشعر بالمسؤولية والرقابة والمحاسبة سيقوم بالأعمال الصالحة على المستوى الشخصي الفردي وعلى المستوى الاجتماعي الجماعي؛ لأجل أن يكون عند حسن ظن إمامه عليه السلام، فيوجد تكليف على المؤمن على المستوى الفردي وعلى المستوى الاجتماعي، والمؤمن يهتم بما يجري في مجتمعه، ويحاول أن يساهم في هداية الآخرين بقدر الإمكان، وأن ينشر الدين بقدر المستطاع، ولا يكون المؤمن إنساناً سلبياً تجاه ما يجري في المجتمع المحلي والإقليمي والعالمي، والإنسان السلبى لا يمكنه أن يصل إلى مرتبة الأنصار، والإنسان السلبى هو

الإنسان الذي يعيش الأنايية ويهتم بأموره فقط، ولا يهتم بما يجري في العالم من أحداث، فيستيقظ صباحًا ويذهب إلى مقرّ وظيفته ويرجع إلى البيت ويتغدّى ويناوم ثمّ يذهب إلى الديوائيية ليلاً ويرجع إلى بيته ويناوم، ويعيد نفس برنامجه في كلّ يوم، ولا يهتمّ انتشار الدّين في العالم، ولا يهتمّ بأنّ يصبح المسلمون أقوياء، ولا يقع تحت نظره أنّ المؤمنين يمهدون لظهور إمامهم عليه السّلام، ولا يهتمّ ظهر الإمام عليه السّلام أو لم يظهر، انتشر العدل في العالم أو لم ينتشر، كلّ هذا ليس من اهتماماته، ومثل هذا الشّخص لا يمكن أن يصل إلى مرتبة الأنصار، نعم إذا كان يقوم بالواجبات ويتعد عن المحرّمات ينجو يوم القيامة، ولكنّه لا يكون في الدّرجات العليا من الجنّة، والمقدار الذي يقوم به مطلوب من المؤمن، ولكنّ المطلوب أكثر من هذا المقدار لأجل أن يصل إلى مرتبة الأنصار، ويساهم في ظهور الإمام عليه السّلام، ويساعد الإمام عليه السّلام في نشر العدل في العالم، والمطلوب من المؤمن ضمن تكليفه أن يساهم في نشر دينه، والمطلوب أيضًا من المؤمن أن يطلب العلم، ومن بديهيات الدّين أنّ طلب العلم فريضة على كلّ مسلم ومسلمة، وأن يكون طالبًا للعلم بجدّ، ولا يكون طلب العلم بناءً على المزاج، فمن تكاليف المؤمن أن يطلب العلم، والهدف من العلم أنّه طريق إلى العمل، ولا يمكن أن يعمل الإنسان بلا علم سواء في العلوم الدّينيّة أم العلوم الدّنيويّة، ولا يمكن للشّجرة الميئة أن تثمر، والمؤمن لا يمكن أن يكون إنسانًا ميئًا، فالمؤمن

حيّ دائماً، فيؤثّر ويتأثّر، ولا يمكن أن يؤثّر في الآخرين بدون علم، وليس همّ المؤمن في طعامه وشرابه ونومه فقط بحيث لا يهّمه أن يتكامل، ولا يهّمه أن ينتشر الدّين أو لا ينتشر .

ونسأل : كم من المؤمنين يسعون إلى طلب العلم ؟

وكما أنّ تكليف المؤمن أن يصلّي ويصوم فتكليفه أيضاً أن يطلب العلم وأن ينشره وأن يساهم في هداية الآخرين، فعلى المؤمن أن يعرف تكاليفه على المستوى الشّخصيّ والمستوى الاجتماعيّ، وأن يؤدّيها حتّى يتقرّب إلى الله تعالى ويتكامل، ويحصل على رضا إمام زمانه عليه السّلام، وإذا رضي الإمام عليه السّلام عنه فإنّه عليه السّلام سيلتفت إليه، ومن الممكن أن يختاره ليكون أحد أنصاره، والإنسان اللّامبالي لا يلتفت إليه الإمام عليه السّلام، والإمام عليه السّلام لا يختار شخصاً لا يهتمّ بانتشار دينه ولا يهتمّ بنشر العدل في العالم، والمؤمن الذي يكون عادلاً ويهتمّ بنشر العدل يختاره الإمام عليه السّلام ليكون فيما بعد من أعوانه وأنصاره الذين يساعدونه في نشر العدل في العالم .

إذن :

المؤمن المتمسّك بدينه والذي يريد أن يكون من الأنصار لا بدّ من أن يلتفت إلى مسؤوليّاته على المستوى الفرديّ والمستوى الاجتماعيّ، ويؤدّي تكاليفه على المستويين، وكما أنّه توجد تكاليف على المؤمن في الأعمال الفرديّة، كذلك هناك تكاليف على المؤمن في الأعمال

الاجتماعية، ولا بدّ للمؤمن من أن يعرف التكليف في المجالين ويأتي بها، فيتكامل ويقترّب من الله سبحانه .

وبواسطة العلم يمكنه تحديد تكليفه، وعلى أساس تحديد التكليف يمكنه أن يعمل ويتحرّك، والتحرّك لا يكون عشوائياً أو على أساس أنّ صديقي تحرّك فأنا أتحرّك، نعم إذا تحرّك صديقي على أساس تكليفه واقتنعت به فأنا أتحرّك .

وإذا وصل المؤمن إلى أنّ هذا تكليفه فكما يتحرّك في أول العمل بحماس لا بدّ من أن يتحرّك بنفس الحماس بل بأكثر في آخر العمل، لا أنّه في بداية العمل مجموعة من المؤمنين يعملون بحماس، وبعد سنة ترى أنّهم أصبحوا شخصين بعد أن كانوا عشرين شخصاً .

وفي بداية العمل قد لا يلتفتون إلى أنّ هذا تكليف شرعيّ عليهم، وأنّ هذا التكليف مطلوب منهم، ولم يلتفتوا إلى أنّ عملهم مرتبط بالإمام عليه السّلام، وهذا الالتفات في جميع الأعمال أمر ابتدائيّ في بداية العمل، وأمر استمراري أيضاً مع استمرار العمل، لا أنّه في بداية العمل يلتفت إلى الإمام عليه السّلام ثمّ يغفل مع استمرار العمل، فإذا كان الالتفات إلى الإمام عليه السّلام أمراً استمراريّاً فالمفروض أن لا يقلّ الحماس للعمل، بل على العكس لا بدّ من أن يكون الحماس أكثر، ولكنّ الملاحظ في الأعمال الاجتماعية عدم استمرار العمل عند المؤمنين بحماس كالحماس الذي كان موجوداً في بداية العمل، فيبدأ العمل بمجموعة كبيرة من المؤمنين، وبعد ذلك يقلّ العدد

تدريجياً، وبعضهم يترك العمل، والبعض يقلّ حماسه، ويظلّ العمل على أفراد معدودين لا يتجاوزون عدد الأصابع، ونرى أنّ من يتزوَّج يترك العمل، ولو كان مقتنعاً بالعمل فلماذا يترك العمل بعد زواجه مع أنّ هذا التّكليف عليه سواء كان أعزّب أم متزوَّجاً؟!

وفكرة العمل الاجتماعيّ وشروط العمل الاجتماعيّ وشروط العامل ليست واضحةً عند جميع العاملين، والعامل قبل الدّخول في العمل الاجتماعيّ لا بدّ من أن يعرف شروط العمل وشروط العامل، والشّروط لا بدّ من أن تكون واضحةً عند كلّ من يريد أن يدخل أيّ عمل اجتماعيّ، ومن خلال العمل الاجتماعيّ يريد أن يتقرّب إلى الله تعالى ويتكامل بشكل أسرع، ومن خلال تكامله يصل إلى مرتبة أنصار الإمام عليه السّلام، والأمر ليس عشوائياً، فكما أنّ الإنسان يخطّط لحياته المادّيّة، كذلك عليه أن يخطّط لحياته المعنويّة، فإذا أراد أن يكون من أنصار الإمام عليه السّلام فعليه أن يخطّط للوصول إلى مرتبة الأنصار، والعمل العشوائيّ بدون تخطيط لا يؤدّي إلى تحقيق هذا الهدف، فكما يخطّط لحياته المادّيّة كالحصول على الشّهادة الجامعيّة والوظيفة الجيدة والاقتران بزوجة صالحة والحصول على بيت مناسب والحصول على أولاد، كذلك لا بدّ من أن يخطّط لحياته المعنويّة، فيفكر في :

كيف يمكنه أن يحصل على رضا الله تعالى من جميع أعماله ؟
وكيف يمكنه أن يتكامل من خلال أعماله ؟

والإنسان جسد مادّي وروح غير مادّيّة، وأساس الإنسان هو الرّوح،
والآن التّركيز الرّئيس على الجسد فقط، ومعظم النّاس يركّزون على
الجانب المادّي فقط، ويعيشون الحياة المادّيّة فقط، ويغفلون عن
الجانب المعنويّ، ويغفلون عن أرواحهم، والرّوح هي أساس الإنسان،
فيبحثون عن زيادة المعاش والبيت الأوسع والتّوسعة على الأولاد وملء
الثّلاجة دائماً بأنواع الطّعام والسّفرة في كلّ عطلة، ولكن لا يفكّر أنّه
من ناحية معنويّة ماذا يقدّم لنفسه وزوجته وأولاده؟!!

وكأنّ دور الأب والأمّ يقتصر على إطعام أولادهم بالطّعام المادّي
فقط، ولا يفكّران في أنّ الأطفال يحتاجون إلى النّاحية المعنويّة،
ويكبرون وهم فاقدون للتّواحي المعنويّة في حياتهم .

وفكرة أن يكون المؤمن من الأنصار لا بدّ من أن تنتقل إلى الأجيال
القادمة جيلاً بعد جيل، بحيث نحصل على تكامل الأجيال، فالجيل
اللاحق لا بدّ من أن يكون أكمل من الجيل السّابق؛ لكي يمهّد
الأرضيّة لظهور الإمام عليه السّلام أفضل من الجيل السّابق، ولكن
للأسف أنّ هذا لم يتحقّق، بل على العكس يوجد تسافل للأجيال،
فبشكل عامّ كلّ جيل أسوأ من الجيل الذي يسبقه، وذلك لأنّهم لم
يحصلوا على التّربية المناسبة بإعطائهم فكرة ظهور الإمام عليه السّلام
والتمهيد لظهوره، ولم يحصلوا على التّواحي المعنويّة التي تجعلهم يعملون
لظهور الإمام عليه السّلام، والإغراءات المادّيّة كثيرة حول النّاس،
والنّاس يسرون خلف المغريات بلا تفكير، والأجهزة الحديثة تُعبّر من

الإغراءات، وإذا لم يربط الإنسان هذه الاختراعات بالإيمان بالله تعالى فإنّه ينحرف .

ومن يعتقد بالإمام المهديّ عليه السّلام نسأله :

ماذا فعلت لأجل ظهور إمامك عليه السّلام مع نفسك وأهلك ومع المسلمين وغير المسلمين ومع العالم ؟ وماذا أعددت لظهور إمامك عليه السّلام ؟

وإذا كان الاعتقاد بالإمام عليه السّلام اعتقادًا راسخًا في النّفس فالمفروض أن يكون مستوى العمل مساويًا لمستوى الاعتقاد، ويكون مقدار العمل بقدر الاعتقاد، وأمّا إذا كان الاعتقاد بالإمام عليه السّلام مجرد فكرة في الدّهن على نحو التّصوّر الذهنيّ فإنّ هذا الاعتقاد يظلّ في حيّز الدّهن ولا يتحوّل إلى عمل .

وكثير من القضايا الدّينيّة يعيشها النّاس كتصوّرات ذهنيّة فقط، لذلك لا تتحوّل إلى عمل، ولا يعيشون القضايا الدّينيّة كاعتقادات في القلب، بل تظلّ في حيّز التّصوّرات الذهنيّة، والتّصوّرات الذهنيّة لا تحرك الإنسان إذا لم تتحوّل إلى عقائد راسخة في القلب .

سؤال : هل تحرك المؤمن الآن في زماننا على النحو المطلوب ؟

الجواب :

إنّ تحرك المؤمن اليوم ليس بالمستوى المطلوب، ولو كان بالمستوى المطلوب لظهر الإمام عليه السّلام، ولا توجد مشكلة من جهة الإمام عليه السّلام، وإنّما المشكلة موجودة في المؤمنين، فلو كنّا نعيش الإيمان

على أساس الاعتقادات القلبية وكان العمل متناسباً مع هذه الاعتقادات القلبية لظهر الإمام عليه السلام؛ لأنّ المؤمنين المعتقدين به والبشريّة لا بدّ من أن يكونوا مستعدّين للظهور، وخاصّةً المعتقدون به لا بدّ من أن يكونوا مستعدّين للظهور، ومستعدّين للتّضحية في سبيل نصره الإمام عليه السلام، ولكنّ الآن المؤمنون بشكل عامّ يعيشون قضية الإمام المهديّ عليه السلام كتصوّر ذهنيّ، وجميع المؤمنين عندهم هذه الفكرة وهذا التّصوّر الذهني، ولكن كم من المؤمنين يعملون ويتحرّكون بمستوى هذا التّصوّر الذهنيّ!؟

يعمل المؤمنون ويتحرّكون بشرط أن يتحوّل هذا التّصوّر الذهنيّ إلى اعتقاد راسخ في القلب، وأمّا إذا ظلّت قضية الإمام المهديّ عليه السلام كتصوّر ذهنيّ فإنّها لا تسبّب أيّ حركة عند الإنسان، والدليل هو قلة الحضور عند العلماء، فالعلماء يطرحون المواضيع المهمّة وخاصّةً قضية الإمام المهديّ عليه السلام، ومن الممكن أن يتكلّم العلماء عن هذه القضية في آلاف المحاضرات .

وتوجد جوانب كثيرة يمكن تناولها، منها الناحية التاريخيّة، فنبداً من قبل ولادة الإمام المهديّ عليه السلام، ونتكلّم عن تمهيد الإمامين الهاديّ والعسكريّ لغيبة الإمام المهديّ عليهم السلام، وكانا عليهما السلام يغيبان عن الظهور أمام النّاس لفترات معيّنة، ويمكن ذكر الفوائد الكثيرة التي يمكن استفادتها من الأحداث التاريخيّة، ويمكن الحديث عن الأحداث التاريخيّة إلى زماننا وإلى الظهور وما يحدث بعد

الظهور، ويمكن أن نتكلّم في مئات المحاضرات عن النّواحي التّاريخيّة المرتبطة بالإمام المهديّ عليه السّلام .

ولا نريد فقط طرح أفكار للنّاس، بل نرغب أن تتحوّل الأفكار إلى عقائد راسخة في القلوب، وتترتّب الأعمال على هذه العقائد بعد ترسخها في القلب، وتكون الأعمال متناسبةً مع الاعتقادات، والاعتقادات لا بدّ من أن تتحوّل من تصوّرات إلى تصديقات، فتحوّل من تصوّرات ذهنيّة إلى اعتقادات قلبيّة، والاعتقادات القلبيّة لا بدّ من أن تتحوّل إلى أعمال خارجيّة، وإذا تحوّلت إلى اعتقادات قلبيّة فإنّ الإنسان يتحرّك بشكل طبيعيّ بدون أيّ تكلف وتصنّع، وتكون الأعمال الخارجيّة نتيجة طبيعيّة للاعتقادات الرّاسخة، والثّمار الصّالحة تنتج من الشّجرة الرّاسخة، وإذا كانت الشّجرة الصّالحة موجودةً عنده فإنّها تثمر، والثّمر يكون ثمرًا طبيعيًّا ناتجًا من الشّجرة الصّالحة الرّاسخة، فالثّمار الصّالحة تكون ثمارًا طبيعيّةً ناتجةً من الاعتقادات الرّاسخة في قلب المؤمن، لذلك لا بدّ من أن نرسخ الاعتقادات، وخاصّةً الاعتقاد بالإمامة، وهو الاعتقاد الذي يميّز أتباع أهل البيت عليهم السّلام عن غيرهم .

وقضيّة الإمامة لا بدّ من أن تُدرّسَ بشكل تفصيليّ؛ لكي يعرف المؤمن تفاصيل هذا الاعتقاد، وتترتّب عليها آثار عمليّة كثيرة، ويريد أن يعرف كيف يكون مأمومًا لإمامه عليه السّلام، والإمامة تحتاج إلى أتباع، وبدون الاتّباع الكامل لا يكون الشّخص مأمومًا ولا يكون

الإمام إمامًا له، مثلًا في صلاة الجماعة المأموم ينسّق حركاته مع إمام الصلاة، ويكون متبّعًا له، ومع الإمام المعصوم عليه السّلام حتّى نكون مأمومين له لا بدّ من أن ننسّق معه، وإذا كان الشّخص يعيش حياته بدون اتّباع للإمام عليه السّلام فلا يكون من أتباعه حتّى لو كان في تصوّره الذّهنيّ أنّه يعرف أنّ هذا إمام له، ولكنّه لم يحوّل هذا التّصوّر الذّهنيّ إلى اعتقاد قلبيّ راسخ، وتصوّره الذّهنيّ للإمامة لا تنتج عنده شيئًا بدون تحويله إلى اعتقاد راسخ في قلبه، وتظلّ الإمامة في حيّز التّصوّر الذّهنيّ فقط، ويذهب إلى عالم البرزخ وهذا التّصوّر الذّهنيّ يتركه مع الجسد، وينتقل إلى عالم البرزخ بدون الإمامة .

وفي الرواية أنّ بعض النّاس ظاهرهم الإيمان في الدّنيا، ولكنّهم يحشرون كفارًا .

عن الإمام جعفر الصّادق عليه السّلام : " . . . فما أكثر من يشهد له المؤمنون بالإيمان ويجري عليه أحكام المؤمنين وهو عند الله كافر . . . " (١) .

لا أنّه لا يعتقد بالإمامة فقط، بل لا يعتقد بالله تعالى؛ لأنّه كان يعيش الألوهيّة كقول على لسانه وتصوّر ذهنيّ لا كاعتقاد راسخ، فيُحشّر بدون اعتقاد بالألوهيّة، فالعقائد إذا لم تتحوّل إلى اعتقادات راسخة في القلب فإنّ الإنسان يترك هذه العقائد خارج القبر، وينتقل إلى عالم البرزخ بدون هذه الاعتقادات .

(١) الكافي ج ٢ ص ٣٩ ح ٨ .

وبالنسبة للمؤمنين الاعتقاد بالإمامة أمر مهمّ جدًّا، ويمكن التحدّث عن الإمامة في مئات بل آلاف المحاضرات، وليس الهدف من المحاضرات الكلمات والأفكار والتصورات الذهنيّة فقط، بل الهدف هو أن نعتقد بالإمامة ونكون من أتباع الأئمّة عليهم السلام ونستق معهم ونقوم بالأعمال بناءً على هذا الاعتقاد، وكلّ عمل يقوم به المؤمن لا بدّ من أن يكون مبنياً على اعتقاده بالإمامة، فيكون مأمومًا لإمامه عليه السّلام .

وبحث الإمامة بحث مهمّ جدًّا، وجانب منه هو محاضراتنا عن "تكاليف المؤمن في عصر الغيبة"، وهو جزء من موضوع الإمامة، ومعرفة التكاليف في عصر الغيبة مهمّة للمؤمن؛ حتّى تكون حركته مبنيةً على تكاليفه، ومهدّ الأرضيّة لظهور الإمام عليه السّلام، ويصبح من أنصاره قبل ظهوره وبعد ظهوره عليه السّلام، وإذا لم يعرف كيف يكون من الأنصار فلا يمكنه أن يصل إلى هذه المرتبة، والأمر ليس عشوائياً، وليس من باب حظّك يا نصيب، فالشّخص لا يصبح من الأنصار صدفةً، ولا يختاره الإمام عليه السّلام بشكل عشوائيّ، فمن يريد أن يصبح من الأنصار فإنّه يحتاج إلى بذل جهود كبيرة والقيام بأعمال كثيرة، وقبل ذلك يحتاج إلى علم عن كفيّة الوصول إلى مرتبة الأنصار، ويحتاج إلى معرفة تكاليفه في عصر الغيبة والإتيان بها، وبذلك يكون تابعًا ومقتديًا ومأمومًا لإمامه عليه السّلام قبل الظهور، ومن يكون مقتديًا بإمامه عليه السّلام قبل الظهور فإنّه يكون مؤهلاً

لأن يكون مقتدياً به عليه السّلام بعد الظّهور، ويكون بعد الظّهور من أنصاره وأعوانه ومن المجاهدين تحت لوائه ومن المستشهدين بين يديه، وموضوعنا موضوع مهمّ جدّاً حتّى يمكن للمؤمن أن يعرف تكاليفه في عصر الغيبة، ويطبّق تكاليفه حتّى يمكنه أن يصل إلى مرتبة أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطيّبين الطّاهرين .

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

(٥٦)

المؤمن والزمان الحالي والمستقبلي^(١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين .

عن النبي صلى الله عليه وآله : "طوبى لمن أدرك قائم أهل بيتي وهو مُقْتَدٍ به قبل قيامه، يتولّى وليّه، ويتبرأ من عدوّه، ويتولّى الأئمّة الهادية من قبله، أولئك رفقائي وذوو ودي ومودّتي وأكرم أمّتي علي" ^(٢) .

يكون تابعا للإمام المهدي عليه السلام قبل ظهوره، ومن مصاديق الاقتداء أن يتولّى وليّه، ويتبرأ من عدوّه، ويتولّى الأئمّة الهادين قبل الإمام المهدي عليهم السلام، وتكون النتيجة أنّ هؤلاء يكونون رفقاء النبي صلى الله عليه وآله، ويحصلون على وده ومودّته صلى الله عليه وآله، ويكونون أكرم أمّته عليه صلى الله عليه وآله .

(١) أُلْفِيَتْ هذه المحاضرة في الديوانيّة الأسبوعيّة في دولة الكويت منطقة

بيان، الجمعة ٤ شعبان ١٤٣٤ هـ ، ١٤/٦/٢٠١٣ م .

(٢) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٥٢-٥٣ ح ٢٥ .

كان الكلام في تكاليف المؤمن في عصر الغيبة الكبرى، ومن هذه الرواية نرى بأن المطلوب من المؤمن الاقتداء بأهل البيت عليهم السلام قبل الظهور، فالمؤمن يدرك الإمام عليه السلام وهو مُقْتَدٍ به من قبل، وإذا أراد أن يقتدي به من قبل فلا بدّ من أن يعرف موارد الاقتداء وكيفية الاقتداء، فعليه أن يعرف تكاليفه على المستوى الفردي وعلى المستوى الاجتماعي، فعلى المستوى الفردي المطلوب منه عبادات معيّنة وأعمال خاصّة فرديّة، ولكنّ المطلوب أيضاً من المؤمن الحركة على المستوى الاجتماعي، لا أن يكون منعزلاً عن مجتمعه تماماً، وطرحنا سابقاً مسألة العمل الاجتماعي ومسألة العزلة ضمن الأحكام الشرعيّة، ويوجد في بعض الحالات وجوب العزلة، وفي بعض الحالات وجوب العمل، والعزلة والعمل يكونان ضمن الأحكام الشرعيّة الخمسة .

فالمطلوب من المؤمن أن يكون مقتدياً بإمامه عليه السلام، فيتولّى وليّه ويتبرأ من عدوّه، ولكي يتولّى الوليّ ويتبرأ من العدو لا بدّ من أن يشخّص الوليّ والعدوّ، وتشخيص الوليّ والعدوّ أمر مهمّ جدّاً، لا لأتباع أهل البيت عليهم السلام فقط، بل هو أمر مهمّ لكلّ مسلم، فلا بدّ من أن يعرف كلّ مسلم الوليّ والعدوّ؛ حتّى يمكنه أن يتولّى الوليّ، ويتبرأ ولا يتعاون مع العدو ضدّ بعض المسلمين .

الفرد والزّمان الحاليّ والمستقبليّ :

في الزّمان الحاليّ والزّمان المستقبليّ ستمرّ على البشريّة أصعب

الفترات، والآن البوادر واضحة، والامتحان والتّمحيص سيكون على أشدّه على مستوى الفرد وعلى مستوى الأمة، والإغراءات ستكون كثيرةً، وهذه الإغراءات ستؤدّي إلى فشل كثير من الأفراد في التّمحيص، ولكي ينجح الفرد في أيّ امتحان فإنّه يحتاج إلى مجاهدة وتربية لنفسه في رتبة سابقة، فقبل أن يأتي البلاء لا بدّ من أن يكون الفرد متهيّئًا لاستقباله؛ لكي ينجح فيه، وأمّا إذا قال إنّه أثناء الامتحان ينجح فإنّه لا يمكنه أن يحصل على النّجاح بلا تربية مسبقة لنفسه، وإمّا يحتاج إلى تربية سابقة لنفسه .

والبلاءات التي ستمرّ على البشرية في زمان الغيبة الحاليّ والمستقبليّ سوف تفرز العالم إلى قسمين ومعسكرين : معسكر الحقّ ومعسكر الباطل، دائرة الإمام المهديّ عليه السّلام وأتباعه ودائرة السّفياييّ وأتباعه، وتلاحظون أنّ العالم اليوم بدأ ينفرز إلى قسمين، والمؤمن لا بدّ من أن ينجح في الابتلاءات، والإعلام اليوم قائم بأقصى قوّته في الكذب والافتراء، وكثير من النّاس يصدّقون وسائل الإعلام، ولا تستطيع أن تصدّق أيّ صورة ولا أيّ فيديو، واللّعب بالصّور والفيديو ممكن، فلا تصدّق أيّ مقطع صوتيّ ولا أيّ صورة ولا أيّ فيديو إلّا من المصادر الموثوقة، ومعرفة المصدر أمر مهمّ، مثلاً في الأخبار ينشرون الصّور التي هم يقتلون فيها بعض الأشخاص، ثمّ يقولون بأنّ العدو يقتل متناً، فهم القتل المجرمون، ولكنّهم يصوّرون أنفسهم بأنّهم الضحايا، وهم يذبحون الأطفال، ولكنّهم يصوّرون بأنّ هؤلاء الأطفال

منهم، وإذا لم ينتبه الإنسان إلى خداع الإعلام فمن الممكن أن يضلّ
وينحرف عن طريق الحقّ، والعالم اليوم انفرز إلى معسكرين، والإنسان
يقرّر بنفسه إلى أيّ معسكر يريد أن ينتمي .

هل يريد أن يكون من معسكر الإمام المهديّ عليه السّلام أو من
معسكر السّفيانيّ؟

إذا أراد أن يكون من معسكر الإمام المهديّ عليه السّلام فلا بدّ
من أن يعرف مواصفات أتباع المهديّ عليه السّلام، وإذا حقّق هذه
المواصفات في نفسه فإنّه يدخل في دائرة الإمام عليه السّلام، والقضيّة
ليست في القول واللّسان، بل في واقع الإنسان بأن يكون في معسكر
الحقّ أو معسكر الباطل، فحينما يظهر الإمام عليه السّلام يوجد حقّ
وباطل، ولا يوجد حياد بينهما، فالعالم سينقسم إلى قسمين : الإمام
عليه السّلام من جهة، وأعداء الإمام عليه السّلام من جهة أخرى،
ولا يمكن لأحد أن يقف موقف المحايد بين الحقّ والباطل، نعم الآن
توجد دول عدم الانحياز، ولكن حين ظهور الإمام عليه السّلام لا
يوجد عدم الانحياز، فالانحياز يكون إمّا إلى الحقّ وإمّا إلى الباطل، ولا
يوجد أمر ثالث بين الحقّ والباطل، فهو إمّا مع الحقّ وإمّا مع الباطل،
والباطل سيحارب الحقّ، والفرز واقع اليوم في علمنا .

والمستقبل فيه مصاعب أكبر وابتلاءات أكثر وإغراءات أكثر وأكثر،
والمؤمن يمرّ دائماً في التّمحيص من خلال الابتلاءات المختلفة،
والتّمحيص ينتج أنصار الإمام عليه السّلام، والمؤمن يحتاج إلى

امتحانات وبلاءات حتى يصعد في درجات الإيمان، ويتكامل إلى أن يصل إلى درجة الأنصار .

والمؤمن الذي يملك العلم والمعرفة والبصيرة سينجح في الابتلاءات، وأما المؤمن الذي لا يلتفت إلى وجود تكاليف عليه في عصر الغيبة ولم يؤدّها فإنه لن ينجح في الامتحانات، والتكاليف تكون على المستوى الفردي وعلى المستوى الاجتماعي، والمؤمن لا يمكن أن ينعزل عن مجتمعه تمامًا .

عن النبي صلى الله عليه وآله : " من أصبح لا يهتمّ بأمر المسلمين فليس بمسلم " (١) .

لا بدّ من الاهتمام بأمر المسلمين، ويحاول أن يساهم في أمور المسلمين مساهمةً إيجابيةً بالمقدار الذي يمكنه، فيدرس أوضاع المجتمع ويرى إلى أيّ حد يمكنه المساهمة في حلّ المشاكل، فمؤمن يتحرك بدرجة ١٠، ومؤمن آخر يتحرك بدرجة ٢٠، وكلّ مؤمن يتحرك بحسب الإمكانيات المتوقّرة عنده .

إذن :

المؤمن لا بدّ من أن ينجح في الامتحانات حتى يصل إلى مرتبة الأنصار، ويكون مستعداً لنشر العدل في العالم، والمؤمن المخلص الواعي يكون من النّاجحين في الابتلاءات المستمرة، ومن الصّامدين أمام جميع المضاعف، والذين يكونون من أنصار الإمام عليه السّلام

(١) الكافي ج ٢ ص ١٦٣ ح ١ .

وأعوانه في نشر العدل في العالم في اليوم الموعود، ومن يتّصف بالمستوى العالي من الإخلاص والوعي سيحقق العدل العالمي .

وإذا لم ينجح في الامتحانات في رتبة سابقة فلن يصل إلى مرتبة الأنصار، والأنصار لهم درجات مختلفة، فيوجد ثلاثمائة وثلاثة عشر قائدًا، ويتدرّج الأنصار في المراتب، ولكنّ المؤمن لا بدّ من أن يكون نظره إلى الأعلى، فيريد أن يكون من القادة الثلاثمائة وثلاثة عشر، ولا يريد أن يكون جنديًا عاديًا في معسكر الحقّ، وعليه أن لا يقول إنّه صعب، فكما أنّ ذلك المؤمن وصل إلى مرتبة القادة فأنت يمكنك أن تصل أيضًا، فإذا حققت مواصفات القادة في نفسك فأنت تصل إلى مرتبتهم بشكل طبيعيّ وتصبح من القادة، وكلّما أراد أن يصعد في المراتب فالأمر تكون أصعب، والعملية ليست سهلةً إذا أراد أن يكون من الأنصار، فتوجد دوائر ودرجات مختلفة من الورع والتقوى والزهد والصبر والإخلاص والوعي وغيرها من المفاهيم، وإذا لم يعرف المؤمن هذه المفاهيم ولم يعرف كيفية تحقيقها فلا يمكنه الوصول .

مثلاً لا يعرف كيف يكون زاهدًا ومتّقياً وصابراً ومخلصاً وواعياً، فإذا لم تكن المفاهيم واضحةً عنده فلا يعرف أنّه زاهد أو غير زاهد وأنّه متّقٍ أو غير متّقٍ؛ لأنّ أعلى درجة الزهد هو أوّل درجات الورع، وأعلى درجة الورع هو أوّل درجة اليقين .

عن الإمام زين العابدين عليه السّلام : " الزّهد عشرة أجزاء، أعلى درجة الزّهد أدنى درجة الورع، وأعلى درجة الورع أدنى درجة اليقين،

وأعلى درجة اليقين أدنى درجة الرّضا" (١) .

من يريد أن يكون ورعًا لا بدّ من أن يحقّق أعلى درجات الرّهد، ولا بدّ من معرفة معنى الرّهد، وتناولنا معنى الرّهد سابقًا، ومعنى الرّهد هو أن لا تتحوّل الوسائل الدنيويّة إلى أهداف، مثلًا المال وسيلة لقضاء الحوائج، فإذا تحوّل المال إلى هدف واتّصف شخص بهذه الصّفة فهو ليس من الرّهّاد، فيحتاج المؤمن إلى أن يكون عنده العلم والمعرفة على المستوى الفقهيّ العقائديّ وعلى المستوى الفقهيّ الأخلاقيّ وعلى المستوى الفقهيّ العمليّ، ولا يكون نظرنا إلى الفقه العمليّ فقط، فالارتباط بالله تعالى والابتعاد عنه سبحانه والتّكامل والتّسافل أمور مهمّة للإنسان المؤمن، لا أنّه يأتي بالأعمال الخارجيّة فقط، لا أنّه يصليّ فقط، وإّما يريد بواسطة الصّلاة أن يقترب من الله تعالى أكثر لأنّ الصّلاة معراج المؤمن، والعروج عبارة عن الصّعود، والمؤمن لا يحرص على صحّة الصّلاة فقط، وإّما يحرص على صحّة الصّلاة وبقية الأعمال وقبولها من الله تعالى، فإذا قُبِلَ العمل من الله تعالى فلازمه أنّه اقترب من الله عزّ وجلّ أكثر .

فضل المؤمنين الصّابرين في عصر الغيبة الكبرى :

في بعض الروايات يوجد بيان لفضل المؤمنين الصّابرين في عصر الغيبة، ولهم منزلة عالية جدًّا، وقد يصل بعض المؤمنين في عصر الغيبة إلى مقام أعلى من بعض الصّحابة المقربّين من النّبيّ صلى الله عليه

(١) الكافي ج ٢ ص ٦٢ ح ١٠ .

وآله، والَّذين بلغوا مراتب عالية من الإيمان والجهاد، مثل سلمان وعمّار والمقداد وأبي ذرّ، ومن بعض أصحاب الأئمّة عليهم السّلام .
عن عبد الله بن مسعود عن النّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
"إِنَّ مِنْ وِرَائِكُمْ زَمَانَ صَبْرٍ لِّلْمَتَمَسِّكَ فِيهِ أَجْرُ خَمْسِينَ شَهِيدًا" . فقال
عمر : يا رسول الله، منّا أو منهم ؟ قال : "منكم" (١) .

عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ :
"إِنَّ مِنْ وِرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ، الصَّبْرُ فِيهِنَّ كَقَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ،
لِلْعَامِلِ فِيهَا أَجْرُ خَمْسِينَ" . قالوا : يا رسول الله، أجر خمسين منهم أو
خمسين منّا ؟ قال : "خمسين منكم" . رواه البيهقي والطبراني بنحوه إلا
أنه قال : "لِلْمَتَمَسِّكَ أَجْرُ خَمْسِينَ شَهِيدًا" . فقال عمر : يا رسول
الله، منّا أو منهم ؟ قال : "منكم" . ورجال البيهقي رجال الصّحيح غير
سهل بن عامر البجلي وثقه ابن حبان (٢) .

عن النّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : "يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابِرُ مِنْهُمْ
عَلَى دِينِهِ لَهُ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ" . قالوا : يا رسول الله، أجر خمسين
منّا؟! قال : "نعم، أجر خمسين منكم" . قالها ثلاثاً (٣) .

عن أبي عبد الله الصّادق عليه السّلام قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ :
"سَيَأْتِي قَوْمٌ مِنْ بَعْدِكُمُ الرَّجُلُ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ لَهُ أَجْرُ

(١) المعجم الكبير للطبراني ج ١٠ ص ١٨٢ ح ١٠٣٩٤ .

(٢) مجمع الزوائد للهيثمي ج ٧ ص ٢٨٢ .

(٣) بحار الأنوار ج ٢٨ ص ٤٧ ح ١٠ .

خمسين منكم" . قالوا : يا رسول الله، نحن كنا معك بيدر وأحد
وحنين، ونزل فينا القرآن . فقال : "إنكم لو تَحْمَلُوا لما حُمِلُوا لم تصبروا
صبرهم" (١) .

والباب مفتوح أمام جميع الناس لبلوغ المراتب العالية من الإيمان،
فتوجد درجة أعلى من درجة سلمان وعمّار والمقداد وأبي ذرّ، نعم
درجة النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أعلى درجة، ولا يمكن لأيّ أحد أن
يتخطّى درجة النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؛ لأنّه وصل إلى أعلى نقطة،
فكان قاب قوسين أو أدنى، وهذه أعلى درجة يمكن لأيّ إنسان أن
يصل إليها، وقد وصل إليها النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، لذلك فالنَّبِيُّ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هو "الإنسان الكامل" بل هو "الإنسان الأكمل"
الذي لا يوجد إنسان أكمل منه، وقد وصل النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
إلى آخر مرتبة من مراتب الكمال، فهو في قَمّة الكمال .

الرّواية الأولى :

عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : "العبادة في الهَرَجِ كهجرة إليّ" (٢) .

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ١٣٠ ح ٢٦ . فيه تصحيف من الكتاب،
والصّحيح أن يقال : "لو تَحْمَلُونَ"، فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه
ثبوت النّون؛ لأنّه من الأفعال الخمسة، ويقال : "ما حُمِلُوا"، بدون لام
الجرّ؛ لأنّ الفعل "تَحْمِلُ" يتعدّى إلى المفعول به بنفسه لا بواسطة حرف
الجرّ، فيقال : تَحْمِلُ الحَقِيبَةَ، ولا يقال : تَحْمِلُ لِلحَقِيبَةِ .

(٢) صحيح مسلم رقم ٢٩٤٨ . الهَرَج : وقت الفتن .

والمراد من العبادة هو المعنى العام لا العبادات المخصوصة كالصلاة والصيام، فالعبادة هي كل ما يعمله الإنسان قربةً إلى الله تعالى، حتى الأعمال العادية التي يقوم بها الإنسان وتكون فيها قابلية التقرب إلى الله تعالى، مثلاً أنت الآن موجود في الديوانية، وبممكنك التقرب بهذا العمل إلى الله تعالى، فتكون الآن في عبادة، فأى عمل يقوم به الإنسان يمكن أن يتحوّل إلى عبادة بشرط أن تكون فيه قابلية التقرب إلى الله تعالى، فيقول: أقوم بهذا العمل قربةً إلى الله تعالى.

والمؤمن حينما يؤدي الأعمال الفردية أو الأعمال الاجتماعية لا بدّ من أن يلتفت إلى أنّه يريد أن يتقرب بهذا العمل الفردي أو الاجتماعي إلى الله تعالى، فيتحوّل العمل إلى عبادة، مثلاً من يرشّح نفسه لانتخابات البرلمان أو مجلس الأمة أو يريد أن يقوم بعمل سياسي أو اجتماعي إذا لم يلتفت إلى الله عزّ وجلّ ويتقرب بالعمل إليه تعالى فلا يحصل على شيء من الثواب، وكذلك أثناء العمل يلتفت إلى أنّه لا يرتكب المحرمات، والعمل الذي فيه المحرمات لا يمكن التقرب به إلى الله تعالى، فالله تعالى لا يقبل العمل الحرام، والعامل لا بدّ من أن يكون عمله خالصاً لله تعالى، والعمل الحرام لا يوجد فيه الإخلاص لله عزّ وجلّ، فعليه أن يؤدي التكليف المطلوب منه في هذا العمل، في أيّ مورد اجتماعي كان، كان إمام مسجد أو مأموماً أو طالباً في الحوزة أو طالباً في المدرسة أو الجامعة أو موظفاً أو تاجرًا أو عامل نظافة أو مراسلاً أو أو بناءً أو أيّ عمل آخر، فكلّ

شخص عليه تكاليف معيّنة، وهذه التكاليف إذا تقرّب بها إلى الله تعالى فإنه يكون إنساناً عابداً، وكان في وقت الأمن والأمان والرّخاء أو في "الهَرَج" ووقت الفتن والانحرافات، فالإنسان يكون عابداً متقرّباً إلى الله تعالى في الهرج والفتن أيضاً .

"كهجرة إليّ" بمعنى أنّ من كان في الفتن عابداً متقرّباً إلى الله تعالى يكون كأنه هاجر إلى النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، والهجرة إلى النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كناية عن دخوله في الإسلام الحقيقي لا الإسلام الظاهريّ فقط .

والحكم على الناس بالإسلام يكون على أساس ظواهرهم، فإذا تشهّد الشهادتين فهو مسلم، وأما واقعه فلا يمكن معرفته، وتعامل على أساس أنّه مسلم، عليه ما على المسلمين من واجبات، وله ما للمسلمين من حقوق، وأنت كفرد لا تريد من نفسك الإسلام الظاهريّ فقط، وإمّا تريد الإسلام الظاهريّ والباطنيّ، فتريد أن تكون مسلماً ومؤمناً حقيقياً، وتكون كذلك حينما تكون عابداً لله تعالى في أوقات الأمان والفتن، ويتمّ التّركيز على وقت الفتن؛ لأنّه في وقت الفتن توجد موانع عن أن يكون الفرد عابداً لله تعالى .

سؤال : مع وجود الفرد أثناء الفتن هل توجد عليه تكاليف أو لا ؟

الجواب :

نعم عليه تكاليف، وعليه أن يعرف هذه التكاليف، ويأتي بها قرينة إلى الله تعالى، فيكون مؤمناً عابداً، كان في الرّخاء أو في الشدّة، ففي

الحالتين عليه تكاليف معيّنة، وعليه أن يؤدّي العمل الواجب ويترك العمل المحرّم .

والدّخول الحقيقيّ في الإسلام معناه الالتزام التّام بأحكام الدّين على المستوى الفرديّ وعلى المستوى الاجتماعيّ، وأحكام الدّين شاملة للأحكام العقائديّة والأحكام الأخلاقيّة والأحكام العلميّة، وتكون عند المؤمن النّظرة الشّموليّة للدّين، والدّين ليس مقتصرًا على الأحكام العمليّة فقط، بل أشمل من ذلك، والرّسالة العمليّة متكفّلة ببيان أحكام العمل الخارجيّ، ولا تبيّن الأحكام المتعلقة بالقلب وباطن الإنسان، والعلم الذي يتكفّل ببيان أحكام باطن الإنسان هو علم الأخلاق، وعلم الأخلاق يبيّن كيفيّة الاستفادة من العمل الخارجيّ؛ لأجل الحصول على التّكامل، والرّسالة العمليّة لا تبيّن هذا الجانب، فالرّسالة العمليّة تقول بأنّ المكلف يؤدّي الصّلاة بهذه الكيفيّة من الأقوال والأفعال حتّى تكون صلاته صحيحةً من ناحية شرعيّة، فتبيّن صحّة العمل إذا أدّاه المكلف بطريقة معيّنة، وتعطي الأحكام الخمسة من وجوب العمل الخارجيّ أو حرّمته أو استحبابه أو كراهته أو إباحته، وأمّا كيفيّة الاستفادة من الصّلاة في الحركة القلبيّة الباطنيّة فالرّسالة العمليّة لا تبيّنها، وهذا واضح لمن يدرس الفقه الأخلاقيّ والفقه العمليّ، فالفقه العمليّ يقول يجوز أو لا يجوز، ويتكفّل ببيان صحّة العمل الخارجيّ أو بطلانه، ويعطي الأحكام العمليّة الخمسة للأعمال الخارجيّة، وإذا أراد المؤمن أن يستفيد من

جميع الأعمال الخارجيّة فلا بدّ من أن يدرس علم العقائد وعلم الأخلاق، وبوساطة العلوم الثلاثة يمكنه أن يتقرّب بالعمل الخارجيّ إلى الله تعالى، وأن يسير على سلّم الكمال ويصعد من درجة إيمانِيّة أدنى إلى درجة إيمانِيّة أعلى يومًا بعد يوم، وإذا كان عمله مبنِيًا على الرّسالة العمليّة فقط فمعناه أنّه يؤدّي أعمالًا خارجيّةً فقط، ويعرف أنّ أعماله صحيحة أو باطلة من ناحية خارجيّة، فإذا أتى بأفعال الصّلاة وأقوالها فإنّ صلاته تكون صحيحةً، وإذا سأل عن قبول صلاته وقبول أعماله الخارجيّة فنقول له إنّ الرّسالة العمليّة لا تجيب عن هذا السّؤال، فلا تقول إنّ عملك مقبول أو غير مقبول؛ لأنّ قبول العمل من الله عزّ وجلّ مرتبط بالأنواع الثلاثة من الفقه، وحينما تستفتي مرجعك لا تسأله عن قبول صلاتك، بل تسأله عن صحّة صلاتك، فيجيبك بأنّ صلاتك صحيحة أو باطلة، ولا يقول لك بأنّ صلاتك مقبولة أو غير مقبولة؛ لأنّ المرجع لا يعرف حقيقة اعتقاداتك وباطنك، والصّلاة المقبولة تكون مشروطةً بشروط عقائديّة وأخلاقيّة، وعلم الأخلاق يتكفّل ببيان قبول العمل وعدم قبوله، فيذكر لك شروط قبول الأعمال، والمؤمن حتّى يكون عابدًا كاملاً لا يمكن أن يتحرّك بالرّسالة العمليّة فقط، بل يحتاج مع فقه العمل إلى فقه العقائد وفقه الأخلاق، ويكون تحرّك المؤمن وعمله على أساس النّظرة الشموليّة للدين لا على أساس النّظرة الجزئيّة التّجزئيّة على أساس الفقه العمليّ فقط .

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

" . . . فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ" (١) .

ليس المطلوب فقه العمل فقط، وإنما المطلوب هو فقه الدين الشامل لفقه العقائد وفقه الأخلاق وفقه العمل، وبالأُنوع الثلاثة للفقه يمكن للإنسان أن يكون عابداً كاملاً، ويتقرب بجميع أعماله إلى الله تعالى على أساس النظرة الشمولية للدين وضمن المنظومة الدينية الواحدة .

الإنسان المؤمن لا بدّ من أن يعرف تكاليفه الفرديّة وتكاليفه الاجتماعيّة ويؤدّيها، وكلّ تكليف يكون تحت الحكم الشرعيّ، وضمن البيت الشيعيّ توجد خطوط باطلة كالزبديّة والإسماعيليّة وغيرهم، ونعتقد أنّ الإماميّة الاثني عشرية تمثّل خطّ الحقّ، وضمن البيت الشيعيّ الإماميّ الاثني عشريّ توجد خطوط باطلة ضمن حركات وأحزاب وتنظيمات وتيارات، ويوجد مراجع ضمن المرجعيّة الرشيّدة، وهناك من يدعون المرجعيّة، ودور الإنسان المؤمن أن يكون ضمن البيت الشيعيّ الإماميّ الاثني عشريّ، ويكون متّبعا لخطّ المرجعيّة الرشيّدة، ويترك مدّعي المرجعيّة وأتباعهم، فالباطل والضلال يمكن أن يكون من خارج البيت الشيعيّ أو من داخل البيت الشيعيّ، ولا بدّ من أن يكون عند المؤمن البصيرة في تمييز الحقّ من الباطل داخل

(١) التوبة : ١٢٢ .

البيت الشيعي وخارجه، وعملية التمييز صعبة حينما تزداد الفتن وخاصة داخل البيت الشيعي، وعملية تمييز الخطّ الباطل خارج البيت سهل، ولكن داخل البيت عملية التمييز صعبة، فمن يدعي المرجعية لا يقول عن نفسه بأنه مُدَّعٍ للمرجعية، فيطرح مرجعيته وعنده مؤلفات وكتب ومحاضرات وأتباع، وأتباعه ينشرون صورته بكثرة، وإعلامه يعمل على نشر أفكاره، فإذا لم تكن عند الشيعي بصيرة في تمييز الحق من الباطل فإنه يعتبر هذا الشخص مرجعاً من خطّ المرجعية الرشيدة، وفي الواقع هو خارج عن خطّ المرجعية الرشيدة، بل هو ضالّ داخل البيت الشيعي، ومراجع خطّ المرجعية الرشيدة مؤهلون من الحوزات العلمية، وهم مرشّحون من علماء الحوزات العلمية، وأما إذا ادّعى شخص أنه مرجع فلا يملك شهادات اجتهاد من علماء الحوزات، وإذا سُئِلَ عن شهادات الاجتهاد أجاب بأنّ شهادتي في مؤلفاتي وكتبي، والحصول على شهادات الاجتهاد من مراجع خطّ المرجعية الرشيدة أمر ضروريّ حيث توجد طريقة معينة في وصول العالم إلى درجة الاجتهاد، وثمّ الوصول إلى مرتبة المرجعية، والعلماء حافظوا على هذه الطريقة المعينة في الاجتهاد والمرجعية، حتّى لا يأتي أيّ شخص ويدّعي أنه مجتهد أو مرجع، ويوجد خطّ للمرجعية الرشيدة، وكلّ شخص يقول عن نفسه بأنه مجتهد أو مرجع بدون هذه الطريقة المعينة فهو خارج عن خطّ المرجعية الرشيدة، فيدّعي أنه مجتهد أو مرجع، وهو يدّعي نيابة الإمام المهديّ عليه السلام، وليس له هذا

الحقّ، والعجب كيف أنّ شخصًا يدّعي المرجعيّة ولا يخاف من عذاب الله تعالى ؟ ألا يخاف من لوم الإمام عليه السّلام وهو يدّعي نيابته ؟ سيحاسبه الله حسابًا شديدًا، لا فقط هو، وكذلك أتباعه إذا كانوا يعرفون الحقيقة وقامت الحجّة عليهم بطلان مرجعيّته .

عن الإمام الصادق عليه السّلام : " كان رجل في الزّمن الأوّل طلب الدّنيا من حلال فلم يقدر عليها، وطلبها من حرام فلم يقدر عليها، فأتاه الشّيطان فقال له : يا هذا، إنّك قد طلبت الدّنيا من حلال فلم تقدر عليها، وطلبتها من حرام فلم تقدر عليها، أفلا أدلك على شيء تكثر به دنياك ويكثر به تبعك ؟ قال : بلى . قال : تبتدع دينًا وتدعو إليه النّاس . ففعل فاستجاب له النّاس وأطاعوه وأصاب من الدّنيا ثمّ إنّّه فكّر فقال : ما صنعت ؟ ابتدعت دينًا ودعوت النّاس، ما أرى لي توبة إلاّ أن آتي من دعوته إليه فأردّه عنه . فجعل يأتي أصحابه الذين أجابوه فيقول لهم : إنّ الذي دعوتكم إليه باطل، وإنّما ابتدعته . فجعلوا يقولون : كذبت، وهو الحقّ، ولكنك شككت في دينك فرجعت عنه . فلما رأى ذلك عمد إلى سلسلة فوتد لها وتدًا ثمّ جعلها في عنقه وقال : لا أحلّها حتّى يتوب الله عزّ وجلّ عليّ . فأوحى الله عزّ وجلّ إلى نبيّ من الأنبياء قل لفلان : وعزّي لو دعوتني حتّى تنقطع أوصالك ما استجبت لك حتّى تردّ من مات إلى ما دعوته إليه فيرجع عنه" (١) .

(١) بحار الأنوار ج ٦٩ ص ٢١٩ ح ٢ .

إنّ ادّعاء الاجتهاد وادّعاء المرجعيّة ونيابة الإمام عليه السّلام ليس
أمراً بسيطاً، فكيف لا يخاف من العقاب؟!

ويوجد خطّ المرجعيّة الرّشيدة ضمن الحوزات العلميّة، وتنتقل
المرجعيّة من عالم عادل إلى عالم عادل، ومدّعي المرجعيّة لا يدخل في
خطّ المرجعيّة الرّشيدة مهما حاولت الدّعايات والإعلانات أن تجعله
ضمن الخطّ، وخاصّة إذا ادّعي المرجعيّة وكان يطعن في مراجع خطّ
المرجعيّة الرّشيدة، فهو ينتمي إلى خطّ الباطل، فإذا كان ضمن خط
المرجعيّة الرّشيدة فكيف يطعن في مراجع هذا الخطّ؟! وما هو هدفه
حينما يطعن بمراجع هذا الخطّ؟! أليس معناه أنّه يريد القضاء على
خطّ المرجعيّة الرّشيدة حتّى يسود الباطل؟

فطعنه في مراجع خطّ المرجعيّة الرّشيدة معناه أنّه ليس من هذا
الخطّ الصّحيح، بل هو من خطّ الباطل .

إذن :

معرفة التّكاليف على المستوى الفرديّ والمستوى الاجتماعيّ
وتشخيص خطّ الحقّ وخطوط الباطل وتشخيص الوليّ والعدوّ من
الأمر المهمّة جدّاً للمؤمن؛ حتّى يتولّى الوليّ ويتبرأ من العدوّ، وقد
يكون العدوّ ضمن البيت الشّيعيّ كمن يدّعي المرجعيّة .

وعلى المؤمن أن يميّز خطّ الحقّ وخطوط الباطل، وفي تمييز الخطوط
يجب أن يرجع إلى علماء خطّ المرجعيّة الرّشيدة، والمراجع يحدّدون
تكاليف المؤمن في كلّ زمان ومكان، وحينما يأتي شخص ويدّعي

المرجعية فالإنسان العادي لا يستطيع أن يميّز؛ لأنّه ينخدع بالمظاهر، ويمكنه التمييز حينما يرجع إلى العلماء، فيعرف أنّ هذا الشخص يدعي المرجعية، والبعض لا يأخذ بكلام العلماء، ويظلّ على توهمه بأنّ هذا المدعي مرجع، والبقاء على توهمه وعدم أخذه بكلام العلماء يترتب عليه آثار عمليّة، مثلاً يذهب إلى الصلّاة خلفه جماعة، وتكون صلواته باطلةً، ولا يمكن القول بصحّة صلاته، وادّعاء المرجعية يؤدّي إلى سقوط عدالته، فيصليّ خلف شخص غير عادل، والعلماء يقولون بعدم عدالة هذا الشخص وهو يصرّ على الصلّاة خلفه، فصلواته تكون باطلةً، وتترتب آثار عمليّة على عدم أخذه بأقوال العلماء الصّالحين، وقد يقلّده فتقليده يكون باطلاً، وقد يسلم إليه الأخماس وتظلّ هذه الأخماس في ذمّته، والأموال التي أعطاهها له لا تُحسب من الخمس، وقد يستغلّ مدعي المرجعية هذه الأموال في أعمال باطلة فيكون مشاركاً في فساد أعمال مدعي المرجعية، وقد يساهم في تقوية خطّ الباطل بدون أن يشعر، وتقوية خطوط الباطل أمر محرّم، وتقوية خطوط الباطل تساهم في إضعاف خطّ الحقّ المتمثّل في خطّ المرجعية الرّشيدة، وهذه بعض الآثار العمليّة التي تترتب على تقوية أيّ خطّ من خطوط الباطل .

والمؤمن الذي لا يميّز الحقّ من الباطل لا يمكنه أن يصل إلى مرتبة أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام، ومن يكون من الأنصار عنده بصيرة في دينه وفي تمييز الأشخاص، ومن لا يميّز بين الحقّ والباطل لا

يستطيع أن يميّز أنّ هذا هو إمام الحقّ أو إمام الباطل إذا ظهر الإمام عليه السّلام، فهو لم يقم بتربية نفسه على معرفة الحقّ من الباطل حينما ترك كلام العلماء الصّالحين، لذلك لا يمكنه تشخيص الأفراد الذين يتّبعون الحقّ من الأفراد الذين يتّبعون الباطل، فإذا أراد أن يتولّى الوليّ ويتبرّأ من العدو فلا بدّ من أن يميّز الوليّ من العدو، وقد يكون أعداء الدّين من داخل البيت الشّيعيّ، كمدّعي المرجعيّة أوّلًا وأتباعه الذين يعلمون حقيقته ثانيًا ومن قامت عليه الحجّة في أنّه مُدّعٍ للمرجعيّة ثالثًا ومن لا يأخذ بكلام العلماء الصّالحين رابعًا، ولا بدّ من التّمييز بين الأولياء والأعداء، وهذا يحتاج إلى أن يكون مقتديًا بالإمام عليه السّلام في رتبة سابقة، والإمام عليه السّلام أعطى المقياس لأتباعه؛ لأجل أن يميّزوا بين الحقّ والباطل، وهذا المقياس لا بدّ من أن يكون بيد المؤمن؛ لكي يميّز بين الحقّ والباطل وبين أصحاب الحقّ وأصحاب الباطل، وإذا لم يكن بيد المؤمن هذا المقياس فإنّ الحقّ والباطل يختلط عليه، ولا يمكنه أن يعرف صاحب الحقّ وصاحب الباطل، والإعلام والدّعايات والإعلانات التي تدعو لبعض الأشخاص وتزيّنه للنّاس قد تؤثر عليه حينما تخلط بين الحقّ والباطل .

خلاصة الموضوع :

في الزّمان الحاليّ والزّمان المستقبليّ ستزداد الفتن على المؤمنين، وإذا لم يستطع المؤمن في رتبة سابقة أن يميّز بين الحقّ والباطل فمن الممكن أن تلتبس عليه الأمور ويختلط الحقّ بالباطل، وقد يتّبع شخصًا

لا يكون من أصحاب الحقّ، ويترك من يكون من أصحاب الحقّ إلى أصحاب الباطل .

ونحن مقدمون على الفتن التي تقسم العالم إلى قسمين وفسطاطين ومعسكرين : معسكر الحقّ ومعسكر الباطل، وإذا لم يعرف الإنسان في رتبة سابقة التمييز بين الحقّ والباطل فمن الممكن أن يتبع أصحاب الباطل بدون أن يشعر، ويظنّ أنّه يحسن صنعاً، فهو يسير بلا مقاييس، والمقاييس مهمّة للإنسان المؤمن، وينظر بعين المقياس فيرى فلاناً وفلاناً أنّه من أصحاب الحقّ أو من أصحاب الباطل، ويرتّب الآثار العمليّة على هذه المعرفة، فيكون متّبعا لأصحاب الحقّ وتاركاً لأصحاب الباطل ومبتعداً عنهم، والقضيّة ليست قضيّة نظريّة فقط حينما يعرف أنّ هذا الشّخص من أصحاب الحقّ أو من أصحاب الباطل، فهناك قضايا عمليّة تترتّب على القضايا النظريّة .

وقلنا بأنّ العبادة في المهرج كأنّها هجرة إلى النّبّي صلّى الله عليه وآله، والعبادة هي العبادة بالمعنى الأعمّ الشّامل للعبادات المخصوصة وجميع الأعمال التي يقوم بها الإنسان حتّى الأعمال العاديّة .

وإذا نجح المؤمن في الابتلاءات في عصر الفتن فإنّه يكون ممّن هاجر إلى النّبّي صلّى الله عليه وآله، ومن يهاجر إلى النّبّي صلّى الله عليه وآله يكون من أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام، ومن يريد أن يصبح من أنصار الإمام عليه السّلام فلا بدّ من أن يرّي نفسه في عصر الفتن .

والمؤمنون على درجات مختلفة من الإيمان، ولا بدّ من أن يكون نظر المؤمن إلى قمة الجبل، فيريد أن يكون من القادة الثلاثمائة وثلاثة عشر، وهم المقربون إلى الإمام عليه السّلام، بل يريد أن يكون أقرب شخص إلى الإمام عليه السّلام، ولا يكون نظره إلى الدّرجات الدّنيا من الإيمان .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيبين الطّاهرين .

أسئلة وتعليقات من الحاضرين :
الشيخ سالم القلاف :

بالنسبة لما ذكرتم من ناحية تمييز الحقّ والباطل نرى في هذه الأيام وخصوصاً في الفترة الأخيرة أنّ كثيراً من الناس يمكن تطبيق الآية الكريمة عليه :

"وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا . . ." (١) .

تسمع لهم كثيراً، ويتحدّث بشكل لبق، ويتطرّق إلى الروايات، ويطرح المسائل الشرعيّة والعقائديّة وغير ذلك، فيعجبك قوله، وتعتقد أنّ هذا هو الشخص المناسب للاتباع، ويطول بك الزّمن إلى أن تكتشف أنّه ليس الشخص اللائق للاتباع، فإحباطاً لو تلقون محاضرةً أو تبيّنون الطّرق المتبعة أو المقاييس التي يمكن للإنسان أن يتبعها ولو بشكل مختصر حتّى يمكنه أن يميّز بين الحقّ والباطل وبين من يستحقّ

(١) البقرة : ٢٠٤ .

أن يُتَّبَع ومن لا يستحق ذلك، وكثير من المؤمنين يجهلون طرق التَّمييز بين الأشخاص، وينجرفون خلف بعض الأشخاص، ويقولون بأنهم لا يدرون، ولكنهم بالنَّهاية يتحمَّلون التَّبعات والآثار الشَّرعيَّة وهم ليس لهم ذنب، فمن الضَّروري أن يتبيَّن له طرق تمييز الحقِّ والباطل وتمييز الأشخاص .

جواب الشيخ محمد أشكناني :

في معرفة الأشخاص وتمييزهم وخاصَّةً من يدَّعي الاجتهاد والمرجعيَّة يوجد محور يجب الرُّجوع إليه، والمحور هو خطُّ المرجعيَّة الرّشيدة من المراجع والعلماء، وهم صمّام الأمان لأتباع أهل البيت عليهم السّلام، وفي تمييز الأشخاص نرجع إليهم، والآن عمليَّة الاتّصال والسؤال سهلة، والمراجع والعلماء المعروفون لهم مواقع على الإنترنت، ويمكنه السّؤال عن أيّ شخص يقول عن نفسه بأنّه مجتهد أو مرجع، فيأتيه الجواب، وفي عصر الغيبة الكبرى يوجد محور واحد فقط وهو العلماء الذين يكونون ضمن خطِّ المرجعيَّة الرّشيدة، فهم صمّام الأمان، ويرجع المؤمنون إلى خطِّ المرجعيَّة الرّشيدة من مراجع وعلماء في أمور دينهم وفي تمييز الحقِّ من الباطل وفي تمييز الأشخاص، فالعلماء يقولون عن فلان بأنّه كذا فنأخذ بقولهم، فإذا قالوا أتبعوا فلاناً أو اتركوا فلاناً فعلينا أن نلتزم بقولهم، وإذا حدّروا من فلان فلا بدّ من أن نحذر منهم مهما كانت عنده من كتب ومؤلّفات ونشاطات، ومهما كان كلامه لطيفاً، ومهما كانت أفعاله حسنةً، ومهما كانت عنده قدرة على

جذب الأشخاص وخاصةً الشباب، وكلّ هذا لا قيمة له، فنرجع إلى العلماء في تقييم الأشخاص، وإذا تصدّى مرجع واحد من خطّ المرجعيّة الرّشيدة لأمر معيّن فعلينا أن نأخذ بكلامه، ولا تقل بأنّ مرجعي لم يتصدّد لنفس الأمر فلا آخذ بكلام المرجع الآخر، فالمرجع الذي تصدّى يكفي، ولا يحتاج إلى تصدّي جميع المراجع لنفس الأمر؛ لأنّ مراجع خطّ المرجعيّة الرّشيدة يمثلون شجرة واحدةً صالحةً لها ثمار، تقول بأنك لا تقلّده، فنقول ليس بالضرورة أن تكون من مقلّديه، وهذا الأمر ليس فتوى ومسألة شرعيّة فقهيّة عمليّة، نعم في المسائل العمليّة ترجع إلى مرجعك، ولكن في التصدّي لأيّ أمر آخر غير الفتوى تأخذ بكلام المراجع الآخرين، فهذا المرجع حدّر من شخص، وهذه ليست فتوى حتّى لا تعمل بكلامه، ومن يدعي المرجعيّة ليس من ثمار الشجرة الصّالحة، والمرجع من خطّ المرجعيّة الرّشيدة يعبر عن باقي المراجع، مثلاً الإمام الخميني رضوان الله عليه تصدّى لوحده، وليس بالضرورة أن يتصدّى جميع المراجع لنفس القضية، وباقي المراجع قد يسكتون؛ لأنّ ظروفهم لا تساعدهم على الكلام، وقد يؤيّدون؛ لأنّ المنتصدي يكون من ضمن نفس الخطّ، والسيد الشهيد محمّد باقر الصّدّ رضوان الله عليه أيّد الإمام الخميني رضوان الله عليه وقال قوله المشهورة: "ذوبوا في الإمام الخميني كما ذاب في الإسلام".

بيّن السيّد الشهيد الصّدّ رضوان الله عليه رأيه، وأمّا أستاذ الفقهاء السيّد الخوئي رضوان الله عليه لم تساعده الظروف على الكلام وبيان

موقفه، وكلاهما من خطّ المرجعيّة الرّشيدة، والمرجع يتكلّم أو يسكت بحسب ظروفه .

ويكون نظرنا إلى المرجعيّة الرّشيدة، وهي شجرة واحدة صالحة ولها ثمار صالحة، والثّمار هم المراجع والعلماء الذين يكونون ضمن خطّ المرجعيّة الرّشيدة، وهؤلاء هم الذين يعطوننا مقاييس تمييز الأفعال وتمييز الأحداث وتمييز الأشخاص، وهم صمّام الأمان للمؤمنين في مدرسة أهل البيت عليهم السّلام، والنّبّي صلّى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السّلام أرجعوننا إلى العلماء .

عن إسحاق بن يعقوب قال : سألت محمّد بن عثمان العمريّ أن يوصل لي كتابًا قد سألت فيه عن مسائل أشكلت عليّ، فورد التّوقيع بخطّ مولانا صاحب الزّمان عليه السّلام : "أمّا ما سألت عنه أرشدك الله وثبتك . . . وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنّهم حجّتي عليكم، وأنا حجّة الله، وأمّا محمّد بن عثمان العمريّ فرضي الله عنه وعن أبيه من قبل، فإنّه ثقّي، وكتابه كتابي" (١) .

فيرجع المؤمنون من بعد زمان آخر سفير للإمام المهديّ عليه السّلام وإلى زماننا الحاليّ وإلى المستقبل إلى العلماء من خطّ المرجعيّة الرّشيدة الصّالحة، وهذا هو العالم الصّالح، وقد يوجد عالم ضالّ، عالم بمعنى أنّ عنده علمًا، ولكنّه يستعمل علمه في الضّلال والإضلال، ولم يستفد من علمه، فالإنسان قد يضلّ ويضيع نفسه، وقد يضلّ غيره فيضيع

(١) وسائل الشّيعّة للشّيخ الحرّ العامليّ ج ١٨ ص ١٠١ ح ٩ .

الآخرين معه، والآخرون ما دام أنّهم لا يرجعون إلى علماء خطّ
المرجعية الرّشيدة فمن الطّبيعي أن يضلّوا وينحرفوا عن الخطّ الصّحيح،
وكلامنا هنا ليس عن أشخاص معيّنين، فنحن نتكلّم في عالم المفاهيم،
والمفهوم ينطبق على هؤلاء وعلى غيرهم ممن سيّدعون الاجتهاد أو
المرجعية في المستقبل، وحتى في زماننا الحاليّ هناك من يدّعي نيابة
الإمام المهديّ عليه السّلام، مثلاً الواقفة وقفوا على الإمام موسى
الكاظم عليه السّلام، والواقفة كان عندهم وكالات من الإمام الكاظم
عليه السّلام، ومع ذلك انحرفوا، وبمجرّد ما أن انحرفوا خرجوا عن الخطّ
الصّحيح، والإمام الرّضا عليه السّلام تصدّى لهم، وتصدي الإمام
عليه السّلام بنفسه يدلّ على أنّهم ضالّون، وقد يتصدّى أحد العلماء
من خطّ المرجعية الرّشيدة لبعض التّيّارات فيكونون ضالّين، وليس
بالضّرورة أن يتصدّى جميع العلماء في نفس الموضوع، فكلّ عالم
يتصدّى في موضوع معيّن، والمقياس هو أنّ المراجع والعلماء من خطّ
المرجعية الرّشيدة هم محاور الإسلام، ولا يوجد محاور آخرين من غير
هذا الخطّ في مدرسة أهل البيت عليهم السّلام، والأئمة عليهم السّلام
هم المحاور في أزمنتهم، وفي غيبتهم يكون الفقهاء والعلماء هم المحاور؛
لأنّ الأئمة عليهم السّلام هم الذين أرجعونا إلى الفقهاء والعلماء،
وإرجاع الأئمة عليهم السّلام لأتباعهم إليهم معناه أنّ العلماء هم
صمّام الأمان في هذه المدرسة، وكانوا كذلك على مرّ التّاريخ، فقدّموا
التّضحيات الكثيرة في سبيل حفظ الدّين، وإذا قال العلماء شيئاً فلا

تَقُلُّ بِأَنَّكَ غَيْرَ مُقْتَنِعٍ، وَإِذَا قُلْتَ بِأَنَّكَ لَمْ تَقْتَنِعْ فَسْتَبْتَعِدْ عَنِ خَطِّ
الْمَرْجِعِيَّةِ الرَّشِيدَةِ، وَعَلَيْكَ أَنْ تَنْتَبِهَ، فَإِلْإِنْسَانَ يَظُنُّ أَحْيَانًا بِأَنَّهُ يَحْسُنُ
صَنْعًا مَعَ أَنَّهُ يَسِيرُ فِي خَطِّ الضَّلَالِ وَهُوَ غَيْرُ مُلْتَفِتٍ إِلَى ذَلِكَ، وَمَنْ
يَسِيرُ فِي خَطِّ الضَّلَالِ أَوْ يَكُونُ مُؤَيَّدًا لَهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مِنْ
أَنْصَارِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَنْ الْمُمْكِنُ أَنَّهُ حِينَمَا يَظْهَرُ الْإِمَامُ عَلَيْهِ
السَّلَامُ يَصْبِحُ مِنَ الْمُحَارِبِينَ لَهُ؛ لِأَنَّ لَيْسَ بِيَدِهِ مَقْيَاسُ التَّمْيِيزِ بَيْنَ
الْأَشْخَاصِ، فَلَا يَدْرِي أَنَّ هَذَا هُوَ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْ لَيْسَ هُوَ،
فَإِذَا قَالَ مَدَّعِي الْمَرْجِعِيَّةِ الَّذِي يَقْلُدُهُ بِأَنَّ هَذَا لَيْسَ هُوَ الْإِمَامُ فَمَنْ
الطَّبِيعِيُّ أَنْ يَقِفَ ضِدَّ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لِأَنَّهُ يَأْخُذُ بِكَلَامِ مَقْلُدِهِ
الْمَدَّعِي لِلْمَرْجِعِيَّةِ، وَلَا تَتَصَوَّرُ أَنَّ كُلَّ عِمَامَةِ سَتَقِفُ إِلَى جَانِبِ الْإِمَامِ
عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَهَنَّاكَ عِمَائِمٌ سَتَحَارِبُ الْإِمَامَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لِأَنَّ
مَصَالِحَهَا تَتَضَرَّرُ، وَالْعِمَامَةُ عِبَارَةٌ عَنِ قِطْعَةِ قِمَاشٍ، وَالْمَهْمَمُ هُوَ أَنَّ مَنْ
يَلْبَسُ الْعِمَامَةَ يَكُونُ إِنْسَانًا مُتَّقِيًا يَخَافُ اللَّهَ تَعَالَى، فَنَرْجِعُ إِلَى صَمَامِ
الْأَمَانِ، وَالْعِلْمَاءِ مِنْ خَطِّ الْمَرْجِعِيَّةِ الرَّشِيدَةِ الصَّالِحَةِ هُمْ مُحَاوِرُ الْأُمَّةِ،
وَلَا يَوْجَدُ مُحَاوِرَ آخَرُونَ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا أَبِي الْقَاسِمِ مُحَمَّدٍ
وَأَلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ .

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

(٥٧)

جهاد النفس مقياس التفاضل

مساهمة الأعداء في تكوين الأنصار

قوة المسلمين في جميع المجالات (١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين .

كان الكلام عن أنّ بعض المؤمنين في عصر الغيبة الكبرى من الممكن أن يكونوا أفضل من بعض المعاصرين للنبي صلى الله عليه وآله ومن بعض أصحاب الأئمة عليهم السلام .

سؤال : حينما نقول إنّ هذا الفرد أو ذاك الفرد أفضل فلا بدّ من وجود مقياس وميزان للتفاضل، فما هو المقياس والميزان الذي على أساسه يمكن أن نعرف أنّ هذا أفضل من ذاك ؟

(١) أُلقيت هذه المحاضرة في الدبواتية الأسبوعية في دولة الكويت منطقة

بيان، الجمعة ١١ شعبان ١٤٣٤ هـ ، ٢١/٦/٢٠١٣ م .

الجواب :

حينما نقول إنّ هذا الشّيء أطول من ذاك الشّيء فعندنا مقياس للطول، فنقيس طول الأوّل وطول الثّاني، وبناءً على القياس نقول إنّ هذا أطول من ذاك، وكذلك بالنّسبة للأفضليّة لا بدّ من وجود مقياس التّفاضل، ولا بدّ من أن نعرف هذا المقياس .

مقدّمة :

الإنسان المؤمن حينما يواجه البلاءات والمصاعب والمشاكل والتّضحيات يتعمّق إيمانه أكثر ويتكامل أكثر، والإيمان يحتاج إلى تضحية حتّى يصعد المؤمن في الدّرجات، والمؤمن الذي يريد أن يحافظ على عقيدته في عصر الغيبة مع وجود الإغراءات الكثيرة يحتاج إلى مجاهدة النّفس، والمحافظة على العقيدة في عصر الغيبة له أهميّة كبيرة كدخول الإسلام أوّل مرة، وبدون جهاد النّفس لا يمكن أن يتكامل ويصعد في درجات الإيمان، فالصّعود من درجة إيمانيّة إلى درجة إيمانيّة أعلى يحتاج إلى جهاد النّفس، ومن لا يجاهد نفسه لا يمكنه الصّعود في الدّرجات الإيمانيّة، وحالة مجاهدة النّفس لا بدّ من أن تكون حالةً مستمرّةً عند الإنسان المؤمن .

والزّمان الحاليّ والمستقبليّ هو زمان الفتن، والآن الفتن واضحة للعيان، والأحداث التي تقع في مناطق المسلمين وفي العالم من الواضح أنّها ستكون فتنةً للمسلمين والمؤمنين، ومن يتنازل عن دينه فإنّه يحصل على المصالح الشّخصيّة الخاصّة، ونرى بوضوح قلّة الوازع الدّينيّ

والأخلاقيّ في العالم، وكانت هناك إحصائية قبل عشر سنوات بأنّ ثلث مواقع الإنترنت مواقع إباحية، وقطعاً مثل هذه المواقع قد ازدادت كثيراً خلال السنوات الماضية، وكثير من الأجهزة التي تساهم في انحراف الإنسان أصبحت ضرورةً من ضروريات الحياة، وهي ضرورية عرفية لا دينية، والآن الشخص الذي لا يملك هاتفاً نقلاً ينظر إليه الناس نظرةً دونيةً، وينقدونه على عدم استعماله للنّقال، وبعض المؤمنين الذين لا يستعملون الأجهزة الذكيّة يستغرب المؤمنون أنّه لماذا لا يريد أن يملك واحداً منها، وكلّ من يحيط به يحثّه على شراء جهاز نقّال، ومن يحثّه من المؤمنين يذكر له الفوائد الدنيّة التي يمكن أن يستفيد منها، والمقاييس العرفية - حتى عند المؤمنين - تدعوهم إلى حتّ الآخرين للحصول على مثل هذا الجهاز، وهذا المقياس مقياس عرفي لا مقياس ديني، وبالنسبة للدين لا يفرق إذا كان الشخص يملك جهازاً أو لا يملك، والمهمّ عند الدين أنّ الإنسان لا يستعمل الجهاز في المحرّمات، والآن تقريباً كلّ شخص عنده هاتف نقّال أو جهاز كومبيوتر، وهذه الأجهزة تساهم في انحراف الإنسان إذا لم يعرف كيف يستفيد منها الاستفادة الصحيحة .

وفي زماننا توجد إغراءات ماديّة كثيرة، والمصالح الشخصيّة عند الإنسان تدعوه للحصول على الأمور الماديّة، والأمور الماديّة بشكل عامّ تحوّل بين الإنسان والحقّ، وبعض الشّباب يستعملون الهاتف النّقال في أمور محرّمة مع علمهم بأنّها محرّمة، فالحكم الشرعيّ واضح

عنده، وهو ليس جاهلاً بالحكم الشرعي، ولكن الأجهزة لها جاذبية تجذب الإنسان وخاصةً الشباب، ويضيع كثير من الوقت في متابعة الرسائل التي تصل إلى الشخص وإرسال الرسائل، ولا يشعر بالوقت الذي يستهلكه في ذلك .

وكل شخص لا بد من أن يسأل نفسه ويجيب عنه : هذا الوقت الذي يستهلكه في هذه الأجهزة هل يمثل حاجة فعلية له ؟

والبعض يتبادلون النكت طوال اليوم، والبعض يدخلون المواقع غير النافعة، فيضيع وقت طويل منه وهو لا يشعر بهذا الوقت الضائع، ولو طلبت منه أن يفعل شيئاً نافعاً - كأن يزور أخاه - يقول بأنه لا يوجد عنده وقت، نعم ليس عنده وقت؛ لأنه ضيَّعه فيما لا ينفع .

وهذا الجهاز مثل الشيطان، يدعوك ويجذبك، وكأنه يوسوس لك : تعال إليّ .

وإبليس يوسوس أيضاً، ويستفيد من هذه الأجهزة في إضلال الإنسان وتضييع وقته، وهو يشغله حتى لا يفكر في شيء نافع يعود عليه وعلى مجتمعه بالفائدة، لذلك توجد مسؤولية على الإنسان تجاه جميع الأجهزة في أن يستفيد منها في أمور محللة نافعة له ولمجتمعه، وأن لا يضيع وقته حتى في الأمور المحللة، فالإنسان مسؤول عن وقته وعمره أمام الله تعالى .

عن رسول الله صلى الله عليه وآله : " لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه، وشبابه فيما أبلاه، وعن

ماله من أين كسبه وفيما أنفقه، وعن حَبْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ" (١) .

وعليه أن يقوم بأعمال تعود بالنفع والفائدة عليه وعلى أمته ومجتمعه وعالمه، وكثير من الرسائل التي تصل لا قيمة لها ولا فائدة فيها، كلام كثير ورسائل كثيرة قد تصل إلى ثلاثمائة رسالة أو أكثر، ولكنك تجد أنك استفدت من خمس رسائل فقط .

وكلّما ازدادت وسائل الإغراءات وكان الجذب أكثر احتاج الإنسان إلى جهاد للنفس أكبر، وتصوّر أنّ هناك أشخاصًا يجذبونك بجبال فتحتاج إلى جهد كبير حتّى يمكنك أن تقاوم جذبهم، وكلّما ازداد عدد الأشخاص احتجت إلى جهد أكبر لمقاومتهم، وهذا في الأمور المادّيّة، ونفس الكلام يأتي في الأمور المعنويّة، وفي الأمور المادّيّة يمكنك أن تعرف أنّ هؤلاء الأشخاص أعداء لك، وكلّ إنسان يعلم أنّ الشيطان عدوّ له .

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

"إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ" (٢) .

ومع علم الإنسان بأنّ الشيطان عدوّ له فإنّه ينجّر خلف الشيطان، يدعو الإنسان إلى ارتكاب الحرام والإنسان يعلم بأنّ هذا حرام، ولكن مع ذلك يرتكب الحرام، وهو يطيع الشيطان مع يقينه بأنّ الشيطان

(١) بحار الأنوار ج ٦٨ ص ١٨٠ ح ٣٢ .

(٢) فاطر : ٦ .

عدوّ له، وإذا لا ينمّي الإنسان عنده جهاد النّفس فإنّه سينجرّ بكل سهولة لوسوسة الشّيطان، وبعض الأشخاص ينجرّ بإشارة صغيرة من الشّيطان، فيحتاج الإنسان دائماً إلى جهاد النّفس، ولا بدّ من أن تكون حالة الجهاد عنده دائماً متواصلة؛ حتّى يمكنه أن يقاوم الإغراءات، وخاصّةً في الزّمان الحاليّ والمستقبليّ، لذلك من يجاهد نفسه أكثر وينجح يكون أفضل من غيره، فأصبح المدار في الأفضليّة هو جهاد النّفس والنّجاح في البلاء، وكلّما جاهد الإنسان نفسه أكثر فإنّه يصل إلى مراتب أعلى، فصار مقياس الأفضلية بين النّاس هو "جهاد النّفس"، فكما أنّ مقياس الطّول في الأمور المادّيّة هو المتر، كذلك يوجد مقياس للأفضليّة وهو "جهاد النّفس"، وهو مقياس في الأمور المعنويّة، والتّقوى يحصل عليها الإنسان من خلال جهاد النّفس، فكّلما جاهد المؤمن نفسه أكثر حصل على درجة أعلى من التّقوى .

إذن :

نحتاج إلى جهاد النّفس والنّجاح في البلاءات كمقياس في الأفضليّة وقياس شخص على شخص، وكلّما ازداد جهاد النّفس زادت أفضليّة الشّخص .

سؤال : الغرب حينما يخترعون الأجهزة ما هو هدفهم ؟

الجواب :

هم ينظرون إلى الأموال والفائدة المادّيّة، ولا ينظرون إلى التّقرّب إلى

الله تعالى، وأما الإنسان المؤمن المتقي إذا اخترع جهازًا فإنه يتقرب به إلى الله عز وجل، ويكون الجهاز نافعًا للناس، ولكن الغرب والشرق حينما يخترعون الأجهزة يكون نظرهم إلى الأموال والاقتصاد القوي لبلدانهم، ويقع التنافس بين الشركات للحصول على موارد مالية أكثر للشركة، لذلك يعطيك الجهاز ويسمح للمواقع الإباحية بأن تنتشر على هذه الأجهزة؛ لأنه يكتسب الأموال من هذه المواقع، والتأحية الأخلاقية مفقودة عند الغرب، والجهاز ليس له هوية، فلا يكون جهازًا مؤمنًا أو جهازًا كافرًا، نعم من يخترع الأجهزة الآن هم الغرب أو الشرق، ونظرتهم نظرة دنيوية، ولا ينظرون بالنظرة الإلهية، والإنسان حينما يشتري الجهاز فإنه يستعمله في الحلال أو في الحرام، فالجهاز له وجهان من الحلية والحرمة بحسب الاستعمال .

وإذا سأل : هل يجوز لي أن أشتري هذا الجهاز ؟

فالجواب بأن الحكم الشرعي يكون تابعًا لكيفية استعمال الجهاز، فإذا استعمله في الحلال فإنَّ شراؤه مباح، وإذا استعمله في الحرام فإنَّ شراؤه حرام؛ لأنه يصبح وسيلة لارتكاب الحرام .

وبدأت اختراعاتهم من العصر الذي يُطلقُ عليه "عصر النهضة"، ولكنَّه في الواقع بداية عصر الانحطاط، وحينما بدأوا بالاختراعات لم يكن هدفهم استفادة البشرية، وإنما الاستفادة المادية أولًا وآخرًا، وكلَّما استعمل النَّاس هذه الأجهزة دخلت عليهم موارد مالية أكثر، وللحصول على موارد مالية أكثر لا بدَّ من تزوين البضاعة، لذلك لا

يقدم لك السيارة على أنها وسيلة نقل فقط، وإنما يقدمها بشكل مرفه بحيث تجلس على المقعد وأنت مرتاح راحة تامة، وتجذبك للافتخار بها أمام الناس، وارجع إلى بدايات الاختراعات ستري أنّ السيارة كانت مكشوفة، وكانوا يطلبون حمل شخص لعلم والسير أمام السيارة، ولكن بعد ذلك حصل التنافس بين الشركات، وكلّ شركة تحاول أن تروج بضائعها، وتعلن عن البضاعة، ودائمًا ترى امرأة في الدعاية، دعاية موس حلاقة للرجال ويأتون بامرأة فيها، فليس الهدف هو أن يقدم لك البضاعة، بل لا بدّ من أن يضع لك إجراءات؛ لأجل أن تشتريها، لذلك يزيّن لك البضاعة .

مثلاً أنت تحتاج لمرآة لأجل أن تنظر إلى وجهك، فلا يقدم لك المرأة فقط، وإنما يقدم لك مع المرأة بروازًا وزخارف، فأنت تشتري المرأة لأجل البرواز الذي يتناسب مع زينة البضائع الأخرى الموجودة في بيتك من حيث اللون أو الشكل، فلون البرواز يتناسب مع لون الأثاث، والمرآة تكون بشكل دائريّ أو بيضاويّ أو مربع أو مستطيل، والبرواز يكون مصنوعًا بشكل فنيّ جذاب حتى يجذبك لشرائه، فلا يكون الهدف فقط المرأة كوسيلة للنظر إلى وجهك، وإنما الهدف هو زينة المرأة، فأصبحت المرأة هدفًا بعد أن كانت وسيلة، وجميع البضائع يقدمونها الآن مع زينة جذابة .

وشركات الغرب والشرق لا يقدمون البضائع لأجل خدمة البشرية، وإنما لأجل الكسب الماديّ، ولكنّ المؤمن حينما يشتري الجهاز لا بدّ

من أن يستعمل الجهاز في أمور معينة، وليس النظر إلى المباح فقط؛ لأنه يمكن أن يستعمل الجهاز في المباح طوال اليوم، ولا يؤثر على واجباته وعباداته كالصلاة، ولكن المباح يمكن أن يضيع على الإنسان كثيراً من المستحبات، مثلاً لو استعمل الجهاز في كل يوم دقائق معدودة في حفظ بعض الآيات لكان جميع المسلمين اليوم من حفظة القرآن، ولكن كم عدد المسلمين الذين يفعلون هذا؟!

نعم المؤمنون يستفيدون من الجهاز في إرسال الآيات والروايات والمسائل الشرعية، والبعض يرسل أقوالاً منسوبةً للنبي صلى الله عليه وآله أو الأئمة عليهم السلام لا أصل لها وبدون أن يتحقق منها، وتنتشر بين المؤمنين بدون أن يتحقق منها أحد مع أنّ التحقيق اليوم عن الروايات سهل، فيدخل إلى البحث ويكتب بعض الكلمات حتى يتحقق من أنّها موجودة في المصادر فعلاً، وإذا وصلت لك رسالة ففكر أولاً هل أنشر هذه الرسالة أو لا ؟

لا بمجرد أنّها وصلت يرسلها بدون أن يقرأها، والبعض قد يقرأ كم كلمة منها ويرسلها، والبعض يكتب "كما وصلني" ويرسلها، ويظنّ بأنّه إذا كتب ذلك يكون خاليًا من المسؤولية، لا بدّ من أن يقرأ الرسالة ويتأكد من أنّها صحيحة بحسب الضوابط الشرعية، وإذا تأكد من ذلك يرسلها لوجود فائدة فيها، وكثير من الرسائل لا فائدة فيها، والبعض يرسل صوراً أو مقاطع فيديو ليس لها فائدة، والهاتف يمتلئ بالآلاف الصور ومقاطع الفيديو .

وتوجد نقطة مهمّة لا بدّ من الالتفات إليها، وهي أنّ كلّ ما يقوم به أعداء الدّين من تخطيط يساهم في نشر الدّين وتقوية المؤمنين، فالأثر المترتّب على تخطيطاتهم هو عكس الهدف الذي يريدونه، فالمؤمنون كلّما ازداد الضّغط عليهم صاروا أقوى والتزموا بالدّين أكثر، والأعداء هدفهم القضاء على الدّين، ولكنّ الأثر عكسيّ، والتّخطيط والتّكاليف العالميّ على مدرسة أهل البيت عليهم السّلام ازداد في السّنوات الأخيرة بشكل ملحوظ، ولكن نرى أنّ عدد أتباع هذه المدرسة ازداد في العالم أكثر، فكّلما زاد الضّغط على التّشيع لأهل البيت عليهم السّلام انتشر في العالم أكثر، والأعداء يساهمون في تقوية المؤمنين وزيادة إيمانهم واعتقادهم، والأثر عكس ما يريدون، فهم يخطّون، ولكن تخطيطهم يساهم في قوّة المؤمنين أكثر، ولا بدّ من أن نلتفت إلى النّقطة المهمّة، نعم الوضع مؤذي، والمؤمنون يتأدّون ويألمون، ولكنّ النتائج المترتّبة على هذا التّأذي والألم نتائج إيجابيّة، فالأعداء يساهمون في إنشاء وتكوين أنصار الإمام عليه السّلام، وبالتالي تعجيل ظهور الإمام عليه السّلام؛ لأنّ الشرط الناقص الآن هو وجود الأنصار، وهم يساهمون في تكوين أنصار الإمام عليه السّلام، فيزداد إيمان المؤمنين مع مرور الأيام، وهذا يساهم في إيجاد أنصار الإمام عليه السّلام، والمؤمنون يستبشرون من الوضع العالميّ والأحداث العالميّة، ويرون أنّ علامات الظّهور تتحقّق، طبعاً بدون تحديد وقت لظهور الإمام عليه السّلام، ولكن نستبشر دائماً بقرب

الظهور، ولا يمكن أن نقول عشر أو عشرين سنة، ولكن توجد علامات على الطريق تدلّ المؤمنين على أنّهم يسيرون في الطريق الصحيح، والمؤمنون في عصر الفتن لا يدخل في قلوبهم الشكّ مهما كانت الفتن كثيرةً وقاسيةً عليهم .

عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام : "أقرب ما يكون العباد من الله وأرضى ما يكون عنهم إذا افتقدوا حجة الله جلّ وعزّ، ولم يظهر لهم، ولم يعلموا بمكانه، وهم في ذلك يعلمون أنّه لم تبطل حجة الله جلّ ذكره، ولا ميثاقه، فعندها فتوقّعوا الفرج صباحًا ومساءً، فإنّ أشدّ ما يكون غضب الله عزّ وجلّ على أعدائه إذا افتقدوا حجة الله فلم يظهر لهم، وقد علم الله أنّ أوليائه لا يرتابون، ولو علم أنّهم يرتابون ما غيّب حجّته عنهم طرفة عين، ولا يكون ذلك إلّا على رأس شرار الناس" (١) .

أحد المؤمنين قال أمس إنّه كان في نقاش مع أحد المخالفين حيث سأله : ما هي أدلّة الإمامة ؟

فقال : أنا لست عالماً، ولا أعرف أدلّة الإمامة، ولكن أهل البيت عليهم السلام موجودون في قلوبنا وفطرتنا، ومخلوطون بدمائنا، ولا تسألني عن الدليل، ولكننا لا نتنازل عن أهل البيت عليهم السلام، ولا نتخلّى عنهم مهما حصل .

الله عزّ وجلّ يعلم أنّ المؤمنين لا يدخل في قلوبهم الشكّ بسبب

(١) الغيبة للشيخ محمد بن إبراهيم النعماني ج ١ ص ١٦٣-١٦٤ ح ٢ .

طول غيبة إمامهم عليه السّلام، وترى أنّ المؤمنين لا يتنازلون عن عقيدتهم بالإمامة إلاّ القليل من الجهلة الذين ليس عندهم اطلاع .

والارتباب بالإمام المهديّ عليه السّلام ينتج من الانحراف الفكريّ والنظريّ من عدم وجود العلم والاطّلاع أو من تبنيّ الأفكار غير الإسلاميّة، أو ينتج من الفساد العمليّ من ارتكاب المحرّمات، ولا يهتمّه أنّ الإمام عليه السّلام موجود أو غير موجود، فالشّخص الذي يبحث عن لذاته وينغمس في شهواته لا يفكر في الدّين ولا يهتمّه أمر الدّين، فالارتباب ينتج من الانحراف الفكريّ أو الفساد العمليّ .

وطول الغيبة يسبّب الشكّ عند بعض الأشخاص، ويسألون عن طول عمر الإمام عليه السّلام، فتأتي له بأدلة عن طول أعمار بعض الأنبياء عليهم السّلام، مثلاً امتدّ عمر نوح عليه السّلام إلى ألفين وخمسمائة سنة تقريباً، ولكن لو ربطنا غيبة الإمام عليه السّلام بقدرة الله على كلّ شيء فلا ينتج الشكّ في القلب، فكما أنّ طول عمر نوح عليه السّلام مرتبط بقدرة الله تعالى، كذلك عمر الإمام عليه السّلام مرتبط بقدرة الله تعالى، والله قادر على كلّ شيء، فلا ينشأ شكّ بطول عمر الإمام عليه السّلام إلى ما شاء الله، وقد يمتدّ عمر أيّ إنسان بقدرة الله تعالى إلى آلاف السّنوات بل ملايين السّنوات .

وطول عمر الإمام عليه السّلام يتناسب مع التخطيط الإلهيّ إلى أن يحين موعد ظهوره عليه السّلام، وموعد الظهور له شروط معيّنة، وإذا توقّرت الشّروط يظهر الإمام عليه السّلام، ومن جهة الإمام عليه

السّلام لا توجد مشكلة؛ لأنّه مستعدّ للظهور في أيّ وقت يأمره الله عزّ وجلّ، والظروف العالميّة لا بدّ من أن تكون مهيأةً للظهور، وعلى المؤمنين أن يوقروا الأنصار بالكمّ والكيف المناسبين، فحينما يظهر الإمام عليه السّلام سيتقبّله العالم، والنّاس في العالم حينما يعيشون الظلم يريدون من ينقذهم منه، والآن النّاس يصيحون أين المنقذ من المشاكل العالميّة ؟

وحثّ الإنسان الملحد الذي لا يؤمن بالله تعالى يريد المنقذ من الظلم الواقع عليه، وفكرة المنقذ فكرة عالميّة موجودة في جميع الأديان من أنّه سيأتي شخص وينقذ البشر من الظلم والمشاكل وينشر العدل في العالم، وهي فكرة فطريّة موجودة عند جميع النّاس، فكلّ من يرى الظلم المنتشر في العالم يعيش الأمل بالعدل العالميّ، وتتطلّع نفسه إلى ظهور منقذ عالميّ، وطبيعة الإنسان أنّه يحبّ السّلام والعدل ويكره الحروب والظلم، وهذا موجود في فطرة الإنسان، ويحتاج إلى من ينقذ هذه الفكرة الفطريّة، وكلّ إنسان يبحث عن السّلام والعدل ويرغب في أن يعيش بسّلام وعدالة، والإرهابيّون استثناء وهم على خلاف الفطرة الإنسانيّة، فطبيعة الإنسان أنّه يريد السّلام، والإسلام دين يدعو إلى السّلام، والدّعوة إلى السّلام والعدل من أسس الإسلام، والحرب استثناء، وتكون في حالة الضّرورة فقط حينما يكون هناك هجوم على البلاد، والعدوّ يكون البادئ بالقتال .

"وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُفَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ

المُعْتَدِينَ" (١) .

"أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ
أَوَّلَ مَرَّةٍ" (٢) .

فالمسلمون يقاتلون من يقاتلهم فقط، والحروب في الإسلام حروب دفاعية، فمن لا يقاتل المسلمين فالمسلمون لا يقاتلونهم، ولا يجوز أن يبدأ المسلمون بالقتال، والحروب الابتدائية حروب على خلاف دعوة القرآن الكريم، وإذا شخص لم يقاتل المسلمين فليس من حق المسلم أن يقتله، فإذا حمل السلاح على المسلمين فيجب على المسلمين الدفاع عن النفس، ولا يجوز قتل من لم يحمل السلاح على المسلمين، ولا يجوز الهجوم على الآخرين واحتلال أراضي الناس المسلمين من غير المسلمين، ولا يجوز قتل أي إنسان إلا بسبب شرعي .

وإذا توقرت الشروط فإن الإمام عليه السلام يظهر، ومن الشروط وجود الأنصار بالكم والكيف، أي بالعدد الكافي والصفات المناسبة، والإمام عليه السلام يريد عددا معينا كما في الروايات من أن القادة ثلاثمائة وثلاثة عشر شخصا، وهؤلاء يكونون بمواصفات معينة، ولا يدخل أي شخص ضمن هؤلاء بشكل عشوائي، فهم متميزون عن غيرهم بحيث إن الإمام عليه السلام يختارهم، ودور المؤمن أن يصل إلى مرتبة هؤلاء الأنصار المتميزين، والعملية ليست سهلة، فمن يكون

(١) البقرة : ١٩٠ .

(٢) التوبة : ١٣ .

هدفه أن يكون منهم فلا بدّ من أن يكون متميّزًا بصفاته عن النَّاس العاديين، فتكون عنده صفات أخرى، ومقاييسه تكون مقاييس أخرى غير مقاييس النَّاس العاديين، فيصل إلى مرتبة بحيث يتعجب من أنّ النَّاس لماذا يفكّرون بطريقة ويقومون بأفعال لا توصلهم إلى الهدف وتكون هذه الطّريقة والأفعال خلاف البديهيّات، والمفروض أنّ المؤمنين لا يفكّرون بهذه الطّريقة ولا يقومون بهذه الأفعال، لا فقط في مجال الواجب والحرام، بل حتّى في مجال المباحات، فالمؤمن الذي يريد أن يكون من الأنصار لا بدّ من أن يكون نظره إلى المباحات نظرة أخرى غير نظر النَّاس العاديين، فالمقياس ليس الواجب والحرام فقط، فالواجب والحرام مفروغ منهما، فالمؤمن يفعل الواجبات ويترك المحرّمات، وهذا أمر بديهيّ، والمستحبّ والمكروه مفروغ منهما، ومدار أنصار الإمام عليه السلام هو المباحات، ولو راجعنا حياة سلمان المحمّديّ وأبي ذرّ والمقداد وعمار هؤلاء الثّلة رضوان الله عليهم لرأينا أنّ تعاملهم مع المباحات كان تعاملًا مختلفًا عن باقي المسلمين، فسلمان المحمّديّ حينما يدخلون إلى بيته يرون مَطْهَرَةً تستعمل للتّطهير كالإبريق، وَجَفْنَةٌ أي إناء للطّعام، وإِجَانَةٌ تُسْتَعْمَلُ لغسل الملابس كالطّشت، ولا يملك شيئًا آخر .

دخل سعد بن أبي وقاص على سلمان المحمّديّ يعوده فبكى سلمان، فقال له سعد : ما يبكيك يا أبا عبدالله ؟ توفّي رسول الله صلّى الله عليه وآله وهو عنك راضٍ، وتَرِدُّ عليه الحوض . فقال

سلمان : أما إني لا أبكي جزعًا من الموت، ولا حرصًا على الدنيا، ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله عهد إلينا وقال : "ليكن بلغة أحدكم كزاد الزاكب"، وحوالي هذه الأساود . وإنما حوله إجانةً وجفنةً ومطهرةً^(١) .

سؤال : لماذا لم يضع سلمان المحمدي في بيته أكثر من هذه الأشياء ؟ ألا يجوز له ذلك ؟
الجواب :

نعم يجوز، ولو دخلنا بيوت المسلمين الآخرين في زمانه لرأينا أشياء كثيرة .

عن الإمام الباقر عليه السلام : "لما تزوج علي عليه السلام فاطمة عليها السلام بسط البيت كثيبًا، وكان فراشهما إهاب كبش، ومرفقتهما محشوة ليفًا، ونصبوا عودًا يوضع عليه السقاء، فستره بكساء"^(٢) .

وأمر المؤمنين عليه السلام كان ينام ليلاً على جلد الكبش، وفي

(١) بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٣٨١ ح ١٤ . البُلعة : ما يكفي لسد الحاجة .
الأساود : المتاع . الإجانة : إناء تُغسل فيه الثياب . الجفنة : وعاء للطعام . المطهرة : إناء يُتطهر منه .

(٢) بحار الأنوار ج ٧٦ ص ٣٢٢ ح ٤ . الكثيب : الرمل . الإهاب : جلد الحيوان . مرفقتها : وسادتها . العود : الخشبة . السقاء : وعاء من جلد يوضع فيه الماء .

النَّهار يستعمله للجلوس عليه، ويمكنه عليه السَّلام أن يضع في بيته أكثر من هذا، وكذلك سلمان المحمَّديّ رضوان الله عليه يمكنه أن يجعل في بيته أشياء أكثر، ولكنَّ أمير المؤمنين عليه السَّلام وأصحابه لا يضعون في بيوتهم أشياء أكثر؛ لأنَّهم لا يريدون المباحات الزَّائدة عن حاجتهم بل يقتصرون على أقلِّ من حاجاتهم ويستغنون عن بعض الحاجات .

والمؤمن يتعامل مع الدُّنيا على أساس الحاجة، فيضع في بيته ما يحتاج إليه، ويستغني عمَّا لا يحتاجه، والحاجات عبر الزَّمان تتغيَّر، فسابقًا كانوا يطبخون على الخشب، والآن تحتاج إلى فرن يعمل على الغاز، وهذه وسائل للطَّبْخ، ووسائل الحياة تختلف من زمان لآخر ومن مكان لآخر .

وأحد المؤمنين عنده فكرة، فيقول بأنَّه لا نحتاج إلى هذه الاختراعات والأجهزة والبيوت التي تُبنى بهذه الكيفيَّة، ولا بدَّ من أن نرجع إلى وسائل الحياة التي كانت موجودةً في زمان النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله، فنطبخ كما كانوا يطبخون على الخشب .

قلت له : إذن لا بدَّ من أن تستعمل الحصان للتَّنقُّل من مكان

لآخر، فلماذا تستعمل السيَّارة؟! ولماذا تستعمل الهاتف النِّقال؟! إذا كانت هذه فكرتك فلا بدَّ من أن تبني بيتًا صغيرًا من الخشب، وما كان يُطلَقُ عليه سابقًا أنَّه "بيت" هو في الواقع غرفة واحدة فقط، فإذا كانت فكرتك أنك تريد أن تعيش كما كان النَّاس يعيشون في

عصر النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَلَا بَدَّ مِنْ أَنْ تَتَخَلَّى عَنْ جَمِيعِ
الأجهزة والاختراعات الحديثة .

قلت له : هذه وسائل، والمقياس في كلِّ زمان ومكان هو مقياس
الحاجة، ففي ذلك الزَّمان كانت حاجاتهم قليلةً، وأمَّا الآن فتحتاج إلى
الهاتف النَّقال حتَّى تتواصل مع الآخرين، فأنت تحتاج إلى الأجهزة
الحديثة؛ لكي يكون عندك اطلاع بما يحدث في العالم من باب
الاهتمام بالإسلام وبأمور المسلمين، فهذه الأجهزة عبارة عن وسائل
فقط، وهي ليست أهدافاً للإنسان المؤمن، وتحتاج إلى سيَّارة للانتقال
من مكان إلى آخر، وسابقاً كان الهاتف الثَّابت في البيت هو الحاجة،
والآن حاجة الإنسان صارت أكثر من هذا، فتريد أن تتصل وأنت
خارج البيت، وجميع الأجهزة هي وسائل لقضاء الحاجات .

قال : لا توجد روايات من النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ والأئمَّة عليهم
السَّلام تدعو إلى الاختراعات .

قلت : لا توجد روايات من هذا القبيل؛ لأنَّ ليس دور النَّبِيِّ صَلَّى
الله عليه وآله والأئمَّة عليهم السَّلام الدَّعوة إلى الاختراعات، وإذا
اخترع شخص جهازاً فالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ والأئمَّة عليهم السَّلام
لا يعترضون عليه، نعم يعترضون على الاختراع الذي يضرُّ النَّاسَ،
ولكن ألا نحتاج إلى أدوية لعلاج المرضى؟! ومن تكون وظيفته الطَّبُّ
ألا يجب أن يتقن عمله ويكتشف أدويةً جديدةً لعلاج النَّاس؟!
إذا أتقن الطَّبيب عمله فإنَّه يكتشف أدويةً جديدةً لعلاج الأمراض

المختلفة .

والآن في مواجهة الاقتصاد الغربيّ والشرقيّ ألا يحتاج المسلمون إلى اقتصاد قويّ مستقلّ عن الغرب والشرق بحيث يكون عندنا اكتفاء ذاتيّ حتّى لا يسيطروا ولا يهيمنوا على المسلمين ؟

وإيجاد الاقتصاد القويّ المستقلّ ليس مباحًا بل هو واجب على المسلمين، فيجب على المسلمين أن يكتشفوا ويخترعوا حتّى يستقلّوا عن الغرب والشرق، وأن لا يكونوا فقط مستهلكين لبضائعهم، وتكون عند المسلمين الاستقلاليّة الاقتصاديّة، وهذا واجب على المسلمين، ولا يكونون تابعين اقتصاديًّا للغرب والشرق بحيث إنّ الغرب يسيطر عليهم بالاختراعات، ويجب على المسلمين أن يسعوا إلى الاستقلال الاقتصاديّ، وكذلك الاستقلال السّياسيّ بحيث لا يكونون تابعين في السّياسة للغرب، وتصبح عند المسلمين نظرة أخرى للاختراعات، فتكون النظرة نظرة وجوب شرعيّ، وهذا يوجب عليهم الدّخول في مجال الاكتشافات والاختراعات، ويكون دور المسلم إتقان عمله في مجال تخصّصه، ولا يكون عمله عملاً روتينيًّا، بل لا بدّ من أن يفكر في كينيّة تطوير العمل، وأن يخترع أجهزةً لتطوير العمل في مقابل الشرق والغرب .

مثلاً لماذا لا توجد سيّارة من اختراع المسلمين بحيث يكتسح المسلمون الأسواق المحليّة والخارجيّة؟!

والدول المستكبرة حينما تقاطع دول المسلمين فإنّ مقاطعتهم تنتج

نتيجةً عكسيّةً بعكس هدفهم، والضَّغَطُ يوَلِّدُ التَّفْكِيرَ فِي الإِنْتاجِ، والمقاطعة الغريبيّة تساهم فِي إنتاج الاختراعات والاكتشافات فِي بلدان المسلمين، وعلى المسلمين التّكاتف والتّعاوض فِي مواجهة الدّول الاستكباريّة، ويمكن للمسلمين بلوغ الاستقلال الاقتصاديّ والاكتفاء الدّائِيّ بحيث لا يحتاجون للغرب والشرق، وهذا أمر مهمّ جدًّا، والإمام عليه السّلام حينما يظهر يصبح الإسلام هو الدّين المهيمن على جميع الأديان، ويصبح المسلمون هم المهيمنين على العالم، ويصبح المسلمون أقوياء سياسيًّا واقتصاديًّا واجتماعيًّا وفي جميع المجالات .

والمسلمون فِي عصر الغيبة الكبرى لا بدّ من أن يسعوا إلى تقوية أنفسهم، وقضيّة جهاد النّفس هو المقياس، وفي زماننا جهاد النّفس أكبر من جهاد المسلمين فِي عصر النّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؛ لأنّ الإغراءات اليوم أكثر من ذلك العصر، ففي زمان النّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لم تكن التّساء يخرجن سافرات متمكجات بحيث يحصل جهاد النّفس عند المسلم حتّى يغضّ بصره، ووسائل الإغراءات اليوم وسائل كثيرة جدًّا، والآن المؤمن من خلال جهاد النّفس يمكنه أن يصل إلى مرتبة أعلى من بعض الأصحاب المحيطين بالنّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وبعض أصحاب النّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وصلوا إلى القمّة بحيث إنّ المؤمن فِي زماننا لا يمكنه الوصول إلى مرتبة هؤلاء، ولكن من خلال جهاد النّفس يمكن أن يكون المؤمن فِي زماننا أفضل من بعض أصحاب النّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ والأئمّة عليهم السّلام .

وأطرح لكم مقياسًا عمليًا لنا كأفراد، فمن يريد أن يصل إلى مرتبة الأنصار يكون بيده هذا المقياس العمليّ، فكلما أردت القيام بعمل اسأل نفسك : هل الإمام عليه السّلام راضٍ عن قيامي بهذا العمل أو لا ؟

فإذا كان الإمام عليه السّلام راضيًا فالله تعالى يكون راضيًا، فإذا رضي الإمام عليه السّلام فالله عزّ وجلّ يرضى، وإذا غضب الإمام عليه السّلام فالله سبحانه يغضب، وكذلك سيّدة نساء العالمين فاطمة الزّهراء عليها السّلام رضاها رضا الله تعالى .
عن الإمام الحسين عليه السّلام : " . . . رضا الله رضانا أهل البيت . . . " (١) .

عن رسول الله صلّى الله عليه وآله : " يا فاطمة، إنّ الله تبارك وتعالى ليغضب لغضبك ويرضى لرضاك " (٢) .

عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم : " فاطمة بضعة منّي، فمن أغضبها أغضبني " (٣) .

عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم : " إنّما فاطمة بضعة منّي، يؤذيني ما آذاها، وينصبي ما أنصبها " (٤) .

(١) بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٣٦٧ .

(٢) المصدر السابق ج ٤٣ ص ٢١-٢٢ ح ١٢ .

(٣) صحيح البخاريّ رقم ٣٧١٤، صحيح مسلم رقم ٢٤٤٩ .

(٤) صحيح الجامع للألبانيّ رقم ٢٣٦٦ . النَّصَب : التَّعَب .

واجعل هذا المقياس العمليّ بيدك حتّى لو كان العمل من الأعمال
اليوميّة العاديّة التي تقوم بها، مثلاً أحد الشّباب يريد أن يقصّ شعره
فما هي نوع القصّة التي يختارها ؟

نوع القصّة لا بدّ من أن يتناسب مع من يريد أن يكون من
الأنصار، وبعض الشّباب يجعل شعره مثل الأشواك، وصاحب الشّع
بهذا الشّكل هل يناسب من يريد أن يصبح من الأنصار !؟

والشّاب المؤمن لا بدّ من أن يختار شكل الشّع المناسب لإيمانه .
والمؤمن يقيس كلّ عمل بهذا المقياس العمليّ، وتأكّد من ذلك
وستشعر بأنك مؤمن مختلف، وتعامل بنفس هذا المقياس العمليّ مع
المباحات، ففي المباحات يكون نظرك إلى إمامك عليه السّلام، وتعلم
أنّ ملقّك سيعرض عليه عليه السّلام في كلّ ليلة، فتحرص على أن
يكون ملقّك ملقّاً أبيض بحيث لا توجد فيه نقطة سوداء حتّى في
كيفيّة تعاملك مع المباحات، وإذا أتيت بمباح فلائنّ الإمام عليه
السّلام يريد منك أن تأتي بهذا المباح بهذه الكيفيّة المعيّنة، وتدرّجياً
تصعد لا من خلال فعل الواجب والمستحبّ وترك الحرام والمكروه
فقط، بل من خلال المباحات أيضاً، وتُفعل هذا المقياس العمليّ في
المباحات، فإذا أتى بمباح لا ينبغي فإنّه يشعر بالضيق وتأنيب
الضمير، كما هو شعوره حينما يترك واجباً أو يفعل حراماً، ومثل هذا
المؤمن يصعد تدرّجياً في درجات الإيمان بحيث حينما يأتي بالمباح
الذي لا ينبغي فإنّه يتأدّى، وإذا أصبحت هذه الحالة عند المؤمن وبدأ

بتطبيق هذا المقياس العمليّ في المباحات فإنّه يسير في الطّريق الصّحيح لبلوغ درجة الأنصار، وهذا مقياس عمليّ اجعله بيدك، ومن ينظر إلى الواجب والحرام فقط فهو في مرتبة من الإيمان، وإذا صعد إلى المستحبّ والمكروه أيضًا فهو في مرتبة عالية من الإيمان، وإذا صعد إلى العمل بالمباحات التي تنبغي وترك المباحات التي لا تنبغي فقد صعد إلى المرتبة الأعلى من الإيمان، والأنصار يكونون في هذه المرتبة الأعلى .

إنّ المميّز للأنصار يكمن في كفيّة التعامل مع المباحات، والآن انظر لنفسك أنّك كيف تتعامل مع المباحات، فإذا كنت تترتاح لأنّك أتيت بمباح ينبغي وتركت مباحًا لا ينبغي، وتتأدّى إذا تركت مباحًا ينبغي وأتيت بمباح لا ينبغي فأنت في المرتبة الأعلى من الإيمان، وأنت الآن في الطّريق الصّحيح للوصول إلى درجة الأنصار؛ لأنّ مقياس الأنصار هو مقياس المباحات، وأمّا الواجب والحرام والمستحبّ والمكروه فمفروغ منها، ويكون النّظر إلى كفيّة التعامل مع المباحات، ومن يريد أن يصبح من الأنصار لا بدّ من أن يعرف كيف يتعامل مع المباحات تعاملًا صحيحًا، ويبدأ المسير من الآن في تعامله الصّحيح مع المباحات؛ لكي يصل إلى مرتبة أنصار الإمام عليه السّلام، وهذه أوّل خطوة في هذا الطّريق .

والحالة النّفسيّة القلبية عند المؤمن مهمّة، فالتّكامل عند المؤمن أمر مهمّ جدًّا، ويعلم أنّه تحت نظر الإمام عليه السّلام، ويريد المؤمن أن

يحصل على رضاه الذي هو رضا الله تعالى، وإذا سرت بهذه الطريقة فأنت ستشعر في باطنك وقلبك بعد فترة بشيء يختلف عن باطنك في السابق وعن بواطن الآخرين الذين لا يتعاملون مع المباحات بهذه الطريقة، وستشعر أنك قريب من الإمام عليه السلام، ومن الممكن أن الإمام عليه السلام يختار لك تكون من أنصاره حينما يظهر، فلنجعل هذا المقياس بأيدينا، وتسير تدريجيًا على سلم التكامل .

والمؤمن لا بد من أن يكون عنده بصيرة في دينه، ولا بد من أن يميّز بين الحقّ والباطل، ويعرف خطوط الحقّ وخطوط الباطل، وإذا لم يمكنه التمييز بين الحقّ والباطل وتشخيص خطوط الحقّ وخطوط الباطل فمعناه أنه لحدّ الآن لم يصل إلى أوّل خطوة للسير في طريق الأنصار، فالأنصار عندهم البصيرة في التمييز بين الحقّ والباطل وتشخيص الخطوط والتّيارات، وعملية التمييز والتشخيص أمر مهمّ جدًّا للإنسان المؤمن؛ لكي لا ينجرّ إلى خطوط الباطل، وخطوط الباطل تدّعي أنّها من خطوط الحقّ، والباطل لا يقول عن نفسه بأنّه باطل، فالباطل يزيّن نفسه ببعض دعاوى الحقّ، فيأتي بآيات وروايات ليثبت أنّه على الحقّ؛ لكي يخدع أتباعه، والحديد يمكن تغليفه بقشر من ذهب، وعلى المؤمن أن يميّز بين الحقّ والباطل؛ لأنّ عنده علمًا وبصيرةً، والعلم كاشف كالمصباح، والمؤمن كأنّه قد مسك بيده مصباحًا بحيث يرى في الظلام ويميّز بين الأشياء، ومن يخدع بالباطل تنقصه البصيرة، ومن المهمّ للمؤمن أن يميّز الحقّ من الباطل، وهذا من

مميّزات أنصار الإمام عليه السّلام، والمميّز الآخر يظهر في كينيّة التعامل مع المباحات .

النتيجة :

العمل الإسلاميّ في سبيل الله تعالى في عصر الفتن له أثر كبير في تكامل الفرد ووصوله إلى مرتبة أنصار الإمام عليه السّلام، ففي عصر الفتن تتركز المصالح الخاصّة ويقلّ الوازع الأخلاقيّ والدينيّ، وكثير من الوسائل والأجهزة التي تُستعمل في الأعمال المنحرفة الضالّة يراها النّاس ضرورة من ضروريّات الحياة، ولكن ضمن كلّ هذا يمكن الوصول إلى الحقّ، والإغراءات الماديّة والرغبات الشخصيّة تحول دون الالتزام بالحقّ؛ لأنّ الالتزام بالحقّ يحتاج إلى جهاد نفسيّ، وكلّما زادت وسائل الإغراءات ازداد جهاد النّفس، لذلك من يجاهد نفسه أكثر يكون أفضل من غيره، والتّمحيص موجود بشكل أكبر في عصرنا الحاليّ، وقد يكون أكبر في العصور القادمة؛ لأنّ الاختراعات الحديثة سوف تساهم في نشر الانحراف والضلال بصورة أكبر، لذلك فإنّ الامتحان أكبر، ودور المؤمن أن ينجح في هذه الامتحانات؛ لكي يصل إلى درجة الأنصار، ويكون أفضل من أغلب أصحاب النّبّي صلّى الله عليه وآله وأصحاب الأئمّة عليهم السّلام، فالأفضليّة تدور مدار جهاد النّفس، فكّلما زاد الجهاد النّفسيّ زادت الأفضليّة .

والأعداء يظنون بأنهم بنشرهم الفساد والانحراف سوف يقضون على الإسلام، ولكنهم على العكس من ذلك، فهم من حيث لا

يدركون يساهمون في التّمحيص الأكبر الذي ينتج أنصار الإمام عليه السلام، فيزداد إيمان المؤمنين وإخلاصهم ووعيتهم، ويزداد عصيان العاصين والمنحرفين والضالّين، والمؤمنون بالإمام المهديّ عليه السلام لا يرتابون ولا يدخلهم الشكّ بوجود إمامهم عليه السلام .

والارتباب بالإمام المهديّ عليه السلام ناتج من الانحراف الفكريّ والفساد العمليّ ، وطول الغيبة سبب للشكّ، ولكن لو أنّ الشّخص ربط غيبة الإمام المهديّ عليه السلام بالله تعالى العالم القادر على كلّ شيء فلا يستبعد أن يطيل الله تعالى عمر الإمام عليه السلام ويحفظه إلى زمن طويل؛ لأجل تنفيذ العدل العالميّ في اليوم الموعود الذي تكون الظروف فيه مناسبةً لظهوره بعد توفّر شروط الظهور، ومن الشّروط وجود الأنصار بالكمّ والكيف المناسبين، فأولياء الله تعالى الممخّصين الواعين لا يدخل الشكّ في قلوبهم، ولا تؤثر الفتن بهم بسبب قوّة إرادتهم، فهم يعتقدون بالله تعالى حقّ الاعتقاد، ويعلمون يقيناً بأنّ الله عزّ وجلّ قادر على كلّ شيء، ولا يعمل سبحانه عملاً إلاّ بحكمة .

والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطيّبين الطاهرين .

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

(٥٨)

الدعوة إلى العمل والحركة

أفضلية أهل زمن الغيبة

الارتباط بخط المرجعية الرشيدة^(١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين .

قرأنا الرواية الأولى، وهي : عن النبي صلى الله عليه وآله : "العبادة في الهرج كهجرة إلي"^(٢) .

نأتي إلى باقي الروايات :

الرواية الثانية :

عن عبدالله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : "إن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيهن قبض على الجمر،

(١) أُلقيت هذه المحاضرة في الديوانية الأسبوعية في دولة الكويت منطقة

بيان، الجمعة ١٨ شعبان ١٤٣٤ هـ ، ٢٨/٦/٢٠١٣ م .

(٢) صحيح مسلم رقم ٢٩٤٨ . الهرج : وقت الفتن .

للعامل فيها أجرُ خمسين" . قالوا : يا رسول الله، أجر خمسين منهم أو خمسين منّا؟ قال : "خمسين منكم" . رواه البزار والطبراني بنحوه إلا أنه قال : "للمتمسك أجر خمسين شهيداً" . فقال عمر : يا رسول الله، منّا أو منهم؟ قال : "منكم" . ورجال البزار رجال الصحيح غير سهل بن عامر البجلي وثقه ابن حبان (١) .

هذه الرواية فيها دعوة إلى العمل الاجتماعي والعمل السياسي والعمل الجهادي الثقافي الفكري، وفي عصر الغيبة الكبرى المؤمن العامل عمله يساوي عمل خمسين رجلاً عاملاً من المعاصرين للنبي صلى الله عليه وآله، وفي الرخاء حينما يقوم المؤمن بالعمل يحصل على ثواب، ولكنه حينما يكون في أيام الفتن والمحن والمصائب والحكومات الظالمة ويتعرض للبلاء ويقوم بالعمل فتوابه يكون كثواب خمسين مؤمناً، ففي الرخاء كل شخص يمكنه أن يعمل، ولكن حينما تكون هناك محن فالمؤمن الذي يتحرك يلومه بعض الأشخاص بأنه لماذا تتحرك؟!

والمجتمعات تكون هكذا، وهناك مؤمنون يقومون بالعمل في وقت الحكومات الظالمة، وتجد أنّ إخوانه المؤمنين يعاتبونه، ويقولون بأننا في زمان التقيّة، ولكنّ التقيّة تكون في بعض الحالات لا مطلقاً، ففي بعض الأوقات تكون التقيّة واجبةً على بعض الأشخاص لا على الجميع، وفي بعض الأحيان تكون التقيّة محرمةً على بعض الأفراد،

(١) مجمع الزوائد للهيتمي ج ٧ ص ٢٨٢ .

ونرجع في تشخيص الحالات المختلفة بحسب الأحكام الشرعية الخمسة إلى العلماء، فالتقية لا تكون واجبة دائماً، فقد تكون مستحبة أو مباحة أو مكروهة أو محرمة بحسب الظروف، وعلى أساس الظرف يحدد العلماء التحرك أو التوقف، ومدارنا هم العلماء، فالعلماء هم الذين يحددون التكليف في عصر الغيبة الكبرى .

إذن :

المؤمن العامل في عصر الغيبة يحصل على ثواب خمسين عاملاً في العصور السابقة، والعمل الواحد يتضاعف أجره بتضاعف التضحية وتحمل الآلام والظلم والقهر، وإذا وصل الأمر بالمؤمن إلى مرتبة القبض على الجمر كان له أكبر الأجر بما يعادل أجر خمسين مؤمناً يعملون في حال الرخاء والاستقرار .

الرواية الثالثة :

عن عمّار السّاباطيّ قال : قلت لأبي عبد الله عليه السّلام : العباداة مع الإمام منكم المستتر في السّرّ في دولة الباطل أفضل أم العباداة في ظهور الحقّ ودولته مع الإمام الظّاهر منكم ؟

يريد الرّاوي أن يقارن بين المؤمن الذي يعبد الله تعالى في عصر غيبة الإمام عليه السّلام في دولة الباطل وبين المؤمن الذي يكون في عصر ظهور الإمام عليه السّلام في دولة الحقّ؛ لأجل أن يعرف من هو أفضل عبادة .

فقال الإمام الصّادق عليه السّلام : " . . . عبادتكم في السّرّ مع

إمامكم المستتر في دولة الباطل أفضل - لخوفكم من عدوكم في دولة الباطل وحال الهدنة - ممن يعبد الله في ظهور الحق مع الإمام الظاهر في دولة الحق، وليس العبادة مع الخوف في دولة الباطل مثل العبادة مع الأمن في دولة الحق "

إنّ المؤمن العابد في عصر الإمام الغائب عليه السلام أفضل من المؤمن العابد في عصر ظهور الإمام عليه السلام، والسبب هو أنّ العبادة في حال الخوف تختلف عن العبادة في حال الأمن، بسبب وقوع الضّرر على المؤمن في دولة الباطل .

قال الرّاي : ولكيّ أحبّ أن أعلم كيف صرنا نحن اليوم أفضل أعمالاً من أصحاب الإمام منكم الظاهر في دولة الحقّ ونحن وهم على دين واحد وهو دين الله عزّ وجلّ ؟
الرّاي يسأل عن سبب الأفضليّة .

فقال الإمام الصّادق عليه السلام : "إنكم سبقتموهم إلى الدّخول في دين الله، وإلى الصّلاة والصّوم والحجّ، وإلى كلّ فقه وخير، وإلى عبادة الله سرّاً من عدوكم مع الإمام المستتر، مطيعون له، صابرون معه، منتظرون لدولة الحقّ، خائفون على إمامكم وعلى أنفسكم من الملوك، تنظرون إلى حقّ إمامكم وحقّكم في أيدي الظّلمة، قد منعوكم ذلك، واضطّروكم إلى جذب الدّنيا وطلب المعاش، مع الصّبر على دينكم وعبادتكم وطاعة ربّكم والخوف من عدوكم، فبذلك ضاعف الله أعمالكم، فهنيئاً لكم هنيئاً . . . ، أما والله يا عمّار، لا يموت منكم

مَيّت على الحال التي أنتم عليها إلا كان أفضل عند الله عزّ وجلّ من كثير ممّن شهد بدرًا وأحدًا، فأبشروا" (١) .

إنّ من يعبد الله تعالى في حال الخوف أفضل ممّن يكون في حالة الرّخاء والأمن، وفي بعض البلدان لا يستطيع المؤمن أن يصرّح بدينه وعقائده، فيتعرّض للقتل أو السّجن، فيعبد الله تعالى وهو خائف من أن تتعرّض له الحكومة الظّالمة، وفي حال الأمن يعبد الله تعالى وهو يعلم أنّه لا توجد أيّ رقابة عليه، فالوضعان مختلفان .

والمؤمن يبحث عن الشّهادة، وحينما يستشهد المؤمن ينقلب إلى رمز، وهو قبل استشهاده لم يكن معروفًا إلاّ عند المؤمنين، وإذا حصل على الشّهادة فالعالم كلّهُ يتحدّث عنه، ومثالنا هو الإمام الحسين عليه السّلام الذي بقي خالدًا عبر الزّمان، والآن العالم كلّهُ يعرف الإمام الحسين عليه السّلام .

وبدل أن تقضي الحكومات الظّالمة على أتباع أهل البيت عليهم السّلام فإنّها تساهم في نشر مدرسة أهل البيت عليهم السّلام في العالم، والآن كلّ من يدخل إلى المواقع يرى كلمات هذا الشّهيد وذاك الشّهيد، وحينما يقرأ كلماتهم يرى أنّ هؤلاء الشّهداء لا يقولون شيئًا على خلاف الدّين، فالحكومات الظّالمة تفتح الأبواب في العالم لنشر التّشيع لأهل البيت عليهم السّلام، وفي علامات الظّهور يوجد صحابيّ مصر، يظهر ويمهّد الأرضيّة لظهور الإمام عليه السّلام، ونحن

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ١٢٧-١٢٨ ح ٢٠ .

بانتظار هذا الصّحابي؛ لأنّه من علامات الظهور .

إذن :

المؤمن الذي يعبد الله تعالى في حال الخوف يكون أفضل ممّن يعبد الله في أيّام الأمن والرّخاء، طبعًا بشروط، فهذا المؤمن لا بدّ من أن يعرف تكاليفه الشرعيّة، وهل تكليفه التّقية أو لا، ويرجع إلى العلماء لمعرفة تكليفه الشرعيّ، فإذا كانت التّقية واجبةً عليه فعليه أن يتوقّف عن العمل الظاهريّ، ويخفي إيمانه حتّى لا يتسبّب في وقوع الضّرر عليه وعلى المؤمنين، فالمؤمن الذي يعيش في عصر الابتلاء والمحن ويعبد الله تعالى أفضل ممّن لا يكون في عصر المحن، ومن يعيش في أمن لا يعرف شعور من يعيش في دولة الظلم .

قد تقول : لماذا يتحرّك ؟

فنقول : هو يحدّد تكليفه ويتحرّك على أساس تكليفه .

ولا يمكن أن تقول : إنّ هذا ليس تكليفه .

نقول : هو يحدّد تكليفه بعد الرجوع إلى العلماء .

فالمؤمن يحدّد تكليفه ويكون قويّ الإيمان ثمّ يتحرّك، ولا يكون الإنسان عاصيًا مرتكبًا للمحرّمات وهو يريد أن يصبح شهيدًا، بل يكون متمسّكًا بدينه، ويعيش قوّة الإيمان، وحينما يُقدّم على أيّ عمل يعلم أنّ نهايته السّجن أو الشّهادة، والمؤمن يرغب إلى الشّهادة في سبيل الله تعالى، وتلاحظون أنّ المؤمنين من أتباع أهل البيت عليهم السّلام ينقلبون إلى رموز، ويكثر الحديث عنهم بين المؤمنين،

ويصبحون قدوةً للمؤمنين، وقد يقتلون واحداً من المؤمنين، ولكن ينشأ بدله ألف مؤمن، ويكون مثله أو أقوى منه .

وما دام عندنا الإمام الحسين عليه السّلام فالشّيعة من الطّبيعيّ أن يطلب الشّهادة، فإذا وُجدَ الرّمز المعصوم والقُدوة المعصومة فالمؤمن يعمل ويتحرّك، والقُدوة المعصومة تحرّك المؤمن باتجاه زمان الظّهور، فمن جهة عندنا الإمام الحسين عليه السّلام، ومن الجهة الأخرى من يأخذ بثأر الإمام الحسين عليه السّلام، فالشيعة يطيرون بجناحين الحسين والمهديّ عليهما السّلام، فالمؤمنون يتحرّكون بين شخصيّتين معصومتين، ويظلّ الإنسان الشّيعة إنساناً حيّاً عبر التّاريخ، ولا يموت المؤمن؛ لأنّ لديه مثالين حيّين، بالإضافة إلى النّبّي صلّى الله عليه وآله وسيّدة نساء العالمين فاطمة الزّهراء عليها السّلام وباقي الأئمّة عليهم السّلام، وفي بعض المحاضرات مستقبلاً سنبيّن العلاقة بين الإمامين الحسين والمهديّ عليهما السّلام، هذه العلاقة القويّة بين الإمامين عليهما السّلام .

النتيجة :

العبادة في وقت الفتن والانحراف أفضل من العبادة في وقت الرّخاء؛ لأنّ الإغراءات أكثر في وقت الفتن، والمطلوب هو أن يكون الفرد متوافقاً مع إمامه عليه السّلام من حيث العقيدة والسّلك الباطنيّ والسّلك الخارجيّ، وهذا يحصل عليه المخلصون الواعون بما يريد الإمام عليه السّلام منهم في عصر الغيبة الكبرى، وهم العارفون

بتكاليهم في عصر الغيبة، والممخّصون الصّالحون لقيادة العالم بين يدي إمامهم المهديّ عليه السّلام أفضل من أغلب المحيطين بالنبيّ صلّى الله عليه وآله وأصحاب الأئمّة عليهم السّلام، ولكن بشرط أن يثبت الفرد جدارته وصموده ضدّ الظلم والانحراف .

والشّهادة التي نالها الأغلب في بدر وأحد كانت بالاندفاع الثوريّ والوهج العاطفيّ الذي أوجده النبيّ صلّى الله عليه وآله في مجتمعه، وهذا يمثل أيضًا نجاحًا في التّمحيص الاختياريّ، ولكنّه لا يمكن أن يكون سببًا لتربية الفرد وتكامله ودقّة تمحيصه؛ لأنّ تربية الفرد يحتاج إلى زمن طويل وتسلسل تدريجيّ بطيء وتكامل متواصل، ولا يمكن القفز إلى الكمال فجأةً ودفعةً واحدةً، ومثل هذه التّربية البطيئة يمرّ بها الفرد المؤمن والأجيال المؤمنة في عصر الغيبة الكبرى بشكل مؤكّد أكبر ممّا مرّ به المحيطون بالنبيّ صلّى الله عليه وآله خلال عشرين سنة، وتكون النتيجة أوسع وأعمق وأعلى مستوى ممّا نتج بالنسبة إلى أغلب من عاصر النبيّ صلّى الله عليه وآله وأغلب أصحاب الأئمّة عليهم السّلام .

الرواية الرّابعة :

عن الإمام الحسين عليه السّلام : "له غيبة يرتدّ فيها قوم، ويثبت على الدّين فيها آخرون . . . أمّا إنّ الصّابر في غيبته على الأذى والتّكذيب بمنزلة المجاهد بالسيف بين يدي رسول الله" (1) .

(1) بحار الأنوار ج ٣٦ ص ٣٨٥ ح ٦ .

المؤمن الذي يصبر في زمان الغيبة على الأذى والتكذيب يكون بمنزلة المجاهد بين يدي الرسول صلى الله عليه وآله، والآن من الواضح في الفضائيات التكذيب لأتباع أهل البيت عليهم السلام والافتراء عليهم، ولحد الآن يفترون بأن الشيعة يقولون في نهاية الصلاة : خان الأمين .

وهذا الافتراء كان من السابق، والآن القنوات الشيعة تنقل صلاة الجماعة نقلًا مباشرًا، ولو كان هذا الافتراء صحيحًا لكان إمام الجماعة يقول ذلك في صلاته، ولنقلته فضائيات ومواقع أعداء أتباع أهل البيت عليهم السلام، والشيعة يقولون في آخر الصلاة ثلاث مرّات : "الله أكبر"، ونهاية صلاة النبي صلى الله عليه وآله كانت بالتكبير كما قاله ابن عباس .

عن ابن عباس : "كنت أعرف انقضاء صلاة النبي صلى الله عليه وآله عليه (وآله) وسلّم بالتكبير" (١) .

عن ابن عباس : "ما كنّا نعرف انقضاء صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله عليه (وآله) وسلّم إلا بالتكبير" (٢) .

ولحدّ الآن يفترون بأنّ الشيعة يقولون بتحريف القرآن، مع أنّ علماءنا يصرّحون بأنّ القرآن الموجود بين أيدي المسلمين هو القرآن الذي نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله، وهم يكرّرون دائماً

(١) صحيح البخاريّ رقم ٨٤٢ .

(٢) صحيح مسلم رقم ٥٨٣ .

نفس الافتراءات والإشكالات، ويجيب علماؤنا عليها، ولكنهم يستمرون في طرح نفس الافتراءات والإشكالات مرّة أخرى .

وعلماء مدرسة أهل البيت عليهم السّلام أعطوا الأجوبة لجميع الأسئلة والإشكالات منذ مئات السنين، وحتى لو نكرّر لهم الأدلّة يظّلون يكرّرون شبهاتهم؛ لأنّ الهدف ليس هو الوصول إلى الحقّ، وإتّما هدفهم هو أن يفتروا على شيعة أهل البيت عليهم السّلام، ويستحيل أن ينتصر دين ومذهب ومدرسة عن طريق الأكاذيب والافتراءات، والانتصار الحقيقيّ يكون بواسطة الحقّ، فالحقّ لا ينتصر إلّا بالحقّ، ووسيلة الحقّ هي الحقّ، ولا بدّ من أن يكون النّظر إلى الله تعالى .

يقول القرآن الكريم :

"إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا . . ." (١) .

لا عن الذين كذبوا ولا الذين افتروا ولا الذين نافقوا، فالشرط الأوّل للحصول على الدّفاع من الله تعالى هو أن يكون الإنسان مؤمناً، فإذا كان مؤمناً حقيقيّاً فإنّ الله عزّ وجلّ يدافع عنه .

نسأل : هل أنتم أوصياء على النّاس؟!

مثلا شخص بوذيّ، تقول عنه بأنّه كافر ويجب قتله، أنت لست مسؤولاً عنه، وإذا أردت الجنّة فادخلها، وأنت لست مسؤولاً عن دخوله الجنّة أو النّار، فلم يجعلكم الله تعالى أوصياء على النّاس، ومن يقول بأنّه يتّبع سيرة النّبّيّ صلّى الله عليه وآله فليذكر لنا حادثة واحدة

(١) الحجّ : ٣٨ .

نحر النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِيهَا شَخْصًا، وَأَكْبَرِ مِثَالِ عِنْدِنَا هُوَ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِمَشْرُكِي قُرَيْشٍ حِينَمَا تَمَكَّنَ مِنْهُمْ : " اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطَّلَقَاءُ " .

كَانَ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يُقْتَلَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ جَمِيعًا وَلَا يَلُومُهُ أَحَدٌ؛ لِأَنَّكُمْ كَانُوا أَعْدَاءً لَهُ، وَلَكِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَرَادَ أَنْ يَبَيِّنَ الرَّحْمَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ، وَأَسَاسَ الْإِسْلَامِ هُوَ الرَّحْمَةُ لَا الشَّدَّةُ وَالْقَسْوَةُ، وَالسَّلَامُ لَا الْحَرْبُ، وَتَحَرَّكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَمَا كَانَ عَلَى أَسَاسِ الرَّحْمَةِ .

يقول القرآن الكريم :

" . . . فَكُلُّ سَلَامٍ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ . . . " (١) .
" وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ " (٢) .

ولم يكتب الله سبحانه على نفسه العذاب .

"لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ" (٣) .

وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَحِيمٌ بِجَمِيعِ النَّاسِ بِمَا فِيهِمُ الْمُؤْمِنُونَ .
وَالأَصْلُ لَيْسَ شَدِيدَ الْعِقَابِ، فَلَمْ يَكْتُبِ اللهُ تَعَالَى عَلَى نَفْسِهِ شَدَّةَ الْعِقَابِ كَأَصْلِ، بَلِ الْأَصْلُ هُوَ الرَّحْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ، وَدُخُولُ النَّاسِ إِلَى الْجَنَّةِ

(١) الأنعام : ٥٤ .

(٢) الأعراف : ١٥٦ .

(٣) التوبة : ١٢٨ .

هو الأصل، ومن يدخل إلى النار فإنه يدخل بسبب أعماله الفاسدة، فالأصل يوم القيامة أن الله عز وجل يريد أن يُدخِلَ النَّاسَ إلى الجنة، والله تعالى يبحث للإنسان عن أي عمل صالح ولو كان العمل صغيراً؛ لأجل أن يُدخِلَهُ إلى الجنة .

عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : "دَخَلَ عَبْدُ الْجَنَّةِ بَعْضُنْ مِنْ شَوْكٍ كَانَ عَلَى طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ" (١) .

تقول : ما هي قيمة الشوك ؟

هذا العمل وإن كان صغيراً في ظاهره، ولكنّه في باطنه عمل عظيم، لأنّ هذا الإنسان حركته كانت قربةً إلى الله تعالى، فتقرّب إلى الله تعالى بهذا العمل الصّغير، وعنده اهتمام بالمسلمين بحيث يزيح الشوك عن طريقهم، ويكون مصداقاً من مصاديق المسلم الذي يهتمّ بأمور المسلمين، وينقلب هذا العمل الصّغير إلى عمل عظيم؛ لأنّ فيه نيّة التّقرّب إلى الله تعالى، والنّظر لا يكون إلى الحجم الظّاهري للعمل فقط، وإمّا يكون النّظر إلى نيّة التّقرّب إلى الله تعالى، ونيّة التّقرّب تعطي العمل قيمته الحقيقيّة وإن كان العمل بظاهره عملاً صغيراً .

عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى" (٢) .

عن الإمام أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام : "نيّة المرء خير

(١) الخصال للشيخ الصدوق ص ٣٢ .

(٢) الأمالي للشيخ الطوسي ج ٢ ص ٢٣١ .

من عمله" (١) .

إذن :

من يكون في زمان غيبة الإمام عليه السّلام يكون بمنزلة المجاهد بين يدي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .
الرّواية الخامسة :

عن الإمام الصّادق عليه السّلام : "من مات منكم على أمرنا هذا فهو بمنزلة من ضرب فسطاطه إلى رُواقِ القائم عليه السّلام، بل بمنزلة من يضرب معه بسيفه، بل بمنزلة من استشهد معه، بل بمنزلة من استشهد مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ" (٢) .

في عصر الغيبة المؤمن الذي يموت - إذا كان منتظرًا للإمام عليه السّلام انتظارًا حقيقيًا - يحصل على ثواب من يستشهد مع الإمام عليه السّلام بل من يستشهد مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . وهذا يتطلّب من المؤمن أن يعرف تكاليفه في عصر الغيبة الكبرى، فإذا كان يقوم بتكاليفه وينتظر ظهور الإمام عليه السّلام فهو بمنزلة من يستشهد معه عليه السّلام، ولو أطل الله عمره إلى زمن الظهور فإنّه سيكون من المجاهدين مع إمام زمانه عليه السّلام، وإذا مات قبل

(١) الكافي ج ٢ ص ٨٤ ح ٢ .

(٢) المحاسن لأحمد بن محمّد بن خالد البرقيّ ج ١ ص ١٧٣ ح ١٤٥ .
الفسطاط : خيمة تتخذ من الشّعْر . الرُّواقُ : خيمة تُحمَلُ على عمود واحد طويل . رُواقُ البيتِ : مُقَدَّمُهُ .

الظهور فإنّ الله تعالى سيعطيه ثواب المجاهد والشّهيد مع إمامه عليه السلام بل ثواب المجاهد والشّهيد مع النّبّي صلّى الله عليه وآله، والنّظر يكون إلى الماضي والمستقبل، يحصل على ثواب الشّهداء المجاهدين مع أنّه لم يجاهد جهادًا عسكريًا بسلاحه، ولكنّ نفسيّته مهيةً للجهاد، فهو يعيش الآن حالة المجاهد حتّى لو لم يحمل السّلاح، فالاستعداد النّفسيّ للجهاد موجود عنده، وفي زمان الغيبة لا بدّ من أن يكون المؤمن مستعدًّا للجهاد، وهذا يحتاج إلى تهيئة مسبقة واستعداد مسبق، ولكي يهيئ المؤمن نفسه لا بدّ من أن يكون مستعدًّا للجهاد، وهذا يحتاج إلى معرفة تكاليفه في عصر الغيبة، ومعرفة كيفيّة الاستعداد النّفسيّ والرّوحيّ، وإذا انهمك الإنسان في المحرّمات فلا يكون مستعدًّا، وإذا ترك الواجبات يستحيل أن يكون متهيئًا، وقلنا بأنّ المقياس ليس الواجب والحرام فقط، ولكنّ المقياس يكمن في كيفيّة التعامل مع المباحات، وهذا هو المقياس الحقيقيّ، فمن يريد أن يكون مجاهدًا لا بدّ من أن يأتي بالمباحات التي تنبغي ويتخلّى عن المباحات التي لا تنبغي، فمن يريد أن يتحرّك إلى الله تعالى يكون كالمسافر، والمسافر يحمل حقيبتين أثناء سفره، ولا يحمل ثلاثين حقيبةً، فيحمل ما يحتاجه في السّفر ويترك ما لا يحتاجه، ومن يريد أن يتهيأ نفسيًّا لظهور الإمام عليه السلام فلا بدّ من أن يتخلّى عن المباحات التي لا تنبغي، وبذلك تصبح نفسيّته متهيئةً للتّخلّي عن الدّنيا ومستعدةً للجهاد والشّهادة في سبيل الله تعالى .

ومن يملك المليارات من الأموال إذا طلبت منه الجهاد في سبيل فإنه يصعب عليه ذلك؛ لأنّ التخلّي عمّا تعلّق به القلب صعب جدًّا، والإنسان كلّما صار عنده أملاك أكثر فوقت الموت يتحسّر على أملاكه التي سيتركها، والفقير لا يتحسّر على شيء؛ لأنّه لا يملك شيئًا، وهو سيخرج من ضنك المعيشة إلى معيشة أفضل، ولكنّ الغنيّ المتعلّق بالدنيا يصعب عليه التخلّي عن دنياه، لذلك بعض الأشخاص حينما تخرج روحه من جسده - والتعبير مجازي لأنّ الرّوح ليس داخل الجسد، وغير المادّي لا يكون داخل المادّي - قل حينما ينزعون روحه فإنّ النزع يكون شديدًا عليه؛ لأنّ تعلّقه بالدنيا شديد، وكلّما ازدادت شدّة التعلّق بالدنيا كلّما كان نزع الرّوح أشدّ، فهذا الإنسان لا يريد الخروج من الدنيا وترك أملاكه، والتعلّقات القلبيّة بالدنيا تربط الإنسان، وكلّما تعلّق الإنسان بالدنيا أكثر كلّما صعب عليه تركها، وخاصّةً التعلّق بالمباحات، وعمليّة التخلّي عن المباحات والدّهان للجهاد في سبيل الله تعالى تكون صعبةً عليه .
وأعطيكم مثلاً بسيطاً :

كم مؤمن مستعدّ أن يذهب للدراسة في الحوزة ؟

القليل من المؤمنين مستعدّون للدّهان إلى الحوزة؛ لأنّه سيترك الكثير من الدنيا، ولا يكون عنده معاش شهريّ كبير، وحاليًا عدد الطّلبة في الحوزة من بلدنا عشرون أو ثلاثون طالبًا، والطّلبة من الدّول الأخرى عددهم أكبر، والإنسان لا يمكن أن يتخلّى عن الدنيا

بسهولة حينما تقول له بأن يذهب إلى الحوزة ولا يكون عنده معاش شهريّ ثابت، قد يحصل على معاش يكفيه ويقضي حوائجه الضرورية، ولكنه لا يحصل على متع الدنيا كما يحصل عليه من يكون عنده معاش شهريّ كبير .

وهذا مقياس، فإذا ظهر الإمام عليه السلام كم من المؤمنين مستعدون لأن يتخلّوا عن جميع أملاكهم، توجد صعوبة؛ لأنّ التعلّق القلبيّ بالمباحات سيمنعه من التّحرّك الخارجيّ، والحركة الخارجيّة مبنية على الحركة القلبيةّة، لذلك على المؤمن أن يقلّل علاقاته مع المباحات، وكلّما قلّ تعلّقه القلبيّ بالدنيا فهو مستعدّ للطيران أكثر، والطير إذا جعلت عليه أثقالاً فلا يمكنه أن يطير، ولكن حينما تجعل عليه ثقلاً صغيراً فإنّه يمكنه الطيران، وإذا لم يوجد عليه أيّ ثقل فإنّه يطير إلى أعلى الجبال، وهكذا إذا أراد المؤمن أن يطير إلى الله تعالى فعليه أن يتخفّف من الدنيا ويقلّل الأحمال الموجودة في قلبه ويترك التعلّقات القلبيةّة، فهو يأخذ من الدنيا بلا أيّ تعلّق قلبيّ بها، ويتكامل لأجل أن يصل إلى الله سبحانه سريعاً .

ومن يريد أن يقوم ببحث نافع يمكنه البحث عن أقوال النبيّ صلّى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام عن الإمام المهديّ عليه السلام من إمام إلى إمام، فكلّ إمام قال شيئاً عن الإمام المهديّ عليه السلام، فيمكنه استقراء الروايات؛ لكي يرى أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وكلّ إمام عليه السلام ركّز على أيّ جانب من جوانب قضية

الإمام المهديّ عليه السّلام، ويمكنه أن يعرف كم كانت مساحة الحرّيّة في الكلام في كلّ عصر من عصور الأئمّة عليهم السّلام، ولا أدري إذا كانت توجد أبحاث حول هذا الموضوع أو لا توجد، فابحث عن أقوال كلّ إمام عن الإمام المهديّ عليه السّلام، وهذا بحث نافع جدًّا .

الرّواية السادسة :

عن الإمام زين العابدين عليه السّلام : " . . . إنَّ أهل زمان غيبته القائلين بإمامته المنتظرين لظهوره أفضل أهل كلّ زمان؛ لأنَّ الله تعالى أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، وجعلهم في ذلك الزّمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله صلّى الله عليه وآله بالسّيف، أولئك المخلصون حقًّا، والدّعاة إلى دين الله سرًّا وجهرًا" (١) .

إنَّ المؤمنين في عصر الغيبة أفضل من أهل كلّ زمان، ولم يقيّد بزمان معيّن، والسّبب في ذلك أنّ عقولهم وأفهامهم ومعرفتهم جعلت الإمام عليه السّلام عندهم كأنّه موجود بينهم، وغيبة الإمام عليه السّلام غيبة خارجيّة، ولكنّ المهمّ أنّ يكون الإمام عليه السّلام حاضرًا في نفسك، ومقدار حضور الإمام عليه السّلام في نفسك هو المهمّ، ومقدار علاقة المؤمن بالإمام عليه السّلام تحدّد حضور الإمام أو غيبته في نفسه سواء كان حاضرًا أم غائبًا في الخارج، والواقع الخارجيّ هدفه إحضار الإمام في نفسك، حتّى لو لم يرَ الإمام عليه

(١) بحار الأنوار ج ٤٢ ص ١٢٢ ح ٤ .

السَّلام فهو مرتبط به قلبياً، وهو يعيش الإمامة في كلِّ يوم بحيث إنَّه قبل أن يقوم بأيِّ عمل يسأل : يا سيّدي ومولاي، هل ترضى عن العمل الذي أقوم به أو لا ترضى ؟

وبذلك يكون الإمام عليه السَّلام حاضرًا في نفسه يوميًا بل لحظيًا وقبل القيام بأيِّ عمل، فالمعيشة مع الإمام عليه السَّلام تكون معيشةً يوميةً لحظيةً دائمةً .

ومع حضور الإمام عليه السَّلام يتفاعل المؤمنون معه، ولكن إذا كنت متفاعلاً مع الإمام عليه السَّلام وهو غائب فقد حققت الهدف، والهدف هو الحضور التفسيد القلبي، نعم حضوره الخارجي ضروريٌّ حتّى تراه بشخصه فتتفاعل أكثر، وتزداد تفاعلاً فوق التفاعل السابق، وتبدأ المهمة العالمية في نشر العدل في العالم .

والمؤمنون الذين يعيشون الغيبة بمنزلة العيان والمشاهدة ويتفاعلون مع الإمام عليه السَّلام ويرتبون الآثار العملية على اعتقادهم - يكونون كالمجاهدين بين يدي رسول الله صلّى الله عليه وآله، ومن الآثار العملية أنّهم يكونون من الدّعاة إلى دين الله سرّاً وجهراً، سرّاً في حالة التّقية الواجبة، وجهراً في حالة عدم التّقية، فالعمل والتّحرك مطلوب من المؤمن في كلّ زمان وعلى كلّ حال، فالنتيجة الطّبيعية للاعتقاد بالإمام عليه السَّلام هي أنّ المؤمن يساهم في نشر الدّين والدّعوة إليه، ولا يكون من الأنانيين الذين يهتمون بأنفسهم فقط، ولا يهتمون بالدّين ونشره في العالم، فيكون من الدّعاة إلى دين الله تعالى بالمقدار

الممكن، ويعيش حالة الدّعوة، فيدعو إلى الإسلام سرّاً وجهراً، وتكون فيه صفات الدّاعية، ومن يدعو النّاس إلى شيء لا بدّ من أن يكون هو أوّل الملتزمين بهذا الشّيء، فالمؤمن الدّاعية فيه صفات معيّنة، وليس كلّ إنسان صالحاً لأن يكون من الدّعاة إلى الدّين، فقبل ذلك لا بدّ من أن يتهيأ عملياً ويتّصف بصفات معيّنة؛ لأجل أن يدعو إلى الإسلام، وإذا لم تكن فيه الصّفات المطلوبة فإنّه سيفسد أكثر ممّا يصلح .

عن رسول الله صلّى الله عليه وآله : "من عمل على غير علم كان ما يفسده أكثر ممّا يصلح" (١) .

هو نيته الإصلاح، ولكنّه يساهم في فساد النّاس إذا لم يكن متهيئاً للعمل، والنيّة الصالحة لوحدها لا تكفي، بل لا بدّ من تهيئة مقدّمات العمل، ومن المقدّمات العلم بجوانب العمل الذي يريد أن يقوم به .
الرّواية السابعة :

عن أبي عبد الله الصّادق عليه السّلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : "سيأتي قوم من بعدكم الرّجل الواحد منهم له أجر خمسين منكم" . قالوا : يا رسول الله، نحن كنّا معك بيدر وأحد وحنين، ونزل فينا القرآن . فقال : "إنكم لو تحمّلوا لما حمّلوا لم تصبروا صبرهم" (٢) .

(١) بحار الأنوار ج ١ ص ٢٠٨ ح ٧ .

(٢) المصدر السّابق ج ٥٢ ص ١٣٠ ح ٢٦ . فيه تصحيف من الكتاب،

النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَكَلِّمُ الْمُحِيطِينَ بِهِ بِأَنَّهُ سَيَأْتِي قَوْمٌ مِنْ
بَعْدِهِمْ، يَكُونُ لِلوَاحِدِ مِنْهُمْ أَجْرُ خَمْسِينَ رَجُلًا، وَتَسَاءَلُوا بِأَتَمِّهِمْ كَانُوا
مَعَهُ فِي مَعَارِكِ بَدْرٍ وَوَاحِدٍ وَحَنِينٍ وَنَزَلَ فِيهِمُ الْقُرْآنُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِأَتَمِّهِمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى تَحْمَلِ صَبْرِهِمْ، فَمَنْ عَاشَ مَعَ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ يَعْيشُ الْوَهْجَ الْعَاطِفِيَّ بِسَبَبِ وَجُودِهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَعَهُمْ، وَمَنْ يَكُونُ مَعَ الْأَئِمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يَعْيشُ أَيْضًا
هَذَا الْوَهْجَ بِسَبَبِ وَجُودِ الْمُعْصُومِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَيْنَهُمْ، وَلَكِنَّ الْبَلَاءَ يَقَعُ
بَعْدَ انْتِقَالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى بَارئِهِ تَعَالَى، فَكَيْفَ كَانَتْ
حَالَةُ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ اسْتِشْهَادِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؟!!

وَالْمُؤْمِنُ الَّذِي يَكُونُ فِي عَصْرِ الْغَيْبَةِ الْكُبْرَى يَعْيشُ الْخُنَّ وَالْمَصَاعِبَ،
وَيَتَلَحَّظُونَ ذَلِكَ بِوُضُوحٍ، فَالْحَرْبُ قَائِمَةٌ عَلَى أَتْبَاعِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ
السَّلَامُ، وَهَذَا امْتِحَانٌ لِلْإِنْسَانِ الْمُؤْمِنِ الْمُتَمَسِّكِ بِاعْتِقَادَاتِهِ، فَهَلْ يَتْرُكُ
عَقَائِدَهُ أَوْ يَظَلُّ مُتَمَسِّكًا بِهَا؟!!

وَالْخُنَّ الْمَوْجُودَةُ الْيَوْمَ لَمْ تَكُنْ مَوْجُودَةً فِي زَمَانِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَآلِهِ، وَكَانَ الْمَعَاصِرُونَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَتَعَامَلُونَ مَعَ الْمُعْصُومِ
مُبَاشَرَةً، وَالْمُؤْمِنُونَ الْيَوْمَ يَعْيشُونَ الْمَصَاعِبَ، وَكَلَّمَا ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُ أَكْثَرَ

وَالصَّحِيحُ أَنْ يُقَالَ : "لَوْ تَحْمَلُونَ"، فَعَلَّ مَضَارِعَ مَرْفُوعٍ، وَعَلَامَةٌ رَفَعَهُ
ثَبُوتُ النَّوْنِ؛ لِأَنَّهُ مِنَ الْأَفْعَالِ الْخَمْسَةِ، وَيُقَالُ : "مَا حُمِلُوا"، بِدُونِ لَامِ
الْجَرِّ؛ لِأَنَّ الْفِعْلَ "تَحْمَلُ" يَتَعَدَّى إِلَى الْمَفْعُولِ بِهِ بِنَفْسِهِ لَا بِوَسْطَةِ حَرْفِ
الْجَرِّ، فَيُقَالُ : تَحْمَلُ الْحَقِيقَةَ، وَلَا يُقَالُ : تَحْمَلُ لِلْحَقِيقَةِ .

كان تكامله أكثر، فتكامل المؤمن في زمان الغيبة أكثر من تكامل خمسين رجلاً ممّن كانوا مع النبيّ صلّى الله عليه وآله، بل يكونون أفضل من أهل كلّ زمان كما في الرواية التي مرّت سابقاً، فتكاملهم أكثر من غيرهم، ومقياس الأفضليّة هو مقياس جهاد النفس والنّجاح في الابتلاءات، وكلّما عاش المؤمن جهاد النفس أكثر كلّما تكامل أكثر، والمشاكل والبلاءات والمحن والمصاعب الفرديّة والاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة التي يعيشها المؤمن يساهم في تكامله أكثر .

النتيجة :

المؤمنون الممحصّون الكاملون المخلصون الواعون العارفون بتكاليّتهم في عصر الغيبة الكبرى والعاملون بها أفضل من أغلب المعاصرين للنبيّ صلّى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السّلام، وذلك لنجاحهم في التّمحيص في عصر الفتن والانحراف، وعندهم من الفهم والمعرفة أكثر ممّن كانوا في الأزمنة السّابقة؛ لأنّنا الآن في عصر المعلومات وعصر الشّبّهات، وفسطاط الإمام المهديّ عليه السّلام هو مقرّه أو عاصمته أو مدرسته الفكرية والمبادئ العقائديّة، وأصحاب الإمام المهديّ عليه السّلام على درجة عالية من الإيمان والإخلاص الممحصّ والوعي الكبير، والفرد الذي يعيش في عصر الغيبة الكبرى بهذه المواصفات يكون من أنصار المهديّ عليه السّلام وإن لم يدرك ظهوره المبارك .

ويمكن تناول موضوع "هل تريد أن تتعرّف على إمام زمانك؟"، ونطرح فيه كلّ ما يتعلّق بالإمام المهديّ عليه السّلام، ويكون عندك

ملفّ كامل عنه عليه السّلام، من قبل ولادته إلى ما بعد ظهوره، وتنقصك فقط الصّورة الشّخصيّة للإمام عليه السّلام، ونحتاج إلى مئات بل آلاف المحاضرات للحديث عن هذا الموضوع .

التكليف السّابع : الارتباط بخطّ المرجعيّة الرّشيّدة :

أشير هنا إشارةً سريعةً إلى أمر مهمّ جدًّا للمؤمن في عصر الغيبة الكبرى، وهو الارتباط بخطّ المرجعيّة الرّشيّدة، وخطّ الفقهاء هو امتداد لخطّ الإمامة، ولا يوجد شكّ في هذا الأمر .

عن الإمام الحسن العسكريّ عليه السّلام : "فَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَ الْفُقَهَاءِ صَانِتًا لِنَفْسِهِ، حَافِظًا لِدِينِهِ، مُخَالَفًا لِهَوَاهِ، مُطِيعًا لِأَمْرِ مَوْلَاهُ - فَلِلْعَوَامِّ أَنْ يَقْلُدُوهُ، وَذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا (فِي) بَعْضِ فُقَهَاءِ الشَّيْعَةِ لَا جَمِيعِهِمْ" (١) .

والرّواية معروفة مشهورة، ويذكرها العلماء دائمًا في كتبهم وبحوثهم، وفي بحث "التّقليد والأعلميّة" سأتناول هذه الرّواية بالتّفصيل، ونجيب على السّؤال التّالي :

هل يجب تقليد أعلم الفقهاء أو يجوز تقليد غير الأعلام ؟
وبالاستناد إلى هذه الرّواية سأثبت أنّه يجب تقليد الأعلام .
ونرتبط بالفقهاء باعتبارهم نوابًا للإمام المهديّ عليه السّلام، طبعا الفقيه من خطّ المرجعيّة الرّشيّدة، لا المدّعي للمرجعيّة، والمدّعون للمرجعيّة مشخّصون عند العلماء في الحوزات العلميّة، وبعض المدّعين

(١) التّفسير المنسوب للإمام العسكريّ عليه السّلام ص ٣٠٠ .

للمرجعية من الواضح أنه لا علم عندهم ولم يدرسوا لا في الحوزات ولا عند أيّ عالم، والمستغرب أنه كيف يقلده بعض الناس، وبعض المؤمنين لا يعرفون تكليفهم في مسألة التقليد، وهذا عجيب في زماننا !!
والفقهاء هم محاور الأمة، ولا يوجد محاور غيرهم بحيث إنّ شخصاً عادياً غير عالم يكون محوراً من محاور الأمة، فالعلماء فقط و فقط هم المحاور في الأمة .

والعلماء هم الوحيدون الذين يمارسون الدور العلمائيّ في المجتمعات، ولا يصحّ لشخص غير عالم أن يمارس دور العلماء، مثلاً الوعظ والإرشاد وإمامة المسجد وغيرها هي من اختصاص العلماء فقط، والعالم هو الوحيد الذي يقوم بدور العلماء، ولا يحقّ لأيّ شخص غير عالم أن يقوم بأدوار العلماء في المجتمع، وإذا كان يؤديّ إلى التأثير السلبيّ على مقام العلماء وخفض منزلة العلماء في أعين الناس فيدخل في العمل المحرّم، ومع وجود العلماء لا يجوز لغير العلماء التقدّم، فالعالم له أدوار معيّنة في المجتمع، كما أنّ الإنسان غير العالم له دوره الخاصّ، فالمهندس له دور، والطبيب له دور آخر، ولا يصحّ لغير المتخصّص في مجال أن يأخذ مجال المتخصّص، ونتكلّم عن العلماء المتخصّصين الذين قضوا سنوات في الدّراسة الحوزويّة، ويكون معروفاً من ناحية علمه وأخلاقه وسيرته، ولا نتكلّم عن شخص درس ستّة أشهر ولبس العمامة وادّعى أنّه عالم، وإذا لم يُعطِ أفراد المجتمع العالم مجالاً لممارسة أدواره فهؤلاء محاسبون، وهم لم يستفيدوا من هذا العالم، ولم يتركوا

المجال للمؤمنين للاستفادة من هذا العالم، وكما أنّ القرآن يشتكى إلى الله تعالى كذلك العالم يشتكى .

عن الإمام الصادق عليه السلام : "ثلاثة يشكون إلى الله عزّ وجلّ : مسجد خراب لا يصلّي فيه أهله، وعالم بين جهال، ومصحف معلق قد وقع عليه غبار لا يُقرأ فيه" (١) .

وينقل عن أحد المراجع أنّه قال إنّ بلدنا مقبرة العلماء .

وفي بلدنا لا يستفاد من العالم الاستفادة المطلوبة، فلا بدّ من أن يلتفت المؤمنون إلى العلماء ويستفيدوا منهم .

وبالنسبة للتحرّك المطلوب في عصر الغيبة الكبرى فالفقهاء هم الذين يحدّدون كميّة وشكل التحرك في المجتمع، وأي شخص عاديّ لا يصحّ أن يقرّر كميّة التحرك، مثلاً شخص غير عالم يدعو الناس إلى الخروج في مظاهرات، نسأله : ما هو مستندك الشرعيّ لخروج الناس في مظاهرة ؟ ومَنْ مِنَ العلماء يؤيّد هذه المظاهرة ؟

وحتىّ في التحرك السياسيّ من يريد أن يرشّح نفسه في الانتخابات لا بدّ من أن يكون عنده مؤهّلات الترشّح، فتكون عنده صفات معيّنة تؤهّله لترشيح نفسه، وإذا لم توجد عنده المؤهّلات الكافية فلا يحقّ له أن يرشّح نفسه، مثلاً شخص لا يوجد عنده اطلاع على القضايا السياسيّة، فهذا ليس مؤهّلاً لترشيح نفسه، فلا بدّ من أن تكون عند المرشّح متابعة للقضايا السياسيّة في العالم، وبالنسبة لتدبيره

(١) بحار الأنوار ج ٢ ص ٤١ ح ٤ .

وتقواه وخوفه من الله تعالى لا بد من أن يكون متدينًا متقيًا صالحًا، والشخص الذي يريد أن يتصدى لأي عمل إسلامي لا بد من أن يكون وضعه الديني أفضل من غيره، وتدينه الحقيقي يظهر في كيفية تعامله مع المباحات، ولو راجعنا حياة المتصددين في زمان النبي صلى الله عليه وآله وأزمنة الأئمة عليهم السلام لأجل أن نتعرف على صفاتهم - ستجد أنهم من الطبقة العالية في الإيمان والتقوى والتدين، ولا يتصدى الإنسان العادي الذي ليس له مميزات وصفات خاصة، ونرى في زماننا أن كل فرد يتصدى حتى لو لم يكن مؤهلًا للتصدي .

مثلًا حينما يتصدى أبو ذر رضوان الله عليه نرى أن فيه الصفات التي تؤهله للتصدي، ويتصدى بإذن إمامه عليه السلام لا برأيه ومزاجه، والذين كانوا مع الإمام الحسين عليه السلام نرى أنهم كانوا بمواصفات معينة، وهؤلاء هم أمثلة المتصددين .

ومن يريد أن يتصدى لا بد من أن يحقق في نفسه صفات صحابة النبي صلى الله عليه وآله المتصددين ومواصفات أصحاب الأئمة عليهم السلام المتصددين، فقبل أن يتصدى عليه أن يراجع حياة الصحابة وحياة الأصحاب ليعرف الصفات التي أهلتهم للتصدي، كصفات أبي ذر وسلمان وعمار، وصفات ميثم التمار ومالك الأشتر، وصفات أصحاب الأئمة عليهم السلام، وكل من النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام كان لديه مجموعة من المقرنين الذين يحيطون به، وكانوا يتصدون للأمور بإذن المعصوم عليه السلام، ولا يصح

للشخص الذي لا يوجد عنده علم واطلاع وتدبير وتقوى أن يتصدى
 لأمر المجتمع، وفي عصر الغيبة إذا أراد أن يتصدى فتكليفه أن يتهيأ
 ويستعد للتصدي، فيحقق الصفات المطلوبة في نفسه أولاً، وبعد ذلك
 يتصدى، وقمة التصدي وذروة التضحية كانتا عند أصحاب الإمام
 الحسين عليه السلام، لذلك كان العدد قليلاً ومحدوداً بثلاثة وسبعين
 شخصاً، ولكن في حالة الرخاء كل شخص يتصدى للعمل، ولكن
 إذا وقعت الابتلاءات والمحن نجد أن كثيراً منهم يبتعد عن التصدي،
 ومن يتصدى في وقت المحن هم المؤمنون الأقوياء إيمانياً؛ لأنه زمان
 التضحية والتعرض للسجن والتعذيب والقتل، فمن يريد أن يتصدى لا
 بد أولاً من أن يحقق في نفسه مؤهلات ومواصفات التصدي، وأما إذا
 لم توجد فيه المواصفات - كمن لا يملك علماً بحيث إنه لم يدرس
 الرسالة العملية على الأقل - فكيف يمكنه أن يحدد تكاليفه؟!

إذن :

محاور المؤمنين في عصر الغيبة الكبرى هم المراجع من خط المرجعية
 الرشيدة، وعلاقتك مع إمام زمانك عليه السلام تحددها من خلال
 علاقتك بالمرجعية الرشيدة، وحينما تريد أن تقلد مرجعاً عليك أن
 تصل إليه بالطرق الشرعية المعينة، فتصل إلى من يكون تقليده مبرراً
 للذمة، ولا تختار أي شخص كمرجع لك وخاصة مدعي المرجعية،
 فتكليفك أن تقلد أعلم الفقهاء من مراجع خط المرجعية الرشيدة،
 وأمام الله تعالى تقول بأنك بحثت ووصلت إلى هذا المرجع، ولا تقول

بأنّ أبي كان يقلّد فلاناً فأنا قلّدته، أو عشيرتي أو قبيلتي أو عائلتي أو
أصدقائي قلّدوا فلاناً فقلّدته، وهذا تكليف على كلّ مؤمن .
وهذه آخر نقطة في بحثنا حول "تكاليف المؤمن في عصر الغيبة"،
وهي الارتباط بخطّ المرجعية الرّشيدة .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد
 وآله الطّيبين الطّاهرين .

أسئلة وتعليقات الحاضرين :

المهندس حسن الجريدان :

نريد توضيحاً أكثر عن الرواية التي ذكرتها في البداية على أساس أنّ
الفرق بين عبادة المؤمن في زمن الحضور وزمن الغيبة هو الخوف فقط
مع أنّ الخوف كان موجوداً في زمن الأئمة عليهم السّلام، فكيف
يكون الخوف هو المعيار في الأفضليّة؟

جواب الشيخ محمّد أشكناني :

نفهم من الرواية أنّه في عصر الغيبة الفتن والابتلاءات تكون أكثر،
وفي زمان الأئمة عليهم السّلام المؤمن كان يمكنه الهجرة من مكان إلى
آخر، ولا يحتاج إلى جواز سفر، وإذا لم يعجبه هذا المكان فيذهب إلى
مكان آخر، والوضع الاقتصاديّ في المكانين نفس الوضع، وأمّا الآن
فأنت في بقعة معيّنة، ولا يمكنك أن تسافر، وعمليّة المتابعة والملاحقة
أمر سهل، والمؤمن الآن مشحّص، وفي زمن الأئمة عليهم السّلام لم
يكونوا يعرفون أنّ هذا من أتباع الأئمة عليهم السّلام أو لا، وكان

يتكتم على تشييعه لأهل البيت عليهم السّلام، والآن من اسمك يعرفون أنّك شيعي، وفي زماننا صار الأمر أصعب، لا فقط من جهة الظّالمين، والوسائل الحديثة أيضاً تسبّب فتناً للمؤمن، والاختراعات والأجهزة الحديثة تؤدّي إلى إضعاف دينه بسبب ارتباطه بها إذا لم يعرف كيف يتعامل مع هذه الأجهزة في مواضعها الصّحيحة، فالفتن الموجودة في زماننا أكثر من الفتن التي كانت موجودة في زمن الأئمة عليهم السّلام، نعم كانت توجد ملاحقة، ولكن انظروا إلى الوضع الحاليّ ترون أنّ الشّدّة فيه أكبر من السّابق، والحرب على التّشيع لأهل البيت عليهم السّلام حرب عالميّة، والبعض يصرّح بذلك، وبمقارنة زماننا الحاليّ بالزّمان السّابق نرى أنّ الفتن في زماننا أكثر، لا من الحاكم الظّالم فقط، بل حتّى من بعض إخوانك المؤمنين الذين يعاتبونك على تحركك وعملك .

الأستاذ فهد عبدالستّار :

هل أصحاب الإمام المهديّ عليه السّلام أفضل من أصحاب الإمام الحسين عليه السّلام مع أنّ الإمام الحسين عليه السّلام قال : لم أر أصحاباً خيراً من أصحابي (1) ؟

والإمام الحسين عليه السّلام وجّه أصحابه إلى الموت، وقال لهم بأهمّ سيقتلون .

(1) عن الإمام الحسين عليه السّلام : "فإني لا أعلم أوفى ولا خيراً من

أصحابي" . بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٣٩٢ .

جواب الشيخ محمد أشكناني :

أصحاب الإمام المهديّ عليه السّلام في زمان الحرب مع الأعداء في العالم معركتهم تختلف عن المعركة التي خاضها أصحاب الإمام الحسين عليه السّلام، فمعركتهم عالميّة لأجل تحقيق العدل العالميّ، والشّدّة التي تحصل لهم تكون أكبر من الشّدّة التي حصلت لأصحاب الإمام الحسين عليه السّلام، لذلك يكونون أفضل من هذه الجهة، وقلنا المقياس هو جهاد النّفس، وجهاد النّفس في زماننا أكبر منه من جميع الأزمنة السابقة، فتأتي الأفضليّة من هذه الجهة، وفي الرواية أنّ المؤمنين في عصر الغيبة "أفضل أهل كلّ زمان" .

قال الإمام الحسين عليه السّلام : " لا أعلم أوفى ولا خيراً من أصحابي " .

الأفضليّة تارة تكون نسبيّة وتارة تكون حقيقيّة مطلقاً، ونقول إنّ هذا أفضل، فهل هم أفضل من الجميع أو أفضل من البعض ؟
قلنا سابقاً بأنّ المؤمنين في عصر الغيبة على الأقلّ أفضل من بعض صحابة النّبّي صلّى الله عليه وآله ومن بعض أصحاب الأئمّة عليهم السّلام، مثلاً الحرّ بن يزيد الرّياحيّ تاب والتحق بالإمام الحسين عليه السّلام إذا ثبت تاريخياً أنّه جعجع بالإمام الحسين عليه السّلام حتّى جعله يسلك طريقاً آخر، ولو أنّ أحد أصحاب المهديّ عليه السّلام لم يكن حاله كحال الحرّ الرّياحيّ فيكون أفضل من الحرّ الرّياحيّ، وعلى الأقلّ يكون أفضل على نحو الاحتمال لا القطع، وأشير إلى أنّ

أيّ شبهات تُطرح على أصحاب الإمام الحسين عليه السّلام فإنّها غير صحيحة، ولا تصمد أمام البحث التّاريخيّ، فأعداء أهل البيت عليهم السّلام حاولوا تشويه صورة أصحاب الأئمة عليهم السّلام .

وأصحاب الإمام المهديّ عليه السّلام قدوتهم أصحاب الإمام الحسين عليه السّلام، ومن يريد أن يكون من أصحاب الإمام المهديّ عليه السّلام لا بدّ من أن تكون قدوته أصحاب الإمام الحسين عليه السّلام، ومن يريد أن يضحّي بنفسه لا بدّ من أن يكون مستعدّاً لأن يُقتلَ مع إمامه عليه السّلام، لذلك يريدون أن يكونوا من المجاهدين تحت لوائه والمستشهادين بين يديه حتّى يصلوا إلى تلك المنزلة العالية، وحقيقة منزلة أصحاب الأئمة عليهم السّلام عند الله عزّ وجلّ لا نعرفها تماماً، فنقول بحسب الظّاهر وبحسب المقياس الموجود بأيدينا إنّ هذا أفضل من ذلك، ونقول بهذا الاحتمال بحسب الروايات التي تقول إنّهم أفضل أهل كلّ زمان، فنعرف أفضليّة أنصار الإمام المهديّ عليه السّلام .

والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيبين الطّاهرين .

الكتابة الأصلية للمحاضرات

١٨٠ صفحة

بداية الكتابة الأولى من المحاضرات

الأحد ١٧/٤/٢٠٢٢ م

١٥ رمضان ١٤٤٣ هـ

مولد الإمام الحسن عليه السلام

نهاية الكتابة

الجمعة ٧/٧/٢٠٢٣ م

١٨ ذو الحجة ١٤٤٤ هـ

عيد الغدير

١١٦٥ صفحة

الانتهاء من الإخراج النهائي

الخميس ١٨/١/٢٠٢٤ م

٦ رجب ١٤٤٥ هـ

شهادة الإمام موسى الكاظم عليه السلام على رواية .

١٣٨٠ صفحة

تكاليف المؤمن في عصر الغيبة

الجزء الثالث

محتويات الكتاب

- (٤٣) هدف المؤمن في عصر الغيبة ٥
- (٤٤) دور العمل الاجتماعي في إعداد الأنصار ٣٥
- (٤٥) دور العلماء في إعداد الأنصار ٥٩
- (٤٦) العلماء في مواجهة الغزو الفكري والثقافي ٨٧
- (٤٧) أساسيات العمل الاجتماعي ١١٩
- (٤٨) المسؤولية تجاه الرسالة العالمية ١٤٦
- (٤٩) فقه العمل الاجتماعي ١٨٦
- (٥٠) الحركة القلبية في العمل الاجتماعي ٢٠٧
- (٥١) أهمية التربية في العمل الاجتماعي ٢٤٣
- (٥٢) توقع المؤمن لظهور الإمام عليه السلام ٢٧١
- (٥٣) تابع أفضلية أنصار المهدي عليه السلام ٣٠٢
- (٥٤) النبي صلى الله عليه وآله المثل الأعلى - الكمال الفكري في استنباط الأحكام الدينية وتناسبها مع الفطرة والعقل ٣٤٢
- (٥٥) التمهيد الاختياري والإجباري - الظلم الإعلامي - المصالح الشخصية - الإحساس بمشاعر المظلومين - الرقابة على النفس ٣٥٩

- (٥٦) المؤمن والزّمان الحاليّ والمستقبليّ ٣٨٤
- (٥٧) جهاد النّفس مقياس التّفاضل - مساهمة الأعداء في تكوين
الأنصار - قوّة المسلمين في جميع المجالات ٤١٠
- (٥٨) الدّعوة إلى العمل والحركة - أفضليّة أهل زمان الغيبة -
الارتباط بخطّ المرجعيّة ٤٣٦